

الدكتور وجيه كوثاني

# الاتجاهات الإجتماعية والسياسية

في جبل لبنان والشرق العربي

من النصرانية العثمانية إلى دولة لبنان الكبير



منشورات بحث وثقافة



# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

الاتجاهات الاجتماعية والسياسية  
في جبل لبنان والشرق العربي  
من التغريبة لاحتلاله إلى انتصاره الكبير



الدكتور وجيه كوثرياني

الاتجاهات الجماعية والسيكولوجية  
في جبل لبنان والشرق العربي  
من المصرفية العثمانية إلى دولة لبنان الكبير



جميع الحقوق محفوظة للناشر  
طبعَة جَدِيدَة منْقُوَّة وَمَزَّيَّة

١٩٨٦

© منشورات بحسون الثقافية

ص.ب. ١٢٢١١ ، بيروت ، لبنان

# الإهداء

إلى التي جمعت إلى حنان الأمومة وعطائها، عزيمة الثابرة على البحث العلمي وحافز التشجيع الدائم على المضي في الدرب الواحد.

إلى مني :

أم فرح

وأم جاد

ومن أجل إستمرار الذكريات والمعنى التي حملها الإهداء الأول للكتاب، ومع كل الأماني في خلاص قريب.  
وكل الدعاء في أن ينطق كتابنا بالحق.

وجيئ

نواة هذه الدراسة رسالة دكتوراه أعدت في جامعة بروكسل (بلجيكا) بإشراف الأستاذ ارموند آبل، وقد نوقشت، بسبب وفاة الأستاذ المشرف، في جامعة باريس الأولى بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٧٤ أمام لجنة مؤلفة من الأساتذة: بيير فيلار، دومينيك شفاليه، جاك كولان.

## الفصل الأول

نظرة عَامَة على الأوضاع الاجتماعية

١٨٦. قبل



- ١ -

## طبيعة السلطة في عهد إمارة الجبل

لم يكن لتسمية «جبل لبنان» ذات الدلالة الجغرافية في كل وقت . ففي غضون القرنين السابع عشر والثامن عشر اقتصر مدلول التسمية على المناطق الجبلية الشمالية التالية : بلاد بشري ، بلاد البترون ، بلاد جبيل ، أي موطن الموارنة الأساسي <sup>(١)</sup> . أما بلاد كسروان (المنطقة الجبلية الوسطى) فكانت غالباً ما تحافظ على تسميتها المستقلة ، ولا تدخل في إطار مدلول تسمية «جبل لبنان» إلا نادراً <sup>(٢)</sup> . أما بلاد الشوف (المنطقة الجبلية الجنوبية الممتدة من جنوب المتن حتى جزين) فكان يطلق عليها اسم (جبل الدروز) . ولم تشملها تسمية «جبل لبنان» إلا لاحقاً <sup>(٣)</sup> .

(١) صليبي كمال ، تاريخ لبنان الحديث ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢ .

(٣) إن الكاتب الفرنسي Volney الذي زار سوريا ومصر في أواخر القرن الثامن عشر ، يستعمل تعبيره : بلاد كسروان ، بلاد الشوف ، جبل لبنان ، بصورة مستقلة الواحد عن الآخر .

- Volney. Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783, 1784, 1785,  
paris 1787. p. 13.

ومنذ بدايات القرن التاسع عشر بدأ اسم «جبل لبنان» يتعمم على مجموع المناطق الجبلية الثلاث ، ويشيع على الأقل في الاستخدام اليومي <sup>(٤)</sup> .

أما المناطق الأخرى التي شكلت جزءاً من دولة لبنان الكبير المعلن عام (١٩٢٠) فلم تشملها التسمية على الإطلاق قبل هذا التاريخ . فبلاد الشقيف وببلاد بشارة المعروفتان بجبل عامل وراشيا والبقاع ، وعكار ، شكلت جميعها «مقاطعات» مستقلة الواحدة عن الأخرى . أما المدن الساحلية طرابلس ، بيروت ، صيدا ، فقد شكلت طيلة العهد العثماني مراكز الولايات أو الولية «عثمانية» شملت فيما شملته مقاطعات «الجبل» <sup>(٥)</sup> ، و «مقاطعات» أخرى في فلسطين وداخلية سورية <sup>(٦)</sup> .

من جهة أخرى إن صيغة ما عرف تاريخياً بـ «امارة الجبل» لم تكن لتشكل قبل سنة (١٨٦٠) ادارة عثمانية «خاصة» <sup>(٧)</sup>، كما يحاول البرهنة على ذلك بعض المؤرخين اللبنانيين . ذلك أن هذه «الامارة» لم تتشكل على أساس حدود مرسومة شملت «مقاطعات» معينة من الجبل أو من خارجه . «فالامارة» شكل من أشكال السلطة السياسية ارتكزت إلى مفاهيم وتقالييد وأعراف عربية - اسلامية محلية ، وارتبطت «بنظام الأرض والزراعة» السائد . وهو نظام «اقطاعي» ينتد بجذوره التاريخية إلى ما قبل العهد العثماني في بلاد الشام حيث اندمجت أعراف وتقالييد عصبية عائلية مع مفاهيم الاقطاع من ناحية النظرية الفقهية الاسلامية وناحية الممارسة التاريخية .

(٤) صليبي ، كمال ، سبق ذكره ، ص ١٣ .

(٥) راجع في موضوع جغرافية مقاطعات الجبل مقالة مسعود ضاهر ، «أوضاع على جغرافية التطور التاريخي للمقاطعات اللبنانية». مقتطف من مجلة «دراسات» العدد ١ / ١٩٧٥ - كلية التربية - الجامعة اللبنانية .

(٦) للتوسيع في موضوع التقسيمات الادارية العثمانية راجع: عوض، عبد العزيز، الادارة العثمانية في ولاية سوريا. القاهرة ١٩٦٩ ، لا سيما فصل «ال التقسيمات الادارية في بلاد الشام»، ص ٦١ - ٨٢ .

(٧) على سبيل المثال نذكر توفيق توما الذي يعتبر « ان اللبنانيين ، كانوا الوحيدةين من المحظوظ حق طرسوس ، الذين أعطوا حق ادارة بلادهم وفق تقاليد أجدادهم ، فبدل أن يخضعوا لسلطة الوالي ، الحاكم الوسيط التركي ، ارتبطوا مباشرة بشخص السلطان . وكثمن

لقد كانت الدولة العثمانية «منحت كبار موظفيها مثل الصدر الأعظم ، وحكام الایالات والألوية والجنود أراضي زراعية - على شكل اقطاعات -»، فتشكل نوع من «اقطاع حكومي» تألف من أصحاب «التيمار والزعامة» الذين كان يطلب منهم أن يكونوا دوماً على استعداد للحرب ، وأن يجهزوا عدداً من الخيالة والمحاربين يتاسب وإيراد «الاقطاع» وأن يقوموا بحفظ الأمن والنظام في اقطاعاتهم<sup>(٨)</sup> .

إلى جانب هذا النوع من «الاقطاع» كان في بلاد الشام وفي المناطق الأخرى التي تواجدت فيها تشكيلات اجتماعية قائمة على «عصبيات» «قبلية» أو «عنصرية» أو «مذهبية» نوع آخر من «الاقطاع» يسميه بعض المؤرخين «بالاقطاع الطائفي» . يقول عبدالعزيز محمد عوض في ذلك : «ولما كان في بلاد الشام قبل الفتح العثماني في سنة (١٥١٦) عصبيات اقطاعية محلية اختلفت في مقومات عصبيتها ، حيث وجدت عصبيات «عنصرية» كالتركمان والأكراد والعرب ، وعصبيات «مذهبية» كالاسماعيلية والتنصيرية والدروز والموارنة وغيرهم، وبما أن هذه العصبيات كانت من «أدوات» الحكم المملوكي فقد أقرتها الدولة العثمانية في مقاطعاتها»<sup>(٩)</sup> .

= وعربون لهذا الاستقلال الداخلي الاستثنائي كان عليهم أن يدفعوا لخزينة الدولة جزءاً من الضرائب التي يحصلونها بأنفسهم » .

- Touma t., *Paysans et institutions Féodales chez les Druzes et les maronites du Liban du XVIIe siècle à 1914*. Beyrouth 1971, t. I, pp. 35 - 36.

والواقع هو عكس ما يطرحه السيد توما تماماً - فالادارة العثمانية ارتكزت إلى البني الاجتماعية والسلطات المحلية القائمة في كل المناطق العربية التي خضعت لها . ولم يكن الجبل استثناء . ذلك أن مفهوم السلطة عند العثمانيين هو مفهوم إسلامي ، توافق مع البني الاجتماعية القائمة وأشكالها السلطوية المحلية .. فأمراء الجبل ، وشيخ القبائل في العراق وسوريا والجزيرة ، و «شرفاء» مكة ، وأئمة اليمن ، ثم الدياي والبالي في شمالي إفريقيا .. جميعهم لعبوا دور «وسطاء» للسلطة ، و «ممثلين» للسلطان ..

(٨) عوض عبدالعزيز محمد ، الادارة العثمانية .. ، ص ٢٢٣ .

(٩) المرجع نفسه ص ٢٢٤ .

إن « امارة الجبل » شكلت اذن جزءاً من هذا التنظيم الاقطاعي المحلي السادس . وقد ارتبطت منذ الفتح العثماني وحتى سنة (١٨٤١) « بأمير الدروز » الذي هو في الأساس أمير بلاد الشوف . فمنذ تثبيت السلطان سليم الأول للأمير فخرالدين المعنـى الأول في « اقطاعـة الشوف » وحتى تعينـي الأمـير بشـير الثالث عام (١٨٤٠) « أمـيراً على الجـبل » ، اعتـبر جميعـ الأـمـراء الـذـين تـعـاقـبـوا عـلـى هـذـا « المـنـصـبـ» من مـعـنـينـ وـشـهـابـينـ وـعـلـى اختـلـافـ اـنـتـهـاءـاتـهـمـ «المذهبـيةـ» المـعـلـنةـ ، «أـمـراءـ الدـرـوزـ» (١٠) .

من جهة أخرى ، استطاع « أمـيرـ الدـرـوزـ» في مرحلة تاريخـية معـينة لا سيـاـ في عـهـدـ فـخـرـ الدـيـنـ الثـانـيـ ، أـنـ يـقـومـ بـوـظـيفـةـ «الأـمـيرـ الكـبـيرـ» عـلـىـ «ـمـقـاطـعـاتـ» تـنـخـطـتـ حدـودـهاـ منـاطـقـ الجـبـلـ الثـلـاثـ ، وـوـصـلـتـ إـلـىـ شـمـاليـ سـوـرـيـةـ وـدـاخـلـ فـلـسـطـيـنـ وـأـبـوـابـ دـمـشـقـ .

هـذاـ التـوـسـعـ فيـ نـفـوذـ «ـالأـمـيرـ الكـبـيرـ» خـارـجـ اـطـارـ «ـالـجـبـلـ» ، وـالـذـي شـكـلـ فـيـاـ بـعـدـ «ـالـحـجـةـ التـارـيـخـيـةـ» وـ«ـالـاـيـديـولـوـجـيـةـ» الـتـيـ اـرـتكـزـتـ إـلـيـهاـ العـنـاصـرـ «ـالـبـرـجـواـزـيـةـ» المـارـونـيـةـ الجـبـلـيـةـ فيـ مـطـالـبـتهاـ فيـ أـوـاـئـلـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ باـعـادـةـ «ـلـبـانـ» إـلـىـ «ـحـدـودـ التـارـيـخـيـةـ وـالـطـبـيعـيـةـ» ضـمـنـ صـيـغـةـ «ـلـبـانـ الكـبـيرـ» ، هـذـاـ التـوـسـعـ كـانـ فيـ الـوـاقـعـ نـتـاجـ طـبـيـعـةـ السـلـطـةـ الـقـائـمـةـ ، لـاـ فيـ الجـبـلـ فـحـسـبـ ، بـلـ فيـ الـمـشـرـقـ الـعـرـبـ بـجـمـلـهـ ، وـلـاـ نـبـالـغـ إـذـ قـلـناـ فـيـ الـعـدـيدـ مـنـ مـنـاطـقـ الـعـالـمـ الـعـرـبـ -ـ الـاسـلـامـيـ (١١) .

فـسـلـطـةـ الـأـمـيرـ الكـبـيرـ ، مـسـتـمـدةـ مـنـ وـاقـعـينـ : مـنـ جـهـةـ وـاقـعـ تـواـزنـ قـائـمـ بـيـنـ عـصـبـيـاتـ عـائـلـيـةـ وـبـيـوتـاتـ عـرـيقـةـ ، يـؤـديـ إـلـىـ اـخـتـيـارـ أـحـدـ أـرـكـانـ الـعـائـلـاتـ

(١٠) كانت فـرـمانـاتـ تعـيـنـ وـتـثـبـيـتـ أـمـراءـ الجـبـلـ الصـادـرـةـ عنـ السـلـطـانـ تـسـمـيـ الـأـمـراءـ حـتـىـ ١٨٤٠ـ (ـبـأـمـراءـ الدـرـوزـ) . رـاجـعـ نـصـ فـرـمانـ تعـيـنـ بشـيرـ الثـالـثـ فيـ :

- Testa (Baron De) Récueil des Traités de la porte ottomane avec les puissances Étrangères , Paris 1892 - 1894, t. III, p. 83.

(١١) منـ المـفـيدـ هـنـاـ مـرـاجـعـةـ كـتـابـ :ـ اـيـفـ لـاـكـوـسـتـ:ـ الـلـاـعـمـةـ اـبـنـ خـلـدونـ،ـ تـرـجـةـ الـدـكـتـورـ مـيشـالـ سـلـيـمانـ ،ـ بـيـرـوـتـ ١٩٧٤ـ حـيـثـ نـجـدـ تـحـلـيـلاـ عـلـمـياـ لـلـصـرـاعـاتـ السـيـاسـيـةـ الـتـيـ قـامـتـ فـيـ الـمـغـرـبـ الـعـرـبـ عـلـىـ قـاعـدـةـ الـمـفـاهـيمـ الـتـيـ اـرـسـاـهـ اـبـنـ خـلـدونـ حـوـلـ مـسـأـلـةـ السـلـطـةـ وـالـعـصـبـيـةـ .

القوية أميراً قادرًا على محورة العصبيات الأخرى حوله وضبطها ، أو قمعها لصلحة تحصيل الضرائب السلطانية ، وتحقيق الأمن وفق الشرائع «المذهبية» المحلية والأعراف السائدة . ومن جهة أخرى واقع تكريس هذا الاختيار «العرفي» بفرمان سلطاني مركزي، يضفي «الشرعية» عليه وفق مفهوم «الاقطاع»<sup>(١٢)</sup> وصيغة «الالتزام» والجباية في الاسلام .

هذه السلطة لا يتحدد اطارها «الجغرافي» سلفاً ، فهي تتسع بقدر نجاح الأمير في وظيفته ، أي بقدر ما يضم إلى نفوذه من عصبيات عائلية أخرى إما عبر التحالف والانضواء أو عبر كسر شوكة هذه العصبيات وادخال مقاطعاتها في فلك «التزامه» وجبايته للضرائب السلطانية .

استطاع «أمير الشوف» اذن أن يصبح «الأمير الكبير» عبر ترؤسه لتحالف عصبي عائلي - طائفي ضم بيوتات «نافذة» درزية ومارونية وغيرها من البيوتات في مقاطعات عديدة من سوريا .

هذه البيوتات عرفت «بالمشيخ» و «الأمراء» ، وفي اللغة الشائعة آنذاك «بالمقاطعجين» (نسبة للمقاطعة)<sup>(١٣)</sup> .

«كان الشيخ يدير شؤون مقاطعته ، ويلتزم بدفع الضرائب المترتبة عليها لأمير الجبل ، الذي يتربع فوق هذا البناء الاقطاعي . والذي له الرياسة العليا على العامة والشيخ والأمراء . ويلتزم هذا الأمير أمام باشا صيدا بدفع الضرائب المستحقة للدولة على المقاطعات التي يحكمها بنفسه أو بواسطة اتباعه من المقدمين والمشيخ الاقطاعيين»<sup>(١٤)</sup> .

إن ممارسة السلطة على هذا النحو ، ان كانت من جانب «الاقطاع

---

(١٢) راجع حول مفهوم الاقطاع :

- Cahen claude, L'Évolution de l'iqta' du IXe au XIIIe siècle, *Annales* (E.S.G.) VIII 1953, pp. 25 - 52.

- Chevallier D. «les cadres sociaux de l'Économie agraire dans le proche - orient au début du XIXe siècle», *Revue historique*, 92e année. 1968, p. 88.

(١٤) عوض ، عبدالعزيز محمد ، «الادارة العثمانية...»، ص ٢٢٥ .

الحكومي » (الولاة) أو من جانب «الاقطاع العائلي» (المشايخ والأمراء) كان لا بد أن تدفع إلى اصطدامات محلية إنْ بين الولاة العثمانين أنفسهم (الاقطاع الحكومي) أو بين هؤلاء من جهة وبين أمير الجبل أو أي أمير محلي آخر يبغي مد نفوذ التزامه وجيابته<sup>(١٥)</sup>.

ان «الاقطاع الحكومي» الذي كان في الأساس مقتضياً على العسكريين، «دخلته عناصر مدنية، لدرجة أنه أصبح بإمكان كل رجل غني أن يصبح ملتزمًا لقطعة من الأرض»<sup>(١٦)</sup>. ولما تمعن الاقطاعي بأن «منح الحق في استخدام قوة مسلحة كافية لجمع الضرائب تأثر بأمره، كما تمعن بنوع من الاستقلال في أرضه وفلاحيه»، استخدم هذه القوة في أمور شتى اتحتها ممارسة السلطة على النحو الذي أشرنا. «فتارة كان يستخدمها في حل نزاع نشب بينه وبين جيرانه الاقطاعيين إذا رغب في توسيع أملاكه على حساب أملاكهم، وطوراً يستخدمها لنجدة رئيسه إذا وقع في مشكلة مشابهة»<sup>(١٧)</sup>.

إن هذه القاعدة في طبيعة السلطة التي سادت في المشرق العربي منذ سنة ١٩١٦ حتى ١٨٤٠ تفسر العديد من الظواهر السياسية التي برزت آنذاك، والتي أعطيت من قبل الصياغة التاريخية الإيديولوجية المعاصرة تفسيرات «استقلالية» و«قومية» تصب في الثقافة التاريخية التي تكرس وتحمي التجربة السياسية في المشرق العربي. من هذه الظواهر ذكر على سبيل المثال: ظاهرة فخرالدين والأمير بشير الثاني في الجبل. وظاهرة ظاهر العمر في فلسطين، وعلى بك الكبير ومحمد علي باشا في مصر...

والواقع أن الصراعات التي كانت تقوم بين «كبير» الأمراء الذي

(١٥) ان تاريخ صراعات الأمير فخرالدين المعنى الثاني مع الأمراء المحليين من جهة ووالى دمشق من جهة ثانية، هو تاريخ الاصطدامات «الاقطاعية» في سبيل مد نفوذ الالتزام والجيابية في إطار «منطق» السلطة العثمانية.

(١٦) عرض ، عبدالعزيز محمد ، الادارة العثمانية... ، ص ٢٢٤ .

(١٧) المرجع نفسه ، ص ٢٢٤ .

يترأس حلفاً من العائلات ، ويتلقي الضرائب عن عدد من المقاطعات من جهة ، والولاة العثمانيين المتمركزين في دمشق أو صيدا أو عكا (تبعاً لنوع الولاية ومركزها) من جهة ثانية ، لم تكن كما يصورها التاريخ «ال الرسمي» «نضالاً» من قبل امراء «وطنيين» ضد الحكم التركي . ان الوالي والأمير والشيخ ، هم أصحاب «مقاطعات» عثمانية ، يختلفون أهمية باختلاف أهمية عدد المقاطعات التابعة لكل منهم . فهم جميعاً جزء من «جهاز» الدولة العثمانية ، الذي يتحكم فيه على الدوام «صراع داخلي» يتمحور حول حدود «الالتزام» ومدى اتساعه من حيث حجم الضريبة ووزن النفوذ والامتداد الجغرافي .

أما من ناحية المؤسسات والتقاليد وال العلاقات الانسانية والاجتماعية السائدة في مقاطعات «الجبل» فلم تكن لتخالف في شيء عنها في المناطق الأخرى من المشرق العربي . فهي جميعها تحمل سمات مجتمع عربي تقليدي : «فالعصبية» بالمفهوم الخلدوني ، الانقسامات والتحالفات وفق الانتهاءات التاريخية العربية ذات الطابع «الايديولوجي» (قيسية وعینية) ، التقليد الاجتماعي - السياسي الذي يقضي - لا سيما لدى العائلات - المقاطعجية - بارجاع نسب العائلة إلى قريش ، هدف يرتبط بدون شك بمفهوم السلطة وأحقيتها ... كلها سمات اجتماعية - سياسية تشترك فيها كل العائلات «أصحاب» المقاطعات في الجبل وفي المناطق الأخرى ، دون تمييز بين مسيحيين ومسلمين ، بين موارنة ودروز<sup>(١٨)</sup> .

وفي غضون النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أخذت السلطة القائمة على تلك المؤسسات التي ذكرنا ، تفكك وتضعف لا سيما في «الجبل» ، تحت تأثير عوامل عديدة: منها الاتجاه المتنامي لدى الولاة والأمراء والملتزمين من المقاطعجيين للابتعاد عن مركز السلطة وعدم تأدি�تهم

(١٨) يراجع بشأن هذه الموضوعات :

- Chevallier dominique: Société du Mont-Liban à l'Époque de la Révolution industrielle en Europe, Paris 1971, pp. 66-105.

الخدمات المطلوبة منهم تجاه الدولة ، مع فرضهم في ذات الوقت الضرائب السلطانية و «الخاصة» على الفلاحين ومارسة جبایتها بواسطة «قوائم المسلح» بصورة تعسفية . هذه العوامل أدت إلى سلسلة من الانتفاضات الفلاحية التي اخذت طابع الاحتجاج على دفع الضريبة التي يفرضها الوالي أو «الأمير الكبير» على المقاطعات<sup>(١٩)</sup> . وكان ذلك من شأنه أن يضعف مؤسسة «الإماراة» في الجبل وتوايعها . وزاد في هذا الضعف ما اخذته الادارة المصرية في عهد محمد علي باشا من تدابير في بلاد الشام (١٨٣٣ - ١٨٣٥) عندما أقدم إبراهيم باشا على «حل الجيوش الاقطاعية في ولاية سوريا» بتجريد السكان من السلاح بالقوة، ودخول نظام التجنيد العسكري الإجباري ، واعطاء الفلاحين «حق رفع الشكوى على الملزمين»<sup>(٢٠)</sup> .

هذه الاتجاهات كانت ترافق أيضاً مع اتجاهات مركزية تبغي «تحديث» الدولة ومركزتها . وكان قرار «لغاء أصول الالتزام» الوارد في نص خط كلخانة عام (١٨٣٩) ، بداية التخلّي عن وظيفة «المقاطعجين» لاحلال «موظفين اداريين» مكانهم .

في عام (١٨٤٢) ألغى السلطان عبدالمجيد منصب «الأمير الكبير» وقسم مقاطعات «الجبل» إلى قائممقاميتين طائفتين يفصل بينهما طريق بيروت - دمشق . القائممقامية الشمالية على رأسها «حاكم» - موظف مسيحي ، والقائممقامية الجنوبية وعلى رأسها «حاكم» - موظف درزي ، يعيّنان من قبل والي صيدا المقيم في بيروت ويكونان مسؤولين أمامه . وفي عام (١٨٤٥) استكمل هذا التنظيم «باصلاحتات» شكيب أفندي القاضية بإنشاء مجلس ادارة الى جانب كل قائمقام ، مهمته كما نصت عليها المادة (٤) من النظام الجديد

(١٩) من هذه الانتفاضات ، «عاميات» انطلياس ولحد ١٨٢٠ - ١٨٢١ ضد الأمير بشير الثاني .  
راجع: سمبليا نسكايا، الحركات الفلاحية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في لبنان ، ترجمة عدنان جاموس ، بيروت - دمشق ١٩٧٢ .

(٢٠) عرض ، عبدالعزيز محمد «الادارة العثمانية...» ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

« وضع لوائح بالضرائب المتوجبة على كل مقاطعة وكل قرية . . . » وتکلیف الجباة والمقاطعيين بتنفيذها<sup>(٢١)</sup>.

بهذا أصبح «المقاطعيون» بموجب «النص» الجديد مجرد أدوات تنفيذية ، أو «شبه موظفين».

لكن على الصعيد العملي ، ظلت طبيعة السلطة تمارس على نفس القواعد الاجتماعية في المقاطعات والقرى ، وظل نظام الالتزام متبعاً ، وظللت أيضاً المقاطعات محكومة عملياً من قبل «المقاطعيين».

فطنوس الشدياق صاحب كتاب «أخبار الأعيان في جبل لبنان» المطبوع عام ١٩٥٩ يشير إلى وجود (٢٤) مقاطعة (من الكورة حتى جبل الريحان)، كانت كل واحدة منها تدار بواسطة عائلة أو عائلتين من المقاطعيين (٢٢) . وقد تکاثر عدد الأفراد «المقاطعيين» في المقاطعة الواحدة وداخل الأسرة الواحدة ، بفعل تفكك الملكية الوراثية ، حتى أصبحنا نرى في مقاطعة الجرد مثلاً التي ألفت من (٢١) قرية (٣٣) مقاطعجيًّا<sup>(٢٣)</sup> .

السؤال الذي ينبغي أن يطرح : كيف تمت عملية استثمار الأرض؟ وكيف تشكلت العلاقة الاجتماعية بين «المقاطعي» والفللاح؟

لعل بعضاً من الجواب نجده في دراستنا لنظام الزراعة والأرض في العهد العثماني .

---

(٢١) راجع نص «تنظيمات شکیب أفندي» في :

- Ismail, Adel, **Redressement et Declin du Féodalisme libanais** p. 285-293.

(٢٢) طنوس الشدياق «كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان».

بيروت ١٨٥٩ ، نظر فيه ووضع مقدمته وفهرسه فؤاد افرام البستاني جزان، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٩ - ٢٩ .

- Ismail A. **Redressement et Declin du Féodalisme**, P.239.

(٢٣)



- ٩ -

## نظم الزراعة والأرض

من نظام الزراعة والأرض الذي كان في أساس نشوء نوع من «التملك» الأرضي الذي ساد في غضون القرن التاسع عشر، بمراحل من التطور التاريخي خلال العهدين المملوكي والعثماني .

ولا يسعنا في حدود هذه الدراسة الا الاشارة السريعة الى أن نظام الزراعة في المشرق العربي كان يحمل في العهد المملوكي سمات النظام السائد في العهد العثماني في آسية الصغرى. يذكر Divitcioglu في مقالته عن «النموذج الاقتصادي للمجتمع العثماني» «أنه طيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، تميز نظام الزراعة العثماني بحقيقة ثابتة : هي أن الأرض تعود للدولة . فالدولة هي المالكة كلياً لأراضي الميري . وحق السيادة هذا يعود للسلطان عبر تفويض شرعي - يعرف تحت اسم «بيت المال»<sup>(٢٤)</sup> .

---

(٢٤) راجع أيضاً حول نظرة الاسلام العامة الى الأرض: محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، ص ٤٣٠ - ٤٤٢ .

يقول : « .. الأرض بطبيعتها ملك الامام ولا يملك الفرد رقبتها ولا يصلح اي اختصاص =

هذا المبدأ ذاته ارتكز اليه أيضاً «النموذج الاقتصادي» المملوكي في المشرق العربي . اذن ان التشابه في «النموذجين» لم يكن مغض مضاد . فهو نتاج موقف «نظري» تاريخي وديني من «الدولة» وعلاقتها بالأرض . لقد مر ريف المشرق العربي منذ الفتح الإسلامي وحتى الاحتلال الأوروبي بعهود وحكومات مختلفة . «لكن على اختلاف هذه الأخيرة، أثرت بجملها في الأرياف بصور متشابهة» فجميعها مثلت على حد قول Weulersse «نفس مفهوم الدولة الذي لم يتغير منذ الفتح الإسلامي ، وحتى الانتدابات الأوروبية»<sup>(٢٥)</sup> وهذا المفهوم للدولة ولطبيعة «الملكية» استطاع خلال الحقبات الأولى من عمر السلطنة العثمانية أن يحفظ تماسك نظامها الاقتصادي الزراعي . ولكن مع مرور الزمن ، وبروز تطورات جديدة في الواقع الاجتماعية «لرجال الدولة» لم يعد هذا المفهوم يقوم بدور الضابط الايديولوجي والمنسق لعمليات استثمار الأرض ، وتأمين جباية منصة «لبيت المال» . فالدولة المالكة الأساسية للأرض تتمثل في البداية بطبقة مهيمنة «تشكلت من رجال دولة مختارين يقومون بالمهام الإدارية والدينية والعسكرية»<sup>(٢٦)</sup> . الا أن هذه الفئات أخذت ابتداء من القرن السادس عشر تحتل موقع اجتماعية جديدة . فأفراد هذه الطبقة كانوا قد جعوا من خلال خدمة الدولة وتعاطي التجارة إثر التغلغل الاقتصادي الأوروبي ثروات طائلة<sup>(٢٧)</sup> .

= فردي بها الا على أساس ما ينفقه الشخص على الأرض من عمل لأجل اعدادها واستثمارها » . ص ٤٣٠ .

- Divitioglu S., «Modèle Économique de la Sosieté Ottomane les XIVe et XVe siècles», *La Pensée*, no. 144, avril 1969, P. 43.

(٢٥)

- Weulersse J. *Paysans de Syrie et du proche-Orient*, gallimard 1946, p. 78.

(٢٦)

- Divitioglu s. op. cit, p. 50.

(٢٧)

- على سبيل المثال نذكر ما أورده القنصل الفرنسي هنري غيز، عن أخبار تجارة سليمان باشا (والى عكا) . يذكر القنصل الفرنسي أن الوالي انصرف الى التجارة . ولما كانت المنتوجات التي في حوزته أكبر من أن تسوق بواسطة سمسارة ذاك الوقت ، بسبب ضعف رأس المال فقد شاء الوالي أن يقيم عمليات التبادل مع الشاحنات البحرية التي تؤم سورية» .

وكان من نتيجة ذلك كما يحلل Divitcioglu «أن قلت قوتهم الاقتصادية قواعد النظام المالي القديم للدولة العثمانية . فبدأوا يتحولون إلى جباه ضرائب (ملزمين) ، ومكرسين وضعهم في تولي سلطة جباية مالية على منطقة معينة (مقاطعة) أصبحت خلال القرون اللاحقة تشكل قواعد طبقة جديدة من الأشراف . ومع نشوء هذه الطبقة افتتح طريق جديد نحو الملكية الخاصة العقارية في النظام الزراعي العثماني »<sup>(٢٨)</sup> .

نخلص إلى القول إنه في سياق هذه العملية التاريخية قامت عائلات ذات عصبيات قوية ، في جبل لبنان ومناطق أخرى من المشرق العربي ، بمسؤولية جباية الضريبة للدولة على مساحة معينة من الأرض سميت «مقاطعة» . وعلى هذا الأساس ، تكون الأرض بمعظمها أرض «ميري» وأعضاء هذه العائلات «مقاطعجين» يحملون لقب شرف متند بجذورها إلى التقاليد العربية (أمير ، شيخ ...) <sup>(٢٩)</sup> .

وما يهمنا هنا هو تحديد طبيعة الملكية في جبل لبنان كما استقرت عملياً في أواسط القرن التاسع عشر <sup>(٣٠)</sup> .

هل صحيح كما يدعى البعض أن أرض الجبل لم تكن أرض «ميري» بل أرض «ملك» وهي «ميزة» انفرد بها الجبل وحده ، دون مناطق المشرق العربي الأخرى ؟ <sup>(٣١)</sup> .

---

= وينذر الفنصل أيضاً أنه عام ١٨٠٩ قدم خدمة للوالى «صديق فرنسا» هي «مساعدته في نقل حولة بضائع تخصه على باخرة فرنسية» .

- Voir Guys, H. *Relation d'un séjour de plusieurs années à Beyrouth et dans le Liban*, Paris 1847, t. i, p. 201.

- Divitioglu s. op. cit., p. 57 - 58. <sup>(٢٨)</sup>

- Chevallier D: «Les cadres sociaux de l'Économie agraire dans le proche - orient, (٢٩) le cas du Mont-Liban». *Revue historique* 92e année 1968, p. 91.

(٣٠) أصبحت مقوله أن أرض جبل لبنان وحدها كانت أرض «ملك» ، أطروحة ايديولوجية يجهد في الدفاع عنها وتفسيرها على غير طائل لا سيما عند المؤرخين الموارنة : فابراهيم عواد صاحب كتاب :

= Le Droit Privé des maronites, thèse, paris 1933.

في الواقع أن الأرض «الميري» التي تعتبر «نظرياً» أرض الدولة كانت قد أصبحت في غضون القرنين الثامن والتاسع عشر ، وفي كل مناطق الشرق العربي «أرض تصرف». هذا الواقع كان نتاج تطور تاريخي طويل ، كما رأينا ، ظهرت آثاره لا في جبل لبنان وحده بل في كل المناطق العثمانية<sup>(٣١)</sup>. ان ملكية الدولة للأرض كانت قد أصبحت خلال القرن الثامن عشر وبديات القرن التاسع عشر شكلية كليةاً. فازدادت طموحات البشا والأمير والشيخ نحو الاستقلال بمقاطعتهم ، وقويت هممتهم المباشرة على الفلاحين واستثروا حتى بالأراضي القليلة التي اشتغلها هؤلاء بصورة فردية . اذن كنا على الصعيد العملي حيال نوع من «ملكية» اكتسبت مع الزمن والأعراف خصائص الملكية الفردية : بيع ، شراء ، توريث ...<sup>(٣٢)</sup>.

وما قوى هذا الطابع «الفردي» للملكية في جبل لبنان وجود ما يسميه Weulersse : «أراض ذات تكوين فردي» Les territoires à stucture individuelle في المناطق الجبلية . اذ يقول : «(في جبل لبنان وبلاد

يدرك هذا المذهب وخلط بين وظيفة «المقاطعي» وعلاقته بالأرض في الجبل من جهة والاقطاعي الأوروبي الذي هو «سيد» الأرض Seigneur من جهة ثانية . كذلك يدرك السيد توفيق توما في أطروحته هذا المذهب فيجهد عيناً أن يميز بين أرض «الميري» بالنسبة للدولة ، والأرض «الأميرية» بالنسبة «للأمير» ليرى أن أرض جبل لبنان كانت أرضًا «أميرية». ان هذا الاجتهاد واحد من جميع النواحي : فمن الناحية اللغوية ، ان «مير» هي التعبير العامي لكلمة «أمير». ومن جهة أخرى ، يغيب عن منهج الأستاذ توما مفهوم طبيعة السلطة لدى الأمير . انه وسيط السلطة العثمانية وممثل السلطان محلياً . اذن حتى ولو اعتبرنا أن الأرض كانت «أميرية» فهي تعود «بمدئياً» للسلطان . والأمير ليس الا «مقاطعجاً كبيراً».

راجع رأي توما في هذا الموضوع : Touma T. op. cit.p. 574

(٣١) في مصر مثلاً ، أصبحت المقاطعات في نهاية القرن الثامن عشر بمثابة «أملاك خاصة» ، فالملتزم أصبح له حق الاحتفاظ بمقاطعته طيلة حياته وتوريثها الى ابنائه والتصرف بها (أرض تصرف).

راجع : الدوري ، عبدالعزيز : مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي ، ص ١١٨ -

- Cardon Louis : La propriété foncière en syrie et au Liban, paris 1932, p. 81. (٣٢)

العلويين . . ) تم توسيع الأراضي الزراعية بصورة فردية . فكل عائلة تلجم بعأ حاجتها إلى استصلاح حقل على حساب الجبل أو الغابة . . »<sup>(٣٣)</sup> . مما قد يكون في أصل تشكيل «ملكيات صغيرة» خاصة بالفلاحين على حد افتراضنا<sup>(\*)</sup> .

إلى جانب ذلك ، كانت هناك أرض «المشاع» (غابات ، مراع . . .) ذات نفع عام للقرية . وأرض الوقف وهي تابعة للدولة بالنسبة للمسلمين وللكنيسة والأديرة بالنسبة للمسيحيين<sup>(٣٤)</sup> .

وإنه من الصعب جداً معرفة نسب توزيع هذه الأراضي في الجبل . لكن الوقوف عند طريقة استثمار هذه الأرض قد يعطينا فكرة ما عن نظام الزراعة السائد . لقد كان حال طريقة شبه اقطاعية في الاستثمار ، لكن أمام تكونها «الاقطاعي» على النموذج الفيدالي الأوروبي كان يقف عاملان: اتجاه مركزية الدولة العثمانية واسكال «تحديثها» ، وحاجات التغلغل الأوروبي الرأسمالي النازع نحو ربط الانتاج المحلي بحاجات السوق الأوروبي .

لقد كان المشايخ والأمراء والأكليروس الماروني يستثثرون باستثمار ثلثي أراضي الجبل بالزراعة ، عدا حقهم في استثمار الأرض «المشاع» . والثالث الآخر (قطع صغيرة) يستثمره فلاحون متسطو الحال . بينما أكتيرية السكان لم تكن «لتملك» شيئاً<sup>(٣٥)</sup> . لقد كان هؤلاء لا يملكون مورد عيشهم إلا قوة عملهم . فهم يمضون - على حد قول القنصل الفرنسي هنري غيز - ثلاثة أرباع وقتهم بانتظار استخدامهم . «هذه الطبقة من السكان الأكثر بؤساً

- Weulerss j. : op. cit; p. 81.

(٣٣)

(\*) هذا الطابع الذي يلاحظه المراقب الأوروبي هو ما يعرف في النظام الاقتصادي الإسلامي بارض الاحياء . والاحياء هو الذي يعطي لصاحبها حقاً شخصياً في الاستفادة من الأرض دون غيره .

راجع: محمد باقر الصدر، اقتصادنا ، ص ٦٧٢ - ٦٧٧ .

- Cardon Louis : op. cit; p. 81 - 82.

(٣٤)

- Guys H.: Relation d'un séfour... t. II, p.145.

(٣٥)

والأكثر عدداً كانت تصدر الرهبان ، الحرفيين ، الحطابين ، المياومين ، المكاريين ... ». ويتبع هنري غيز : « بينما الأمراء كانوا يصرون على عدم التخلّي عن أي شبر من « أملاكهم ». والسبب في ذلك خوفهم من إضعاف سلطتهم بتمليكمهم أراضي للشعب ، وبتحجيف حاجة هذا الأخير للعمل المأجور من أجل العيش »<sup>(٣٦)</sup> .

في هذا الإطار الاجتماعي الذي يصفه القنصل الفرنسي ، يمكن أن نفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية التي ربطت الفلاحين بالمشيخ والأمراء. ان ما يطغى على هذه العلاقات هو عامل محدد : « الانفصام شبه المطلق بين الاستثمار والملكية .. من يزرع لا يملّك ، ومن يملّك لا يزرع » .

« هذا النوع من الاستغفاء الجماعي الاقتصادي كان يؤدي ، كما يقول Weulersse ، إلى صيغة استثمار بسيطة ووحيدة تقريباً هي صيغة «المرابعة»<sup>(٣٧)</sup> و «المرابعة» هي عقد «شراكة» بين طرفين : «صاحب» الأرض ، والفلاح «الشريك» ، الذي يبيع «قوة عمله» السنوية لانتاج سلعة زراعية غالباً ما توجه نحو السوق . (وفي وضع جبل لبنان سادت زراعة التوت وتربية دود القرن الشرائق) <sup>(٣٨)</sup> .

هذا العقد الذي غالباً ما كانت تكتب صيغته على ورقة ثبوتية «حجّة» ، كان يضمن تبعية الفلاح المطلقة «للشيخ» الذي هو صاحب الأرض . وكان «الشريك» - الفلاح يدفع عند بدء «الشراكة» مبلغاً من المال يقدر بربع قيمة المحصول السنوي ، ويعتبر هذا المبلغ «ضماناً» «لحسن» عنانية الفلاح بالأرض والأشجار وما عليها من انشاءات .

- Ibidem, p. 146.

(٣٦)

- Weulersse j. : op. cit; pp. 121 - 122.

(٣٧)

(٣٨) ان معلوماتنا عن عقود «المرابعة» مستقاة من دراسة دومينيك شفاليه القيمة والمتذكرة الى وثائق أرشيف مديرية الآثار في بيروت :

- Chevallier D. : aux origines des troubles agraires libanais en 1958, *Annales*, mars 1959, paris.

ورغم أن الفلاح كان يتحمل وحده وطيلة السنة مسؤولية اعداد الأرض وفلاحتها ، ويقوم مع أفراد عائلته بالعمل الضروري لانتاج السلعة وتحضيرها للتسويق ، كانت حصته من الأرباح لا تتعدي النصف . وحتى حصته هذه كانت تخضع لاقتطاعات شتى : ففي حال حصول نقص بقيمة المحصول عما كان مقدراً في الأصل ، كان على الفلاح أن يعوض عن ذلك لصاحب الأرض . أما في حال الزيادة ، فكانت «المكافأة» للفلاح على جهوده أمراً لا يقتضي تضخيلاً كبيراً .

ثم كانت تأتي شروط والتزامات أخرى ت Kelvin الفلاح وترهقه ، فهو المسؤول عن دفع ضريبة «الميري» عن أرض «المقاطعجي» وعلى كاهله تحمل الضرائب الأخرى التي يفرضها الوالي أو الأمير الكبير على «المقاطعات» المختلفة . ومنه كانت تقطع أيضاً نسبة معينة من قيمة محصلات الضرائب (٥٪) لمصلحة «المقاطعجي» المسؤول عن جمعها وذلك بصفة «أجرة» جهود استيفاء وجباية . الخ .. وحتى أجرة عمل «الناظور» في القرية كان يدفعها الفلاحون أنفسهم . عدا ذلك كانت بعض العقود تتضمن «شروطًا خاصة» متعارف عليها . كان على الفلاح أن يقدم «للشيخ» هدايا مختلفة في الأعياد ، وفي المناسبات ، وفي بداية كل عام (كمية معينة من الصابون أو القهوة أو السكر...) .

هذه الطريقة في الاستثمار ، كانت بالإضافة إلى تحقيقها شكلاً من أشكال التبعية المطلقة «للمقاطعجي» تضمن أيضاً لهذا الأخير «حقه» في «الملك» الدائم للأرض التي يعمل عليها الفلاح ، وما عليها من مساكن ، حتى ولو كانت هذه الأخيرة قد بناها الفلاحون أنفسهم ..

إن شيوع طريقة الاستثمار هذه في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، كان تعبيراً عن تثبت «المقاطعجين» «بتملکهم»<sup>\*</sup> للأرض التي

(\*) ان عقود الرابعة وفقاً لشروطها المفروضة خرجت عن طبيعة علاقات «المشاركة» لتصبح شكلاً من أشكال السيطرة والتغلب الذي يتظنم في صيغة «الجمي» التي انكرها الإسلام . «لأن الحق الخاص يقوم (هنا) على أساس السيطرة، لا على أساس العمل».

راجع: محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

«قطعت» «لعائلاتهم» في السابق، وتطوياً لطريقة استثمار أخرى هي «المغارسة» التي أدت في بعض الأماكن (الدامور مثلاً)، إلى اكتساب الفلاحين حصصاً من أرض المقاطعجي بعد غرسها بالأشجار والعناية بها حتى مرحلة معينة. لذلك تضمنت عقود «المرابعة» بنداً صريحاً يمنع مطالبة الفلاح - الشريك حتى ولو ساهم هذا الأخير في غرس قطعة من الأرض ، بأي «حق» فيها<sup>(٣٩)</sup>.

إن علاقات «المرابعة» هذه كانت تتوافق اذن مع الموقع السياسي والأداري الذي احتله المقاطعجيون في سلم السلطة السياسية ومع الاتجاه القائم لديهم والذي يتزعز نحو تأكيد الهيمنة على الأرض والفلاحين . لكن هذه العلاقات نفسها التي كانت تذهب من جانب «المشايخ» «ذاتياً» نحو اتباع شكل من أشكال التبعية التي تشبه «القنانة» ، كانت في ذات الوقت تصطدم في الجانب الآخر بعائق مانعه ، فمن جهة كان تدخل الادارة المركزية العثمانية يقلل من أظافر المقاطعجيين . ومن جهة أخرى كان التغلغل الرأسمالي الأوروبي يعطي نتائجه الاجتماعية على صعيد القوى المنتجة وفق تنوع واختلاف تمركزه في المناطق ومدى استقطابه للطوائف المختلفة .

---

- Ibidém, p. 55.

(٣٩)

## التنوع الطائفي ونظام الملل العثماني

عرفت بلاد الشام التي سينظر لها في أوائل القرن العشرين بصيغة «سورية الطبيعية» تعداداً كبيراً في الاتماء الديني - المذهبي لسكانها<sup>(٤٠)</sup>. وقد تركز هذا التعدد أكثر ما تركز في جبل لبنان والمناطق المحيطة به من سوريا.

في إل جانب المسلمين السنين المؤيدين للدولة العثمانية والذين شكلوا الأكثريّة الساحقة من السكان لا سيما في المدن، تمركزت في المناطق الجبلية الريفية طوائف إسلامية أخرى، أو ذات أصول إسلامية: (الشيعة والعلويون والدروز). ولقد اختلفت درجة ولاء هذه الطوائف للدولة العثمانية حسب الظروف والمراحل التاريخية المختلفة. ويمكن أن نقول: عاش أهل هذه

---

(٤٠) يقدر هنري غيز عدد سكان سوريا في أواسط القرن الماضي بـ ١,٧٩١,٠٧٦ نفساً يتوزعون بالشكل التالي: ٢٥٪ مسيحيين من جميع الطوائف ، ٣,٥٪ دروزاً ، ٦٢٪ مسلمين سنين . وكان سكان الجبل يشكلون ١/٧ مجموع السكان ، بينما لا تشكل مساحة الجبل إلا ١/٥ من مجمل المساحة .

Cité par Chevallier D.: *Société du mont - Liban à l'Époque de la révolution industrielle*, paris 1971, P. 52 d'après guys h. Esquisse.

الطوائف «بخصائصهم» المذهبية في إطار «عصبيات» إقطاعية - عائلية ممتنعة في أحيان كثيرة عن مطالبة مثلي الدولة العثمانية المتواجددين في مراكز الولايات والألوية عن دفع الضرائب. كذلك لم يطر التغلغل الأوروبي بوجهه الاقتصادي والثقافي هذه الطوائف ومناطقها، فظللت تعيش في عزلة في ظل علاقاتها العصبية الداخلية وتقف موقف المقاومة من أشكال هذا التغلغل.

غير أن «سورية» كانت أيضاً موطنًا لعدد مذهبى «غير إسلامي». فمن شمالي سوريا (حلب واللاذقية) إلى مدن فلسطين، انتشرت طوائف مسيحية عديدة :

طائفة الروم الأرثوذكس التي بلغ عدد أفرادها في دمشق وحدها في سنة ١٨٧٣ حوالي ٧٠٠٠ نسمة<sup>(٤١)</sup>. وطوائف الأرمن المقسمين إلى كاثوليك وأرثوذكس، وطائفة الكاثوليك والموارنة والبروتستانت. بالإضافة إلى طائفة اليهود التي لعبت في ولاية سوريا بالرغم من قلة عددها دوراً مالياً ذا شأن في عملية الجباية والصيرفة لصلحة البشاوات<sup>(٤٢)</sup>.

ويبقى من المفيد أن نتوقف قليلاً عند ظاهرة التعدد المذهبى - الطائفي في جبل لبنان والمناطق المحيطة به من سوريا .

يرجع معظم المؤرخين أن ظهور المسلمين من أهل السنة في مدن الساحل يعود إلى العهد المملوكي، لا سيما منذ القرن الرابع عشر حيث تكشف تمركزهم في طرابلس، وبيروت، وصيدا<sup>(٤٣)</sup>. وفي غضون القرن التاسع عشر برزت عائلات «مدينة» عديدة تعاظت أعمال التجارة في إطار سوق داخلي عربي - عثماني يمتد من الأناضول حتى مصر<sup>(٤٤)</sup> واحتلت موقع مختلفة في هرم السلطة المحلية كأعيان مدن، وموظفين عثمانيين (بיהם، داعوق، مجذوب، الصلح).

(٤١) عرض ، عبدالعزيز محمد ، الادارة العثمانية ، ص ٢٠٣ .

(٤٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٧ .

(٤٣) صليبي ، كمال ، تاريخ لبنان الحديث ، ص ١٧ .

(٤٤) راجع أوراق بיהם وداعوق في أرشيف مديرية الآثار في بيروت .

أما المسلمين من أهل الشيعة، فإن ظروف ظهورهم في المنطقة لا تزال تحتاج إلى الدراسة. غير أن علماء الشيعة الذين كتبوا في تاريخ الطائفة يفسرون ظهورها في جبل عامل على أساس «الخبر» التقليدي المتواتر فيقولون: إن قبيلة عربية يمنية تدعى «عاملة» نزحت من شبه الجزيرة إثر خراب سد مأرب وزوال مملكة سبا، واستوطنت في الهضاب الممتدة بين الطرف الجنوبي من جبل لبنان والطرف الشمالي من جبل الجليل، وأعطت اسمها لهذه الهضاب (جبل عامل). أما المذهب الإسلامي الشيعي فقد جاءهم كما يروي «علماء» الشيعة عن طريق الصحابي أبي ذر الغفارى أحد صحابة الرسول ونصير الإمام علي<sup>(٤٥)</sup>.

ومن المعروف تارينينا أنه في العهد الفاطمي، في القرنين العاشر والحادي عشر، استوطن قسم كبير من الشيعة «بلاد كسروان». إلا أن المالكية أجلوهم بالقوة عن تلك البلاد عام (١٣٠٥)، ثم أكملوا الموارنة عبر ضغطهم السكاني القادم من الشمال عملية تهجير الشيعة باتجاه الهرمل وبعلبك، وبقيت، أعداد قليلة منهم في «جرود» كسروان حتى اليوم<sup>(٤٦)</sup>.

أما الدروز فهم من أصل شيعي. ولا تزال ظروف ظهورهم في المنطقة غير واضحة أيضاً. غير أن «فرضية» الأب لامنس تحاول أن ترى أن أصول نشأتهم تعود إلى قدوم قبائل فارسية موالية لعلي أبيدها الخليفة معاوية عن العراق لإضعاف العنصر العلوي، وأناط بها مهمة الدفاع عن التغور الساحلية<sup>(٤٧)</sup>. ووفق هذه الفرضية يعود انتسابهم إلى مذهب «الموحدين» - وهو مذهب شيعي باطني - إلى أصول دعوة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، في القرن الحادى عشر ودعاته في سوريا.

وما هو ثابت تارينينا أيضاً أن هذه القبائل قاتلت في مرحلة الحروب

(٤٥) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص ٢٥ - ٢٦.

(٤٦) صليبي ، كمال ، تاريخ لبنان ، ... ص ١٦ .

- Lammens H.: Les perses du liban et l'Origine des métoualis. *Mélanges de l'Université saint - Joseph*, t. XiV, p. 23 - 29.

الصلبية في إطار الدولة الإسلامية القائمة في دمشق. لذلك اقطعـت بسبـب خدمـتها العسكريـة مقاطـعات الشـوف ووادي التـيم<sup>(٤٨)</sup>.

أما الطائفة المارونية فقد تشكلـت في الأصل في إطار فـرقـة مسيـحـية قدـيـمة في شـمـالي سورـيـا، عـلـى الضـفـة الـيـمنـيـة من وـادـي العـاصـي حـول دـير بـنـي قـربـ قـبر قدـيسـها «مار مـارـون» الـذـي عـاشـ في القرـن الـخـامـس المـيـلـادـي. ذـلـك أـنـ الدـير أـصـبـع مـركـزاً دـينـياً وزـرـاعـياً التـفتـ حولـه أـعـدـادـ منـ الجـالـيات الزـرـاعـية المـسيـحـية الـقـادـمة منـ بـعـض مـدن سورـيـا الشـمـالـيـة. وـفـي القرـن السـابـع، وـبـعـد أـنـ طـلـعـ الـإـمـراـطـورـ الـبـيـزـنـطـيـ هـرـقلـ بـشـرـوعـهـ القـاضـيـ بـتوـحـيدـ الفـرـقـةـ المـسيـحـيةـ المـتـصـارـعـةـ فيـ الـإـمـراـطـورـةـ الـبـيـزـنـطـيـةـ عـلـى أـسـاسـ القـوـلـ «بـالـمـشـيـةـ الـواـحـدةـ» تـبـنـيـ مـسيـحـيـونـ الـجـمـعـونـ حـولـ دـيرـ مـارـ مـارـونـ الـعـقـيـدـةـ «الـمـوـنـوـتـيـةـ»<sup>(٤٩)</sup>. وـلـأـثـرـ الفـتـحـ الـعـرـبـيـ إـلـاسـلـامـيـ وـاخـتـفـاءـ شـبـكـةـ الـعـلـاقـاتـ الـتـيـ رـبـطـتـ السـوقـ الـمـوـسـطـيـ فيـ إـطـارـ الـدـوـلـةـ الـبـيـزـنـطـيـةـ، وـالـتـيـ شـكـلـتـ الـمـانـذـرـ الـاـقـصـادـيـ هـذـاـ الـاقـلـيمـ، جـلاـ الـمـوـارـنـةـ عـنـ شـمـالـيـ سورـيـاـ بـاتـجـاهـ الـمـنـاطـقـ الـشـمـالـيـةـ مـنـ السـلـسلـةـ الـغـرـبـيـةـ حـيـثـ عـاشـواـ حـيـاةـ زـرـاعـيـةـ - دـينـيـةـ مـعـزـولـةـ فيـ أـوـدـيـةـ قـادـيشـاـ لـمـرـحلـةـ طـوـيـلـةـ مـنـ الزـمـنـ»<sup>(٥٠)</sup>.

وفيـ عـهـدـ «الـصـلـيبـيـنـ» اـرـتـبـطـ «الـمـوارـنـ» بـكـنـيـسـةـ رـومـاـ لـيـلـعـبـواـ فـيـاـ بـعـدـ دـورـاًـ مـهـماًـ فيـ تـارـيـخـ تـواـزنـاتـ «الـإـمـارـةـ الدـرـزـيـةـ» الشـوـفـيـةـ وـتـحـوـيلـهـاـ «عـمـلـيـاًـ» إـلـىـ «الـإـمـارـةـ مـارـوـنـيـةـ» عـلـىـ قـاعـدـةـ الـعـصـبـيـاتـ الـعـائـلـيـةـ الـتـيـ اـرـتـكـزـ إـلـيـهـاـ «الـأـمـيرـ الـكـبـيرـ» وـعـلـىـ قـاعـدـةـ وـظـيـفـةـ «الـمـقـاطـعـجـيـنـ» فيـ هـرـمـ السـلـطـةـ الـعـمـانـيـةـ.

أماـ الرـوـمـ الـأـرـثـوذـكـسـ فـيـعـودـ ظـهـورـهـمـ إـلـىـ الـقـرـنـيـنـ التـاسـعـ وـالـعاـشـرـ، وـقـدـ استـقـرـواـ فـيـ الـمـنـاطـقـ السـاحـلـيـةـ. وـمـرـكـزـواـ بـكـثـافـةـ، لاـ سـيـماـ فـيـ الـكـوـرـةـ وـفـيـ الـمـدـنـ الـكـبـيرـةـ. وـيعـتـرـفـ الرـوـمـ الـكـاثـولـيـكـ فـرعـاًـ مـنـهـمـ، غـيرـ أـنـهـمـ اـرـتـبـطـواـ بـرـوـمـاـ مـنـذـ

(٤٨) صـلـيـبيـ ، كـمـالـ ، تـارـيـخـ لـبـانـ .. صـ ١٥ ..

(٤٩) دـ . رـسـمـ ، أـسـدـ ، كـنـيـسـةـ مـدـيـنـةـ اللهـ انـطاـكـيـةـ الـعـظـيـمـ جـزـءـ ٢ـ ، صـ ٥٣ـ - ٥٧ـ ..

- Chevallier D.. *société du Mont - liban*, pp. 50 - 51.

(٥٠)

القرن الثامن عشر ومركّزت عناصرهـ أكثر ما تمرّكـت في زحلة وجوارها.  
وكانوا في معظم الأحيان حلفاء للموارنة<sup>(٥١)</sup>.

وفي أواسط القرن التاسع عشر، استقرت الخريطة البشرية - الاجتماعية - السياسية لجبل لبنان على المعطيات التي قدمها صاحب «أخبار الأعيان». فالمقاطعات الشمالية من الزاوية حتى جنوب كسروان كانت مأهولة بشكل أساسي بالموارنة. فقد بلغ عدد الذكور منهم (٤٦٤٨٦)، مقابل (٣٧٢٨) من المسلمين (سني وشيعي). أما العائلات التي كانت قد استقرت على رأس الهرم الاجتماعي محلـياً «كمقاطعـجـية» فهي : مشايخ آل الصاهر في مقاطعة الزاوية، مشايخ أبي صعب في القويطـعـ، مشايخ الدـدـاحـ في الفتوحـ، مشايخ الخازن وحبـشـ في كسرـوانـ .. وكلـها عـائـلـاتـ مـارـونـيـةـ، ما عـدا مشـاـيخـ آلـ عـازـارـ فيـ الكـورـةـ فـكـانـواـ منـ الرـومـ الأـرـثـوذـكـسـ.

أما المقاطعات الوسطى : من المتن حتى الشوف فقد توزعتها الطوائف التالية: مسيحيون بغالبية مارونية ساحقة (٢٤٣٥٧ من الذكور)، (دروز ١١٦٩٥)، مسلمون (سنة وشيعة ١٥١٥). أما المقاطعـجـيونـ فـكـانـواـ: أمراء أبي اللـعـمـ فيـ المـنـتـنـ والـشـوـفـ الـبـيـاضـيـ، وـهـمـ موـارـنـةـ منـ أـصـلـ درـزـيـ، اـمـرـاءـ آلـ شـهـابـ فيـ سـاحـلـ بـيـرـوـتـ وـكـانـواـ موـارـنـةـ أـيـضـاـ منـ أـصـلـ سـنـيـ.

أما المقاطعات الأخرى من المنطقة الوسطى فـكـانـ «مقاطعـجـيونـهاـ» جميعـهمـ منـ العـائـلـاتـ الدرـزـيـةـ: أـرـسـلـانـ، تـلـحـوقـ، نـكـدـ، عـبـدـ الـلـكـ، آلـ عـمـادـ، جـبـلـاـطـ.

أما المقاطعات الجنوبية من إقليم جزين حتى الريحـانـ، فـبـلـغـ عـدـدـ الذـكـورـ فيهاـ حـوـالـيـ (٦٨٨٤) منـ المـوـارـنـةـ، (٣٢٨) منـ الدـرـوـزـ، (١٥٠١) منـ المـسـلـمـينـ.

وهـكـذـاـ بـلـغـ عـدـدـ الذـكـورـ فيـ كـلـ مـقـاطـعـاتـ جـبـلـ لـبـانـ حـوـالـيـ

---

- Rondot, Pierre. *Les institutions politiques au Liban*, Paris 1947, pp. 35-36. (٥١)

(١٠٦٤٩٤) ٨٧٧٢٧ من المسيحيين ذي غالبية مارونية، ١٢٠٢٣ من الدروز، ٦٧٤٤ من المسلمين<sup>(٥٢)</sup>.

هذا الوضع السكاني في جبل لبنان كان نتاج تطور تاريخي استمر خلال أكثر من قرنين وقد لعبت العصبية العائلية والتحالفات «السياسية» التي حددت تراتب السلطات المحلية من شيخ القرية الذي هو «مقاطعيها» حتى الأمير الكبير، الذي هو « المقاطعجي الكبير»، دور العامل الخامس في مجراه<sup>(٥٣)</sup>.

لكن هذا الوضع كان ينذر بانفجار سكاني كبير بين الطوائف المتداخلة سكنياً والموزعة بعصبياتها العائلية على سلم تراتب المقاطعجين بصورة غير «متجانسة» في الكثير من المقاطعات.

ففي حين كان «التجانس» حاصلاً في المقاطعات الشمالية (المشائخ والمرابعين من الموارنة)، كانت المقاطعات الوسطى والجنوبية تقدم وضعاً اجتماعياً - سياسياً يتمثل في الدروز، بشكل عام «مقاطعيين» والموارنة فلاحين ومرابعين يتطلعون نحو امتلاك قسم من الأرض التي يفلحونها ويستثمرونها منذ عشرات السنين.

هذه الظاهرة كانت تزداد حدة مع الواقع القائم على عدم توافق الكثافة السكانية مع مساحة الأراضي في الجبل والتي كانت قد استنفت امكانيات استصلاحها في منطقة جبلية صخرية وعرة منذ قرون من الزمن. ذلك أنه حتى على علو (١٠٠٠ و ١٥٠٠ م) كان السكان قد حولوا كل قطعة قابلة للاستصلاح إلى مصاطب زراعية<sup>(٥٤)</sup>.

(٥٢) طنوس الشدياق ، كتاب أخبار الأعيان ... ص ٢٩ .

(٥٣) هذا الجانب من الموضوع يعالجه دومينيك شفاليه بشيء من التفصيل في كتابه :

- Société du mont - liban ....

- Weulersse j. : op. cit; p. 109.

(٥٤)

يقدر لامارتين عام (١٨٣٣) عدد السكان الموارنة وحدهم بـ (٢٠٠)<sup>٥٥</sup> الف نسمة<sup>٥٥</sup>. ويقدر «Cuinet» مساحة متصرفية الجبل - والتي تتوافق حدودها اجمالاً مع حدود المقاطعات - بـ (٦٥٠٠) كلم<sup>٢</sup>. أما الأراضي الزراعية فيقدرها بـ (١٦٢٥) كلم<sup>٢</sup> أي حوالي ربع مجمل المساحة<sup>٥٦</sup>. وعلى أساس هذه المعطيات تكون الكثافة السكانية للموارنة وحدهم في منتصف القرن التاسع عشر حوالي (١٢٣) فرداً في الكلم<sup>٢</sup> الواحد.

إن هذه الكثافة السكانية في كل من كسروان والمنتن والشوف وجزين تفسر إلى حدٍ ما لمْ كانت هذه المناطق خلال عشرين سنة من الزمن (١٨٤٠ - ١٨٦٠) مسرحاً رئيسياً للانتفاضات الفلاحية.

لكن ينبغي الاستدراك هنا لنشير إلى أن هذه الانتفاضات لا تعود فحسب وبصورة «آلية» إلى تلك الحركة الديموغرافية التي جعلت الموارنة «الفلاحين المربعين» يقفون في مواجهة الدروز «المقاطعجية» وأصحاب الأرض.

إذ ينبغي التأكيد على أن انخراط الموارنة في البنية الاقتصادية - الاجتماعية - السياسية في الشرق العربي كان قد أصبح كاملاً في العهد العثماني. إن عائلات مارونية عديدة، احتلت موقع رئيسي في هرم السلطة المحلية القائمة، اجتماعياً، على وظيفة المقاطعجية. فكان المشايخ والأمراء منهم يتمتعون بذات الامتيازات «السلطوية» التي هي للمشايخ والأمراء الدروز. «فكم مقاطعجين» كانوا جميعاً دروزاً وموارنة يستثمرون الأرض وفق نفس القواعد الاقتصادية ويخذلهم وفق نفس المؤسسات والتقاليد التي استقرت في العهد العثماني في إطار نظام الملل.

- cité par Aouad Ibrahim: *Le droit privé des maronites*, thèse, paris 1933, p. 3. (٥٥)

- Cuinet vital, *Syrie, Liban et palestine géographie administrative* Paris 1896, (٥٦) pp. 204-205.

## نظام الملل

كانت الدولة العثمانية قد نظمت شؤون الطوائف الدينية - غير الإسلامية - منذ عهد السلطان محمد الثاني في إطار توازن سياسي تمارس من خلاله الطائفة الدينية التي اعتبرت «ملة»، حق مواطنية أفرادها في إطار الدولة. فرؤساء «الملة» الدينيون ينتخبهم أفراد الملة على أن يقتربن من الانتخاب بتصور البراءة السلطانية. ومنح هؤلاء الرؤساء حق إدارة «رعاياهم في الشؤون العامة والشخصية»<sup>(٥٧)</sup>. ثم «اصدرت الدولة نظام رواتب البطريرك في استانبول حيث خصص له مبلغ نصف مليون قرش في السنة»<sup>(٥٨)</sup>؟

و«منحت الدولة الأديرة المسيحية في ولاية سوريا امتيازات خاصة، فأعفعت أغنام الأديرة من الرسوم، وأصدرت عام (١٨٦٤) نظاماً تضمن إعفاء جميع أصناف الرهبان عن تبعية الدولة العثمانية وإعفاء أدیرتهم من الرسوم الجمركية، وغيرها من التجهيزات»<sup>(٥٩)</sup>. كذلك «منحت الطوائف غير الإسلامية حق التمثيل في مجالس دعاوى الأقضية بعضو أو أكثر، وفي مجالس تمييز الألوية بثلاثة أعضاء، وفي ديوان تمييز الولاية بثلاثة أعضاء»<sup>(٦٠)</sup>.

وعلى صعيد نظام الزراعة والأرض، لم يميز أسلوب «الإقطاع» الذي استخدمته السلطة المركزية العثمانية بين المسلمين «وأهل الذمة». فالعامل الذي حدد «الملكية» لم يكن على الإطلاق طائفياً - دينياً، وإنما هو بشكل أساسي «عصبية» اجتماعية - سياسية تدرج من مستوى القرية أو الحارة إلى مستوى المقاطعات أو مجموعة مقاطعات وفي إطار نظام الولاية والإلتزام.

هذه العصبية كانت لها وظيفة محددة: القدرة على إلتزام الضرائب وتطبيق النظام، وقد اشترك في ذلك كما رأينا أسر مسيحية وإسلامية، درزية ومارونية على حد سواء.

(٥٧) عوض ، الادارة العثمانية ، ص ٣٠٨ .

(٥٨) المرجع نفسه ، ص ٣١١ .

(٥٩) المرجع نفسه ، ص ٣١٤ .

(٦٠) المرجع نفسه ، ص ٣١٤ .

وعلى صعيد تنظيم الحرف أيضاً في الدولة العثمانية «كانت معظم الحرف في الإمبراطورية يقوم بها مسلمون وذميون معاً»<sup>(٦١)</sup> وإن كانت بعض طوائف الحرف مقصورة على المسلمين وحدهم: كطوائف العطارين، ومبصري المنازل، وتجار المواد الغذائية. يقول جب وبوون في ذلك: «برغم أن السلطان محمد الفاتح قد نظم الأنواع المختلفة من الذميين في طوائف تحكم نفسها فيما يتعلق بشؤونها الدينية، فإن طوائف الحرف المسيحية الموجودة في الآستانة بالفعل قد اندمجت في طوائف الاتراك العثمانيين»<sup>(٦٢)</sup>.

غير أن تنظيم «الملل» الذي حاول في البدء أن يحقق للخصوصيات «المذهبية» مجالاً من الحرية والاستقلالية حيث تمارس الملة في إطار الدولة ومؤسساتها قوانينها وعباداتها بشكل متوازن<sup>(٦٣)</sup> ، شكل في نهاية القرن الثامن عشر وغضون القرن التاسع عشر منفذًا للدول الأوروبية لتعزيز هذه «الخصوصيات» المحلية وتلقيحها بمعاهدي أوروبيه اتفاقية؛ ولا سيما بعد أن كان التغلغل الأوروبي عبر شتي آشكاله قد أسفر عن تحولات اجتماعية وعلاقات جديدة بين القوى الاجتماعية. فإذا كانت الانتفاضات الفلاحية في أوائل القرن قد سببتها العوامل السياسية (الادارة المحلية، عبد الله باشا، الجزار الخ..) الضاغطة باتجاه استغلال مزيد من فائض الانتاج الزراعي بصورة ضرائب واقتطاعات شتى فإن انتفاضات أواسط القرن التاسع عشر (١٨٤٠ - ١٨٦٠) ارتبطت عواملها بشكل أساسي بآثار التغلغل الأوروبي على القوى المحلية المنتجة على مستويين: مستوى الفلاحين بعلاقتهم بالمقاطعجين موارنةً ودروزاً، ومستوى الطوائف الدينية ومدى استجابتها لمطالبات هذا التغلغل على الصعيدين: الاقتصادي والأيديولوجي.

(٦١) هامتون جب - هارولد بوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ج ٢ ص ١٣١ .

(٦٢) المرجع نفسه ، ص ١٣١ .

-Corm, Georges, contribution à l'Étude des sociétés multiconfessionnelles... pp. (٦٣)

203 - 205.



- ٤ -

## الغزل الأوروي وأثره

إن «نظام الملل» العثماني الذي استهدف ضبط «الخصوصيات» المذهبية في إطار الدولة تزوج مع حاجات التوسيع الأوروبي التي ابتدأت تأخذ أشكالاً قانونية في علاقتها مع الباب العالي منذ تاريخ معاهدة ما سمي «بالممتلكات الأجنبية» التي عقدت بين السلطان سليمان القانوني والملك الفرنسي فرانسوا الأول عام (١٥٣٥).

صحيح «أن علاقات التبادل بين العالمين الغربي والإسلامي تعود - كما يود أن يؤكد على ذلك عدد من المستشرقين - إلى حقبة بعيدة في التاريخ شكلت المرحلة الصليبية إحدى حلقاتها المتوجة، وإن هذه العلاقات استمرت وتأكدت لدرجة أنه في القرن الثالث عشر التقى العلما في ذات أشكال النشاط الاقتصادي والانتاج»<sup>(٦٣)</sup>.

لكن حقيقة هذا الواقع لم تدم طويلاً. فمنذ القرن الخامس عشر أدى

---

- Van Riet simone, **introduction à l'Histoire contemporaine, Le monde musulman contemporain**, Bruxelles 1962, p. 19.

اكتشاف البرتغاليين لطريق الهند، وتأسيسهم المراكز المالية في الشرق الأوسط والأدنى، وقيام الشركات المختلفة في الهند، إلى نتائج متعاقبة كانت حصيلتها انتزاع المبادرة من يد أصحاب القوافل والملاحين العرب الذين كانوا يقومون منذ القرن الحادي عشر بالدور الأول في تجارة الترانزيت بين الشرق العربي والشرق الأقصى<sup>(٦٤)</sup>. لذلك لم تستمر ذات أشكال النشاط الاقتصادي والانتاج خلال كل مراحل التبادل بين العالمين. فمنذ الفتح العثماني الذي ترافق زميّناً مع الصعود الأوروبي والتراجع في الدور الاقتصادي العربي انكفاء النشاط الاقتصادي في البلاد الإسلامية على نفسه ليصبح نشاطاً داخلياً لعالم وضعه تطور التجارة العالمية والفتوحات الكولونيالية على هامش العمليات التجارية الكبرى»<sup>(٦٥)</sup>.

غير أن هذه «الهامشية» في علاقات التبادل العالمية كانت في ذات الوقت مدخلاً لنغلغل «رأسمالي» أوروبي في الداخل أحدهن انقطاعاً نوعياً في علاقات التبادل بين العالمين، انقطاعاً تشكلت قاعدته المادية عبر نشوء أنماط انتاج مختلفة قلبت ميزان التبادل لصالح الغرب. «فلم تعد المسألة كما كانت سابقاً مسألة علاقات تبادل متكافئة بين اقتصادين مكملين لبعضهما. لم تعد أيضاً مسألة احتكار تشتراك فيه مصر والبنديقة على حد سواء، بل إنه احتكار أوروبي بحت لم يكن الشرق ليملك حياله أية وسيلة دفاع»<sup>(٦٦)</sup>.

في هذا السياق ينبغي وضع «خطوة» السلطان سليمان القانوني بشأن موضوع «الامتيازات» المعطاة للجاليات والتجار الأوروبيين. إن الأبهة التي ظهر فيها السلطان والتي يجب عدد من المستشرقين التأكيد عليها لاثبات «التفوق الذي لا ريب فيه» «للمبادرة» العثمانية<sup>(٦٧)</sup> تغلف في الواقع اتجاه

- Abel, Armand, **Psychologie et comportements, ( Monde musulman )**<sup>(٦٤)</sup> contemporain ), Bruxelles 1962, p. 19.

- Ibidem, p. 19. <sup>(٦٥)</sup>

- Kaliski René, **Le monde arabe**, t.2, viviers, (Belgique) 1968, p. 7. <sup>(٦٦)</sup>

- Van riet Simone , op. cit, p.31. <sup>(٦٧)</sup>

الضعف الذي يسير نحوه المجتمع العثماني (٦٨).؟

لقد كان من نتيجة تطبيق هذه الامتيازات أن هيمن التجار الأوروبيون داخل الإمبراطورية العثمانية هيمنة كاملة على عمليات التبادل، لا سيما في المدن التجارية والمرافق. وكانت هذه الهيمنة تزداد بقدر ما كان يزداد ضعف السلطنة وتفكك مؤسساتها الإدارية والاقتصادية والعسكرية. وكان أن وصلت بنا النتيجة إلى الحد الذي أصبح فيه تجارة الدول الأوروبية يشكلون مع قنصلياتهم جاليات قوية تتمتع بسلطات مستقلة عن السلطة المحلية العثمانية وتشكل عملياً «دولًا داخل الدولة» (٦٩).

وسُجِّلت «حقوق» الامتيازات نفسها - لا سيما بالنسبة لفرنسا - على «الملل» المرتبطة بكنيسة روما. ذلك أن «حق» فرنسا في حماية جالياتها من التجار والقناصل وال وكلاء والعملاء داخل الإمبراطورية العثمانية، والذي نصت عليه الاتفاقيات مع الباب العالي طال أيضًا الطوائف المسيحية المرتبطة بروما ومن بينها الطائفة المارونية.

وإن التراث التاريخي الماروني العائد إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حافل بالشواهد (ان من باب الواقع، أو من باب الاشارات ذات الطابع الأيديولوجي).

ومن هذه الواقع نذكر على سبيل المثال منح لويس الرابع عشر إلى ابناء الخازن شرف توسيع وظيفة القنصل الفرنسي في بيروت. وقد بقيت هذه الوظيفة «امتيازاً» لابناء هذه العائلة من سنة ١٦٥٥ حتى ١٧٥٣ (٧٠).

ولأنه لواضح ما يتبيّن هذا «الامتياز» في إطار الاتفاقيات العثمانية

- Lewis, Bernard, *Les arabes dans l'Histoire*, P. 151. (٦٨)

- Weinstock N, *Le mouvement révolutionnaire arabe*, P. 22. (٦٩)

(٧٠) راجع :

- Ristelhueber, R.: *Traditions françaises au liban*, pp. 165-195.

. (الترجمة العربية)

المعقودة مع فرنسا من خدمات آل الخازن وللطائفة المارونية، وما يمكن أن يخلقه من ولاءات لفرنسا، ومواقف معادية من الدولة العثمانية. لا سيما أن مكاسب هذه الامتيازات لم تقتصر على مشايخ الموارنة من آل الخازن فحسب، بل طالت بشكل خاص الكنيسة والرهبانيات المارونية.

إذا عرفنا كيف أن الرهبان الموارنة عبر توزعهم في الأديرة الكثيرة، ونشاطهم في أوقافها الزراعية الواسعة، قد شكلوا مع الخوارنة المنتشرين في القرى نوعاً من «تنظيم شعبي» فلاحي واسع يدير شؤون الطائفة ويهيمن على نشاطها الاقتصادي، أدركنا أهمية أن يتمتع الرهبان الموارنة بامتيازات المرسلين الفرنسيين والنتائج السياسية - الأيديولوجية التي يمكن أن تترتب على ذلك:

لقد كتب وزير البحرية الفرنسي روليه في (٥) آذار سنة (١٧٥٠ م) إلى القنصلين الفرنسيين في الدولة العثمانية قائلًا: «إن الرهبان الموارنة الذين يؤلفون رهبنة مار انطونيوس في جبل لبنان قد شملتهم الملك بحمايته الخاصة في كل وقت. وقد توسلوا إلى جلالته أن يجدد لهم تلك الحماية ويشتها لهم، فتنازل جلالته واستجاب طلبهم وأوصاني أن أكتب إليكم أن تعاملوهم كما تعاملون المرسلين الفرنسيين الذين هم في الشرق من قبل جلالته (...). وأن تواصلوا خدمتكم لهم حتى يكونوا مؤمنين من حياة جلالته في كل الأحوال والمسائل التي يراجعونكم بها فيما يتعلق برهبنتهم من جهة البص والعونيات التي يظلمهم بها المسلمين، أو من جهة الاضطهادات التي يثيرها عليهم المراطقة...». <sup>(٧١)</sup>

إن هذه «الحماية» التي بدأت تسحب نفسها على «الملل» لتجعل منها موضوع «أقليات» دينية وأثنية، دخلت في التبرير الغربي كمسألة مشروعية تبرر عملية «التدخل» من طرف دولة في شؤون دولة ثانية<sup>(٧٢)</sup>. وهكذا أصبحت

(٧١) الخوري بطرس غالب، فرنسا صديقة وعاصمة ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٧٢) نجد ثمة محاولة للدفاع عن هذه النظرية في :

- Bruneau André, *Traditions et politique de la France au Levant*, Paris 1931,  
pp. 205- 206.

«الملة» العثمانية ترافق في قاموس السياسة الكولونيالية في القرن التاسع عشر مفاهيم : «أمة» و «شعب».

لقد كتب لامارتن في «رحلة إلى الشرق» : «أن الشعب الماروني يشكل شعباً على حدة في الشرق. نكاد نقول جالية أوروبية رمت بالصادفة في وسط الصحراء. إنها جالية مكونة تماماً، يمكن أن تكون لأوروبا على تلك الشواطئ الجميلة. ان المستقبل هنا أكبر منه في مصر»<sup>(٧٣)</sup>.

\* \* \*

لن تسمح لنا طبيعة البحث بمعالجة موضوع التبشير والنشاط الارسالي كمظهر من مظاهر التغلغل الثقافي الغربي<sup>(٧٤)</sup> وتبليان أثره في طبع «الملة» العثمانية بطابع «الخصوصية» الأنثانية المرتكز إلى تحصيل «ثقافي» غربي. بل نكتفي بالقول : إن «الملل» وقد تحولت عبر ثقافة أبنائهما المحصلة عبر النشاط الإرسالي الغربي إلى «أقليات» في نظر الدول الأوروبية، أفرزت في ذات الوقت الفئات المؤهلة والمستعدة للعمل في خدمة الفنصليات الأوروبية وعمليات التبادل التجارية الأوروبية الناشطة بين الأسواق العثمانية من جهة والبيوتات المالية الأوروبية الكبرى من جهة ثانية<sup>(٧٥)</sup>.

يقول الأستاذان جب وبوون في ذلك : «كانت كل التجارة الأوروبية في أيدي المسيحيين (الأوروبيين والشرقية) واليهود (...). وما دام كل هؤلاء يشبهون منافسيهم المسلمين في كونهم من رعايا الامبراطورية العثمانية فلم يكن سوى قليل من الضرر. ولكن قبل نهاية القرن (الثامن عشر) بدأت هذه الخلافات العقائدية تكون ذات دلالة خطيرة»<sup>(٧٦)</sup>.

- Cité Par Corm G., op. cit; p. 274.

(٧٣)

(٧٤) راجع في هذا الموضوع :

خالدي - فروخ : التبشير والاستعمار .. بيروت ١٩٧٣

- Salam N. L'Histoire et le Rôle de la pénétration et de l'influence française et anglo - américaine dans l'Enseignement au liban de 1840 à 1914 (mémoire), paris 1974.

- Corm G. Contribution à l'Étude des sociétés multiconfessionnelles, p. 223. (٧٥)

(٧٦) جب وبوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ص ١٦٠ - ١٦١.

وبناءً على الأستاذان: «لما كان التجار الفرنجة بحاجة إلى وكلاء وترجمة ومقاؤلين، فلم يكن لهم من خيار سوى الالفادة من هذه الطائفة من الناس الذين كانوا على استعداد للانضمام إليهم». وفي مصر كان معظم هؤلاء حتى أواسط القرن الثامن عشر من اليهود، وفي سوريا كان معظمهم مسيحيين من المناطق الساحلية وبخاصة الملاكانيون، بالإضافة إلى الأرمن في حلب. ويرغم الجهود التي بذلها التجار الأوروبيون وبخاصة في الموانئ الفرنسية لقصر هؤلاء الذين تحت حمايتهم، على كونهم وكلاء، فإن الكثيرون منهم اخذوا يطورون التجارة الأوروبية لصلحتهم الخاصة بعد أن وضعوا أقدامهم فيها. وكان يساعدهم على ذلك اندماجهم في جنسية حماتهم وفقاً لما جرى عليه العرف طبقاً للامتيازات الأجنبية التي كانت تخول السفراء في الأستانة أن يمنحوا براءات أو خطابات حماية يصدرها الباب العالي لعدد من الأشخاص يختارونهم لخدمتهم (...). «ولما كان تحت تصرف كل سفير خسون براءة، ولما كانت المنحة تتجدد عند كل تعيين جديد، لا يدعو للعجب أن ترداد بسرعة اعداد أولئك الذين ينعمون بالرعاية الفرنسية والنساوية والسويدية والبريطانية وغيرها من الجنسيات الأوروبية من كانوا يندمجون في هذه الجنسيات ويشاركون في نفس القضاء القنصلي. ويمكننا أن نتبين مدى سوء استعمال هذا الحق مما وصل إلينا من أن باشا حلب شكا إلى الباب العالي في عام (١٧٩٣) من أن عدد «ترجمة» الفنادق في حلب زاد حتى بلغ حوالي ألفاً وخمسين، وكلهم معفوفون من الضرائب، ويعملون في التجارة»<sup>(٧٧)</sup>.

لكن «الدلالة» ستزداد خطورة على كل حال مع بدايات القرن التاسع عشر حيث حاولت السياسات الأوروبية الرسمية تأكيد هذه الوجهة بمعاهدات تجارية مع الباب العالي. ففي عام (١٨١٨) عقدت معاهدة انكليلزية - عثمانية للتجارة استكملت بفرمان (١٨٢٠). وقد حددت بموجبها الرسوم على المستورادات (إلى ولايات الدولة العثمانية) بـ (٣٪). غير أن هذه المعاهدة الغيت في عام (١٨٣٨)، واستبدلت باتفاقية جديدة تقضي برفع رسم

---

(٧٧) المرجع نفسه ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

الاستيراد إلى (٥٪)، بينما تدفع الصادرات (من الولايات العثمانية) رسميًّا قدره (١٢٪).

هذه المعاهدة «التي شملت بنعمتها كل الدول الأوروبية» «كانت، على حد قول مكسيم رودنسون تقطع الطريق مسبقاً على أية محاولة متحملة لبناء صناعة عثمانية»<sup>(٧٨)</sup>.

فبين (١٨١٢ و ١٨٤١) تراجع عدد الحرف النسيجية في «Scutari» و «Trinova» من (٢٠٠٠ إلى ٢٠٠). وأصبحت نسبة إنتاج الحرير في كل الأناضول في منتصف القرن التاسع عشر ما كانت عليه في منتصف القرن الماضي. وفي ذات المرحلة سقطت قيمة إنتاج السبيح (قطن وحرير) في حلب من (١٠٠) مليون قرش إلى أقل من (٨) ملايين<sup>(٧٩)</sup>.

ولم يكن تراجع الإنتاج الحرفي في البلاد هو النتيجة الوحيدة للغزو السلوقي الأوروبي. بل ثمة افقار اقتصادي واستنزاف رهيب للنقد المعدني (ذهب وفضة)<sup>(٨٠)</sup> نتج عن الخلل في الميزان التجاري، وهو خلل كان يزداد تفاقماً سنة بعد سنة. لقد بلغت قيمة الصادرات عام (١٨٥٠) في مرفاً بيروت وفق اللوائح التي يوردها القنصل الفرنسي هنري غيز (١٧,٩٧٨,٤٨٢) فرنكاً، بينما بلغت قيمة الواردات (٢٤,٩٢٥,٧٠٠) فرنكاً<sup>(٨١)</sup>.

وكانت السلعة الرئيسية التي تضمنتها الصادرات هي خيوط وشرانق الحرير. إذ بلغ متوسط كميتها المصدرة سنوياً من مرفاً بيروت وحده في أواسط القرن الماضي حوالي (٥٠٠) قطاراً<sup>(٨٢)</sup>.

---

- Rodinson, Maxime, *islam et capitalisme*, paris 1966, p. 135. (٧٨)

- Ibidem, p. 135 - 136. (٧٩)

(٨٠) جب وبوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ص ١٥٩.

- Guys H. *Esquisse de l'Etat politique et commercial de la syrie*, p. 229 et 247. (٨١)

- Guys H. *Relation d'un séjour...* P. 56. (٨٢)

هذه الوجهة في مخاطر التجارة الأوروبية مع الولايات العثمانية كانت قد بدأت تلوح منذ أواخر القرن الثامن عشر، وكانت أخذة في التعمق مع القرن التاسع عشر. يقول جب وبيون: «إن التجارة الخارجية كانت لا تعود عليها إلا بفائدة طفيفة، وما دامت الواردات تتكون من المواد الصناعية والبضائع الكمالية للاغنياء، على حين أن الصادرات كانت تتكون من مواد خام وغير مصنوعة، فإن هذه التجارة كانت تعود بالضرر على صناعتها ورخائها الاقتصادي . يضاف إلى ذلك أنها أرهقت توازنها النقدي . . .»<sup>(٨٣)</sup>.

ويستدرك الاستاذان بالقول: «كان من الممكن تعريض المضار الاقتصادية التي عادت على مصر وسوريا من التجارة الأوروبية والشرقية إلى حد ما، من الناحية المادية، فيما لو كان التجار المصريون والتجار المسلمين السوريون قد شاركوا فيها بنصيب كبير، ومن الناحية الفكرية فيما لو كان الاتصال بالتجار الأوروبيين قد وسع أفق أجزاء صغيرة من المجتمع الإسلامي . . .»<sup>(٨٤)</sup>.

غير أن هذا التمني كان يصطدم على كل حال بعقبات «مؤسسية» وتقاليد تاريخية راسخة في أشكال الانتاج المحلية من حرف وتجارة داخلية شائعة في المدن الإسلامية<sup>(٨٥)</sup>.

فإذا كانت تلك هي نتائج التغلغل الأوروبي على مستوى الطوائف الدينية على امتداد الولايات العثمانية لا سيما العربية منها، فما كانت نتائج هذا التغلغل في جبل لبنان؟

لقد ازدادت حاجة فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر إلى خيوط وشرائط الحرير، فتأسست في جبل لبنان بين (١٨٤٠ - ١٨٥٠) خمس حللات

---

(٨٣) جب وبيون ، المجتمع الاسلامي ص ١٥٨ .

(٨٤) المرجع نفسه ، ص ١٥٩ .

(٨٥) المرجع نفسه : في موضوع «طوائف الحرف» راجع ص ١٢٠ - ١٤٥ . في موضوع «التجارة الداخلية» وارتباطها بالتقاليد والعادات الاسلامية ص ١٤٨ .

حداثة فرنسية، أو تعمل برأسمال فرنسي، كذلك دفع ازدياد الطلب الفرنسي لخيوط وشرانق الحرير إلى زيادة المساحة المزروعة توتاً على حساب زراعات أخرى «زيتون، تبغ، خضار..» وأدى إلى نوع من تحصص زراعي في الجبل (٨٦).

من جهة أخرى كانت الأقمشة الفرنسية والإنجليزية تزاحم بسهولة الإنتاج المحلي في الجبل (٨٧). فلم يكن من أصحاب الحرف المحلية والتي كان يملكونها في معظم الأحيان شيخ العائلات المقاطعية إلا أن يقفلوا أبوابها ويتحولوا إلى بايعي شرانق (٨٨).

أما النسيج المتزلي الذي كانت تقوم به عادة عائلة الفلاح - الرابع فقد تقلص كثيراً بسبب اضطرار الفلاح أن يوجه كل اهتمامه واهتمام أفراد عائلته أيضاً نحو تحسين تربية دود القز (٨٩).

ثم ان مبيع الشرانق بالرغم من ازدياد الطلب، لم يكن ليمنع الانهيار المالي في الجبل. ذلك أن تجارة بيروت الذين لعبوا الدور الوسيط بين المستجين من جهة (الشيخ والفالح) والمستوردين وأصحاب الحالات الحديدة من جهة ثانية وقفوا سداً في وجه احتمالات الربع التي يمكن أن تنتج عن عملية رفع الأسعار (٩٠).

هؤلاء التجار الذين جمعوا ثروات كبيرة بفضل الدور التجاري الذي أخذ يلعبه مرفاً بيروت منذ بداية القرن الماضي ، ربطوا اقتصاد الجبل بشبكة مالية حيث شكلت رؤوس أموالهم المدعومة برؤوس الأموال الأوروبية الحلقة الرئيسية فيها محلياً.

---

- Chevallier D., *Aux origines des troubles agraires....*

(٨٦)

(٨٧) حقي بك ، مباحث علمية واجتماعية .. ص ٤٣٩ .

(٨٨) المصدر نفسه ، ص ٤٩٠ .

- Chevallier, D. «*Aux origines des troubles agraires*», P. 53. )

(٨٩)

(٩٠) حقي بك ، مباحث علمية واجتماعية ، ص ٤٩٠ .

يحدثنا «هنري غيز» عن التشجيع الأوروبي لهؤلاء التجار ودورهم في الوساطة والهيمنة المالية محلياً فيقول: «ان القروض التي تقدمها تجارة أوروبا للمرابي المحلي هي التي تجعله يعمل في هذا المجال. فهو يعتبرها مصراً يستطيع أن يفترض منه كل ما يحتاجه من مال... إن القروض التي تقدمها تجارة أوروبا له هي بفائدة (٦٪)، بينما سعر الفائدة في سوريا، عند أهل البلاد هي (٢٠٪)، والدائنوں بفائدة (٣٦ و ٤٠٪) وأكثر بالمائة كثيرون..»<sup>(٩١)</sup>.

وهكذا ارتبط الشيخ والفللاح معاً بالتاجر والمرابي في المدينة. فمن جهة كان المشايخ مدفوعين بحاجاتهم الاستهلاكية الكمالية التي يحتمها موقعهم الاجتماعي وضرورة تثبيت هذا الموقع، والفللاح من جهة ثانية مضططر أن يستجيب لحاجاته المعيشية الضرورية التي لم يعد يستطيع أن يلبّيها كما كان الحال في السابق في إطار «اقتصاد القرية». فكان التاجر - المرابي في المدينة هو الملجم بالنسبة للطرفين. إذ وجد المشايخ والفلاحون في المرابين خير ملب «لطلباتهم». فهؤلاء (المرابون) استفادوا من جعل الوضع، فقدموا لأهالي الجبل «امرأة وفلاحين، خاصة وعامة»، كما يقول هنري غيز، قروضاً بفائدة كبيرة على محاصيل الحرير أو أسلفوهم بضائع بأسعار مرتفعة جداً<sup>(٩٢)</sup>.

إن الشيخ والفللاح وقعا معاً، إذن في علاقة تبعية جديدة: التبعية لرأس المال الأجنبي الذي يمثله التاجر في المدينة. لم تعد التبعية «للأمير الكبير» أو الوالي هي القاعدة الأساسية بعد أن زالت الإمارة، وبدأت الدولة العثمانية تحاول ضبط أمور الجبائية عن طريق موظفين. لقد أصبح التاجر الآن هو الذي يملي طلباته على الشيخ. إذ لم يكن أمام هذا الأخير سوى طريق التحالف مع التاجر والتشبث «بأملاكه»، وممارسة مزيد من سياسة تكبيل الفلاح - الرابع، واستنزاف قوة عمله وقهره اجتماعياً. والتاجر من جهة وجد في موقع الشيخ «كمقاطعجي» وسيلة للضغط على الفلاحين في سبيل تحصيل ديونه<sup>(٩٣)</sup>.

- Guys, H. *Relation d'un séjour*, T. I., P. 209.

(٩١)

- Ibidem, p. 209.

(٩٢)

- Chevallier D.: *société du mont - liban* , p. 204 - 205.

(٩٣)

أما بالنسبة للفلاح الذي دخل في علاقات السوق كمتحج ومستهلك فكان لا يرى تحره إلا عبر أمررين: تملك الأرض، وهي قليلة، واستبعاد سلطة المقاطعجي المسلطة فوق رقبته.

إن وعي هاتين العلقتين: (علاقته بالأرض، وعلاقته بالمقاطعجي)، كان يحدد لدى الفلاح حيز تناقضه: إنه مع المشايخ فقط. فهؤلاء الذين لا يشاركون في الانتاج يقطعنون نصف الأرباح، وهؤلاء الذين حدث القوانين العثمانية من سلطتهم لازالوا يمارسونها وبصورة أشد تعسفاً<sup>(٩٤)</sup>.

إن حيز هذا التناقض لم يشمل على الاطلاق التاجر والمرابي. بل أكثر من ذلك نقول: إن تبعية الفلاح الجديدة لهذا الأخير شكلت العامل الأساسي في تحمل الفلاح من تبعيته للمقاطعجي.

وعلى هذا الأساس تعين شكل من أشكال التناقضات الناتجة عن التغلغل الرأسمالي الأوروبي في جبل لبنان. وكان ذلك قاعدة الانتفاضة الفلاحية التي انطلقت من كسروان ابتداء من عام (١٨٥٦) مستفيدةً من أزمة منصب القائمقانية الشمالية التي نشبت واحتدمت بين مرشحين.

بيد أن هذا الشكل من التناقضات لم يكن وحيداً في جبل لبنان. إن «العصبية» الدرزية التي تلقت ضربات عديدة في تاريخ التحالفات العائلية التي جأ إليها أمراء الجبل منذ فخر الدين إلى الأمير بشير الثاني، كانت تحاول في منتصف القرن وبعد أن استعادت بعض نفوذها عام (١٨٤١) عبر التصدي للأمير بشير الثالث وإزاحته، أن تستمر في الصمود رغم تراجع قاعدتها العددية وتقلص مساحة أراضيها الزراعية<sup>(٩٥)</sup>. لذلك كانت العائلات

(٩٤) يعطينا «شفاليه» بعض الأمثلة على سلوك هؤلاء التجار: بطرس الأصفر، ميخائيل طوبيا... .

(٩٥) إن ٢٠٪ من دروز جبل لبنان عاشوا في المقاطعات الوسطى وشكلوا ٦٪ من مجموع السكان. وإن ٨٠٪ منهم عاشوا في المقاطعات الجنوبية وشكلوا حوالي ٣٠٪ من السكان.

هذا التباين في التوزيع الطائفي يتفاقم بتباين آخر في توزيع الأراضي الزراعية والصالحة للزراعة. إن المقاطعات الشمالية شملت ٤٥٪ من الأراضي الزراعية، بينما المقاطعات الوسطى ٢٠٪ والمقاطعات الجنوبية ٣٥٪.

الدرزية المقاطعجية أكثر إحساساً من أختها المارونية بخطر هذا التوسيع الاقتصادي الأوروبي في الجبل. فبعد أن قادت حركة المعارضة لافشال تطبيق قانون تحديد الملكيات والضرائب عام (١٨٤٦)<sup>(٩٦)</sup>، عبر زعيمها الأمير أمين أرسلان عام (١٨٥٠) عن قلق «المقاطعجيين» والطائفة الدرزية حيال التطورات الاجتماعية الناتجة عن التغلغل الأوروبي. فهذا الأخير كان أصبح بائعاً للشرانق وغارقاً في الديون. ووُجد أيضاً أن سلطته ينزعه إياها أصحاب الحالات الأوروبية، والتجار والمربّون، وأن الفلاحين المربعين من المسيحيين بدأوا يتحرّكون. لذلك اعتبر الأمير أمين أرسلان أن وجود حالة «Scott (حالة صاحبها انكليزي) في مقاطعته ما كانت إلا لتجلب الدمار للعلاقات الاقتصادية التي تربط الفلاحين بالمقاطعجيين فاتهم «Scott» ببذر الفوضى في البلاد بواسطة «مصنوعه» وبارهاق السكان بالديون والفوائد، وإتعابه بشراء الشرانق سلفاً<sup>(٩٧)</sup>.

إن تناقض «العصبية» الدرزية مع المد الماروني ما كان إلا ليتعمق إذن مع هذا العامل الجديد، خاصة وأن تناقض الفلاحين - المربعين الموارنة مع مشايخهم الموارنة أيضاً في الشمال كان يأخذ بالإشتداد، ويعطي للمرابعين الموارنة في الجنوب فرصة التحرك ضد «مشايخهم» الدروز.

- Chevallier D. **Société du mont - liban ..**, p. 60.

=

- Ismail A., **Histoire du liban...**, P. 303.

(٩٦)

- Chevallier D. **Société du Mont - Liban..** P. 60.

(٩٧)

## الفصل الثاني

تكون النظام الجديد في جبل لبنان  
(المصرفية)



-١-

## النناقضات الاجتماعية : بين حَدِيثي ١٨٥٨ و ١٨٦٠

لم تكن النناقضات التي ولدتها التحولات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن تغلغل الاستعمار الغربي بأشكاله المختلفة في القرن التاسع عشر (رساميل، أسواق، امتيازات أجنبية، تدخل قناصل، ارساليات ومدارس) واحدة في كل أجزاء المشرق العربي. إذ تحكمت في التحولات تشكيلاً اجتماعية مختلفة على صعيد المناطق والطوائف، ونوع النشاط الاقتصادي السائد. فاستقبال التدخل الأجنبي ونتائجـه في جبل لبنان وفي المناطق المارونية بالتحديد - حيث غالبـ على النشاط الاقتصادي تعاطـي زراعة تجارية أساسـية (التوت بداعـي تصدير شرائق الحرير وخيوطـه) اختلفـ عنهاـ في المدن السورية (دمشق، حـصـنـ، حـلـبـ، طـرابـلسـ، بـعـضـ مـرـافقـ بـيـرـوـتـ، صـيدـاـ..ـ) حيث غالبـ على النشاط الاقتصادي لددـي التجمعـاتـ الـاسـلامـيـةـ تعـاطـيـ الحـرـفـ الـمـهـنـيـ (الـنسـيجـ خـاصـةـ)، وـتـجـارـةـ تصـدـيرـ سـلـعـ وـمـوـادـ غـذـائـيـةـ زـرـاعـيـةـ فيـ إـطـارـ سـوقـ محـليـ، أوـ إـطـارـ سـوقـ عـربـيـ - إـسـلامـيـ، حـضـنـتـهـ إـدـارـيـاـ وـسيـاسـيـاـ الـدـوـلـةـ العـمـانـيـةـ.

ولا بدـ فيـ حـاـوـلـةـ تـبـعـ أـشـكـالـ هـذـهـ النـناـقـضـاتـ منـ الـوقـوفـ حـيـالـ شـكـلـينـ

من التناقض حدد مسارهما على امتداد المنطقة وجهان مختلفتان في المواقف السياسية والايديولوجية لدى الفئات الاجتماعية التي دخلت أطرافاً في الصراع في حدثين متتابعين: الانفلاحة الكسروانية عام (١٨٥٨)، وال الحرب الأهلية عام (١٨٦٠).

في الحدث الأول: ثمة تناقض كان يأخذ بالاشتداد منذ (١٨٤٠) بين الفلاحين - المربعين الموارنة ومشايخهم من «المقاطعجين» (موارنة ودروز). أما قاعدة هذا التناقض فتمثلت بانفكاك علاقات التبعية الاقتصادية لدى الفلاح الرابع - الماروني، «بالمقاطعجي» وذلك بفعل هيمنة علاقات السوق وسيطرة المتمويلين والتجار في المدن والقرى على عمليات تصدير خيوط وشراائق الحرير المنتجة في الجبل، كذلك بفعل حاجة الفلاحين الماسة إلى تملك أراضٍ كانت العائلات التي استأثرت تاريخياً بالمقطاعات ذات الأرض «الميري» تصر اصراراً شديداً بعد (١٨٤٠) على عدم التفريط بأي شبر منها<sup>(١)</sup>.

بيد أن هذا الجانب الاقتصادي للتناقض كان يتغذى أيضاً بعوامل سياسية ودينية نتجت عن تناقضات أخرى قامت بين العائلات المقاطعجية من جهة، وفئات اجتماعية أخرى. فمن جهة كان هناك موقف الكنيسة المارونية المنافس لدور «المقاطعجين»، والمعادي في أكثر الأحيان لهم في الجبل<sup>(٢)</sup>، وهناك من جهة ثانية موقف «الميسوريين» من الأهالي في القرى من أصحاب دكاكين وملائين صغار ووسطاء من كانوا يضيقون ذرعاً بتجاوزات ابناء العائلات المقاطعجية<sup>(٣)</sup>. كل هذا في وقت نشهد فيه أيضاً تدهوراً اقتصادياً هائلاً للمقاطعجين، وصعوداً ملحوظاً للقوى الفلاحية الجبلية ذات الانتهاء الماروني<sup>(٤)</sup>.

Chevallier D. «Aux origines des troubles agraires». P. 55.

(١)

(٢) كانت الكنيسة المارونية تملك وحدها ثلث الأراضي الزراعية في الجبل وتشكل الطرف الرئيسي في بيع الشرانق للتجار وأصحاب الحللات.

Chevallier D., *Société*.. p. 246 - 256.

(٣) يورد أنطوان ضاهر العقيقي في خطوطه أمثلة عديدة عن مظالم وتجاوزات قام بها أفراد من آل الخازن حيال الأهالي . يوسف ابراهيم يربك ، فتنه وثورة في لبنان ، ص ٧٢ - ٧٤ .

Chevallier D. *Société*... p. 202 - 205.

(٤)

لا شك أن التناقض الذي فجر انتفاضة كسروان الفلاحية كمن في عدم توافق عقود الم الرابعة الجائرة وما يستتبعها من علاقات اجتماعية وسياسية وأخلاقية فرضها نظام الإلتزام وطرايشه<sup>(٥)</sup> عن الأوضاع الجديدة للقوى الفلاحية، وعن علاقاتها التي استجدة عبر انتظامها في علاقات نقدية ضمن سوق رأسمالي أوروبى، مثل حلقته المباشرة محلياً التاجر المدينى ومثله الوسيط أو السمسار في القرية. هذا، لكنه من الخطأ الاعتقاد أن قيادة الانتفاضة تمثلت في «البرجوازية» الناشئة كما يذهب بعض التحليل الماركسي<sup>(٦)</sup>.

صحيح أن التجار في بعض مناطق جبل لبنان كانوا يتوقعون للتحرر من قيود المشايخ المقاطعجين وشارك بعضهم في قيادة الانتفاضة، لكن ما ينبغي التشديد عليه هو أن العلاقة بين الشيخ «المقاطعجي» صاحب «المقاطعة» والبرجوازي «صاحب المال» بقيت في خطها العام علاقة تحالفية تسمع دائمًا للبرجوازي<sup>(٧)</sup> باستخدام النفوذ «الإداري والسياسي» للشيخ لاسترداد الديون من الفلاح وضبط هذا الأخير<sup>(٨)</sup>.

وفي الواقع شكلت الكنيسة المارونية عبر امتداداتها في الأديرة وكنائس القرى، القيادة السياسية لانتفاضة الفلاحين. فقد كانت، من بين القوى المختلفة المتناقضة في مصالحها مع «المقاطعجين» القوة الوحيدة التي تملك «تنظيمياً» متماسكاً وجهازاً داعواياً واسع الانتشار والامتداد في الأوساط الفلاحية. هذا، فضلاً عن أن عناصر الجهاز الاكليركي كان ينتمي إلى أصول

(٥) تراجع شروط عقود «المرابعة» في :

Chevallier D. «Aux origines des troubles agraires...», op. cit.

(٦) سميلا نسكايا، المركبات الفلاحية.. تستشهد المؤلفة «بالاخنام» التي حلتها وثيقة الصلح بين الأهالي وآل الخازن ، والتي تشير الى أن أصحابها كانوا حكماً في وضع «اقتصادي» يسمح لهم باقتداء الأخنام ... لكن الوثيقة أيضاً تحمل توقيع عدد لا يأس به من الحرارنة . كذلك ينبغي عدم اغفال أن المطران طوبيا عون الذي حرض الفلاحين في البداية ضد المشايخ ، هو الذي قاد حركة المصالحة بين الأهالي والمشايخ . راجع الوثيقة وتواقيعها في : العقيقي ، أنطوان ضاهر ، ثورة وفتنة ص ٢١٤ - ٢١٧ .

Chevallier D. Aux origines des troubles agraires .. p. 55.

(٧)

فلاحية، وكانت أوقاف الأديرة قد استثمرت استثماراً جيداً بفضل الرهبان لدرجة أن الأديرة شكلت طرفاً رئيسياً في إنتاج الشرانق وتجارتها. إذن إن الدور الذي طمحت الكنيسة المارونية أن تلعبه «سياسياً» انسجاماً مع وزنها الاقتصادي في الجبل، يفسر إلى حد كبير حجم دورها الكبير في قيادة الحركة الفلاحية. فهي التي صاغت برناجها المطليبي. وعيّنت مسارها وحدودها في نهاية الأمر<sup>(٨)</sup>.

إذن ليس صحيحاً - كما ردت وتعدد «أدبيات» تاريخية عديدة تحمل صفة الماركسية - أن الكنيسة «ركبت» الانتفاضة الفلاحية واستغلتها، وأعطتها طابعاً طائفياً ساعد على حرفها وتحويلها إلى فتنة طائفية عام (١٨٦٠)<sup>(٩) ؟</sup>

إن البرنامج المطليبي الفلاحي الذي اشترك الخوارنة بشكل أساسي في صياغته، والذي ينطوي على مضمون «تحديثي» في جوهره (القضاء على صلاحيات المشايخ الإدارية والسياسية، لا سيما في مجال جباية الضرائب وما يستتبعها من ظلامات وتجاوزات)، لا يعبر (البرنامج) كما يخيل للباحثين المتأثرين بالمفاهيم الأوروبيية في تاريخ الشرق العربي، عن صعود «طبقة برجوازية» لها مطالبه وبرناجها. فعناصرها الناشئة، وإن كانت قد احتكت بأشكال متفاوتة بظاهر الفكر الغربي لم تشكل «طبقة اجتماعية متGANSE»، فقد بقيت موزعة الولاء بين الكنيسة والمشايخ وال فلاحين.

أما من أين استلهمت المطالب «الديمقراطية» التي تضمنتها عرائض الأهالي؟ فيمكن أن نجيب: إن «التنظيمات العثمانية» التي تمثلت بصورة خاصة في خط «شريف كلخانة» الصادر عام (١٨٣٩)، و«الخط الهمایوني» عام (١٨٥٦)، شكلت خلفية المطالب المطروحة ومرجعها<sup>(١٠)</sup>.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٩) على سبيل المثال : كتابات فؤاد قازان ، عبدالله حنا . راجع ما يذكره عبدالله حنا في هذا الموضوع: القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان (١٨٢٠ - ١٩٢٠) - بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(١٠) راجع «جريدة» المطالب التي قدمها أهالي كسروان الى البطريرك في : العقيقي .. ص ١٦١ - ١٦٢ .

ومن المعروف أن «الإصلاحات» العثمانية كانت تحملها وتنادي بها عناصر «ليبرالية» داخل الحكم العثماني نفسه، لكنها (الإصلاحات) كانت من ناحية أخرى تشكل نوعاً من الاستجابة لارادة الدول الاستعمارية ورغبتها في «تحديث» مؤسسات السلطنة العثمانية «وتطويرها» وفق ما تمله ضرورات التغلغل الاقتصادي والسياسي والثقافي لهذه الدول في ولايات الامبراطورية.

إذن لا يمكن أن نعتبر العناصر البرجوازية الناشئة المحلية هي صاحبة ذاك الفكر «الإصلاحي» و«الديمقراطي» الذي بُرِزَ في المطالب المطروحة في كسروان.

إن الأكليروس الماروني حين يلجأ للاستشهاد «بالتنظيمات العثمانية» و«ترتيبات شكب افندى» التي تتضمن عملياً، إلغاء للدور السياسي والإداري «للمقاطعجي» فإنما يفعل ذلك بدافع تقليل أطراف «المشيخ»، ونزع صلاحياتهم الإدارية والسياسية. وأما التحرك الفلاحي بحد ذاته، وإن اخذ في مرحلة معينة من تطوره شكلاً عنيفاً ضد المشيخ تحطى الحدود التي رسمها له الأكليروس الماروني (حكومة طانيوس شاهين)، فإنه بقي مع ذلك في سيره العام ونهايته أسير تلك الحدود. فما أن بدأ الصدام الطائفي في المقاطعات الجنوية عام (١٨٦٠)، حتى رأينا طانيوس شاهين يستعد لنجددة «أخوانه المسيحيين» في الجنوب<sup>(١١)</sup>. كذلك ما أن استتب الأمر للكنيسة بعد (١٨٦١) ولع نجم يوسف كرم «كزعيم ماروني» شهدنا نهاية صامتة مغمورة لطانيوس شاهين على يد يوسف كرم، وباياعاز من البطريرك الماروني نفسه<sup>(١٢)</sup>.

(١١) من مضمون رسالة وجهها طانيوس إلى قرى الفتوح والكافور : «... قر الرأي أنا كافة نقوم «جهورنا» لأجل مساعدة أخوتنا المسيحيين والمحاماة عنهم وصيانة محالتنا . فيلزم أن تحضر من طرفكم نقالة العدة وبحضر أيضاً مع جهوركم نساء عاقلات لتقديم الماء لجمهوركم ، ويلزم أن تخذلوا نفرين عاقلين لأن يكونوا في الديوان في الزوق ... » أحوصم طانيوس شاهين ١٠ حزيران ١٨٦٠ ». العقيقي ، ص ٢١٢ .

(١٢) العقيقي ، ص ١٣٥ .

أما في الحدث الثاني (١٨٦٠)، فصحيح أن التناقض القائم بين علاقات الم الرابعة والوضع الجديد «للمرابعين» هو الذي فجر أيضاً الصدام بين الدروز - وجلهم عائلات كانت صاحبة «مقاطعات» في الشوف وجزين - وبين الموارنة وأكثراهم «مرابعون». لكن هذا التناقض امتد في المقاطعات الجنوبية «динاميكية» خاصة استمدت عناصرها من الواقع التالية:

- ١ - إن الطائفة الدرزية كانت قد بدأت تشهد منذ أول القرن الماضي تقهيراً اقتصادياً وسياسياً أول ما طال عائلاتها «المقاطعية».
- ٢ - رافق هذا التقهير تقلص هائل في عدد أفراد الطائفة، مقابل ازدياد كبير في عدد أفراد الطائفة المارونية.
- ٣ - إن التغلغل الاقتصادي الفرنسي في الجبل وفي الوسط الماروني بالذات، ارتكز إلى علاقات تاريخية، ذات طابع ثقافي ثم لم تثبت أن تحولت إلى علاقات سياسية - ايديولوجية مع «الامتيازات»، و«الحماية»، وتکاثر الارساليات والمدارس. لذلك كان الموارنة أكثر استعداداً لقبول هذا التغلغل الاقتصادي في منتصف القرن التاسع عشر، وتشكيل قاعدته المحلية. وذلك عكس الدروز الذين وجدوا في هذا التغلغل خطراً عليهم، فوقوا ضد انتشار «الحالات» حتى الانكليزية منها، في مناطقهم<sup>(١٣)</sup>.

هذا «الاستعداد الماروني» لقبول عملية التوسيع الاقتصادي الفرنسي في الجبل (مزيد من زراعة التوت، وتأسيس حللات الشرانق) لم يكن إلا ليعطي موقف الدروز المعارض للتوسيع الاقتصادي الغربي طابعاً معاذياً لفرنسا والموارنة معاً. فالدروز وجدوا - على حد «انطباع» أحد معاصرهم - في الانتفاضة الفلاحية المارونية ذات القيادة الاكليركية «مؤامرة مسيحية - فرنسية» تستهدف القضاء عليهم<sup>(١٤)</sup>.

(١٣) نذكر بموقف الأمير أمين ارسلان من مشروع رجل الأعمال الانكليزي «سكوت» Scott .

(١٤) ذلك هو «انطباع» الدروز كما نلمسه في مذكرات من عاصر منهم الأحداث : راجع حسين أبو شقرا ، الحركات في لبنان ، ص ١٠٤ - ١٠٩ .

ولا نظن هنا أن الصراع الانكليزي - الفرنسي كان عاملًا حاسماً في الصراع الدرزي - الماروني كما يعتقد البعض. فرغم ما يقال من أن بريطانيا حاولت استقطاب الدروز إلى سياساتها، وقدمت لهم المساندة والمعونة مقابل مساندة فرنسا للموارنة، فإن ما ينبغي التشديد عليه هنا هو أن خط بريطانيا في التعامل مع الدولة العثمانية لم يراهن على دعم الأقليات «الأثنية» والدينية في الداخل. فحتى سنة (١٨٧٨) ظلت بريطانيا تدعم وحدة السلطنة العثمانية والعالم الإسلامي في وجه مشاريع التقسيم الفرنسية والروسية، وذلك في ظل مزيد من الهيمنة المالية البريطانية على أسواق السلطة والبلدان الإسلامية<sup>(١٥)</sup>. ولم تكن مواقف الدبلوماسية البريطانية من الصراعات الداخلية إلا مواقف ظرفية وظفتها في محملها في خدمة خطها الأوروبي في التعامل مع الباب العالي. إذن إن طبيعة علاقة الدروز ببريطانيا - وهي علاقات ذات طابع فردي - تختلف عن طبيعة علاقة الموارنة بفرنسا. فهذه العلاقة الأخيرة استطاعت بفعل امتدادها التاريخي الطويل وبركيائزها الاقتصادية الجديدة وبالنشاط الثقافي الذي رافقها، أن تغرس «أوهاماً» شتى، وأيديولوجية شعبية لدى الطائفة المارونية؛ منها على سبيل المثال: «الأمة المارونية»، «الموارنة جزء من الأمة الفرنسية» «فرنسا: الأم، الصديقة، الحامية الخ»<sup>(١٦)</sup>.

٤ - الأمر الأخير الذي ينبغي التشديد عليه، وهو ما كان من شأنه أن يعطي أيضاً لوقف الدروز طابعاً معاذياً «لفرنسا والمسيحيين» معاً، هو أن شعور الدروز أنهم مهددون «بخطر فرنسي - مسيحي» إثر تحرك الفلاحين الموارنة، كان يتغذى ويتعمق بتناقض رئيسي ينمو على امتداد المنطقة السورية بكاملها. ذلك أن التجمعات الإسلامية، كانت تعيش بشكل أساسي على الانتاج الحرفي والزراعي، وذلك على أساس تنظيم تقليدي للعمل (بالنسبة

Chevallier D. Société du Mont Liban... p. 285.

(١٥)

(١٦) راجع : ريستل هوبر Ristelhueber : تقاليد فرنسا في لبنان (الترجمة العربية) لبنان ١٩٢١ وغالب حنا، فرنسا صديقة ومحامية.

للحرف)، يعتمد الحني والعائلة والارتباط الديني المتمحور حول أمام المسجد، أو «طريقة» معينة من طرائق الصوفية (الطوائف) <sup>(١٧)</sup>.

إن هذا التنظيم بطابعه الديني - العائلي كان يمد أصحاب الحرف والتجار الصغار في المدن الإسلامية - وفي كثير من الأحيان التاجر والحرفي واحد - بعناصر من التماسك وبقوة دفاع ومقاومة أمام الأخطار التي تهدد «للمقمة الرزق الحلال» <sup>(١٨)</sup> التي يجذبونها من خلال نشاطهم الاقتصادي. هذا النشاط الذي كان يتم في إطار سوق عربية - إسلامية، تند من استانبول حتى القاهرة وتؤمن له الاستمرار ضمن وثيرة مقبولة إلى حد ما <sup>(١٩)</sup>.

بيد أن هذه الوتيرة آخذة بالتناقص منذ أوائل القرن التاسع عشر، فبتأثير غزو السلع الأوروبية للأسواق المحلية، أخذ الانتاج الحرفي، لا سيما في مجال انتاج المنسوجات القطنية والحريرية يتراجع بصورة تهدد الفئات الاجتماعية التي تعتمد منه بمزيد من الافقار.

في هذا الوقت كانت الأقليات المسيحية في المدن الإسلامية قد اتجهت نحو تعاطي النشاطات الاقتصادية التي ولدتها حاجات التغلغل الاقتصادي الأوروبي. فإذا بالنشاط المالي وتجارة الاستيراد من أوروبا والتصدير إليها يقع بمعظمها في منتصف القرن التاسع عشر بيد مربين ومصريفيين ووكلاء مسيحيين <sup>(٢٠)</sup>.

وهكذا لم يكن ليقتصر الصدام الطائفي على جبل لبنان وحده (بين موارنة ودروز). فالتناقض، بين جاهير إسلامية تعيش على الحرف والانتاج

---

(١٧) جب وبيون المجتمع الإسلامي والغرب ، راجع فصل «الحرف» .

(١٨) مثل شائع بين حرفين دمشق : راجع : ماسينيون Massignon مقدمة كتاب : « قاموس الصناعات الشامية » - القاسمي .

(١٩) راجع احصاءات وتعليقات : Cuinet Vital. *Géographie administrative* p. 395 - 366 et p. 46 - 47.

Corm G. *Contribution à l'étude des sociétés multiconfessionnelles* p. 221 - 223. (٢٠)

الزراعي والتجارة الداخلية من جهة، وبين التغلغل الغربي الذي شكل «غنى» المسيحيين رمزه المحلي، من جهة ثانية، انفجر في العديد من المدن السورية ذات الطابع الاسلامي. وليس من العلمية في شيء أن نحاول أن نرى في «الفتنة» أصابع أجنبية - أوروبية أو تركية، أو مؤامرة من قبل «جناحي القطاع اللبناني» كما يقال لحرف الصراع الاجتماعي الذي انفجر عام (١٨٥٨). إن «الاصابع» الأجنبية - وهي موجودة فعلًا - ما كان بإمكانها أن تخلق الأحداث وتلعب بالطائف على هواها. ثمة موقع اجتماعية وسياسية متناقضة احتلتها الطوائف إثر التغلغل الاستعماري في المنطقة. وان احداث (١٨٦٠) تعبر عن صدام هذه الواقع بالذات.

وهذا لا يعني أن الانتفاضة الفلاحية لم تؤد إلى أية نتيجة في التغيير الاجتماعي والسياسي في الجبل. فعوامل الانتفاضة تشابكت مع العوامل التي فجرت الوضع برمتها في المنطقة. ولما كانت العوامل، جميعها، مع تعقدتها وتشابكها تتقاطع عند عامل رئيسي وحاسم: التغلغل الاستعماري في المنطقة وما نتج عنه على صعيد داخلي من تناقضات اجتماعية، وعلى صعيد خارجي من سياسات دولية متضاربة حيال الامبراطورية العثمانية، فإن الصيغة التي طرحت كحل للتناقضات المختلفة في كل أنحاء المنطقة السورية بما فيها «الجبل»، قد تحكمت فيها جملة من العوامل:

- توازن مصالح الدول الاستعمارية.
- سياسة التنظيمات في الدولة العثمانية (ال التقسيم الاداري العثماني الجديد ١٨٦١ - ١٨٦٤).
- ميزان القوى الجديد الداخلي كما استقر إثر احداث (١٨٦٠) وإثر التدخل العسكري الاجنبي الذي شكلت الفرق الفرنسية قوامه الرئيسي ، والذي كان من أهم نتائجه المباشرة ترجيح كفة الموارنة.



# الصيغة الجديدة في الجبل

## «نظام أسي» في إطار تنظيم إداري و مالي جديد لكل الولايات العثمانية

تكمّن وراء الهدف الذي أعلنته فرنسا كشعار لتدخلها العسكري (حماية موارنة جبل لبنان وكاثوليك سوريا) أهداف غير معلنّة لها حساباتها الخاصة في سياسة نابليون الثالث، وقادت الحملة الفرنسية الجنرال بوفور «Beaufort»، وغرفة الصناعة الفرنسية في ليون. وعلى رأس هذه الأهداف التي كشفها «أرشيف» وزارة الحربية ووزارة الخارجية الفرنسية مشروعان رئيسيان: أولاً، حماية رؤوس الأموال الفرنسية في سوريا وإعادة النظام والأمن إلى جبل لبنان لأنفاذ موسم الحرير، وإعادة بناء «الحالات» التي تهدمت، وتأمين اليد العاملة لها. ثانياً: خلق «دولة عربية» تابعة لفرنسا بين الأناضول ومصر اقترح لرأستها الأمير عبد القادر الجزائري المقيم آنذاك في دمشق<sup>(٢٢)</sup>.

إذا كان الهدف الأول قد تحقق خلال إقامة الجنود الفرنسيين في الجبل، فإن الهدف الثاني اصطدم بعوائق عديدة أهمها:

---

Emerit Marcel, La crise syrienne et l'expansion économique française en 1860, (٢٢) Revue historique CCVII 1952, 67 ème année, pp. 211 - 232.

- معارضته بريطانيا لأي مشروع من شأنه تقسيم السلطنة العثمانية.
  - مطلب موارنة جبل لبنان - وقد شعروا «بالاطمئنان» بسبب وجود الجنود الفرنسيين بينهم - بإيجاد شكل دائم من أشكال «الحماية» الثابتة في الجبل<sup>(٢٣)</sup>.
  - طبواوية مشروع «الدولة العربية» في وقت كانت فيه الجماهير العربية المسلمة في سوريا تشعر بانتهاء عميق للدولة العثمانية؛ وكان من الصعب على مرشح فرنسا (الأمير عبد القادر) أن يغير في هذا الأمر شيئاً.
- وكان من نتيجة ذلك أن تقلص المشروع الفرنسي «الكبير» ليصبح مشروععاً «صغرأً»: «خلق دولة مسيحية في جبل لبنان». لكن حتى هذا المشروع عاد فاتخذ تحت ضغط بريطانيا والباب العالي صيغة «تسوية» أخذت بعين الاعتبار: أولاً الحرص على وحدة الدولة العثمانية في إطار إعادة تنظيم ولاياتها على أساس مزيد من «المركزية» و«التحديث»؛ ثانياً: نزوع موارنة جبل لبنان لاحتلال موقع «خاص» في المنطقة يسمح لفرنسا بالتدخل بحججة حماية «الأقليات» من خلال «صيغة رسمية» معترف بها «دولياً».

وفقاً لذلك كان «بروتوكول» (١٨٦١) الذي عدّ عام (١٨٦٤) فكان أساس صيغة نظام «متصرفة جبل لبنان».

هذه الصيغة التي سيشدد على أهميتها في أوائل القرن العشرين من قبل قوى اجتماعية مارونية لتصبح «محطة» أساسية على طريق صياغة نظرية «لبنان - الأمة»<sup>(٢٤)</sup> لم تكن تملّك حين وضعها عام (١٨٦١) أية دلالة على أنها تتوجّع «لحركة استقلالية» كما «نُظر» لها فيما بعد، أو حاول بعضهم أن يماطل بينها وبين الحركات الاستقلالية البلقانية<sup>(٢٥)</sup>. فالتنظيم الإداري لمتصرفة جبل

(٢٣) راجع بعض نصوص المراسلات بين بوفور ونابليون الثالث من جهة ، والأكليروس الماروني من جهة ثانية في : غالب حنا ، فرنسا صديقة ومحامية ، ص ٣٥٥ - ٣٦٠ .

(٢٤) راجع الفصلين الخامس والسابع من هذا الكتاب . . . .

(٢٥) يناقش دومينيك شفاليه هذه المسألة في *Société du Mont - Liban*

لبنان هو جزء من تطبيق قانون تنظيم الولايات عام (١٨٦٤) الذي اشترك في وضعه «شخصيتان اصلاحيتان في جهاز الدولة العثمانية: فؤاد باشا ومدحت باشا»<sup>(٢٦)</sup>. بيد أن نقاطاً أربعاً ينفرد بها «النظام الأساسي» الموضوع لجبل لبنان عن غيره من أنظمة الولايات الأخرى:

- ضرورة كون المتصرف مسيحياً.
  - الاستقلالية المالية لإدارة المتصرفية.
  - تنظيم جهاز درك داخلي لحفظ الأمن من الأهالي أنفسهم؛ على أن تتمركز فرق من الجيش العثماني على طرقات بيروت - دمشق - صيدا، ويمكن للمتصرف، بعدأخذ رأي مجلس الادارة، أن يطلب من السلطات العسكرية في ولاية سوريا دخول هذه الفرق إلى جبل لبنان.
  - ضمان الدول الأوروبية الكبرى «للنظام الأساسي» الموضوع، وأخذ موافقتها على تعين المتصرف من قبل الباب العالي<sup>(٢٧)</sup>.
- فيما عدا ذلك فإن متصرفية جبل لبنان هي متصرفية عثمانية شأنها في تنظيم الادارة والقضاء والعلاقة مع الباب العالي شأن بقية المتصروفات والسنائق العثمانية.

على الصعيد الاجتماعي، وكجواب مباشر على الاضطرابات الفلاحية التي عمت الجبل، والتي اتخذت بشكل أساسى طابعاً معاذياً «للمقاطعجين» - لا سيما انتفاضة كسروان - نصت إحدى مواد «النظام الأساسي» (السادسة في النظام الموضوع عام ١٨٦١، والخامسة في النظام المعدل عام ١٨٦٤) على «المساواة بين الجميع، إلغاء امتيازات الأقطاعيين، والامتيازات العائدة للمقاطعجين». كما ألحت المادة ١٥ من النظام الصادر عام (١٨٦٤) على «ضرورة إجراء إحصاء للسكان في أسرع وقت ممكن على أساس الطائفة والمقاطعة ومسح كل الأرضي المزروعة».

(٢٦) عرض، الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ - ١٩١٤.

(٢٧) راجع نصوص البروتوكولات في :

وعلى هذا الصعيد أيضاً، نلمس بوضوح بصمات أوروبا الرأسمالية في السياسة الاصلاحية العثمانية التي كان قد بوشر بها منذ (١٨٣٩). فالخلط بين المفهوم الأوروبي عن «الاقطاعية» *«Feodalité»*، والمفهوم الشرقي - الإسلامي عن «الاقطاع» و«المقاطعجية» (بالتعبير العثماني) واضح في النص الفرنسي للنظام الأساسي<sup>(٢٨)</sup>:

«Egalité de tous devant la loi, abolition de tous les priviléges féodaux et notamment de ceux qui appartenaient aux mouqâtha’adji».

من الضروري التذكير هنا ان هم الدولة العثمانية من «الاصدارات» كان يتركز بشكل أساسى على إلغاء نظام «الالتزام» في الجباية، لا في جبل لبنان وحده، بل في كل الولايات العثمانية. ذلك أن هذا النظام كان في نظر الاتجاه العثماني «الاصلاحي» في الدولة، يبعث الأموال، ويؤدي إلى تجاوزات ومظالم حيال الفلاحين. وهذا بالتحديد ما قصده تعبير: «إلغاء الامتيازات العائدة للمقاطعجين».

أما تعبير «إلغاء امتيازات الاقطاعيين» فلا يملك أي معنى اجتماعي وسياسي محدد على أرض الواقع، لا في جبل لبنان ولا في المناطق الأخرى. انه مجرد انعكاس تجريدى لمفهوم يرتبط بواقع تطور الرأسمالية في أوروبا ونهاية «الاقطاعية الأوروبية» بعلاقتها الاجتماعية والسياسية من قنانة، وسخرة، وهيمنة سياسية وإدارية مطلقة في المقاطعات. وتلك علاقات لم يتضمنها نظام «الالتزام» ولا وظيفة «المقاطعجين» في علاقتهم بالأرض والفلاحين، وإن تضمنت علاقات «المحاصصة» أو «الشراكة» أشكالاً من التبعية التي تنحو بصورة جزئية نحو شكل خفيف من أشكال القنانة<sup>(٢٩)</sup>.

وهكذا، فإن ايراد تعبير «إلغاء امتيازات الاقطاعيين»: «Féodaux» في

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) من الضروري هنا أن يعاد النظر في ما كتبه بولياك حول «قنانة» الفلاح وارتباطه بالأرض في كتاب : الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ، (الترجمة العربية) بيروت ١٩٤٨

نص النظام الأساسي عام (١٨٦١) لا يعني كما يعتقد البعض إعلاناً «لنهاية الاقطاعية» وصعود «البرجوازية» وهو اعتقاد لا علاقة له بالواقع المحلي وتطوره.

وعلى كل حال لا زالت كلمة «الاقطاعية» في جعلها مرادفة بالمعنى للكلمة الأجنبية «Féodalité» تثير الكثير من الاشكالات، وتدفع بالكثير من الباحثين إلى استنتاجات خاطئة حول تطور المجتمعات الإسلامية - العربية، وذلك بجعلها مماثلة في تطورها بالمجتمعات الأوروبية<sup>(٣٠)</sup>.

ما يهمنا في سياق استكمال البحث، أن نعرف كيف طبقت الصيغة الجديدة على أرض الواقع؟ كيف انتظمت القوى الاجتماعية المختلفة فيها؟ كيف تحولت في نهاية المطاف إلى صيغة أيديولوجية «للبنان - الوطن»؟.

---

(٣٠) راجع في هذا الشأن: محمد باقر الصدر مفهوم «الاقطاع» في الاسلام، اقتصادنا، ص .٤٥٦-٤٦٢

raguح حول طبيعة «الاقطاع» مقالة :

Claude cahen L'évolution de l'iqtâ du IX au XIII siècle Annales 1953, pp. 25 - 52.



- ٣ -

## انتظام القوى الاجتماعية المختلفة في إطار الصيغة الجديدة

استطاع «النظام الأساسي» لجبل لبنان أن يحتوي عبر الأجهزة والاطارات التي يدعو لاقامتها عبر (مجلس الادارة، والقائمقانين ، والمديرين ، والقضاة ، وشيخ الصلح ، وجهاز الدرك...) جمل القوى الاجتماعية التي شكلت أطراف الصراع في فترة ما قبل (١٨٦٠) .

فبالنسبة «للمشايخ والأمراء» شكل الجهاز الاداري الجديد مركز جذب ومصدر تعويض . فلكي يخفي هؤلاء انهم الاقتصادي ويعوضوا عن خسارة وظيفتهم «كمقاطعجين» ( هذه الوظيفة الملغاة في النظام الأساسي ) وجدوا في جهاز الادارة الجديد خير وسيلة للتعويض ، لا سيما وأن التقسيم الاداري الذي أقره النظام الأساسي وفق صيغة «الأقضية والتواحي» استعاد صيغة «المقاطعات» السابقة . ولذلك وجد «الأمراء والمشايخ» ( أصحاب المقاطعات سابقاً) في وظيفة «قائمقام» القضاء و «مدير» الناحية استمراً بجانب من وظيفتهم القديمة (الجانب الاداري) التي كانت تمارس سابقاً باشراف «الأمير الكبير» ، ولكن هذه المرة باشراف المتصرف الجديد ، وعلى أساس تعين فردي وفوري من قبله . مما سمع «للعصبية» الكبيرة التي كانت

تحكم التحالفات العائلية التي كانت تسمح بدورها «للأمير الكبير» أن يعتلي هرم السلطة السياسية الاجتماعية المحلية ، أن تحول إلى «عصبيات» صغيرة تتمحور حول الوظيفة الادارية الجديدة الفردية . وهذا ما أتاح بالتالي للمتصرف ، من جهته ، أن يستخدم المنافسات العائلية القائمة في كل قضاء وناحية بيسر كبير ، واذا اقتضى الأمر فالمتنافسات داخل العائلة الواحدة . وهذا بدوره أدى سريعاً إلى التفاوت «الأمراء والمشايخ» حول «المتصرف» وطلب رضاه ، وتأكيد تعبيتهم له مقابل الحصول على الوظيفة .

وهكذا ، فخلال ثلاثة أيام من تسلم المتصرف الأول داود باشا ، عُينَ قائمقاماً كل من الأمراء والمشايخ : «جعید شهاب ، حسن شهاب ، عبدالله أبي اللمع ، مراد أبي اللمع ، ملحم أرسلان ، قيس شهاب . كذلك ، فإننا لا نرى في وظيفة «مدير الناحية» وذلك طيلة عهد المتصرفية إلا أسماء كشهاب ، أبي اللمع ، مزهر ، جنبلاط ، عبيد ، عبدالملك ، أرسلان ، نكد ، تلحوق ، عازار ، خازن ، حبيش ، الدحداح»<sup>(٣١)</sup> . وحسب الاحصاء الذي يجريه توفيق توما على لوائح القائمقamins والمديرين بين (١٨٦٤ و ١٩١٤) هناك (٣٧) قائمقاماً بينهم (٢٣) يتمون إلى عائلات «تقليدية» (مشايخ وامراء) ، و (١٤) من أصول برجوازية ريفية صاعدة . كذلك بالنسبة للمديرين ، نجد (٢٦٠) مديرًا يتمون إلى عائلات «تقليدية» ، و (٧٧) من أصول طبقية جديدة<sup>(٣٢)</sup> .

أما بالنسبة لأعضاء مجلس الادارة فاننا نلاحظ ظاهرة جديدة : أن معظم اعضائه لا سيما بالنسبة للموارنة يتمون إلى أوساط الفئات الاجتماعية الجديدة الصاعدة اقتصادياً في الجبل<sup>(٣٣)</sup> . فهل في الأمر ، وعلى هذا المستوى ، ثمة تغير في العلاقات الاجتماعية السائدة ؟

Touma, T., op. cit., p.p 225 - 338.

(٣١)

Ibidem p. 338.

(٣٢)

(٣٣) راجع بعض أسماء أعضاء مجلس الادارة في مذكرات : الحكيم يوسف ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٦٥ - ٦٦ .

ينبغي التذكير أولاً بأن التمثيل في مجلس الادارة لم يكن يتم في بادئ الأمر على أساس انتخابي ، وإنما بتعيين من قبل المتصرف ووفق تسوية كان يلعب الأكليروس الماروني دوراً مهماً فيها . ثم لما اتبعت الطريقة الانتخابية (طريقة تكليف شيخ الصلح في القرى) تحول مجلس الادارة إلى مسرح صراع بين قوتين أساسيتين في الجبل : السلطة «المدنية» الممثلة بالمتصرف من جهة ، والأكليروس الماروني من جهة ثانية . وأما المرشحون وهم في غالبيهم لا سيما بالنسبة لمرشحي الموارنة - من الأغنياء الجدد ، فشكلوا حالاً أكثرية المتصرفيين أدوات ابتزاز ليس أكثر .

ولما كانت صفة التمثيل طائفية ، فقد تداخل تمثيل المرشحين «لطائفهم» مع المعطيات الجديدة للوضع القائم إثر الصدامات الطائفية ، وقيام سلطة تنفيذية مطلقة الصلاحية تقريباً (المتصرف) وهيمنة الأكليروس الماروني كما سترى . ان مشهد الجلسة الأولى لاجتماعات مجلس الادارة يلخص تلخيصاً واقعياً الدور «التمثيلي» الذي يمكن أن يلعبه مثل هذا المجلس في ظل تلك الظروف الجديدة . فـ «عندما تقابلت الطوائف المست في المجلس لأول مرة ، لم تهتم بالتشاور والاتفاق ، بل بمراقبة بعضها ، وبعدم ابداء رأيها الصريح ، وقد خشي كل طائفة أن ترى نفسها وحيدة في مناقشة المتصرف طرائق الحكم ، وبالتالي من أن تجر على نفسها انتقاماً يدلي مركزها لصالح الطوائف الأخرى ، ويحررها من المراكز الرسمية الجديدة التي تصرف بها السلطة التنفيذية »<sup>(٣٤)</sup> .

نخلص إلى القول: ان الادارة الجديدة شكلت حقلًا جيداً للتنافس والصراعات بين القوى الاجتماعية المختلفة . فعدا الوظائف العليا (قائم مقام ومدير) شكلت الوظائف الأخرى أيضاً (قضاة، درك ، كتبة... ) محور «العمل السياسي» لهذه القوى ، مما أدى إلى ترسخ مقاييس «ادارية - اجتماعية» ربطت «العصبيات» القائمة والمولدة في الجبل بكل مستوياتها «بالادارة» ومنافعها .

---

(٣٤) طربين أحد ، لبنان منذ عهد المتصوفة حتى عهد الانتداب ، ص ٣٥ .

أما علاقات «المقاطعجين» بالفلاحين ، التي ألغيت بالنص فقد استمرت عبر بقاء وجهها الاقتصادي والاجتماعي . فقد مارسها بالإضافة إلى «المقاطعجين» السابقين عناصر «الطبقة الجديدة». فهذه الأخيرة اشتهرت معظم أراضي «المشايخ» واستثمرتها على طريقة «المرابعة» ، وببحث عن جاهها السياسي عبر القيم الاجتماعية القديمة ، فكانت عناصرها تدفع معظم الأحيان ثمن المنصب في مجلس الادارة ، وتشتري لقباً عثمانياً «مرموقاً» (بيك ، أفندي ، باشا .. الخ .) تباهى به<sup>(٣٥)</sup> .

أما بالنسبة للأكليروس الماروني ، فكان قد خرج من احداث ٥٨ - ٦٠ بانتصار كبير . كانت الانتفاضة الفلاحية قد كسرت هيبة خصومه من «المشايخ» ، وكانت الحرب الأهلية قد أعطت الكنيسة المارونية من خلال دورها القيادي فيها وزناً اجتماعياً وسياسياً وتنظيمياً شديداً الفعالية . أضف إلى ذلك الوزن الاقتصادي للأديرة المنتشرة بكثافة في كل مكان في الجبل ، لا سيما في مناطق كسروان والشمال . (ملكت الأديرة ثلث الأراضي الزراعية في الجبل وشكلت طرفاً مهماً في انتاج شرانق الحرير)<sup>(٣٦)</sup> .

إذن كان من المحم أن يقطف الأكليروس الماروني ثمار هذا الانتصار في المرحلة اللاحقة . لكن لم تقف سلطة المتصرف شبه المطلقة عائلاً في وجه هذا الدور السياسي المرتقب؟ ان ثنائية السلطة هذه طرحت الصراع منذ البدء . صحيح أن الأكليروس لم يكن يطمع في استلام السلطة مباشرة ، لكنه كان يعمل على حل واقع «الثنائية» لصالحه ، وبصورة يشل فيها صلاحيات «المتصرف» بشأن كل ما يمكن أن ينتقص من امتيازاته وهيمنته (السياسة الضريبية ، وضع أوقاف الأديرة ، علاقة السلطة المدنية والمحاكم القضائية ببرجال الأكليروس .. الخ ..).

لقد شكل تدخل الكنيسة المارونية في شؤون تعيين الموظفين وانتخاب

Touma T. op. cit; p. 339.

(٣٥)

Chevallier D. Société... p. 246 - 256.

(٣٦)

اعضاء مجلس الادارة ، وسيلة من وسائل التأثير على المتصرف . فبالاضافة الى ذلك شكلت تحركات يوسف كرم ذات الدوافع الشخصية «الطموحة» شكلاً من أشكال معارضة «الحاكم الأجنبي» وإرباكه لمصلحة الأكليروس .

فيوسف كرم كان قد برع «بطل ماروني» في الحرب الأهلية عام (١٨٦٠) ثم انه إثر تعينه من قبل فؤاد باشا قائمقاماً على الشمال وقيامه بتصفية وجود طانيوس شاهين وجماعته تولد لديه طموح شديد في أن يصبح «الحاكم الوطني» لجبل لبنان . هذا ما حركه طيلة (١٥) سنة ضد المتصرين الذين حكموا خلال هذه الفترة (١٨٦٢ - ١٨٧٧) . لكن الحركة من حيث قاعدتها الشعبية المارونية ذات الطابع الفلاحى وامكانياتها كانت مرهونة في نهاية المطاف بموقف الكنيسة المارونية .

ففي الفترة الأولى من عهد النظام الجديد (عهد داود باشا) تميز موقف الكنيسة بدعم شديد لحركة العصيان التي قادها يوسف كرم . فالخوارنة في القرى كانوا يدعون الناس في الكنائس للمشاركة الفعلية ثم حولوا الأديرة إلى مراكز للتجمع والتعبئة ، وحل الكثير منهم السلاح مع كرم . يصف «ندرة مطران» هذا الواقع فيقول : «بفضل الدعاية الدينية أصبح كرم «بطلاً أسطورياً» نسبت إليه أعمال حربية خارقة ، وأشيع أن السيدة العذراء ظهرت عليه ، ووضعت صورته في الكنائس ، وكان الناس أصبحت على اعتقاد أن المخلص أقى أخيراً» (٣٧) .

إلا أنه بعد هزيمة كرم عام (١٨٦٦) ، والتي لم تكلف داود باشا شيئاً يذكر ، تبخرت هذه الدعاية بسرعة . فالكنيسة تحلت فجأة عن يوسف كرم ، وكتب البطريرك إليه يدعوه للامتثال والخضوع لأوامر المتصرف .

هذا الموقف المفاجئ للكنيسة يفسره إلى حد كبير موقف الحكومة الفرنسية المعارض لأي تحرك من شأنه إضعاف صيغة «النظام الأساسي» الذي يخوضن مصالح فرنسا في الجبل . اذ يخاطب القنصل الفرنسي مبعوثي

البطريرك في موضوع دور الكنيسة في دعم يوسف كرم : «أنتم تهددون بالصواعق الروحية بحرمان البنات اللواتي يعملن في مصانع غزلنا لأنهن لا ينفصلن بما هو كاف عن الصبيان ، ثم لا تجدون ما تعلمونه ضد فرد يسيء استعمال اسمكم ويسير بالسلاح ضد حكومة بلدكم » (٣٨) .

كذلك ، فإن موقف البابا المعارض لعصيان كرم كان له تأثيره بدون شك (٣٩) . وعلى كل حال ، فإن ما كان يتغيه الأكليريك الماروني ليس هو اتصال كرم إلى الحكم ، وهو أمر يعرف البطريرك جيداً ، انه يستحبيل في ظل الظروف الدولية السائدة . لقد شكل كرم ورقة معارضة ووسيلة ضغط ليس أكثر . فكان أن انفطرت هذا الخلف بين كرم والبطريرك بعد التدخل الفرنسي والبابوي لمصلحة داود باشا . وبدأ صراع سجالي بين الطرفين ، كانت نتيجته محاولات يائسة من جهة من قبل كرم لدى البابا والحكومة الفرنسية ومحافل دولية أخرى ، ومن جهة ثانية مزيد من التكامل في المصلحة بين الجسم الأكليريكي ومؤسسات النظام الجديد ، تكامل لا يخلو بالطبع من تناقضات تنفجر بين الحين والآخر ، ولكنها تجد دائماً حلها في «تسويات» تقوم بين «الحاكم المدني» والبطريرك ، وتتضمن في معظم الأحيان مصلحة هذا الأخير (٤٠) .

إن بعض أمثلة تاريخية على ذلك من عهد رستم باشا (١٨٧٣) - (١٨٨٣) (٤١) توضح وجة تلك التسويات :

- عندما قدم رستم باشا مشروعه لتنظيم الضرائب عام (١٨٧٥) أتت المعارضة شديدة من الكنيسة مما سبب فشل المشروع وتراجع الحاكم .

(٣٨) طربين أحد ، لبنان ، ص ١٨٣ .

(٣٩) المرجع نفسه ، ص ١٨٥ .

(٤٠) المرجع نفسه . ص ١٨٥ .

(٤١) اقتبسنا الأمثلة التاريخية من طربين أحد ، لبنان منذ عهد المصرفية ، حيث يتسع المؤلف في بحث علاقة الأكليريك الماروني بمتصرفي الجبل ، ص ٢٩٦ - ٣٣٤ .

- في عام (١٨٧٧) دعي أحد الرهبان للشهادة في قاعة المحكمة ، بيد أن البطريرك رفض السماح للراهب بالامتثال أمام المحكمة ، وذلك حرصاً على المحافظة على التقليد ، في أن يبقى الجسم الأكليريكي مستقلاً عن القضاء المدني وغير خاضع لطائته . وانتهى الخلاف «بسوية» قضت في أن يستمع لشهادة الراهب في مقر مجلس الادارة .

- الأزمة التي قامت بين المتصرف والمطران بطرس البستاني . كان المطران - وهو صديق قديم ليوسف كرم - قد حاول أن يحرض الأهالي ضد الحاكم وذلك بالرغم من معارضته البطريرك لهذه السياسة . مما دعا المتصرف إلى اعتقال المطران ونفيه إلى فلسطين . لكن النتيجة كانت سريعة : تناهى البطريرك خلافه مع المطران وتدخل القنصل الفرنسي من أجل المطران ، فكان أن عاد المطران مكرماً على ظهر سفينة فرنسية إلى أبرشيته بعد وقت قصير .

في إطار ميزان القوى هذا ، حيث هيمن الاكليرicos الماروني هيمنة كاملة ، كانت تبني ادارة جبل لبنان . ولعل هذا ما جعل أحد المراقبين الأوروبيين يصف البطريرك عام (١٨٨٠) بأنه «الزعيم السياسي والديني لأمة تيوقراطية»<sup>(٤٢)</sup> .

لا عجب ، فالطائفة المارونية كانت قد شكلت الأكثريّة الساحقة في المتصوفية ، وتسلّمت معظم الوظائف الأساسية في الادارة تحت اشراف البطريرك . وحتى جهاز الدرك كان قد لحظ مشروع اعداده أن يكون التوزيع على أساس الطوائف وبالشكل التالي :<sup>(٤٣)</sup> .

---

Charmes Gabriel, *Voyage en syrie, impressions et souvenirs* Paris, 1981, cité par (٤٢)  
Touma T. op. cit; p. 331.

(٤٣) طربين أحد ، لبنان منذ عهد المتصوفية ، ص ٩٥

موارنة	١١٩٧ عنصراً
أرثوذكس	٢٠٤ عنصراً
دروز	١٩٦ عنصراً
كاثوليك	١٣١ عنصراً
شيعة	٦٣ عنصراً
سنة	٤٩ عنصراً

ولا يخفى ما لهذه الوظيفة من أهمية في إطار العلاقات السياسية والاجتماعية السائدة . فرجال الدرك وقد «ورثوا» دور «ازلام» المشايخ الذين كانوا يكلفون بجباية الضرائب من الفلاحين، شكلوا جهاز «سلطة» جديدة برزت فيها الغلبة الطائفية المارونية بشكل واضح ، وتدخلت فيها بحمل العلاقات العائلية التي عكست تراتبها هذه المرة داخل تراتب الادارة الجديدة .

هذا ، لكن يبقى السؤال الأساسي حتى هنا بدون جواب . كيف حلت مسألة الأرض التي كانت في أساس التوتر الاجتماعي بين (١٨٤٠) و(١٨٦٠)؟.

رأينا كيف أن أجهزة النظام الجديد احتوت القوى الاجتماعية المتصارعة في اطار «مؤسسات» حضنت «التقليدي» و «الجديد» في آن معاً . لكن هذا التطور ما كان يمكن أن يحصل لو لا التطور الاقتصادي الذي حصل في الربع الثالث من القرن التاسع عشر والذي كان من أبرز معالمه : التحول السريع في ملكية الأرض ، وتوسيع مشاريع «تحليل» شرانق الحرير في الجبل .

لم تكن الدعوة العثمانية لمسح الأراضي والتي تكررت في النظام الأساسي بجبل لبنان ، هي التي أدت فعلياً إلى التحول في طبيعة ملكية الأرض . ذلك أن هدف السلطة العثمانية الذي توخى توسيع «الملكية الفلاحية» في الجبل ، فشل تماماً بسبب اصطدام مشروع المسح بفساد الموظفين ونفوذ المشايخ في القرى وقدرتهم على تزوير أو تحريف «الشهادة»

المحلية<sup>(٤٤)</sup> . وأما من جهة أملاك الكنيسة ، فلم تمس لأنها تعتبر «وقفاً» «لا يطاله التشريع المدني»<sup>(٤٥)</sup> .

الخلاصة أن الملكية الكبيرة لم يمسها الاصلاح الزراعي العثماني بشكل أساسي . فقد توزعت الملكيات في سوريا قبل (١٩١٤) وفق النسب التالية<sup>(٤٦)</sup> :

ملكية كبيرة	% ٦٠
ملكية متوسطة	% ١٥
ملكية صغيرة	% ٢٥

يبد أنه تجدر الملاحظة أن توزيع الملكية في جبل لبنان لم يصل إلى هذا الحد من التمركز . صحيح أننا لا نملك أرقاماً في ذلك ، لكننا نستطيع أن نلاحظ بسهولة أن عملية تفتت تدريجي للملكية وانتقال الأرض من مالك إلى آخر كانت تأخذ طريقها بعد (١٨٦١) . هذه «العملية التاريخية» ارتبطت بظاهرة «ارتفاع» اجتماعي ميز بصورة أساسية الطائفة المارونية . ويمكن تلخيص العوامل التي أدت إلى مسار هذه العملية كما يلي :

١ - إثر حوادث الستين عرفت الطائفة الدرزية هجرة كثيفة نحو حوران ، رافقتها عمليات بيع للأراضي في الجبل للموارنة بشكل خاص . في حين (١٢٢٠) معاملة بيع مسجلة في قضاء الشوف بين (١٨٦٣ و ١٨٦١) نجد أن ثلاثة أرباع البائعين كانوا من الدروز ، وثلثي المشترين من الموارنة<sup>(٤٧)</sup> .

وهكذا ، ففي أواخر القرن التاسع عشر أصبح المسيحيون وعلى رأسهم الموارنة المالكين الأساسيين للأراضي الزراعية في الجبل . إن بياناً بعدد

Weulersse j. op. cit ; p. 95.

(٤٤)

Ibidem p. 59.

(٤٥)

Cardon k. op. cit; p. 95.

(٤٦)

Cardon k. op. cit; p. 105.

(٤٦)

(٤٧) طریقین أحد ، لبنان ، ص ٧٣ - ٧٤ .

المكلفين بدفع ضريبة «الويرك» العقارية على أساس الانتهاء الطائفي ، وضع في السنوات الأولى من القرن العشرين ، يعطينا فكرة أدق عن التوزيع الطائفي للأرض كما استقر في أواخر القرن التاسع عشر<sup>(٤٨)</sup>.

الطوائف*	عدد الذكور	ضريبة الويرك على الأموال
اسلام	٣,٣٩٤	١٧٣,٢٧١ قرشاً
دروز	١٢,٤٦٧	٦١٨,٤٢٩ قرشاً
متاوية	٤,٢١٢	٥٩,٦٦١ قرشاً
موارنة	٥٧,٤٢٠	١,٣٤٤,٦٣٠ قرشاً
روم أرثوذكس	١٣,٥٥٢	٢٩٠,٠٥٢ قرشاً
روم كاثوليك	٨,٦١٧	١٣٣,٤٥٥ قرشاً
بروتستانت	١٧٢	٦,٩٥٤ قرشاً
يكون	٩٩,٨٣٤	٢,٦٢٦,٤٥٢ قرشاً

٢ - افتتاح باب الهجرة إلى شتى المدن السورية القرية وإلى مصر وأستراليا وأميركا الشمالية والجنوبية . وقد كان معظم المهاجرين إلى هذه البلدان فلاحين «ومرباعين» موارنة . (يقدر عدد المهاجرين بين ١٨٦٠ و ١٩٠٨ بـ ١٠٠ ألف كلهم مسيحيون وأغلبهم موارنة)<sup>(٤٩)</sup> . فكان أن شكلت الهجرة مصدرًا اقتصاديًّا مهمًّا لعائلات مارونية كثيرة . فالمهاجر كان يرسل إلى ذويه مبالغ من المال ، أو يعود وبحوزته ثروة ما جناها خلال سنوات . هذا الأمر وفر للفلاح امكانية أن يتحوّل إلى ملاك فعلي ، أو أن يزيد من أملاكه السابقة . وقد ساعد في ذلك أن المشايخ الذين تمسكوا سابقاً بالأرض باعتبارها قاعدة للسلطة (وظيفة المقاطعي) ، اتجهوا ابتداء من (١٨٦١) نحو الادارة باعتبارها القاعدة الجديدة للسلطة . فكان هؤلاء

(٤٨) حفي بك ، دراسات علمية واجتماعية ، ص ٦٢٦ .

(\*) احتفظنا بتسمية الطوائف كما وردت في النص الوثائي .

يسارعون لبيع أراضيهم ، ويأسعار زهيدة لتوفير المال الضروري لشراء منصب اداري ، أو للحفاظ على مستوى «لائق» في حياتهم الاجتماعية . ان عملية انتقال الأرض من فئة اجتماعية الى أخرى كانت تتم اذن دون صدام . وقد شكل ذلك «المخرج» السلمي للتناقضات التي انفجرت بين (١٨٤٠ - ١٨٦٠).

وكان أن ترافق هذه «السيولة الاجتماعية» مع مظاهر البحبوحة الاقتصادية التي عممت في العديد من قرى الجبل في الوسط المسيحي - الماروني . اذ نقرأ في تقرير الدكتور كارسلو Carslow أحد المبشرين الاسكتلنديين الذين أقاموا في قرية الشوير (١٨٩٣ - ١٨٩٤) ما يلي : «في طريقنا الى الجبل لاحظنا تحسانا ملمساً في معالم القرى التي مررنا فيها . فقد كانت أعمال البناء في قرى كثيرة على قدم وساق . كانت السقوف الترابية تزال ويوضع مكانها سقوف من قرميد مرسيلايا الأحمر . وكانت النوافذ تدهن بالدهان الأخضر ، وكان كل شيء يدل على الرخاء والسعنة . (....) وللشوير الآن بلدية تقوم بأعمال في البلدة تدعو إلى الاعجاب والأكبار . فقد عبدت الشوارع ، وانشتئت عيون الماء ، ونظفت مغاورها .. وجهزت جميعها بمواسير من حديد . ومنذ زمن قصير جداً وضعت البلدية أربعة مصابيح تضاء بالказار لانارة الشوارع الرئيسية ... ولا يرضى العمال الآن بالأجور التي كانت تدفع لهم منذ سنوات . (....) ويبدو أيضاً أن مظاهر هذا الغنى والازدهار مرده الى رجوع عدد غفير من الذين كانوا قد هاجروا الى البرازيل ، والولايات المتحدة ، وأوستراليا ، لسنوات خلت . وبعد أن جمعوا ثروات عظيمة بشتى الطرق عادوا الى أوطانهم ليتمتعوا بالعيش الهايء ...»<sup>(٥٠)</sup>.

٣ - عامل مهم آخر ساهم في «الارتفاع الاجتماعي» للطائفة المارونية هو التوسع في الاستثمارات الفرنسية في مجال زراعة التوت وحل الشرانق في

---

(٥٠) ورد في: زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، ص ٤٩ - ٥٠

سورية عامة وفي جبل لبنان خاصة . ففي عام (١٨٨٥) مثلاً كان في جبل لبنان (١٠٥) (حلالات) ترتبط جميعها برساميل فرنسية ، سواء كان أصحابها «وطنيين» أو أجانب . وكان معظم هذه «الحلالات» مقاماً في القرى المارونية (٥١) .

وقد ساهمت مساعدة رئيس المال الفرنسي لأصحاب «الحلالات» المحلية في تكوين نمط من «الرأسمالي» في الجبل هو في ذات الوقت : «مالك وصناعي وتاجر» (٥٢) . وكان هذا «الرأسمالي» بفعل أرباحه التي يجنيها من تجارتة مع فرنسا في ميدان الحرير يوسع أملاكه ، ويتحول إلى مالك كبير جديد ، يتبع أسلوب «المرابعة» في استثمار الأرض ، لكنه يفرض سيطرته ورقابته على «المربعين» والمال الصغار بفضل ثروته المالية (٥٣) .

وكان من جراء توسيع انشاء «الحلالات» في جبل لبنان أيضاً ، أن فتح مجال واسع لتشغيل اليد العاملة . وهذا المجال أيضاً تحدد في حيز جغرافي - طائفي ، فين الـ (١٢٠٠٠) عاملة ، والـ (٢٠٠٠) عامل عام (١٩١١) نجد (٨٥٠٠) موارنة ، (٢٠٠٠) كاثوليك ، (٢٥٠٠) ارشوذكس ، (١٠٠٠) دروز (٥٤) . صحيح « ان الأجور - كما يقول دومينيك شفاليه - كانت زهيدة جداً وأن ظروف العمل مرهقة . بيد أنه ما كان يحسب بالنسبة للعامل والفلاح المسيحي ليس وضعه الخاص بالذات . فهذا الأخير ما كان يرى إلا بؤس غيره من فلاحي المناطق الأخرى من سوريا ، وهو بؤس أكبر من بؤسه بكثير » (٥٥) .

Chevallier D. *Les bases d'une intervention*, p. 292.

(٥١)

(٥٢) من بين أصحاب صناعة الحرير التي ساهمت في عام ١٨٩٥ بحدود ٤٥٪ من الدخل الوطني في الجبل ، لا نجد الا اسمين من عائلات مقاطعية قديمة ... Touma T. op. cit; p. 373.

(٥٣) يعطينا دومينيك «شفاليه» مثلاً على هذا النمط من «الرأسمالي»: عائلة لحود التي ملكت أراضي واسعة تند من كسروان حتى مشارف بيروت الشمالية ، وتعاطت صناعة تخليل الشرائق وأقامت علاقات تجارية وثيقة مع ليون .

Chevallier D. *Société du Mont Liban*, p. 296.

(٥٤) المرجع نفسه ، ص ٢٩٨ .

(٥٥) المرجع نفسه ، ص ٣٠٠ .

نخلص إلى القول : إن مجموعة من المصالح اتحدت في إطار جغرافي - اداري - سياسي واحد . هذا الإطار تحدد جغرافياً بجبل لبنان ، وادارياً بنظامه الأساسي وما نتج عنه من أجهزة ، وسياسيًا بهيمنة العلاقات التقليدية ضمن سلطة قالت فيها قوى مختلفة : الأكليروس الماروني - العائلات القديمة والجديدة ضمن توجهين : ادارة ورأسمال ؛ بالإضافة إلى كل ما تتدخل في هذه العلاقات من مراكز قوى للتنفيذ الأجنبي ومداخلات القناعات .

تبقى كلمة لا بد منها . إن هذا الإطار الذي ضم مجموعة المصالح هذه ، كرس هامشية الطائفة الدرزية التي كانت قد أصبحت نسبتها في عهد المتصرفية حوالي (١٠٪) فقط من عدد السكان . فقد بقيت على هامش التطور الاقتصادي الذي أصاب الموارنة وعلى هامش التقرير «السلطوي» (من خلال عضوية مجلس الادارة) . لذلك كانت «السيولة الاجتماعية» تendum في وسطهم مما كان من شأنه بالمقابل أن يدعم «الوحدة الطائفية» تحت قيادة نفس الزعامات : ارسلان وجنبلاط<sup>(٥٦)</sup> . وما كان من شأنه أيضاً أن يدفع بدروز جبل لبنان إلى التعرف إلى «هویتهم السياسية» عبر التطلع إلى أخوانهم في حوران . ولعل في ترشيح الأمير شيكيب ارسلان (وهو شوفي) عن حوران لعضوية مجلس «المعونان» العثماني<sup>(٥٧)</sup> بعد ١٩٠٨ دلالة واضحة لهذا النزوع خارج إطار متصرفية جبل لبنان حيث انعقدت مجموعة المصالح المارونية .

وهكذا يمكن أن نقول إنه في غضون عهد المتصرفية نشأت في جبل لبنان ، «حركة سياسية» مارونية بقيادة البطريرك ، يمكن تعريفها انطلاقاً من نشوئها على قاعدة علاقات اجتماعية عربية موروثة تحورت حول السلطة وما تدره من منافع «بعصبية مارونية» جديدة . هذه العصبية ما لبثت في أوائل القرن العشرين مرحلة التقسيم الامبرالي للعالم أن عبرت عن نفسها بصياغة ايديولوجية «قومية» وذلك بفعل عاملين خارجين :

(٥٦) انطباعات يديها الرئيس بشارة الحوري في مذكراته ، حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، ص

. ٣٦

(٥٧) راجع : الأمير شيكيب ارسلان ، سيرة ذاتية .

- ١ - الثقافة الغربية التي أعطت ثمارها في الجبل وفي الوسط المسيحي - الماروني على وجه التحديد .
- ٢ - مصلحة الدول الكبرى في التقسيم على أساس خلق «دولات / وطن» على شاكلة مقلدة «للدولة / الوطن» في أوروبا .

### الفصل الثالث

منظفات لفهم الاتجاهات السياسية العامة  
في المشرق العربي (١٩٢٠-١٨٧٦)  
أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين



- ١ -

## المدن الداخلية والساحل وجبل لبنان

بقيت ولاية بيروت تعتبر جزءاً من ولاية سورية حتى عام (١٨٨٨)، العام الذي فصلت فيه عن ولاية سورية لتكون ولاية مستقلة ترتبط بوزير الداخلية العثماني، وتدار بواسطة موظفين مدنيين وعسكريين. وقد شملت ولاية بيروت السناجق التالية: سنجق بيروت، سنجق عكا، سنجق طرابلس، سنجق اللاذقية، سنجق نابلس، وكان سنجق بيروت مؤلفاً من (٤) أقضية أصبحت تشكل بعد (١٩٢٠) جزءاً من «لبنان - الكبير»: قضاء بيروت، قضاء صيدا، قضاء صور، قضاء مرعيون. أما البقاع والسفوح الغربية من السلسلة الشرقية فشكلت جزءاً من قضاء بعلبك التابع لولاية سورية<sup>(١)</sup>.

وفي الوقت الذي كان يشهد فيه جبل لبنان مرحلة ازدهاره الاقتصادية، وكانت تتبلور فيه تلك «العصبية المارونية» السياسية الجديدة، ماذا كان شأن المناطق المجاورة وماذا كان من أمر سكانها؟

- Cuinet vital, op. cit; p.4, p.3124, p.324.

(١)

في الواقع كان معظم سكان هذه المناطق من المسلمين (سنة وشيعة). وبالرغم من أنه يصعب دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للسكان دراسة وافية في هذا السياق ، فإنه يمكن أن نؤكد أن هذه المناطق ظلت بعيدة تماماً عن الازدهار الاقتصادي الذي شهدته الجبل بفعل توسيع استثمارات رأس المال الفرنسي في ميدان زراعة التوت وصناعة الحرير . وعلى سبيل المثال نذكر أنه بلغ بين (١٩٠٤ و ١٩٠٠) معدل انتاج جبل لبنان وحده من شرائق الحرير حوالي ٤ ملايين كلغ، بينما لم يبلغ معدل الانتاج في بقية المناطق السورية كلها هذه الأعوام أكثر من مليون كلغ واحد من الشرائق<sup>(٢)</sup>.

اذن ، على ماذا اعتمد سكان تلك المناطق في معاشهم الاقتصادي ؟

نظرة متفحصة للإحصاءات واللوائح التي يوردها «فيتال كونيه» V. Cuinet في كتابه : «الجغرافية الإدارية لسوريا ولبنان وفلسطين» المطبوع عام (١٨٩٤) ، حول النشاط الاقتصادي والانتاج السائد في كل من المناطق السورية ، تجعلنا نؤكد باختصار على الواقع التالية :

- شكلت المناطق السورية الداخلية (حوران ، حمص ، حماة ، حلب). مراكز كبرى لانتاج الحبوب وتربية الماشية<sup>(٣)</sup> .
- شكلت المدن الساحلية المنفذ الرئيسية لهذا الانتاج الزراعي والحيواني .

- بين الساحل والداخل السوريين توجد قصبات عديدة ، شكلت بدورها محطات مهمة للقوافل وأسواق تصريف لجزء مهم من المنتجات القادمة من الداخل . وهكذا كان - على سبيل المثال - شأن (النبطية، الخيم،

(٢) حقي بك «دراسات علمية اجتماعية» .

(٣) حسب تقدير Cuinet أنه خلال خمسة أشهر بلغ تصدير حوران من القمح ما معدله حولة ٦٠٠ جمل يومياً ، أي ما يعادل ٢١٠ كيلو حولة لكل جمل . وهذا يساوي ١,٢٦٠,٠٠٠ كيلو أي حوالي ١٨٩ ألف طن .

- Cuinet Vital, op. cit; p.p 346 - 347.

بنت جبيل ، سوق الخان ، بعلبك) وغيرها من القصبات التي تمر بها طرق القوافل بين سوريا الشمالية والجنوبية وفلسطين والداخل .

لقد قدمت هذه القصبات أيضاً ، عبر الدور الذي لعبته كمحطات ومراكز تسويق محلي (على مستوى القضاء والقرى المجاورة) مورداً اقتصادياً مهماً لسكانها . وقد قامت ركيزة هذا المورد على تبادل متوجات محلية (زراعية وحيوانية بشكل خاص). وكانت أهمية هذا المورد مرهونة باستمرار العلاقة بين الداخل والداخل السوريين .

وهكذا كان الحال أيضاً بالنسبة للمدن الساحلية . فقد بقيت أهميتها الاقتصادية كمراكز تسويق وتصريف مرهونة بعمق الداخل الذي يمدّها بمتوجاته . فمثلاً لم تكن صادرات مرفأ صيدا (حبوب وماشية) - وكما يمكن أن تستخرج من لوائح Cuinet - هي من متوجات قضاء صيدا وحده(٤) . وكذلك مدينة صور . وتعطينا مدينة طرابلس نموذجاً أكثر وضوحاً عن هذا الواقع . فقد بلغت قيمة الانتاج الحيواني والزراعي لسنحق طرابلس في عام (١٨٩٤) حوالي (٢٩٠,١٩٤) فرنك ، بينما بلغت قيمة المنتوجات المصدرة من مرفأ المدينة لنفس العام حوالي ١٨,٥٩٨,٨٠٧ من الفرنكـات (٥) . اذن بالإضافة إلى أن المدينة كانت مركزاً لسنحق شمل مناطق واسعة امتدت حتى حمص ، لعب مرفأ المدينة دوراً هاماً في عملية تصريف متوجات سوريا الشمالية .

من خلال الواقع الأولية ، يمكن أن تستخرج أن تجارة الساحل والقصبات الداخلية من المسلمين كانوا يرتبون بشكل أساسي بالداخل السوري . وكانت مبادلاتهم التجارية ترتكز إلى عمليات تسويق المنتوجات الزراعية والحيوانية والحرفية . ومن خلال تفحص لوائح التصدير والاستيراد للمدن الساحلية والداخلية السورية نلاحظ أيضاً أن مصر وبقية الولايات

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

(٥) من خلال لوائح cuinet عن صادرات وواردات مرفأ طرابلس لعام ١٨٩٤ .

العثمانية هي التي شكلت السوق الرئيسي لهذه المنتوجات . أما أوروبا فلم تكن تستورد الا المواد الأولية الضرورية لصناعتها (القطن وخيوط وشراشف الحرير) <sup>(٦)</sup> .

هذا الواقع الذي يتجه نحو تخصيص التجار المسلمين المدينين في مجال النشاط الاقتصادي الهاشمي والداخلي ، يستند بالطبع إلى موقف اسلامي محافظ ، معاد للغرب الذي اعتبر مصدر «خطر» على الدين (بما هو قيم وتراث وانتهاء). فإذا أضفنا أن تجار المدن ذات الطابع التاريخي الاسلامي كانوا يرون كيف تغرق أسواقهم بسلع الغرب المصنعة ، وكيف يتشر الوكلاء المستوردون من الطوائف المسيحية في «مدنهم» ، وكيف تزداد الهوة اتساعاً بينهم وبين زملائهم المسيحيين ، أدركنا أن وسيلة الدفاع والمقاومة لدى الفئات الاجتماعية الاسلامية لا يتيحها حينذاك ، الا تأكيد الانتهاء الایديولوجي الى الاسلام والاربطان السياسي بالدولة العثمانية .

يضاف إلى ذلك أن ردة فعل التجار المسلمين المدينين ضد الغرب ، جاءت أيضاً في سياق بروز تناقض أكثر حدة بين ظاهرة الغزو الاستعماري للأسوق المحلية وفئات اجتماعية اسلامية واسعة ارتبطت بعاشها ومصيرها ومستقبلها بالحرف المحلية ، لا سيما الحرف النسيجية .

كان هذا القطاع قد استطاع - بالرغم من المنافسة الاوروبية له منذ بداية القرن التاسع عشر ، وتراجعه النسبي في منتصف القرن - أن يحافظ على وظيفة محدودة من الاستمرارية حتى أواخر القرن ، وذلك بفضل قدرته على أن يستجيب للحاجات والتقاليد والأدوات المحلية في شتى بقاع الامبراطورية العثمانية . لقد كانت مدن مثل دمشق ، حمص ، حماة ، حلب ، بيروت ، طرابلس ، تنتج كل أنواع النسيج القطني والحريري الذي يحتاجه سوق الاستهلاك المحلي وأسوق استانبول ، بغداد ، مصر ، ومناطق أخرى من

---

(٦) المصدر نفسه . راجع اللوائح في الملحق رقم ٦ .

الدولة العثمانية . هذه الحرف ، شكلت أيضاً ، أهمية اقتصادية كبرى بالنسبة لمجموعات سكنية مدنية واسعة . اذ إنها كانت تستوعب اعداداً مهمة من الأيدي العاملة (١٥ - ١٠٪ من السكان) . إذ يقدر Cuinet عدد عمال النسيج في ثلاث مدن فقط (دمشق ، حماة ، حلب) في أواخر القرن التاسع عشر بـ (٥٣٩٠٠) عامل<sup>(٧)</sup> .

لكن ، بالرغم من هذا الصمود النسبي ، كان وضع هذه الحرف قد أصبح في السنوات الأولى من القرن العشرين يعاني وضعياً دقيقاً وحساساً . فقد ابتدأت الصناعات الأوروبية تقلد الأنماط الخاصة بالنسيج السوري ، والتوجهة إلى الأذواق المحلية ، وأخذت تزاحمه في أسواقه الخاصة وبأسعار مغربية جداً<sup>(٨)</sup> .

وكان أول من دق ناقوس هذا الخطر على مصير الحرف المحلية السيد بول هوفلين Paul huvelin أستاذ القانون في جامعة ليون ورئيس البعثة الفرنسية المؤفدة إلى المنطقة لدراسة امكانات سورية في أوائل القرن العشرين .

يتحدث السيد Huvelin في تقريره الموجه عام (١٩١٩) إلى مؤتمر الصناعيين والتجار في مرسيليا (ما قيمة سورية؟) عن هذا الخطر ، يقول : « ان تنظيم العمل في المشرق لم يخط نقطة النمو التي وصل لها في القرون الوسطى . ففي أسواق دمشق وحلب يستمر العمل كما كان منذ (٥٠٠) سنة . والحقيقة أنه ليس ثمة صناعة بالمعنى الدقيق في سورية ، أعني بذلك أن يكون شكل الانتاج متميزاً بتقسيم العمل على أساس حركات بسيطة ، منجزة بواسطة عمال مختصين ، وما يستتبع ذلك من استخدام للألة وترابط رؤوس أموال كبيرة ووجود جهاز موظفين . لا يوجد في سورية الا حرف ،

(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .

(٨) بيهم محمد جميل ، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ، القاهرة ١٩٥٠ ص ١٨٠ .

أي مشاغل انتاج صغيرة يتم توزيع العمل فيها بصورة بدائية . فرب العمل يشتغل وحده أو مع عدد قليل من العمال وبرأسمال صغير وعدة بسيطة . كان الحرفيون يتكتلون على أساس الانتهاء للحي في «البازار» ، وكانت مشاغلهم تطل مباشرة على الشارع حيث تستخدم في نفس الوقت كمحلات للبيع »<sup>(٩)</sup> .

بعد هذا الوصف الدقيق ينذر Huvelin باحتمالية زوال هذه الحرف اذا لم تتحول إلى «صناعة رأسمالية» وفق «النموذج الأوروبي». ويقترح Huvelin اذن «رسول الاستعمار الفرنسي» المشروع «التكنيكى» الرأسمالي لإنقاذ هذه الحرف . ييد أن الفئات الاجتماعية الاسلامية المتخرطة في هذا الميدان ما كان بإمكانها أن تعرف الى هذا المشروع . فقد رأت في مصدره سبيلاً لتفهيرها وعاملأً لخرايبها . وهي لذلك وجدت في أشكال تنظيم عملها كما استقرت منذ القرون الوسطى وفي تكتلها العائلي المهني في الحي والسوق ، والمتدخل مع ارث عريق من المؤسسات العربية - الاسلامية (المسجد ، صلاة الجمعة ، الطريقة ، التجمعات المهنية التي يربط ما بين أفرادها ميثاق شرف)، وجدت في هذه الأشكال أساليب حالية ودفعاً في وجه الغزو الأوروبي بشتى صوره، سواء كان هذا الأخير سلعة أو «تكنولوجي» أو ثقافة. يضاف الى ذلك أن ايديولوجية «القناعة» في الربح والتي لخصها المثل الذي شاع في أواسط الحرفيين «للمقدمة كسب حلال»، شكلت أيضاً عنصراً من عناصر التماسك الاجتماعي<sup>(١٠)</sup>.

يضاف إلى هذا التماسك ما بين الحرفيين أنفسهم ، روابط وثيقة بعملائهم من التجار والمستهلكين ، روابط أمتتها حضارة اسلامية احتضنت

- Huvelin Paul, *Compte rendu de la mission française en syrie, Que vaut la syrie?* (Mai- Septembre 1919) Fasc 1 Paris - Marseille, congrés français de la syrie, P. 26.

(١٠) راجع مقدمة ماسينيون لكتاب «قاموس الصناعات الشامية» القاسمي ، ص ٩

بدورها شبكة مهمة من العلاقات الاقتصادية تتدفق من الأناضول حتى مصر<sup>(١١)</sup>.

ويكفي أن نستنتج من كل هذا ، أن الفئات المدينية في المشرق العربي (التجار والحرفيون) ، كذلك العناصر الاجتماعية المرتبطة بنشاطها الاقتصادي (عمال وأصحاب دكاكين ..) شكلت عبر انتمائها الإسلامي وانتظامها في إطار من العلاقات البشرية ذات الجذور التاريخية العربية - الاسلامية البعيدة قوى اجتماعية مناهضة للغرب الاستعماري .

هل ينطبق هذا الحكم على الفئات الاجتماعية الاسلامية في مدينة بيروت ؟

في الواقع ، هناك ضرورة لمعالجة أوضاع بيروت على حدة . فهذه المدينة كانت في ذات الوقت مرفأً لدمشق بل لكل سوريا الداخلية ، ومرفأً أيضاً لمتصرفية جبل لبنان . وعبر هذا المرفأ كانت تصدر خيوط وشراشف الحرير المنتجة في الجبل ، كذلك الحبوب والمواد الغذائية والسلع الحرافية الآتية من دمشق ومناطق سوريا الداخلية . كذلك كان هذا المرفأ يستقبل لسوريا كميات ضخمة من السلع الأوروبية المصنعة<sup>(١٢)</sup> . وما زاد في أهمية هذا الدور ، الطريق المعبدة (بيروت - دمشق) التي دشن عام (١٨٦٣) ، كذلك خط سكة الحديد الذي مد بين المدينتين عام (١٨٩٢) واختلط المتفرع منه نحو حوران . ولقد كان من شأن كل هذا أن يكسب مدينة بيروت استقطاباً تجاريًّا هائلاً ، كان من نتيجة المباشرة تقلص أهمية مرفاً صيدا وصور وتراجع «الدور التسويقي» الذي كانت تلعبه «القصبات» الوسيطة الواقعة بين صيدا وحوران .

ومن جهة أخرى كانت بيروت سوقاً رئيسياً للولاية الكبيرة التي تحمل اسمها ، كذلك سوقاً لجبل لبنان ، ومركزاً لكل فعاليته وشؤونه الاقتصادية ،

Cuinet, Vital op. cit,

(١١) راجع أيضاً لواحة التصدير والاستيراد للمدن السورية في :

(١٢) المصدر نفسه ، صادرات وواردات مرفاً بيروت .

حتى أن الدعاوى ذات الطابع التجاري التي كانت تنشأ في الجبل كان لا بد أن ينظر فيها في «محكمة بيروت التجارية».

وما يهمنا هنا هو معرفة كيف توزعت هذه الفعاليات الاقتصادية في المدينة على المستوى الاجتماعي - الطائفي؟ ينبغي التذكير أن بيروت التي كانت سابقاً مدينة اسلامية ، أخذت منذ (١٨٦٠) تفقد طابعها هذا . اذ يقدر Cuinet أن عدد سكان بيروت ارتفع في أواخر القرن التاسع عشر الى (١٢٠) ألف نسمة ولم يشكل المسلمون آنذاك الا ثلث عدد السكان مقابل ثلثين من المسيحيين أغلبهم من الكاثوليك (حوالى ٤٠ ألف) . هذا وكانت النشاطات الاقتصادية في المدينة لا سيما في ميدان التصدير والاستيراد بيد التجار المسيحيين<sup>(١٣)</sup>.

ولم يكن نشاط هذه الطبقة التجارية المدينة - ومعظمها مؤلف من عائلات كاثوليكية وأرثوذكسية - يقتصر على تصدير الحرير من الجبل الى فرنسا ، واما كان نشاطها يمتد الى السوق السوري بكامله حيث كانت عناصر هذه الطبقة تلعب دور وكلاء التصدير والاستيراد من سوريا الى أوروبا وبالعكس .

صحيح أن بعض العائلات الاسلامية البيروتية (بيهم وداعوق مثلاً) انخرطت في هذا الدور التجاري الوسيط الذي أخذت تقوم به بيروت بين أوروبا وسوريا . لكن ينبغي ألا يبالغ في أهمية هذا الدور، كما يفعل جاك كولان - صاحب كتاب «تاريخ الحركة النقابية في لبنان»<sup>(١٤)</sup>.

(١٣) يمكن أن نستعيد على سبيل المثال بعض أسماء يوردها Ducoussou لمصدره «بالات» الحرير في بيروت بين ١٩٠٤ و ١٩١١ : ابناء بصول ، فرعون ، حلو ، ثابت ، طرازي ، فياض ، صباح ، خياط ، خطار ، طراد ، نقاش ، فريج ، حايك ، ناصر ، شرتوني ، الرئيس ، فرنسي ، مفرج ، موصلی ، رياط .. الخ ..

- Ducoussou Gaston, *L'industrie de la soie en syrie..*, Paris 1913, p.p 233 - 235.

- Couland J.: op. cit; p.p 55 - 56.

(١٤)

إن التجارة الإسلامية البيروتية ظلت بشكل أساسي منخرطة في نشاطات سوق داخلي عثماني . بينما بُرِزَت البورجوازية المسيحية البيروتية ذات الطابع غير الماروني على رأس المؤسسات التجارية التي كانت تمسك عمليات الترانزيت بين سوريا وأوروبا .

إن هذا الموقع الاقتصادي الاجتماعي الذي احتلته هذه الطبقة التجارية المسيحية المدينية كان يسمح لها كما قلنا باستيعاب مزدوج لثقافتين (غربية وعربية)، كانتا في أساس تكون ايديولوجية قومية عربية - سورية معادية للأتراك ومشجعة وبالتالي من قبل الدول الأوروبية . وهذا ما سمح منذ (١٨٧٦) ببروز أفكار سياسية غائمة ترفع شعارات من مثل «الوحدة السورية» و «الاستقلال السوري» و «الانفصال عن الأتراك» . وكان ان شكلت الجمعيات «جمعية بيروت السرية مثلاً عام (١٨٨٠)» ، والمحافل الماسونية ، والتعبيرات الأدبية المختلفة (قصيدة ابراهيم اليازجي الشهيرة)، مظاهر التجسيد لهذه الأفكار . ولم تثبت هذه الأفكار بالذات أن شكلت تياراً سياسياً تمثل في «نوع» من الفكر «العلمانى» و «الليبرالي» الذي حلّت لواءه «المقطم» و «المقطف» في مصر .

الخلاصة أن بيروت عرفت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بروز «قوة اجتماعية» قوامها الأساسي التجار المسيحيون . هذه القوة شكلت محور «العمل السياسي» طيلة تلك الفترة فحملت لواء مناهضة الأتراك ، وصاحت عبر مثقفيها مشاريع «الدول - الوطنية» في اطار يتحظى بيروت وجبل لبنان . أما التجار المسلمين فرغم انخراط بعضهم في ذات العلاقات الاقتصادية مع الغرب ، فقد بقيت العائلات الإسلامية البيروتية عامة مشدودة الى موقف ايديولوجي يحرص على عدم التفريط بالدولة العثمانية ، ويتجاوب مع المواقف الاسلامية - العربية التي تصاغ في الداخل العربي ضد «خطر» المستعمر الأجنبي .. لكن مع كل «التردد» الذي يمكن أن يرافق موقفهم هذا نتيجة «الاغراءات» الكثيرة التي يقدمها «غموج» الناجر المسيحي في بيروت والرغبة في احتذاء حذوه . من هنا هذا التردد الذي طبع

الموقف السياسي للعناصر التجارية الاسلامية الأولى في بيروت عندما وضعت أمام خيارات «الاصلاح» والاستعانة «بالمفتشين والمستشارين الغربيين» في حركة بيروت الاصلاحية (عام ١٩١٢) ، والمؤتمر العربي في باريس (عام ١٩١٣) ، وأخيراً في عام (١٩٢٠) وما بعده عندما وضعت أمام خيارات «التوحيد القومي» من جهة، والتجزئة والالتحاق «بنعم» الرساميل الأجنبية من جهة ثانية . وعلى كل حال كانت «القوة الاجتماعية» المهيمنة هي القوة الغالبة سياسياً ولم يكن أمام التجار المسلمين «المدينين» فيما بعد، الا الالتحاق بهذه القوة العالية .

## المجموعات الاجتماعية والنعرف إلى "الهوية السياسية"

إن ما ابتنيناه من خلال التأكيد على المستويات الاقتصادية المختلفة التي احتلتها الطوائف ومناطقها، ليس بالطبع الاستنتاج الآلي بأن الاتجاهات الأيديولوجية والماوف المعاصرة هي تعبير مباشر عن هذه المستويات . إن هذا التأكيد يعني الدلالـة على الصفة اللامتساوية واللامتكافـة للنمو الاقتصادي الذي عرفـته المنطقة ارتكازـاً إلى التغلـل الاستعماري على مستوى الطوائف والمناطق .

إن هذا النمو اللامتكافـة أدى في رأينا إلى تحويل الطوائف إلى «مجموعات» اجتماعية «مختلفة» تملك من خلال مصلحة الفئة الاجتماعية السائدة في كل مجموعة ، ومن خلال ثقافة كل منها القدـية أو المستـجدة ، وجهـات مختلفة في تعـين موقعـها السياسي ، وبالتالي في التعرف إلى هويـتها السياسية في خـضم الأحداث المصـيرـية التي عصـفت بالـسلطـنة العـثمانـية في الـربعـ الأخيرـ منـ القـرنـ التـاسـعـ عـشـرـ ، وأـواـئـلـ القـرنـ العـشـرينـ .

وما ينبغي التأكـيد عليه هنا هو أن تحـولـ الطـوـافـاتـ إلى «ـمـجمـوعـاتـ»

اجتماعية مرتكزة الى مصالح مختلفة وغير متجانسة على صعيدي تحديد العلاقة مع الغرب الامبرالي من جهة ، وال العلاقة مع الدولة العثمانية من جهة ثانية ، كان في أساس تكون الاتجاهات السياسية المختلفة وتعيين وجهاتها العامة . وفي الرابع الأخير من القرن التاسع عشر كان قد تشكل ثلاث مجموعات اجتماعية في جبل لبنان والمناطق الساحلية المجاورة :

١ - الأكليروس الماروني والفئة التجارية الجبلية المارونية . ويشكلان مع شتى الفئات الاجتماعية في الجبل مجموعة بشرية لها مصلحة في التوحد ، من جهة على قاعدة مصالحها المتركزة الى الاستثمارات الفرنسية في مجال زراعة التوت وتربية الشرانق وتحليلها ، ومن جهة أخرى على قاعدة انتمائها الطائفي الذي أعطاه «النظام الأساسي» وأجهزة الادارة الجديدة اطاراً «شرعياً» ينزع أكثر فأكثر الى بناء دولة مارونية مستقلة .

٢ - الفئات الاسلامية المدينية والتي تشكل مع الريفيين من سكان القصبات الوسيطة وملaki الأرضي في المناطق السورية الداخلية (كحوران وحص ...) . والحرفين المنتشرين في المدن السورية، «وحدة مصالح» - وان كانت غير واضحة اقتصادياً - تتنظم في اطار سوق داخلي عربي - اسلامي يتهدد أكثر بالغزو الأوروبي . ما كان يدفع هذه الفئات الى مزيد من التوحد الاجتماعي والتمسك بوحدة الدولة العثمانية بالرغم من التناقضات التي كانت تنشأ أحياناً بين هذه الفئات من جهة والادارة التركية المحلية من جهة ثانية .

٣ - الفئات المسيحية المدينية ، وهي مزدوجة المصلحة والانتهاء . فهي تلعب دور الوسيط التجاري بين سورية وأوروبا . وتحاول مثقفوها استيعاب قيم الحضارتين العربية والأوروبية في آن معاً .

كيف تحددت المواقف السياسية لكل من هذه القوى الاجتماعية حيال الأحداث التي عصفت بالامبراطورية العثمانية في مرحلة تاريخية اتسمت بشكل أساسي ببروز المشاريع الامبرالية في الاخلاق وال التقسيم ؟ .

بالنسبة للمجموعة الأولى ، اقتضت مصالح الفئة الاجتماعية السائدة

فيها الحفاظ على الامتيازات التي ارتبطت «بالنظام الأساسي» للجبل . هذا النظام الذي كفلته الدول الأوروبية ولا سيما فرنسا ، أصبح يشكل منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر عنصراً مهماً من عناصر «الهوية السياسية» للموارنة . غير أن هم الحفاظ على هذه «الامتيازات» التي تزايدت بفعل توسيع الاستثمارات الفرنسية في الجبل ، اصطدمت بوجهة الحكم العثماني السائرة نحو مزيد من المركبية . هذا الشكل من التناقض لم يلبث أن ظهر - لا سيما عندما انكشفت مشاريع التقسيم الامبرialisية في أوائل القرن العشرين - بصورة صراع بين الحكم العثماني الذي يسعى لتشديد قبضته على كل الولايات والمتصوفيات (السياسة الحميدية وتركيا الفتاة) من جهة ، والتطلع الماروني لاكتساب هذه «الامتيازات» مزيداً من التكريس والتتوسيع والاعتراف الدولي بها من جهة ثانية . وقد اكتسب هذا الصراع في غضون الحرب العالمية الأولى صفة التعرف على «الهوية اللبنانية» من خلال ترسخ عاملين : الاعتماد الكلي على فرنسا ، واعتبار «كل ما هو مسلم وتركي سبيلاً للافقار والبلاوي » .

أما بالنسبة للفئات المسيحية والاسلامية في المدن ، وفي بيروت خاصة ، فقد جمع فيها في بعض الأحيان موقف مشترك من الادارة التركية ، لا سيما في بيروت والمرافع والمدن التجارية . ذلك أن فساد الادارة العثمانية (الرشوة ، العجز ، عدم الكفاءة) ، والمعاملات الجمركية المتميزة بالتعقيد والابتزاز ، كانت تقف عائقاً في وجه أعمال التجار كافة . كذلك فان سياسة التمييز العنصري في توزيع الوظائف في ادارة الولاية والسناجق كانت تثير سخطاً واشمئزاً لدى المسلمين والمسيحيين على حد سواء . فوالي بيروت مثلاً كان تركياً ، كذلك متصرف السنحاق ، ومدير الأمن العام ، والمديرون الأول المسؤولون ، وحدها الوظائف من الدرجة الثانية والثالثة كانت من حق الوطنيين . هذا التمييز كان من شأنه أن يثير لدى المثقفين من أبناء هذه الفئات نسمة ما ، وبالتالي رغبة في احتلال مناصب ادارية أساسية<sup>(١٥)</sup> .

---

(١٥) نلمس هذه النقطة في كتابات بعض المعاصرين في أواخر العهد العثماني : الحكيم يوسف . بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ص ٢٦ - ٢٩ .

ييد أن هذه النقطة المشتركة لم تعن أبداً التقاء بالوسائل والأهداف بين الفترين الاجتماعيتين الاسلامية واليسوعية . ففي حين كان مثقفو الورجوازية المسيحية في بيروت المشربون بالأفكار الأوروبية «الليبرالية» قد بدأوا يلهمون بالانفصال عن الأتراك منذ (١٨٨٠) (جمعية بيروت السرية ومناشيرها) وينظرون لهذا الانفصال في باريس عام (١٩٠٥) بتعابير ومفاهيم أوروبية (كتاب نجيب عازوري مثلًا : يقظة الأمة العربية *Le Reveil de la nation arabe*) كان المثقفون المسلمون الذين غلت على ثقافتهم سمات التراث العربي - الاسلامي يرون في هذه الاتجاهات محاولات استعمارية مشبوهة يجب محاربتها<sup>(١٦)</sup> .

إن الخلافات كانت تظهر اذن على مستوى تحديد «الهوية السياسية» لكل فئة ، وتعين موقعها من الدولة العثمانية في خضم الصراعات الدولية الناشبة .

استقلال؟ أم اصلاح في اطار الدولة العثمانية؟ وان كان اصلاحاً ، فمن أي نوع وبأية وسائل؟ تلك هي الاسئلة الخامسة .

أما الأتجوبة فكانت تعين وجهتها ليس فقط الواقع الاجتماعية للفئات ، وإنما أيضاً الوسائل الثقافية المحصلة . فإذا كان صحيحاً بأن النموذج الأوروبي قد شكل بالنسبة للجميع نموذجاً جديراً بالاقتداء ، فإن الصحيح أيضاً «أن أوروبا كانت مكرهـة جداً من المسلمين». صحيح «أن أوروبا كانت - كما يقول مكسيم رودنسون - تمثل نظاماً سياسياً قوياً يحيل للمسلمين أنه يحمل علاجاً لمشاكلهم... لكن في الأساس كان هناك رغبة عميقـة لديهم في استخدام النموذج واكتشاف سره للانتقام»<sup>(١٧)</sup> .

هذا ما يميز في رأينا الموقف الاسلامي السياسي . ظل معارضـاً للتجزئة والانفصال عن الدولة العثمانية حتى عام (١٩١٥). وكان في أساس

(١٦) س تعالج هذه النقطة بالتفصيل في الفصول اللاحقة ، لا سيما في الفصل الرابع .

- Rodinson maxime, *Marxisme et monde musulman*, p. 253.

(١٧)

معارضته هذه ، موقفه المعادي من الاستعمار الغربي الذي كان يبغى النيل من وحدة هذه الدولة . من هنا انحصار تناقضه مع الهيمنة التركية قبل (١٩١٥) في حيز المطالبة بالاصلاح ، ونبيل «حقوق العرب» في اطار الدولة نفسها . هذا هو جوهر مواقف رشيد رضا وشكيب ارسلان وغيرهم من الكثرين الذين التقوا عند الخط الاصلاحي العام الذي مثله الأفغاني ، وعبدة ، والكواكبي . كان هؤلاء يعرفون - اذا جاز القول - اين هو التناقض الرئيسي ، انه مع الاستعمار الغربي لا مع الهيمنة التركية .

اما بالنسبة للبورجوازية المسيحية المدينية : صحيح أنها لم تكن أسرة الموقع الاجتماعي الضيق الذي احتله الموارنة في الجبل في اطار «النظام الأساسي» وسيادة الأكليرicos الماروني ، لكنها بارتباطها الاقتصادي بأوروبا وثقافتها «اللبيرالية» التي ت نحو نحو «العلمانية» وافتتاحها «الكونسوموبوليتي» التي تجسد في انتهاء بعض عناصرها الى المحافل الماسونية ، فانها كانت لا تدعو فحسب للاستفادة من «النموذج الأوروبي» ، بل أيضاً لاعتبار أوروبا صديقة ينبغي أن تتدخل وتحكم لاصلاح حالتنا واعداد «الدولة / الأمة» المشودة .

هذه «الأمة» هي المشرق العربي كما فهمها نجيب عازوري ، وهي «سورية الطبيعية» كما دعا لها فارس غر ويعقوب صروف صاحبا المقاطع والمقططف ، او كما تصورها ندرة مطران وجورج سمنة وخير الله خير الله في كتبهم التي حللت عنوان : «سورية» (١٨) .

إن هذه التزععمة «القومية» حملتها في رأينا - قبل ١٩١٥ - فئات «نخبوية» غير «جماهيرية». والمشروع السياسي الذي نادى به أصحاب هذه التزععمة هو «مشروع انفصالي» ، شجعاته سياسات بعض الدول الكبرى الاستعمارية . وقد يدعوا هذا الكلام الى الدهشة . ولكن ماذا يسعنا أن نحكم حين نقرأ

- Khairallah khairallah, **La syrie**, paris 1912.

(١٨)

= - Samné, Georges, **La Syrie**, Paris 1920.

لفارس نمر - وهو يجادل رشيد رضا في الموقف من الاستعمار - : « انا احتلا لي على رؤوس الأشهاد»<sup>(١٩)</sup>.

حتى شبلي الشميل ، فان النظرة «الكونسوموبوليتية» والعلمانية لأفكاره السياسية كانت تصب «موضعياً» في الموقف «الكونسوموبوليتي» للامبراليه . ففي رأيه «لا بد من أن تحلى عاجلاً أم آجلاً الوطنية العالمية محل الولاء للوطن المحدود»<sup>(٢٠)</sup> . ويبين تأثير هذه النظرة سياسياً عندما نقاش المجلس التشريعي في عام (١٩٠٩) ، مسألة تمديد امتياز قناة السويس وانتهى الى الرفض اذ «كتب شبلي أن من مصلحة مصر تمديد هذا الامتياز وقبول البدل المعروض من الشركة ، لأن التقدم العلمي أسرع اليوم مما كان عليه في الماضي . وكذلك التقدم الاجتماعي ومفهوم الوطن على تحول ، وقرباً سيشمل العالم كله . وعندما ينتهي الامتياز عام (١٩٦٨) ، لن تكون القناة ملكاً لمصر أكثر مما تكون ملكاً للصين أو لأميركا . فلتأخذ اذن ، مصر البدل المعروض ما دام حقها في القناة معترفاً به ، ولتستخدمه في سبيل الخير العام»<sup>(٢١)</sup> .

وهكذا ، اذا كانت الواقع الاجتماعية الفكرية هي التي شكلت العوامل الخامسة في الاختيارات السياسية والايديولوجية لهؤلاء المثقفين . فان ما ينبغي عدم نسيانه هو أن هذه الاختيارات كان يعاد انتاجها عبر أجهزة «ايديولوجية» ، تمثلت في المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت تحضن «ثقافات» متعددة متباعدة ، وتحظى بحقوق وحرية عمل ضممتها للأوروبية منها «الامتيازات الأجنبية» ، وحركة التبشير ، وبالنسبة للمحلية منها نظام «الممل» العثماني .

---

- Moutran Nadra, *La syrie de demain*, paris 1916.

= (١٩) راجع الفصل الرابع من الكتاب .

(٢٠) حواري البرت ، الفكر العربي في عصر النهضة ، ص ٣٠١ .

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٣٠١ .

ينجلي هنا أن التعدد في المدارس **اللهم** شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو جزء من نظام «الممل»، الذي حفظ حقوق الطوائف الدينية في ممارسة شعائرها وثقافتها الخاصة . وفي الواقع ان هذا التعدد لم يعد يعكس الحقائق الاجتماعية ذاتها التي كان يعكسها تعايش الملل المتوازن في ظل النظام الاسلامي - العثماني . بل أخذ هذا التعدد يعكس مع التغلغل الاستعماري في المنطقة حقائق اجتماعية مختلفة ، احدى مظاهرها الخلل الكبير في توازن علاقات الطوائف ببعضها بعضاً ، لا من حيث الوزن الاقتصادي فحسب ، بل من حيث اختلاف الولايات «الثقافية» والسياسية لكل طائفة . ففي حين كان ابناء الموارنة في جبل لبنان يتربون في المدارس الفرنسية ذات التزعنة الدينية المحافظة (كل أنواع مدارس التبشير الفرنسي بالإضافة الى المدارس الاكيليركية المارونية الخاصة) ، كان كثير من ابناء الطبقة التجارية المسيحية المدينية يحصلون ثقافتهم في المدارس الانجليزية الانكليزية والأميركية التي أولت بعض العناية وعلى طريقتها الخاصة ، بالثقافة العربية (جهود المبشرين البروتستانت في هذا المضمار بالتنسيق مع ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وغيرهما..). هذا في حين كان ابناء الأعيان والتجار المسلمين ينجدبون نحو المدارس الحكومية التي انتشرت انتشاراً نسبياً في عهد السلطان عبد الحميد ، والى المدارس الخاصة الاسلامية (المقاصد ، مدرسة الشيخ عباس ..). هذا فضلاً عن المدارس الكثيرة الملحقة بالجوابع وحلقات العلماء التي أمنت جداً من الثقافة الاسلامية التقليدية .

وهكذا في أواخر القرن التاسع عشر كان قد أصبح للتعليم وظيفة ايديولوجية ذات صلة بالاتجاهات السياسية التي ت نحو نحوها القوى الاجتماعية في الداخل ، والتي اعتمدت على بعضها السياسات الاستعمارية الأوروبية . ففي حين أمن التعليم «الارسالي» الفرنسي والاكليركي الماروني

(٢٢) راجع :

- Salam N. L'histoire et le Role de la pénétration et de L'influence Française et anglo - américaine dans l'Enseignement au Liban de 1840 a ١٩١٤,  
( Mémoire ), paris 1974.

أجهزة ادارة جبل لبنان وأصدقاء لفرنسا في كل سورية ، وأمن التعليم الانجلي - الأميركي والانكليزي - دعاء «للديقراطية الغربية» متحمسين لاحتذاء «النموذج الغربي» السياسي ، أمن التعليم الرسمي والاسلامي عامة ثقافة اسلامية تغذت منها ايديولوجية الجماهير الاسلامية حول «الوحدة العثمانية» و «الوحدة الاسلامية» وأخيراً «الوحدة العربية» المشرقية بالشكل الذي ظهرت فيه بين (١٩١٨ - ١٩٢٠) كمشروع سياسي «قومي وحدوي» معاد للسياسات الاحادية ورافض لمشاريعها التجزئية .

هذه النظرة العامة على اتجاهات التعليم تبغي فقط الاشارة الى القنوات الثقافية التي تم من خلالها وعي الواقع الاجتماعي لدى كل فئة وتكوين ايديولوجيتها .

غير أن الايديولوجية ، والاتجاهات السياسية ، وال موقف خضعت أيضاً ، ولا سيما في تعبيراتها التنظيمية والمطلبية لظروف تاريخية معقدة . فمنذ سنة (١٨٧٦) تاريخ احداث بلغاريا ، والبدء الفعلي باقطاع أجزاء من الامبراطورية العثمانية ، حتى سنة (١٩١٨) حيث ستلقي هذه الأخيرة حتفها ، مرت العلاقة بين الدولة العثمانية والدول الاوروبية بسلسلة من الأحداث الكبرى التي سترک آثاراً كبيرة على الاتجاهات السياسية في المنطقة ، وذلك بشكل برامج و «مشاريع دول» وحركات داخلية وتنظيمات مختلفة . وهذا ما سيشكل موضوع الفصول الأربع اللاحقة .

الفصل الرابع

أُشْكَالٌ وَاتِّجَاهَاتُ النَّضَالِ  
ضَدِ الْإِسْتِبْدَادِ الْمُحَمَّدِيِّ  
(١٨٧٦ - ١٩٠٨)



- ١ -

## سياسة السلطان عبد الحميد

بدأت مرحلة جديدة في علاقة الدول الكبرى بالامبراطورية العثمانية منذ (١٨٧٦). ذلك أن التوازن الدولي الذي قام في السابق على قاعدة التسوية بين السياسيين الأوروبيين المتنافسين (سياسة فرنسا الداعية لتقسيم الامبراطورية العثمانية ، وسياسة بريطانيا الداعية بالمقابل الى الحفاظ على تامة الامبراطورية)، عدلته في هذه المرحلة عوامل جديدة أطلقت العنوان للدول العظمى لتدخل فيها بينما في سباق محموم نحو السيطرة والاحراق ، وتقسيم ما تبقى من العالم غير الصناعي . ففتح قناة السويس ، والأفاق الاقتصادية والاستراتيجية التي سمح بها أمام أوروبا لربط مستعمراتها الإفريقية والآسيوية في البحر المتوسط ، وتضخم الدين العثماني ، وخضوع الدولة خصوصاً تماماً للأخطبوط المالي لمؤسسات أوروبا الامبرialisية ، كذلك التحرّكات القومية في البلقان وأطماع روسيا و موقفها منها .. شكلت كلها عوامل وظروفاً جديدة تعينت عليها طبيعة علاقة الامبراليات الأوروبية بالدولة العثمانية وولاياتها .

وفي بداية هذه المرحلة بالذات (٣١ آب ١٨٧٦) تسلم عرش السلطنة

عبدالحميد الثاني ، عبر انقلاب ضد أخيه السلطان مراد . وكان وراء الانقلاب ممثلو الاتجاه الاصلاحي في ادارة الدولة وعلى رأسهم مدحت باشا<sup>(١)</sup> . وكان البرنامج الذي أعده الانقلابيون ينطلق من هاجس حماية الامبراطورية أمام أطماع الدول الكبرى . ولما كانت هذه الأطماع تتذرع بسوء الادارة التركية وأوضاع الأقليات الطائفية والاثنية ، فان اصلاحاً سياسياً في البلاد كان من شأنه - في رأي الاصلاحيين العثمانيين - أن يقفل باب التدخل الأجنبي ، ويضع حدًا للتحركات الداخلية التي تشجعها الدول الكبرى في الولايات<sup>(٢)</sup> . وضمن هذه الحسابات كان اعلان الدستور في (٢٣) كانون الأول (١٨٧٦) ، وهو الدستور الذي عرف باسم «دستور مدحت باشا».

لكن السلطان عبدالحميد كان يستعد منذ الأيام الأولى للانقلاب على من أتى به والانقضاض على الاصلاحات الدستورية التي اضطر أن يعلنها . ففي (٥) شباط (١٨٧٧) وبناء على أمر السلطان ترك مدحت باشا تركيا ، وتمت انتخابات مجلس «المعوثان» في الولايات في جو من الارهاب والتدخل الرسمي لمصلحة مرشحي السلطان . وفي (١٤) شباط (١٨٧٨) علق

(١) رامزور ارنست ، تركيا الفتاة ، الترجمة العربية ، بيروت ١٨٦٠ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) كان وراء هذه الوجهة في الاصلاح السياسي موقف ايديولوجي صاغه «العثمانيون الجدد» الذين يعتبرون طلائع سابقة لحزب «تركيا الفتاة» ، وهو يتمحور حول مفهوم «الوطن العثماني». انظر في ذلك : -

- Lewis B. *The Emergence of modern turkey*, P. 243.

ويقول مارسيل كولومب M. colombe في ذلك أيضاً : «إن العثمانيين الجدد» اعتقدوا أن بإمكانهم ايجاد علاج للمشاكل التي تعانيها الامبراطورية باطلافهم فكرة «الوطن». بحيث يمكن أن تتمتع العناصر المختلفة المتباينة فيه ، من الآن فصاعداً ، بذات الحقوق ويكون عليها نفس الواجبات . بهذا لا تعود هذه العناصر ترفع مطالب خاصة وتبحث عن دعم لها (...). وفي الواقع كان المقصود الوقوف في وجه تدخلات الدول الكبرى من خلال انتزاع ذريعة تدخلها في شؤون الامبراطورية »

- Colombe M. «Islam et Nationalisme arabe à la veille de la première guerre mondiale». *Revue historique*, janvier - mars 1960, p. 86.

عبدالحميد الدستور ، وحل المجلس ، وأمر النواب بالعودة إلى بلادهم <sup>(٣)</sup> .  
وكانت حجته في ذلك اندلاع الحرب الروسية - العثمانية <sup>(٤)</sup> .

ما الذي كان يعده السلطان عبد الحميد كبديل لبرنامج الاصلاحين  
داخلياً وخارجياً ؟

جاءت نتائج الحرب الروسية - العثمانية لفتح أمام بريطانيا وفرنسا طریقاً لبدء مرحلة من التفاهم على تقاسم بعض الحصص من السلطنة. وهكذا ، وكثمن لوقف بريطانيا في معارضتها لمعاهدة سان ستيفانو المذلة والمرهقة للدولة العثمانية وتعديلها في مؤتمر برلين (١٨٧٨) ، تنازل السلطان لبريطانيا عن جزيرة قبرص ، وكثمن لسكوت فرنسا أوعزت بريطانيا هذه الأخيرة باحتلال تونس . وتم ذلك في عام (١٨٨١) . وفي عام (١٨٨٢) ( كانت بريطانيا قد اشتريت أسمهم مصر في قناة السويس ) احتلت هذه الأخيرة مصر متذرعة بخطر ثورة أحد عرابي على المصالح الأوروبية فيها .

إذن ، لم يعد بوسع السلطان أن يراهن على الموقف البريطاني السابق في الدفاع عن وحدة الدولة في وجه مطامع روسيا وفرنسا . لقد دخلت بريطانيا الآن منطق سياسة الاحق والتقسيم . ومع ذلك ان دولة امبريالية فتية جديدة أخذت تمثل دورها في هذه المرحلة . لقد دخلت ألمانيا إثر قيام وحدتها السياسية وانطلاقها الاقتصادية ، في عهد بسمارك ، معترك التسابق الاستعماري من باب اقتصادي واسع .

وهذه السياسة الألمانية يرسمها تقرير رسمي رفع إلى غليوم الثاني عام (١٨٨٨) بالصيغة التالية : «ما يزال الشرق المنقطة الوحيدة البعيدة عن سيطرة الدول الأوروبية المباشرة . . . وامكاناته الاقتصادية والبشرية من السعة بحيث يجعلها حقلًا مثالياً للاستعمار الألماني ، لذا وجب أن نجد للسيطرة عليه قبل أن تتد

---

- Lewis B., op. cit, pp. 163 - 165.

(٣)

(٤) رامزور ، المرجع المذكور سابقًا ، ص ٤٤ .

إليه يد الغير . لقد نالت فرنسا قسطها من العالم الإسلامي في إفريقيا الشمالية وإفريقيا الغربية . ونالت بريطانيا نصيبها منه في مصر والسودان وإفريقيا الشرقية والهند ، كما نالت روسيا المناطق الإسلامية الواقعة على البحر الأسود وفي القفقاس . وللشعب الألماني الحق كله ليداعي بنصيبه من هذا العالم .. والدول الأوروبية تحاول اليوم أن تتقاسم ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية فيعطي العراق لبريطانيا ، وأرمانيا لروسيا مع القسم الشرقي من آسيا الصغرى ، وتتحج سوريه لفرنسا ، وطرابلس الغرب لـ إيطاليا » . « وعلى ألمانيا بالاتفاق مع النمسا أن تحبط هذه المساعي بجميع الوسائل السلمية وغير السلمية . ومن هذه الوسائل التغلغل الاقتصادي في المنطقة . والعمود الفقري لهذا التغلغل أن ينشأ خط حديدي يتصل بسوريا والعراق عبر آسيا الصغرى . . . وعليها ضماناً للنجاح أن تقرب من الشعوب التركية والعربية ، وأن يكون فتحنا لهذه البلاد فتحاً أدبياً واقتصادياً يصون مصالحنا بصورة أكيدة وسليمة » <sup>(٥)</sup> .

هذا التوجه الاستعماري الألماني الحديث الذي يصطدم بالسياسات الأوروبية اللاحقة ، قدم للسلطان عبد الحميد صيغة مراهنة جديدة لضمان سلامه السلطنة على قاعدة توازن دولي أوروبي جديد . وكان دخول المانيا للشرق من باب « التقرب للشعوب العربية والتركية » ومن باب تنفيذ المشاريع الكبرى (خط سكة حديد الحجاز) ، يصب في برنامج السياسة الداخلية للسلطان . فبدل الاصلاح الدستوري وخلق « وطن عثماني » - كما نادى « العثمانيون الجدد » - بـأ عبد الحميد الى استغلال المشاعر الدينية لدى المسلمين . فجعل من شعار « الوحدة الإسلامية » عقيدة رسمية للدولة <sup>(٦)</sup> معتقداً أنه بذلك يقوى مركزه في العالم الإسلامي كله ك الخليفة على المسلمين جميعهم .

(٥) يرد في : اسماعيل عادل ، السياسة الدولية في الشرق العربي ، الجزء الرابع ص ١١٣ ، ١٩٦٤ .

- Lewis B., *Les arabes dans l'Histoire*, bruxelles, 1958, p. 159.

(٦)

من جهة أخرى ، ولكي يؤمن جانب المحاولات الانقلابية التي قد تقوم بها المعارضة الاصلاحية العثمانية ، ولكي يمنع امكانية أي تحرك انفصالي قد يقوم على أساس ديني أو اثني في الولايات ، برأ عبدالحميد إلى سياسة داخلية تقوم على القمع الشديد للاتجاهات «الليبرالية» والاصلاحية وعلى الاحتواء المعنى والمادي للزعamas الدينية والسياسية ذات المرتكز الاقطاعي من المسيحيين والمسلمين على حد سواء .

واشتد الارهاب الحميدي في داخل تركيا وشقي ولاياتها . وعام (١٨٨٣) اغتيل مدخلت باشا بأمر من السلطان ، واندثر دستور (١٨٧٦) الذي «منع العثمانيين الحرية والمساواة» وأعلن من جملة ما أعلنه «اللامركزية الادارية». وراحت المعارضة العثمانية تنشط ، لا سيما في الخارج ، ضد الاستبداد الحميمي وعلى قاعدة الأفكار التي أطلقها دستور (١٨٧٦) . ذلك أن الجانب القمعي والاستبدادي في سياسة عبدالحميد ، شكل الجانب الرئيسي الأكثر حدة والأكثر تأثيراً في مواقف وبرامج الفئات الاصلاحية و«الليبرالية» على اختلاف انتهاءاتها «الاثنية» والطائفية. بيد أن السياسات الأوروبية الاستعمارية والواقع الاجتماعية المختلفة التي كونها التغلغل الاستعماري الاقتصادي والثقافي في التركيبات الاجتماعية لدى شعوب السلطنة ، لم تكن لتغيب عن تلك الموقف والبرامج ، إن من ناحية وجهتها السياسية المعادية للاستعمار أو من ناحية وظيفتها التي تصب ضمناً أو صراحة في مصلحة المشاريع الاستعمارية في الولايات العثمانية .

إذن ، كيف تميزت المواقف السياسية للفئات الاجتماعية في المناطق التي تشكل إطار دراستنا (جبل لبنان ومناطق المشرق العربي المجاورة) في مرحلة النضال ضد الاستبداد الحميمي ؟



- ٢ -

## موقف «نخبة» من المثقفين المسيحيين في بيروت

١٨٧٦ - ١٨٨٠

بعد تعليق الدستور ، وحل المجلس ، وانهاء الحرب الروسية - العثمانية ، نشهد في بيروت عام (١٨٨٠ - ١٨٨١) ، اصداء موقف سياسي اتخذ شكل دعوة سرية عنيفة للثورة على الأتراك : مناشير لا تحمل توقيعاً ، كتبت باليد وعلقت على جدران المدينة تحمل على ظلم الأتراك ، وتندد بالفساد ، وتدعى «السورين» للثورة والاستقلال .

وما يلفت النظر في هذه المناشير ، عدا ظاهرة الجدة في طريقة الاعلام السري الجماهيري فيها ، تضمنها مفاهيم سياسية جديدة لا عهد للأفكار السائدة بها . فللمرة الأولى في التاريخ العربي الحديث تبرز الدعوة الى «الوطن السوري». تبدأ المناشير بالنداء «يا أبناء سوريا»، «يا أهل الوطن». وتذكر «بالنخوة العربية» و «الحمية السورية». وتدرج المطالب التالية :

- استقلال نشارك به مع أخوتنا اللبنانيين بحيث تضمننا جميعاً الصوالح الوطنية » .
- «أن تكون اللغة العربية رسمية في البلاد وأن يحق لأبنائها الحرية التامة في

نشر أفكارهم ومؤلفاتهم وجرنالاتهم بمقتضى واجبات الإنسانية ومقتضيات التقدم والعمان» .

- « ان تتحضر عساكرنا في خدمة الوطن ... » .

وينتهي أحد البيانات بإيراد بعض الأبيات من القصيدة البايائية المنسوبة لابراهيم اليازجي «تبهوا واستفيقوا أيها العرب» <sup>(٧)</sup> .

ما هي خلفية هذا التوجه؟ ومن كان يقف وراءه؟ إن شهادة الدكتور فارس غر - وهو أحد أبرز المسؤولين عن هذا التوجه وأحد المشاركين في صياغة وكتابة المناشير بخط اليد - تلقي ضوءاً ما على حقيقة ما حدث . يقول فارس غر مؤلف كتاب «نشوء القومية العربية»، الدكتور زين نورالدين زين : ان المسؤول عن عملية كتابة المناشير والصادقها كان جمعية سرية ، تأسست حوالي سنة (١٨٧٦) ، وتألفت من مجموعة من المثقفين المسيحيين (يدعوهم الشاهد «نخبة مفكرة») ، درسوا في الكلية السورية الانجليزية (جامعة بيروت الأمريكية لاحقاً) . وأبرز هؤلاء فارس غر باشا ، ابراهيم الحوراني ، يعقوب صروف ، ابراهيم اليازجي ، شاهين مكاريوس .

أما الدافع الأساسي لثل هذا العمل فهو على حد التعبير الذي يورده المؤلف نقلاً عن الشاهد :

«احتقار الأتراك لهم واعتبارهم أدنى شأنًا منهم» وشعورهم أنهم «غرباء» في السلطنة العثمانية. أما جلوؤهم إلى الايديولوجية القومية، التي انعكست بالمناداة بسورية وطنًا - دون أن يتضمن ذلك تحديداً جغرافياً - و «بالعروبة» انتهاءً لغويًّا وثقافيًّا وتاريخيًّا ، فسيبه حاجة هذه المجموعة لتأليف «جبهة عربية موحدة (من المسلمين والمسيحيين) تقوم على فكرة العروبة ، وتستطيع أن تقف في وجه الأتراك». أما الوسائل التنظيمية التي يشير إليها

(٧) انظر غاذج مصورة عن هذه المناشير في : «نشوء القومية العربية» زين نورالدين زين ، الطبعة العربية - بيروت ١٩٦٨ ، نقلاً عن ارشيف وزارة الخارجية البريطانية .

وانظر نموذجاً مترجماً إلى الفرنسية في الملحق رقم ٣ من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية .

الشاهد - وهي اشارة ذات دلالة كما سترى - فهي المحافل الماسونية في بيروت التي عمل اعضاء الجمعية على ادخال بعض الوجهاء المسلمين اليها . بيد أن هذه العلاقة مع المسلمين لم تتطور . لأن هؤلاء انفقوا مع اعضاء الجمعية على « محاربة الظلم التركي واستبداده .. وعلى مبدأ المساواة بين العرب والأتراك . غير أنهم اختلفوا على الهدف الأعلى للجمعية ، وهو طرد الأتراك من ولاية سوريا »<sup>(٨)</sup> .

وهكذا اضطرت الجمعية السرية أن توقف عملها بين عامي (١٨٨٢) و(١٨٨٣) . وأمام تصاعد الاستبداد الحميدي والقمع البوليسي الداخلي اضطر أبرز مؤسسي هذه الجمعية : فارس نغر ، وشاهين مكاريوس ، ويعقوب صروف ، أن يلجأوا إلى القاهرة في عام (١٨٨٥) ليؤسسوا هناك جريدة سياسية يومية هي جريدة «المقطم» ومجلة فكرية : «المقطف» ، وليتابعوا من خلالها نشر أفكارهم في خط «ليبرالي» ذي صلة أكيدة بتلك البداية التي نشأت في بيروت .

ماذا عن أهمية هذه الظاهرة في تاريخ لبنان والمشرق العربي ؟ ثمة رأيان متعارضان حول هذا الموضوع .. رأي جورج انطونيوس الذي ينطلق من مفهوم رومانسي مثالي للقومية العربية ، فيراها «فكرة» مجردة عن أرض الواقع ، ويبحث لها عن بدايات في الأفكار المعلنة دون انتباه للقوى الاجتماعية التي حملتها . لذلك نراه يعتبر هذه البداية «أول محاولة منظمة لبعث الحركة العربية القومية» وبين جسراً بينها وبين الدعوة القومية كما تبلورت أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى<sup>(٩)</sup> .

أما الرأي الثاني ، فهو للدكتور زين نور الدين زين . فهو اذ يقف موقف ردة الفعل العنيفة في وجه الرأي الأول ، ويقع تحت هاجس شهادة شفوية قدمت له في ظروف زمنية وتاريخية مختلفة (أواخر الأربعينات أي قبل وفاة فارس نغر بسنوات ١٩٥١) ، فإنه يعتبر هذه الظاهرة مجرد ظاهرة

(٨) المرجع نفسه ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٩) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

« مسيحية - لبنانية » ، اذ يقول « إن الحركة المناوئة للأترارك في لبنان ، في القرن التاسع عشر ، كانت بوجه الاجمال مارونية - لبنانية ، ولا يمكن اعتبارها ثورة عربية وطنية في الشرق العربي ضد الحكم التركي »<sup>(١٠)</sup> .

ومن وجهة نظرنا ، لا يمكن الموافقة على رأي الأستاذ انطونيوس في جعله أفكار جمعية بيروت التي نشأت في ظروف (١٨٧٦ - ١٨٨٠) وفي محيط اجتماعي وثقافي معين ، مقدمة لحركة القومية العربية التي تبلورت لاحقاً (في الحرب العالمية الأولى وبعدها) . ذلك أن الدعوة للقومية العربية ارتبطت في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى بقوى اجتماعية معادية للغرب المستعمِّر عامة . أما دعوة أعضاء ما سمي « جمعية بيروت السرية » فيها ، على العكس ، ارتبطت بقوى احتلت بفعل التغلغل الاستعماري بوجهيه الاقتصادي والثقافي ، م الواقع تابعة وداعية لتوسيع مصالح الاستعمار ، ونشر أفكاره كما سنرى في مكان آخر من هذه الدراسة .

كذلك فإن رأي الدكتور زين باعتبار « جمعية بيروت » ودعواتها المعادية للأترارك ، مجرد تعبير عن واقع مسيحي - لبناني رأي جزئي ومخالف للواقع . فهو لا يرى بين الاتجاهات التي نشأت في أواسط المثقفين المسيحيين غير الاتجاه اللبناني - الماروني . وهذا الأخير هو اتجاه نشأ كما رأينا في الجبل وفي اطار المتصوفة وعلى قاعدة التبعية الاقتصادية لفرنسا ، وفي ظل هيمنة الكنيسة المارونية . أما في بيروت ، وفي المدن المشرقية التجارية ، فقد نشأ في الوسط الثقافي المسيحي ( وهو ذو انتهاء أرثوذكسي وكاثوليكي غالباً ) اتجاه « قومي سوري » معاد للأترارك ، لكنه مختلف في مضمونه السياسي وموقعه الاجتماعية عن الموقف اللبناني - الجبلي (الماروني) . إن ذكر فارس نمر « للبنان » في سياق شهادته للمؤلف « كان في لبنان جماعة صغيرة من الشبان تطالب أولاً بتحرير لبنان من الحكم التركي » يعكس موقفه في أواخر الأربعينيات ، أي بعد أن كان قد اكتمل تكون لبنان الكبير على قاعدة الميثاق الوطني ، وليس له

---

(١٠) زين نورالدين زين ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

أية صلة بتوجه فئة المثقفين المسيحيين المدينين (وكان فارس غر من بينهم) في الرابع الأخير من القرن التاسع عشر . ان هؤلاء كانوا قد تربوا ونشأوا في المدن السورية التجارية ، وتغدو من مصادر ثقافية غربية كانت أهم مكوناتها ما تسرب من فكر القرن الثامن عشر الفرنسي وبعض مصادر الثقافة الانجلو-أمريكية .

فالاضراب الطلابي الذي قام عام (١٨٨٢) في «الكلية السورية» في بيروت بسبب طرد أحد الأساتذة المحظيين لنظريات «داروين» وما أعقب ذلك من أزمة حادة على صعيد انتقاء الأساتذة وتصنيفهم وطرد بعض الطلاب من قسمي الطب والأدب<sup>(١)</sup> يعكس جوًّا من «الجحشان الفكري» ، كانت أفكار «داروين» ، التي نقلت عبر بعض الأساتذة الأجانب ، تشكل وبصورة متفاوتة الوضوح عنصراً من عناصر تكوينه وتحريمه .

كذلك ، فإن أفكار «فولتير» «التحررية» وجدت من يقرأها وينقلها في إطار «الكلية السورية البروتستانية» . وأن مثل الياس حبالين (الذي يعطيه الدكتور زين ، والذي كان يدرس اللغة الفرنسية في الكلية بين (١٨٧١ - ١٨٧٤) ، ويغذى طلابه بالأفكار السياسية التحررية ضد الأتراك) هو ذو دلالة واضحة على تسرب بعض أفكار القرن الثامن عشر الفرنسي لطلاب الكلية السورية<sup>(٢)</sup> .

وبإضافة إلى كل هذا - شكلت المحافل الماسونية ، التي كانت قد تأسست في بيروت حتى ذلك الحين<sup>(٣)</sup> اطراً لتبادل هذه الأفكار ونشرها .

---

- Salam Nawaf, L'Histoire et le rôle de la pénétration et de l'influence Française et (١) Anglo - américaine dans l'enseignement au Liban de 1840 à 1914, p. 145 - 147.

(٢) زين نور الدين زين: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٣) تأسس في بيروت عام ١٨٦٩ فرع لمتحف «الشرق الفرنسي» عرف بمتحف لبنان. كذلك تأسس في ذات الوقت فرع للمتحف الكبير الاسكتلندي. أنظر زين نور الدين زين، المرجع السابق، ص ١٩٧.

ذلك أن الحياة الداخلية للمحافل التابعة للمحافل الشرقي الفرنسي الذي أسس له فرعاً في بيروت باسم «محفل لبنان» كانت قد أضحت خلايا ثقافية نشطة . اذ «اهتمت هذه المحافل بالمشاكل الاجتماعية وأولت عناية فائقة بتثقيف اعضائها» ، وقادت بنشر أفكارها بين الأعضاء على أساس «الاخاء والمساواة بين البشر من كل الطبقات دون تمييز للمهنة والقومية والدين»<sup>(١٤)</sup> . إن مثل هذا النشاط الماسوني الذي نجد غوذجاً له في كتاب «فضائل الماسونية» لشاهين مكاريوس - أحد أعضاء جمعية بيروت السرية ، شكل بلا شك الاطار الفكري للعمل السياسي المناهض للسيطرة التركية الذي قامت به الجمعية عبر مناشيرها السرية . وان ما يلفت النظر في هذا المجال ، ويؤكّد على واقع ما نشير اليه ، أن شاهين مكاريوس كان يشغل عام (١٨٨١) مهمة «كاتب سر محفل لبنان» ، وكان بالإضافة الى ذلك مؤسس محفل اللطائف في مصر ومحفل «فينيقية» في بيروت عام (١٨٩٢)<sup>(١٥)</sup> .

هذه المصادر الثقافية الغربية للتوجه السياسي المعادي للسيطرة التركية كانت تتفاوت مع الموقع الاجتماعي الذي احتلته العائلات المسيحية المدينية التي تعاطت أعمال التجارة وعمليات التصدير والاستيراد من وإلى الغرب في نطاق المدن السورية ، الساحلية والداخلية . وهو موقع «كوسموبولتيق» يشكل طرف التناقض الرئيسي معه السيطرة الادارية التركية المباشرة . أما المضمون «القومي» العربي - السوري الذي يتجلّ في نداء البيانات ، فلم يكن قط تعبيراً عن موقف جماهيري أو قوى اجتماعية واسعة تتحدّد مصالحها وتتجانس في اطار سوق عربي موحد يشمل حدود ما سمي في الدعوة : سورية . فصحّح أن ثمة أصوات مشابهة في معاداتها للأترارك ونزعتها «القومية» السورية ارتفعت من مثقفين مسيحيين من الداخل السوري ،

La grande Encyclopédie, T. XVII. La franc - maçonnerie, pp. 1185 - 1191. (١٤)

(١٥) انظر مكاريوس شاهين ، فضائل الماسونية ، مصر ١٨٩٩ ، ص ٦٢ - ٦٣ . و مجلة المتنطف ، السنة السادسة ، ص ٣٧٢ - ٣٩١ .

أمثال فتح الله مراس ورزن الله حسون الحلبيان وغيرهما<sup>(١٦)</sup> ، لكننا لا نجد في أدبهم السياسي أي تحديد لمفهوم «الوطن» ومفهوم «سورية». مما يدعونا للاعتقاد أن التعبير استخدم وفق الصيغة الغربية التي راجت يومذاك والتي تعكس ضمناً أو صراحة مشاريع تجزئة لمناطق الدولة العثمانية وفق التمركز الاستراتيجي والاقتصادي لمصالح «الدول الكبرى» يومذاك.

فالمشروع الفرنسي الذي كان يطمح إلى إنشاء دولة بين الأناضول التركي ومصر منذ عام (١٨٦٠) ، كان لا يزال يراود الدبلوماسية الفرنسية . ولعل الحرب الروسية - العثمانية (١٨٧٧ - ١٨٧٨) وما فتحته من أبواب على طريق تقسيم الامبراطورية (التنازل عن قبرص لبريطانيا ، الأعداد لاحتلال مصر ، احتلال فرنسا لتونس الخ ...). قد أحیت في الدوائر الاستعمارية الفرنسية مشاريع تقسيمية من هذا النوع . لذلك أصبحت مراصد الاستعمار في مدن المشرق العربي في ذلك الوقت أكثر دقة في التقاط أصوات التذمر ومشاعر النعمة ضد الأتراك ، وأكثر اهتماماً في التركيز على الخصوصيات الطائفية والأثنية في المناطق التي يسعى لتركيز الهيمنة عليها وفصلها عن الدولة العثمانية . ويبدو أن القنصل الفرنسي في بيروت كان يعكس في تقريره إلى وزارة الخارجية الفرنسية عام (١٨٨١) أمنية الدبلوماسية الفرنسية في «استقلال سوريا» أكثر مما كان ينقل واقع الحال في الداخل . فهو يعني تقريره المؤرخ في (٣) كانون الثاني (١٨٨١) بتأكيد ما يلي : «مهما يكن من أمر فإنه في حال نشوب تعقيدات جدية بين الامبراطورية العثمانية واليونان فإنه من المحتم انتشار برد فعلها في سوريا»<sup>(١٧)</sup> .

تلك هي الوجهة العامة الغالبة في النزعة الاستقلالية «السورية» عند بعض الأفراد المتممين إلى أقليات غير إسلامية في المشرق العربي . وهي وجهة

(١٦) المقدسي أنيس الحوري ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ٣١

- Ministère des affaires étrangères Français : archives diplomatiques turquie, vol. (١٧) 23. rapport no. 48.

ترافقـت مع نمو أشكال التبعية للاستعمار في المدن الشرقية التجارية التي كانت قد تحولـت إلى مراـفـق وأسواق ومحطـات في شبكة العلاقات الاستعمـارـية .

وهـذه التـزـعة لم تـقدم لنا في ذلك الوقت بـرـنامجـاً «استقلـالـياً» مـحدـداً لـشـروع دـولـة «ـسـورـيـة» أو «ـعـرـبـيـة» ، غير أنها أـشارـت إلى نـمـوذـج «ـاسـتـقـلـالـي» حـصـلـ فيـ المـنـطـقـة عـلـى قـاعـدـة شـكـلـ منـ أـشـكـالـ التـسوـيـةـ الدـولـيـةـ . العـهـمـانـيـةـ ، هو شـكـلـ «ـمـتـصـرـفـيـةـ جـبـلـ لـبـنـانـ» . وفيـ صـيـغـةـ المـطـلـبـ الـوـارـدـ فيـ المـنـشـورـ «ـاسـتـقـلـالـ نـشـرـتـكـ بـهـ مـعـ أـخـوـتـناـ الـلـبـنـانـيـنـ بـحـيـثـ تـضـمـنـاـ جـيـعـاـ الصـوـالـحـ الـوـطـنـيـةـ» اـسـتـدـلـالـ وـاضـحـ عـلـىـ التـزـوعـ لـدـىـ بـعـضـ الـمـقـفـينـ الـمـسـيـحـيـنـ نـحـوـ تـعـمـيمـ هـذـاـ النـمـوذـجـ «ـاسـتـقـلـالـيـ» فيـ المـنـطـقـةـ .

ويـقـىـ أمرـ يـسـتـوقـفـ ، وهوـ جـانـبـ التـركـيزـ عـلـىـ الـلـغـةـ وـالـرـاثـ الـعـرـبـيـنـ فيـ التـوـجـهـ التـعـبـويـ الـذـيـ نـلـحـظـهـ فـيـ الـنـاشـيـرـ وـالـقـصـائـدـ وـالـمـقـلـاتـ الـعـائـدـةـ إـلـىـ مـنـ وـرـدـتـ اـسـمـاؤـهـمـ فـيـ «ـجـمـعـيـةـ بـيـرـوـتـ السـرـيـةـ» (ـالـيـازـجيـ - صـرـوـفـ ، غـمـرـ ، الخـ . . .) . إنـ هـذـاـ الـأـمـرـ يـسـتـوجـبـ درـاسـةـ خـاصـةـ عـلـىـ حـدـةـ . لـكـنـ ، مـهـماـ يـكـنـ ، يـصـحـ فـيـ رـأـيـنـاـ الـافـتـراضـ التـالـيـ : انـ هـذـاـ التـوـجـهـ كـانـ مـنـ جـهـةـ ، نـتـاجـ «ـنـوـعـ» مـنـ ثـقـافـةـ عـرـبـيـةـ تـكـوـنـتـ عـبـرـ جـهـودـ الـمـشـرـينـ الـأـنـجـيلـيـنـ ، وـمـنـ تـعـاوـنـ مـعـهـمـ مـنـ الـأـدـبـاءـ الـمـحلـيـنـ ، أـمـثالـ نـاصـيـفـ الـيـازـجيـ وـبـطـرـسـ الـبـسـتـانـيـ ، وـكـانـ ، مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ ، صـيـغـةـ اـيـدـيـوـلـوـجـيـةـ لـلـبـحـثـ عـنـ اـنـتـهـاـ حـضـارـيـ وـتـارـيخـيـ ، وـتـأـكـيدـ هـذـاـ الـاـنـتـهـاءـ فـيـ وـجـهـ الـهـمـيـنـةـ الـتـرـكـيـةـ .

صـحـيـحـ أـنـ هـذـاـ التـوـجـهـ «ـعـرـوـيـ» الـذـيـ مـيـزـ تـحـركـ أـفـرـادـ يـتـمـونـ إـلـىـ أـقـلـيـاتـ غـيرـ اـسـلـامـيـةـ اـسـتـمـالـ بـعـضـ الـمـسـلـمـيـنـ الـمـديـنـيـنـ ، لـكـنـ غـلـبةـ التـنـاقـضـ بـالـنـسـبـةـ هـؤـلـاءـ لـمـ تـكـنـ مـعـ الـأـتـرـاكـ . انـ حدـودـ تـنـاقـضـهـمـ مـعـ الـهـمـيـنـةـ الـتـرـكـيـةـ رـسـمـتـهـاـ كـمـاـ سـنـرـىـ بـتـفـصـيلـ أـكـثـرـ ، مـصـالـحـهـمـ فـيـ الـمـشـارـكـةـ وـالـاـصـلـاحـ ضـمـنـ اـدـارـةـ وـاحـدةـ . هـذـهـ الحـدـودـ هـيـ ذـاـتـهاـ الـتـيـ أـبـقـتـ عـلـىـ الـمـسـافـةـ الـقـائـمـةـ بـيـنـ هـذـاـ التـوـجـهـ «ـفـئـوـيـ» الـمـعـادـيـ لـلـأـتـرـاكـ وـالـنـازـعـ نـحـوـ اـسـتـقـلـالـ مـنـ جـهـةـ ، وـالـتـحـركـ الـجـمـاهـيـرـيـ الـمـارـضـ لـلـاـسـتـبـادـ الـحـمـيـدـيـ وـ«ـاـحـتكـارـ» الـتـرـكـيـ للـدـوـلـةـ مـنـ جـهـةـ ثـانـيـةـ .

يعلق المستشرق مارسيل كولومب على هذه الحدود بقوله : « إن المسلمين العرب ما كان بامكانهم أن يسيروا على غير هدى وراء تعليمات مسيحيي سوريا الذين يحرضونهم للثورة على الأتراك ، اخوانهم في الدين . ذلك أنهم بقدر ما كانوا عرباً كانوا أيضاً مسلمين ، بل ربما شعروا أنهم مسلمون أكثر من كونهم عرباً . فالفكرة القومية لم يكن لها أن تنتشر بينهم إلا بالقدر الذي يسمح به الاسلام ويعطيه شرعية وحقاً . وبتغيير آخر : إن العرب المسلمين ما كان بامكانهم أن يكونوا قومين إلا بشرط أن يبقوا مسلمين » (١٨) .

هذا التأكيد ، وان كانت خلفيته موضوعاً للنقاش يصف بشيء من الواقعية طبيعة الارتباط التركي - العربي ، وحرص العرب المسلمين على عدم التفريط به . لكن ، يبقى أن نضيف أن الناقض الرئيسي كان يقوم آنذاك مع الغرب المستعمر ، ومشاريعه التجزئية والاحادية للشعوب الاسلامية جميعها . لذلك شكلت الرابطة الدينية - وهي بالنسبة للإسلام رابطة حضاروية وسياسية - شكلاً من أشكال التضامن للوقوف في وجه خطر الاستعمار الزاحف .

غير أن هذه الرابطة لم تمنع بروز تناقضات بين الأتراك من جهة والعرب المسلمين من جهة ثانية . بيد أن هذه التناقضات كانت تدور دائياً في فلك التناقض الرئيسي فيتحدد مسارها على ضوء التصدي لهذا التناقض وأي من الأطراف يتصدى له . فإذا كان الأتراك هم الذين يتصدون له ، خفت التناقضات وكادت تندلع ، وإذا عجز الأتراك عن ذلك أو تهاونوا احتدم التناقض وازاداد على أكثر من مستوى ، لا سيما عندما يلوح في الأفق « بديل عربي » يتصدى للاستعمار . فعندما قامت ثورة عرابي في مصر واتضح طابعها المعادي للاستعمار وتخل عنها السلطان عبد الحميد (١٩) ، التفت حول

- Colombe Marcel, Islam et nationalisme arabe à la veille de la première guerre (١٨) mondiale. *Revue historique* 84e année CC XXIII, janvier - Mars 1960, pp. 85 - 98.

(١٩) بقصد موقف السلطان عبد الحميد من ثورة عرابي انظر : اسماعيل عادل ، السياسة الدولية في الشرق العربي ، الجزء ٤ .

عرابي جاهير عربية واسعة تخطت حدود مصر ، فكان ينظر إلى عربي في ولاية سوريا على أنه زعيم العرب جميعاً<sup>(٢٠)</sup> . كذلك نظر إلى ثورة المهدى في السودان عبر تصديها للقوات البريطانية المستعمرة . وعندما تبين ضعف الدولة في الحرب الروسية - العثمانية وأخذت الأوساط السياسية تسأله عن مصير ولاياتها في الشرق ، شهدنا أيضاً بين (١٨٧٧ و ١٨٨٠) تحركاً يقوم به وجهاً مسلمون في بيروت وصيدا وجبل عامل ودمشق هدفه « العمل على إنقاذ الوطن من الاحتلال الأجنبي » . ومثل هذا التحرك يستحق وقفة خاصة ، لأنه كثيراً ما دمج لدى الباحثين مع موقف الأول المعادي للأتراء ذي التزعة الانفصالية .

---

(٢٠) كانت تلك ملاحظة قنصل بريطانيا في دمشق والقدس أثر قيام اتفاقيتي عربي والمهدى بين ١٨٨٢ و ١٨٨٥ . انظر : زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ، ص ٦٨ .

- ٣ -

## تُحرِّك وجهاء المُسَلِّمِينَ بَيْنَ ١٨٧٧ - ١٨٨٠

الوثيقة التي تحدثنا عن هذا التحرّك شهادة معاصرة لمن الصلح نقلها ونشرها عادل الصلح بعنوان « سطور من الرسالة : تاريخ حركة استقلالية قامت في الشرق العربي سنة (١٨٧٧) ». ومن خلال هذه الشهادة نستنتج أن مجموعة من وجهاء بيروت وصيدا ودمشق (ملاك أراضٍ وتجار) بالتعاون مع علماء من الطائفة الشيعية في جبل عامل ، قاموا بعدد من الاتصالات والاجتماعات للبحث في مصير البلاد الشامية . يقول صاحب الوثيقة : « كان وضع الدولة المضطرب ، والوعي القومي النامي في سوريا ، حافزين أهاباً بأهل البلاد ليتدأولوا في ما يجب عمله لتجنب وطنهم المصير السيء ومن أفجع صوره وقوع الاحتلال أجنبي »<sup>(٢١)</sup> .

كانت بيروت مهد الفكرة ، والمبادر لها الوجيه البيروتي أحمد الصلح . وقد باشر هذا الأخير بإجراء اتصالات سرية في بيروت ، ثم في صيدا وجبل

(٢١) الصلح عادل ، سطور من الرسالة ، تاريخ حركة استقلالية قامت في الشرق العربي سنة ١٨٧٧ ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٩٢ .

عامل . وتردد في إطار الاتصالات الأسماء التالية : الحاج ابراهيم آغا الجوهري (وجيه صيداوي) ، السيد محمد الأمين والشيخ علي الحر (من علماء الطائفة الإسلامية الشيعية) ، الأستاذ الشيخ أحمد عباس الأزهري ، الحاج حسين بيهم .

وأسفرت الاتصالات الأولى والنقاشات الأولية عن تشكيل وفد للباحث مع زعماء دمشق وعلى رأسهم الأمير عبدالقادر الجزائري ، كذلك أرسلت رسائل ووفود إلى حماة وحمص وحلب واللاذقية وحوران ، وتم الاتفاق على اجراء اجتماعات سرية في بيروت لوضع « الخطة الازمة » ، ثم انتقل المجتمعون إلى دمشق « لاكمال البحث والمداولة » في دار السيد حسن تقى الدين الحصني . وانتهت هذه الاجتماعات بعدد من المقررات :

- اختيار الأمير عبدالقادر ليكون رأس هذه الحركة .
- الاعتراف بالخلافة العثمانية أي « أن يبقى الخليفة العثماني خليفة للمسلمين » .
- بالنسبة « ل Maher الاستقلال المشود » اتفق المؤتمنون على « اقرار مبدأ السعي لتحقيق استقلال بلاد الشام ، وتأجيل البث في مدى هذا الاستقلال ، الى انتهاء الحرب الروسية - العثمانية ، وانجلاء وضع الدولة ومصيرها » <sup>(٢٢)</sup> .

وبناءً على صاحب الوثيقة « وكان على رجال مؤتمر دمشق أن يراقبوا ما يجري في مؤتمر برلين ، ليتخذوا على ضوء ذلك موقفهم الأصوب . وكان يروج بين العاملين أنه اذا تبين أن احدى الدول الأجنبية تهدف الى الاستيلاء على بلادنا ، كما كانت نية النمسا في البوسنة والهرسك ، وروسيا في بعض الولايات الشرقية من الأناضول .. وكما هي نية بريطانيا في قبرص ، فلا بد من طلب الاستقلال التام . أما اذا تبين أنه ليس ثمة من عزم على احتلال البلاد ف تكون الغاية تحقيق الاستقلال الذاتي كما هي الحال في مصر وفي بعض بلاد البلقان » <sup>(٢٣)</sup> .

---

(٢٢) المرجع نفسه ، ص ١٠٠ .

(٢٣) المرجع نفسه ، ص ١٠١ .

لا بد ونحن نقرأ هذه الشهادة المسجلة بقلم أحد أبناء المشاركين الأسasيين في الحركة أن نسجل بعض الملاحظات :

- أولاً : على الرغم من تسجيل الشهادة في مرحلة لاحقة كان الوعي القومي العربي فيها قد تبلور في سياق انفجار التناقض مع الأتراك ، ووضوح مخاطر الاحتلال الأجنبي ، فلا نلمس في مضمون الشهادة التي تحكي فصول هذه الحركة أية اشارة لعداء يكتم القائمون بالحركة نحو الأتراك . بل على العكس ، فكل الاشارات تسجل عداءهم للأجنبي ، وحدرهم من وقوع البلاد في براثن الاستعمار .

- ثانياً : ان « الاستقلال » لم يكن يعني بالنسبة للقائمين بالحركة انفصالاً عن الأتراك - كما عني بالنسبة « لأعضاء جمعية بيروت السرية » ، بل على العكس كان « الاستقلال » يعني الخلوة دون وقوع البلاد تحت الاحتلال . والا فمضمون الاستقلال « امارة عربية » في اطار الخلافة العثمانية .

- ثالثاً: ان ما حرك هذه الطروحات وأعطهاها مبرر الطرح ، إن على مستوى « الاستقلال التام » أو على مستوى « الاستقلال الذاتي » ، هو نتائج الحرب الروسية - العثمانية وما دار حولها في الأوساط السياسية والدبلوماسية والاقتصادية الأوروبية من لغط حول مصير الدولة العثمانية ومشاريع تقسيمها . لذلك بقيت أهداف القائمين بالحركة مجرد اصداء لهذا اللغط . لذلك أيضاً لم تكن الحركة تملك أي مخرج بعد مؤتمر برلين ونجاح الدبلوماسية البريطانية في اطالة عمر الدولة العثمانية مقابل التخلی لها عن جزيرة قبرص ، غير التلاشي ، أمام هجمة السلطان عبد الحميد على كل معارضة ، وكل اصلاح ، وكل هامش استقلالي في الولايات .

وبالفعل ، هذا ما حصل . يقول صاحب الوثيقة : « قامت السلطات في سوريا باتخاذ تدابير احترازية كثيرة . ففرضت الاقامة الجبرية على زعماء الحركة في مناطق نائية ، ونفت الى خارج البلاد بعضاً منهم ، وأخذت تحت الرقابة الشديدة الأشخاص الذين أيدوا الحركة ، ثم منعت هذه السلطات

الاختلاط بين الأمير وأحمد الصلح (... ) وفت السيد محمد الأمين أحد أركان الحركة ، إلى طرابلس »<sup>(٢٤)</sup> .

بالإضافة إلى هذه الملاحظات ثمة سلسلة تطرح نفسها على الباحث : هل كانت هناك ثمة علاقة بين القائمين بالحركة وأعضاء جمعية بيروت ؟ وما كان دور عبدالقادر الجزائري في هذه الحركة ؟ وأمر آخر ملفت للنظر : ثمة عدد من الرسائل تلقاها الأمير من يوسف كرم تحمل أفكاراً ومشاريع سياسية للمنطقة . ومن المعروف أن يوسف كرم كان يتنقل في ذلك الوقت بين الدوائر الأوروبية ساعياً لنفسه بحكم جبل لبنان . فما هي طبيعة العلاقات القائمة بين الرجلين وبين المشرعين ؟

في شهادة فارس نغر تأكيد على أن أعضاء الجمعية اتصلوا ببعض وجهاء المسلمين ( لا يسمى أحداً منهم ) في إطار المحافل الماسونية ، غير أن هؤلاء لم يوافقوا على الأهداف الانفصالية للجمعية<sup>(٢٥)</sup> ، بل أكثر من ذلك ، لم يستمر اللقاء المشترك طويلاً بينهم . كما تحدى الاشارة إلى أن المناشير قد أثارت احتجاج بعض العائلات الإسلامية في بيروت . اذ يذكر القنصل الفرنسي العام في سوريا مثلاً ، أن عائلة بيهم البيروتية أرسلت الى الوالي رسالة موقعة من وجهائها « تدين ما جاء في المناشير من أفكار هدامه وتدعوه للاحقة صارمة بهذه الألعيب المجرمة »<sup>(٢٦)</sup> .

وما يستوقفنا حالياً هذا الموضوع أيضاً ما ورد في تقرير القنصل الفرنسي عن الحالة السياسية في سوريا خلال فترة ( ١٨٨٠ - ١٨٨١ ) .

ثمة فكرة تتكرر في التقرير ، مفادها أن « الجمعية الخيرية الإسلامية » هي المسئولة عن ظهور المناشير « الثورية » في عدد من المدن . هذه الفكرة

---

(٢٤) المرجع نفسه ، ص ١٢٦ .

(٢٥) زين نور الدين زين ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٢٦) وزارة الخارجية الفرنسية ، الأرشيف дипломатический - تركيا ، مجلد ٢٣ ، تقرير رقم ٤٨ . - M.A.E.F. Archives diplomatiques, Turquie, vol. 23, R. No. 48.

التي لا يحزم في مدى صحتها لا نعرف كيف عرفت طريقها إلى دوائر الفنصليات الأجنبية في بيروت . فمن المعروف أن أركان الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست عام ١٨٧٨ )٢٧- وعلى رأسهم الشيخ عبدالقادر القباني - انطلقوا من واقع تحسسيهم لخطر التعليم الأجنبي باعتباره وسيلة من وسائل التغلغل الأجنبي في البلاد ، ليؤسسوا مدارس خاصة لابناء الطائفة ، لا سيما بعد أن كان المسلمون قد قاطعوا المؤسسات التعليمية التبشيرية (٢٧- .

إذا كان الأمر كذلك ، فهل يكون في ترداد اسم « الجمعية الخيرية الإسلامية » وتحميلها مسؤولية صدور المنشير محاولة ما لابعاد الأنظار عن الفاعلين ، واجihad « مظلة » إسلامية للتحرك المعادي للأتراك ؟ .. إننا نرجح هذا الاحتمال .

ذلك أن الخلاف القائم بين وجهاء المسلمين في المدن المشرقة من جهة والإدارة التركية المباشرة من جهة ثانية ، ما كان يمكن أن يعبر عن نفسه في ذلك الوقت على مستوى إعادة النظر بالعلاقة مع الدولة المركزية . هذا الخلط في مستويات العلاقة مع الأتراك هو ما يدفع مثلاً النفصل الفرنسي في بيروت إلى الاعتقاد بأن « جمعية خيرية إسلامية » ربما تكون المسئولة عن ظهور المنشير « الثوري » في صيدا وبيروت وطرابلس ودمشق .

أما استنتاجه هذا ، فقائم على ترافق ظهور المنشير مع حادثة حصلت في صيدا . خلاصتها كما يرويها النفصل الفرنسي لوزير الخارجية : إن القائمقام التركي في قضاء صيدا رفض طلب ترشيح أحد أفراد عائلة المجدوب لعضوية محكمة القضاة العليا في القضاء ، كذلك رفض طلبات ترشيح أخرى ل هنا لطوف (روم كاثوليكي) والشيخ الحر (شيعي) وجبور نمور (ماروني) . وكان ذلك سبباً في شغب بدأت أولى مظاهره في صيدا . يقول النفصل أن مجدوب ، المرشح السنّي الصيداوي « نظم عريضة احتجاج ضد سلوك الحاكم التركي وأخذ يزرع الشغب في البلاد بفضل مساعدة أقربائه من

---

(٢٧) سلام نواف ، المرجع السابق ، ص ١٦٦

آل الجوهري ، وهم أعضاء نافذون في الجمعية الخيرية الإسلامية في صيدا» . ويتابع القنصل : «كان يمكن أن يبقى الحادث محلّاً لولا ظهور مناشير تطالب بطرد الأتراك وتعيين قائممقام عربي . ولما كانت قد وصلت أخبار هذه المظاهر ذات الاتجاهات العربية إلى الباب العالي ، أرسل هذا الأخير إلى والي بيروت يلومه بحدة على عجزه عن اكتشاف من هم وراء هذه المنashير التي كانت منذ فترة ، تعلق بصورة سرية على جدران مدن دمشق وبيروت وصيدا ومدن أخرى» . وحصل أن «أوقف الجوهري ، وجبور نور ، ومجدوب ، واقتيدوا إلى بيروت حيث أجري تحقيق معهم حضره الوالي بنفسه» .

ويستنتج القنصل : «ما يستخرج من هذه الواقع هو تدخل هذه الجمعية الخيرية الشهيرة التي تأسست في عهد مدحت باشا ، في الشؤون العامة... وبالنسبة لي فاني مقنع أن مؤسسي الجمعية الخيرية يضعون أمامهم هدفاً سياسياً بحثاً ، انهم ذوو نزعة معادية للأتراك والمسيحيين معاً ، يطمحون للاستيلاء على حكم البلاد وتسلیم المراكز المهمة فيها» .

ويذيل القنصل تقريره بـ ملاحظة كتبت في (٢) كانون الثاني (١٨٨١) يقول : «أخذت قضية صيدا طابعاً أكثر خطورة . ذلك أن عائلة بيهم التي تحمل المركز الأول بين العائلات الإسلامية في بيروت ، توسطت لدى الوالي من أجل المجدوب ... غير أن حمي باشا رفض هذه الوساطة .. وفي نهار (٣١) كانون الأول ظهرت في بيروت مناشير أكثر عنفاً من سابقتها ، تطالب بالاستقلال الاداري والعسكري لسوريا ، وبادارة شبيهة بادارة لبنان ، الخ .. طلب الوالي من الباب العالي السماح له باعلان حالة الطوارئ في سوريا . مما دفع وجهاء مختلف الطوائف ومن بينهم زعماء عائلة بيهم أن يوقعوا عريضة للوالي يرفضون فيها الأفكار الهدامة التي تتضمنها المنashير ، ويطالبونه بـ ملاحظة صارمة لأصحاب هذه الألاعيب المجرمة» (٢٨) .

(٢٨) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، مجلد ٢٣ ، تقرير ٤٨ .

- M.A.E.F. Turquie, vol. 23, R. No. 48.

أما رأي القنصل في الرواية التي نسبت يومذاك المنشير لمجموعة من الشبان المسيحيين ، فلعل من المفيد عرضه كما ورد في نص التقرير :

«الافتراضات الأكثر غرابة آخذة في الشيوع . فمثلاً جريدة فرنسية Les Débats نشرت ترجمة لأحد المنشير الأخيرة ، وجعلتنا في وضع يعتقد المرء معه أن لنا ثمة مصلحة في تلك المظاهر» ويضيف :

«يبحث اليوم عن تفسير آخر : يزعم أن المنشير صدرت عن مجموعة من الشبان المسيحيين الذين تخرجوا من الكليات السورية ، واستلهموا أفكارهم من روسو وجامعة الموسوعين Les Encyclopédistes . لذلك فهم يطمحون للقيام بثورة اجتماعية ، وبذل الجهد لرفع مستوى مواطنיהם إلى المستوى الذي نحن فيه الآن خلال ستين من الزمن » .

«هذه التفسيرات المختلفة تجعلنا - إلى حد ما مسؤولين مباشرة عن التحرك الذي يحرض عليه في هذه البلاد . غير إنني أسارع لأضيف أن هذه التفسيرات غير مقبولة أبداً . فمن المحتمل أن يكون بعض المسيحيين قد لعبوا دوراً ما في المنشير الأولى التي ظهرت في دمشق . غير أن جموع المسيحيين في سوريا لا ينقصهم الوعي حتى يهدوا طريق الحكم إلى مسلمي سوريا ويعملوا براحة بال من أجل استعبادهم بالذات » .

«لا ، بل لعله من الجائز أن يكون بعض أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية قد جلأوا إلى وسيلة المنشير المغفلة باعتبارها أقل تعرضاً للخطر ، ليثيروا مشاعر الحقد على الأتراك »<sup>(٢٩)</sup> .

وفي رأينا أن تقرير القنصل الفرنسي لا يعكس بدقة الواقع السياسي السائد آنذاك في سوريا ، واتجاهاته المختلفة . انه ينقل بجمل الأخبار والشائعات التي وصلت إلى القنصلية عن طريق المخبرين المحليين . لذلك يتعدد خبر مسؤولية « الجمعية الخيرية » عن صدور المنشير إما « كمظلة » إسلامية للتحرك المسيحي المعادي للأتراك ، وإما لأن الأمر التبس على

---

(٢٩) المصدر نفسه .

المخبرين والقناصل<sup>(٣٠)</sup> عندما ترافق ظهور المنشير مع حادثة صيدا التي ورد ذكر لتفاصيلها في تقرير القنصل الفرنسي . وعلى كل حال ان شهادة فارس غر بصدق ظهور المنشير تزيل كل التباس في هذا الشأن .

وفي رأينا أيضاً أن حادثة صيدا ، شأنها شأن الحوادث الجزئية التي كانت تنتج عن تضارب صلاحيات الموظفين الأتراك مع الهيمنة العائلية المحلية السائدة ، لا تعبر الا عن خلاف جزئي بين المسلمين العرب والإدارة العثمانية ذات الغلبة التركية . وفي إطار هذا الناقص نفهم حادثة صيدا وغيرها من الأحداث المشابهة ، كذلك نفهم طبيعة حركة « الاستقلال الذاتي » التي ورد ذكرها في المذكرات التي نقلها عادل الصلح . فهي (الحركة) وان طرحت صيغة « الامارة العربية » في أجواء الحرب الروسية - العثمانية واجوه المؤتمرات التي أسفرت عنها (معاهدة سان ستيفانو ومؤتمر برلين ) ، لم تخرج عن نطاق المفهوم التقليدي للسلطة المحلية ( امارة عربية في اطار خلافة يتبعها الأتراك العثمانيون ) .

اما عن دور الأمير عبدالقادر الجزائري في الحركة ، فليس لدينا بشأنه الا ما ورد في مذكرات منع الصلح . وهو أن القائمين بالحركة تصلوا به في دمشق وباييده زعيماً للحركة وأميرًا مرتقباً على بلاد الشام .

إن غموضاً كبيراً يكتنف هذه النقطة ، وهي تحتاج على كل حال ، إلى مزيد من التحقيق الوثائقى في أرشيف وزارة الخارجية البريطانية والفرنسية والأوراق الشخصية لدى بعض العائلات . غير أنها نعلم مع هذا ، أن اسم الأمير تردد منذ (١٨٦٠) في تقارير القنصلات الأجنبية بصفته صديقاً لفرنسا وشخصية عربية - اسلامية مرموقة<sup>(٣١)</sup> . كذلك نعلم أنه كان متعاطفاً مع

---

(٣٠) ورد خبر جمعية المقاصد بشأن مسؤوليتها عن المنشير في تقرير القنصل البريطاني أيضاً ، كما أورده الدكتور زين نور الدين - المرجع المذكور سابقاً ص ٦٢ - ٦٦ .

(٣١) انظر :

- Emerit Marcel. La crise syrienne et l'Expansion économique française en 1860.  
Revue historique 1952 76e année, pp. 211 - 232.

الحركة الماسونية التي دخلت بلاد الشام والتي في اطار محافلها كانت تطرح طروحات الاستقلال . يقول شاهين مكاريوس كاتب محفل لبنان في انتهاء الأمير عبدالقادر إلى الماسونية : « وكان قد سمع كثيراً عن الجمعية الماسونية وما لها من صحيح المبادئ وفعل الخير ، فنافت نفسه الى الانضمام اليها ، واغتنم فرصة مروره بالاسكندرية أثناء عودته من الحجاز سنة (١٨٦٤) فانتظم في سلوكها في (١٨) يونيو (حزيران) بمحفل الأهرام التابع للشرق السامي الفرنسياوي ووافقت مشاربه من كل الوجوه ، فأحبها وأحب أهلها ، ومال إليها وإليهم كثيراً وكان لا يخفي نفسه ، وطالما جاهر أنه من اعضائها » .<sup>(٣٢)</sup>

كذلك أيضاً ، نعلم أنه تلقى عدداً من الرسائل من يوسف كرم اثناء اندلاع الحرب الروسية - العثمانية . وتكتشف الرسائل عن مشروع استقلالي عربي يطرحه يوسف كرم على الأمير بعد فشله في اقناع الحكومة الفرنسية بتبني تسميته حاكماً على جبل لبنان . وكتب في احدى الرسائل الموجهة إلى الأمير عبدالقادر ، يعرض مشروعأً كونفدرالياً عربياً يشير ضمناً فيه إلى امارة جبل لبنان : « بينما حكومة روسيا منهكمة بالحرب الحاضرة ، فإن حكومتي فرنسا وإنكلترة لاعتقادهما بسقوط الحكومة العثمانية القريب ، قد هيأتا الوسائل الآيلة إلى تجزئة الديار العربية إلى أقاليم تلجم إلى حمايتها ( . . . ) ». لذلك يقترح : « إذا رأت فخامتكم أن تعين على الأقاليم العربية أمراء مستقلين يدفعون إليكم أموالاً مقررة ، ويوحدون صفوفهم تحت رايتكم ضد كل تعدي ، قبل أن تتدخل بأمورنا الدول الأجنبية ، فذلك كما يتراءى لي هو أحسن سياسة . . . » .<sup>(٣٣)</sup>

وفي رسالة مغلقة موجهة إلى يوسف كرم - ويبدو أنها من صديق لهذا

(٣٢) مكاريوس شاهين ، المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٣٣) كما ورد نصه في الرسالة المشورة عند عادل الصلح ، المرجع السابق ، ص ١١٤ نقلأً عن كتاب : « يوسف بك كرم في المنفى » سمعان الخازن ، طرابلس ١٩٥٠ . ص ٣٤٦ .

الأخير كان يقوم بدور ضابط الاتصال بين الرجلين - كشف للرهان الذي بني عليه يوسف كرم طموحه وهدف اتصاله بالأمير عبدالقادر . يقوم الرهان على اعتبار أن « الانكليز أصبحوا أكثر اضطراراً لفض المسألة الشرقية من سائر الدول... على حد تعبير نص الرسالة - ( وأن ) أهم قطر لهم في المملكة العثمانية هو سوريا لا مصر ، لأنهم يعتبرونها مقاطعة هندية نظراً لمركزها الجغرافي المتند من خليج العجم إلى السويس »<sup>(٣٤)</sup> .

كما في رسالة أخرى من نفس الصديق ، ثمة إشارة إلى قبول الأمير عبد القادر مشروع كرم وتأجيل التحرك بانتظار دخول اليونان الحرب . لقد ورد في الرسالة : « فخامة الأمير يهديكم تحياته ، وهو مباشر بالمقتضى من جهته كما نوهتم ، وباتفاق الرأي معه فنقول : انه ، وان تكون الظروف الحاضرة أصبحت موافقة لبداية العمل ، فمن الضرورة انتظار دخول اليونان ، الذين بالاشتراك مع السفن الروسية التي أمرت بالدخول لبحرنا ، لا بد أن يشغلوا قوة الأتراك البحرية ويقطعوا وصولهملينا بحراً . وبعد دخولهم مع ما لا بد من ظهوره بذاك الوقت من سياسة أوروبا ، نستنير نوعاً عن كيفية نهوضنا . وحينئذ كل تأخير من انعام واجباتنا الوطنية يكون خطأ . وأما سفري ، بكل تأكيد أكون ان شاء الله عندكم حالاً بعد دخول اليونان مصحوباً بالتحارير اللازمة من الأمين»<sup>(٣٥)</sup> .

فمن خلال ما ورد في الرسائل ، وما نعرفه عن شخصية كرم المغامرة ، نرجع أن المشروع المطروح بالاتفاق مع الأمير عبد القادر ، ليس له أية صلة بما طرحته الوجهاء المسلمين على الأمير حول ضرورة إنقاذ بلاد الشام من الاحتلال الأجنبي .

إن مشروع كرم ، وان وافق عليه الأمير عبد القادر على لسان صديق كرم ، يرتكز الى تحرك مناوئ لرسم باشا قام به بعض المطارنة والرهبان في

(٣٤) المرجع نفسه ، ص ١٢١ . نقلًا عن الخوري استفان البشعلاني « لبنان ويوسف كرم » ،

بيروت ١٩٢٤ ص ٥٧٠ - ٥٧٢

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ١٢٢ .

متصرفة جبل لبنان وعلى رأسهم صديقاً كرم المطرانان الدبس والبستاني<sup>(٣٦)</sup>. وهو تحرك جزئي كما رأينا ، تحكمت فيه حدود التناقضات التي برزت بين الحاكم المدني وصلاحياته من جهة ، وركائز السلطة الالكليركية من جهة ثانية في جبل لبنان . أما في بقية انحاء سوريا فلم يكن لطموح كرم ولا لطموح الأمير عبد القادر - ان صحت موافقة هذا الأخير على مشروع كرم - ركائز فعلية ولا استعدادات شعبية لل التجاوب مع مشروع كهذا .

وعلى كل حال ، بعد مؤتمر برلين واحتلال بريطانيا لقرص ، ودفع فرنسا بالمقابل نحو احتلال تونس ، سقط الرهان على بريطانيا في امكانية احتلالها لسوريا . اذ أصبحت مصر ، لا سوريا هي البلد الذي تهيء له بريطانيا مشروع احتلالها . وبقيت سوريا مسرح صراع بين الدول الاستعمارية ، خاصة بعد دخول المانيا حلبة هذا الصراع . أما على صعيد العلاقات العربية - التركية في سوريا فالاضافة الى تأثيرها بالصراعات الدولية فقد اخذت مساراً داخل السلطة العثمانية وخارجها . وتحدد هذا المسار بعاملين متناقضين: من جهة اشتداد القبضة الحميدة، ومن جهة ثانية تصاعد ونمو حركة «ليبرالية» قوية في صفوف الأتراك .

---

(٣٦) انظر الفصل السابق .



- ٤ -

## مظاہر ثقافیة "مسیسَة" في بعض مدن المشرق العربي: بيروت - دمشق

منذ عام (١٨٨١) وحتى عام (١٩٠٨) لا تشهد المرحلة أي عمل سياسي بارز في المدن السورية. ولعل السبب هو في سياسة السلطان عبد الحميد، في مظهرها القمعي والاحتوائي في آن واحد. ولكن بالرغم من ذلك تحدثنا المراجع عن تأسيس ونشاط جمعيات ثقافية وأدبية مختلفة دخل في حلقاتها ومنتدياتها مثقفون وأدباء ووجهاء عائلات مدينة ينتهيون إلى أجواء اجتماعية تأثرت بالواقع الاقتصادية الجديدة التي أخذت تحملها عائلات معينة بعد انخراطها في علاقات تبادل واسعة مع الغرب على مستوى استيراد السلع الجديدة واقتباس الأفكار.

وعلى سبيل المثال نذكر «الجمعية العلمية السورية» التي كانت قد تأسست في بيروت عام (١٨٥٨)، وتوقفت أثناء الحرب الأهلية، ثم استأنفت نشاطها ابتداء من سنة (١٨٦٨). لتعرف فيما بعد امتداداً واسعاً بحيث انضم إليها حوالي (١٨٠) عضواً من انتهاءات طائفية مختلفة لكن ضمن غالبة مسيحية واضحة. وأهم الشخصيات اللامعة في الجمعية: حسين بهم، حنين الخوري، سليم البستانى، عبد الرحيم بدران، سليم شحادة، سليم رمضان،

موسى فريج ، حبيب جلخ ، رزق الله خضرة ، ابراهيم اليازجي ، حبيب بسترس ، ناصيف اليازجي<sup>(٣٧)</sup>.

أما النشاط الثقافي للجمعية فكان مصوراً «بنخبة» بدأت على ما يبدو تعرف على «أفكار» أوروبا وتمثلها وفق الصيغ التعبيرية التي قدمتها الحضارة الغربية التوسيعة نفسها (مدنية، حضارة، علم، الخ..).

إن الموضوعات التي تضمنتها بعض المحاضرات التي نظمتها الجمعية تعكس بوضوح محاولة التمثيل هذه. ولعل إيراد أمثله من عناوين المحاضرات وأسماء المحاضرين يbedo مفيداً في هذا السياق<sup>(٣٨)</sup>:

المحاضرون	عنوان المحاضرة
حنين الخوري	- حاجات العقل - الزراعة
المركيز موسى دي فريج	- تاريخ الحضارة الأوروبية - التجارة - الحضارة
سليم شحادة ابراهيم ثابت	- واقع التعليم - حاجات الحضارة .

وبالإضافة إلى هذه الجمعية ، تأسست جمعيات علمية وثقافية أخرى ذات أهداف انسانية وخيرية ، في كل من طرابلس وصيدا وبيروت . ومن هذه الجمعيات : زهرة الاحسان ، شمس البر ، زهرة الأداب<sup>(٣٩)</sup> ، فضلاً عن «جمعية المقاصد الخيرية» التي كانت قد تأسست عام (١٨٧٨) بداعي تعليمي مناهض للنشاط التبشيري .

- Salam N.: op. cit; p. 161. . (٣٧) سلام نواف ، المرجع نفسه ص ١٦١.

(٣٨) المرجع نفسه ، ص ١٦٢ ، نفلاً عن نقولا زيادة ، ابعاد التاريخ اللبناني الحديث ، القاهرة ١٩٧٢.

(٣٩) برو توفيق ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ، الجامعة العربية ١٩٦٠ ، ص ١٩.

غير أن أبرز النشاطات الثقافية التي كانت تعبّر عن موقع المثقفين المسلمين الفكرية والسياسية تلك التي ظهرت في دمشق في السنوات العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتي شكل محورها ومحركها الشيخ طاهر الجزائري<sup>(٤٠)</sup>.

ولعلَّ ومن المفيد أن نقتبس هنا ما ورد عن نشاط الشيخ في كتاب «القومية العربية» للأمير مصطفى الشهابي:

«في تلك المدة التي قضاها الشيخ طاهر الجزائري بالشام، في السنوات العشرين الأخيرة من القرن التاسع والستينات الخمس الأولى من القرن العشرين، كان يتحلق حوله في دمشق صفوه المتعلمين والبناء والمفكرين العرب، فتألفت من جماعهم أكبر حلقة أدبية وثقافية كانت تدعو إلى تعليم العلوم العصرية، ومدارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي وأداب اللغة العربية، والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية، والأخذ بالصالح من المدنية الغربية».

«وكان من الرجال الأوائل في هذه الحلقة علماء مصلحون ومؤلفون معروفون كالشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ سليم البخاري وغيرهم، ثم التحق بها عدد كبير من كانوا دونهم في السن منهم: رفيق العظم، ومحمد كرد علي، وفارس الخوري، وعبد الحميد الزهراوي، وشكري العسلي، وعبد الوهاب المليحي، عبد الرحمن الشهبندر، وسليم الجزائري<sup>(٤١)</sup>».

ويعلق المؤلف على الجانب السياسي الذي تولد عن طبيعة نشاط الحلقة فيقول: «ومن الطبيعي أن يتولد في هذه الحلقة الأدبية وخارجها شعور قوي بالوضع السيء الذي كانت عليه شعوب الدولة العثمانية عموماً والشعب

---

(٤٠) ندين بعلموماتنا عن الشيخ طاهر الجزائري وحلقه في دمشق للأستاذ مصطفى الشهابي مؤلف كتاب : القومية العربية ( تاريخها وقوامها ومراميها ) - الجامعة العربية . ١٩٥٨ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

العربي فيها خصوصاً. وقد نتج عن هذا الشعور قيام حلقة أو جمعية سرية سياسية في دمشق مؤلفة من أعضاء عرب واتراك هدفها: السعي للقضاء على استبداد السلطان عبد الحميد وحكمه المطلق، بجعل الحكم شورى في الدولة أي بنشر الدستور المعلق»<sup>(٤٢)</sup>.

وإن كان لا بد من تعليق على الخلفية السياسية لهذا النشاط، فإننا نكتفي بالإشارة إلى أن اعجاب هذه المجموعات بعض مظاهر «المدنية الغربية» ودعوتهم للعودة إلى التراث واحيائه، لم يدفع سياسياً إلى موقف معادية من الدولة العثمانية كما هو الحال بالنسبة لبعض المثقفين المسيحيين الذين «بهرتهم» «المدنية الأوروبية»، فكانت الدعوة لإحياء التراث العربي صيغة ايديولوجية معادية للأتراك ليس أكثر.

فالفرق بين الموقفين والفهمين ندركه ببساطة في موقف وسلوك الشيخ طاهر الجزائري. لقد شغل الشيخ لفترة طويلة، منصب مفتش عام للمعارف في ولاية سوريا. ومن خلال هذا الموقع، وهو موقع اسلامي و«عماني» في نفس الوقت، استطاع بموافقة الوالي حدي باشا أن يفتح عدداً من المدارس الحكومية التي تدرس العلوم بالعربية، وتعنى بتدريس آداب هذه اللغة، وأن ينشئ جمعية شبه رسمية (الجمعية الخيرية) تغول وتساعد من قبل الدولة، لها مدارسها ومطبعتها الخاصة. بل أكثر من ذلك استطاع أن يجمع آلاف الكتب والمخطوطات الموقوفة على المساجد في قبة الملك الظاهر في دمشق فكان بذلك مؤسساً للمكتبة الظاهرية التي تقع اليوم المجمع العلمي العربي<sup>(٤٣)</sup>.

إن اهتمام الشيخ طاهر بدراسة التراث وجمع مصادره، وإحياء اللغة العربية وأدابها، ينبع أولاً من موقفه المعادي للنشاط الإراسي الغربي حتى ولو لبس هذا الأخير لباس «العروبة»، وثانياً من حرصه على سلامنة الدولة العثمانية. إن حجته التي أقنع بها المسؤولين الأتراك بضرورة توسيع ميدان التعليم الرسمي، وتدرис اللغة العربية وأدابها، ينبع من هذه القناعة التي

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

يعبر عنها مصطفى الشهابي بالصيغة التالية: «إن مدارس الارساليات الأجنبية من بروتستانتية وكاثوليكية كلها تدرس العربية وأدابها، خلافاً لمدارس الحكومة العثمانية. فإذا طالت هذه الحال نشأ في المدارس الأجنبية نشاء له تفكير خاص ومذاهب سياسية لا تسرب الدولة. ولذلك يجب مقاومة هذه التزععات بالطريقة التي يتبعها الأجانب»<sup>(٤٤)</sup>.

هذا، ويحدثنا مصطفى الشهابي اعتماداً على وثائق أخيه عارف الشهابي عن «حلقة سياسية سرية» تألفت في دمشق عام (١٩٠٣). ومن المفيد متابعة نشأة الحلقة ومسار تطورها مع المؤلف: «كان في الصحف الأخيرة من مدرسة الحكومة الثانوية بدمشق وفي خارج تلك المدرسة، شبان نباء في ميزة الصبا يتردد بعضهم على حلقة الشيخ طاهر الجزائري، ويصغون في انتباه وتواضع إلى ما كان يدور فيها من أحاديث ومحاورات في اللغة العربية وقواعدها وأدابها، وفي حضارة العرب والإسلام، وفي ذلك التراث العلمي العظيم من المخطوطات التي خلفها لنا الأجداد، وفي الجهل الضارب أطنابه بالبلاد العربية، وفي الوسائل التي يجب التوصل بها لرفع مستوى التفكير والتعليم..»<sup>(٤٥)</sup>.

وما لبث هؤلاء الشباب أن «الفوا حلقة خاصة نعتت بحلقة دمشق الصغيرة»، وكان لوب هذه الحلقة محب الدين الخطيب، ومن أعضائها البارزين عارف الشهابي، وعثمان مردم، ولطفي الحفار، وصالح قنباز، وصلاح الدين القاسمي. إن الأطروحات السرية هذه الحلقة تسجل خطوة مهمة على طريق «تسيس» الاهتمامات الثقافية حلقة الشيخ طاهر الجزائري، وذلك باتجاه الدفع سرياً نحو الدعوة لبرنامج سياسي يقضي «بخطابة الدولة العثمانية باتخاذ نظام لامركزي يضمن للعرب حقوقهم في الحكم، ويجعل لغتهم في الولايات العربية لغة رسمية في مدارس الحكومة ودوارينها ومحاكمها».

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

هذه الأطروحات شكلت منطلقاً لتوسيع الاتصالات بين شبان دمشق وبيروت. وكان من بين الذين اتصل بهم في بيروت عارف النكدي، عبد الغني العريسي، محمد المحمصاني، والأمير عادل أرسلان<sup>(٤٦)</sup>.

وفي سنة (١٩٠٥) انتقل بعض شبان دمشق للدراسة في مدارس استانبول العالية فقلعوا معهم إليها اهتماماتهم الثقافية - السياسية. وفي عام (١٩٠٦) أسس حب الدين الخطيب، وعارف الشهابي، وعبد الكريم قاسم الخليل، وشكري الجندي «جمعية النهضة العربية»، واتفق على أن يكون مركزها الثابت في دمشق. وانتخب حب الدين الخطيب رئيساً لها في استانبول ثم في دمشق. وانتخب صلاح الدين القاسمي أول أمين لها<sup>(٤٧)</sup>. وهكذا أصبحت الجمعية إطاراً يضم العديد من الشبان المنشرين في المدن المشرقة العربية، والذين ستبرز أسماؤهم بعد (١٩٠٨)، إن في حزب الالامركزية أو جمعية «العربية الفتاة» أو جمعية «العهد»، وفي غير ذلك من النشاطات السياسية والواقف.

وإن نموذجاً من النشاطات الثقافية للجمعية يستوقفنا لدلالته على الخلطية الأيديولوجية والسياسية لأصحابه:

ففي حفلة غداء أقيمت في (١٧ آب ١٩٠٧) في أرض الوادي بدمشق ضمت أغلب أعضاء الجمعية ألقى رشدي الحكيم خطاباً في «التقدم الذاتي»، وذكي الخطيب خطاباً في «الإنسان وال التربية»، وصلاح الدين القاسمي خطاباً عنوانه «العلم والمجتمع» ولطفي الحفار خطاباً في «اللغة العربية»، وحب الدين الخطيب خطاباً عنوانه «الدين والاصلاح»<sup>(٤٨)</sup>.

ولكن، منها يكن من أمر الأهمية السياسية لهذه النشاطات فمن المؤكد أن وجهة الموضوعات المطروحة والاهتمامات التي تدور حولها تعكس وعيأ

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٤٨) صلاح الدين القاسمي ، آثاره ، صفحات من تاريخ النهضة العربية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص

٦ - ٤

إنسانياً واهتماماً ثقافياً يتمثل مع تعبيرات عصر «النهاية» الأوروبية وبهموم مفكريها وأدبائها. لكنه في الحالة التي نذكر يأتي التعبير عن هموم «النهاية» العربية خليطاً من مفاهيم أوروبية «عصيرية» تبشر بها أيديولوجيا الغرب التوسيعى، ومن قيم تراثية تشد إلى الجذور والماضى، وتحذر في نفس الوقت من خطر الغرب.

وعلى كل حال يبقى الجانب الأساسى فى هذه النشاطات هو إشاعتها فى دمشق جواً من «روح التكتل» على حد تعبير جاك بيرك<sup>(٤٩)</sup>. ولكن منها قيل عن أهمية هذه الجمعية فى بلورة الوعي القومى عند العرب عن طريق إشاعة روح تنظيمية «عصيرية»، يبقى الإسلام إطار لقاء تاريخي مهم مع الأتراك، ويبقى بالتالى خط دفاع أساسى وأولى ضد السياسات الإستعمارية الأوروبية. لقد كانت التطلعات العربية تعبر عن نفسها فى إطار الدولة العثمانية الإسلامية بحركة معارضة ضد الفساد والاستبداد، ومن أجل المشاركة العربية والإصلاح.

ذلك هو القاسم المشترك الذى جمع المثقفين المسلمين العرب مع إخوانهم «الأحرار» من الأتراك. وهنا بالذات يمكن الخطا الكبير الذى يقع فيه بعض المؤرخين العرب حين يتحدثون عن «الاستعمار التركى» وعن اعتبار حركة المثقفين العرب فى المشرق حركة معادية للأتراك بشكل أساسى.

ألم يكن «الأحرار» الأتراك أكثر تقدماً من إخوانهم المسلمين العرب على صعيد استيعاب الفكر السياسي الليبرالي العربى وأكثر عداء للاستبداد الحميدى؟ ألم يضطر بعض المثقفين المسيحيين «الليبراليين» الذين هاجروا من سوريا أن ينضموا بسبب ذلك إلى صفوف التنظيمات «الليبرالية» التركية ويناضلوا معاً ضد سياسة عبد الحميد، ومن أجل إعادة الحياة الدستورية؟ إن العمل المشترك الذى برز في الداخل سراً، وفي الخارج علناً - لا سيما في مصر وببلدان أوروبا - شهادة دامغة على ذلك.

---

- Berque Jacques, *Les arabes d'Hier à demain*, paris 1961, p. 17.

(٤٩)



- ٥ -

## أشكال واتجاهات العمل السياسي في الخارج

أ- في أوروبا: المعارضة التركية خور عثماني مشترك

لم يستهدف الاستبداد الحميدي الفئات الإصلاحية و «اللبيرالية» غير التركية وحدها. بل لعل الإصلاحين والثوريين الأتراك كانوا أكثر من غيرهم عرضة لللاحقة<sup>(٥٠)</sup>.

بدأت موجة الاستبداد الحميدي بنفي مدحت باشا، ثم باعتياله في ظروف غامضة بعد أن وجهت إليه تهمة اغتيال السلطان عبد العزيز. ولم تلبث أن تصاعدت حالات الملاحقة الشديدة والاعتقالات ضد كل مناد بالإصلاح وتطبيق الدستور. وانتشرت في أنحاء البلاد شبكة واسعة من الجواسيس والمخبرين، لا سيما في المدارس والكليات. مما أجبر عدداً كبيراً من

(٥٠) كان أحد رضا، أحد قادة «تركيا الفتاة» يرى «ان لكل قومية في الامبراطورية العثمانية الواسعة الرقعة ، حاميًّا ما عدا الترك أنفسهم». فكان «يتشكى بحرارة من ترك التركي البائس بلا محام يدافع عنه وهو الذي يعاني الألم من ظلم عبدالحميد ، كما يعاني أي فريق آخر من سكان دولة عبدالحميد».

أنظر : رامزور ارنست ، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة الدكتور صالح أحد العلي ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٩١-٩٢ .

«أحرار» الأتراك أن يتركوا البلاد نحو أوروبا ويقيموا في عواصمها، لا سيما في باريس<sup>(٥١)</sup>.

هناك أقام أحد «الليبراليين» المسيحيين من بيروت، خليل غانم الذي كان نائباً في المجلس العثماني عن ولاية سورية أيام تطبيق دستور (١٨٧٦) ونزع إثر تعليق هذا الدستور ليؤسس في باريس عام (١٨٧٨) جريدة تحمل اسم «تركيا الفتاة». وفي عام (١٨٨٩) وصل باريس أحمد رضا، أحد الليبراليين الأتراك الذي اكتشف نشاطه المعادي لعبد الحميد، فاضطر أن ينزع إلى باريس وينضم إلى مجموعة «تركيا - الفتاة». وفي عام (١٨٩٥) وبالتعاون مع خليل غانم وعدد من المفتيين الآخرين بدأ أحمد رضا باصدار صحيفة «مشورت» التي كانت تصدر مرتين في الشهر وباللغة التركية مع ملحق فرنسي. وهذه الصحيفة أصبحت فيما بعد الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي<sup>(٥٢)</sup>.

وفي كانون الأول (١٨٩٩) هرب الداماد محمود باشا صهر السلطان من تركيا مع ولديه البرنس صباح الدين والبرنس لطف الله، حيث أقاموا في فرنسا ونشطوا في محاربة السلطان وفضحه والتعبئة ضده. بعد وفاة الداماد محمود عام (١٩٠٣)، أكمل البرنس صباح الدين مهمته التصدّي للسلطان، محاولاً أن ييلور خطأً سياسياً مستقلّاً عن خط جمعية الاتحاد والترقي. فأنشأ منظمة أطلق عليها اسم: «عصبة الإدارة اللامركزية والمبادرة الخاصة»، وأنشأ صحفة دعاها «ترقي»<sup>(٥٣)</sup>.

وفي هذه الأثناء كانت عناصر أرمنية وكردية والبانية وعربية تتواجد إلى أوروبا، وبالتالي إلى جنيف وباريس ولندن وبروكسل حيث تشكل لجاناً وروابط وتصدر نشرات ومجلات<sup>(٥٤)</sup>.

(٥١) المرجع نفسه ، ص ٥٠ - ٥٢ .

(٥٢) المرجع نفسه ص ٥٢ .

(٥٣) المرجع نفسه ، ص ٨٣ وص ١٠٨ .

(٥٤) المرجع نفسه ، ص ٩٠ - ٩١ .

وبالنسبة للنشاط العربي يذكر أرنست رامزور أن «النشاط الوحيد الجدير بالذكر هو الذي قامت به منظمة تدعى «لجنة الإصلاح التركية السورية» بزعامة الأمير أمين أرسلان. لقد كانت هذه المنظمة قائمة منذ زمن، ولكن يبدو أنه لم يكن لأعضائها دافع قومي حقيقي، بل كان دافعهم الرغبة في الإصلاحات التي قد تحصل حياتهم في الامبراطورية أسهل. أما خليل غانم فكان سوريا نصرانياً لا يرقى الشك إلى إخلاصه لأهداف تركيا الفتاة كما رأينا»<sup>(٥٥)</sup>.

اذن كان العمل المحوري والأساسي الذي انشدت إليه شتى العناصر الأثنية، لا سيما العربية هو العمل الذي قتله «تركيا الفتاة» و «عصبة الإدارة اللامركزية». فالعناصر العربية، لا سيما تلك التي مرت بتجربة (١٨٧٧ - ١٨٨٠) بشقيها الإسلامي والمسيحي ، والعنابر التي بدأت تعرف على أفكار أوروبا وتستهضن أوضاعها إما تقليداً أو تحدياً (الجمعية العلمية السورية، حلقة طاهر الجزائري ، جمعية النهضة العربية...)<sup>(٥٦)</sup>، وجدت في برامج «تركيا الفتاة» وكتابات مجلة مشورت (التي كانت تدخل سراً أراضي لدولة العثمانية) وأفكار صباح الدين ، استجابات لطلعاتها وتعبيرات عن جزء كبير من مطالبها.

فالبرنامج السياسي الذي نشرته «مشورت» في (٣ كانون الأول ١٨٩٥) تضمن نقاطاً تلتقي عندها بعض تطلعات العرب ومطالبها. وأهم هذه النقاط :

- «إننا نطالب بالإصلاحات ولا ننصرها على هذه الولاية أو تلك ، بل

(٥٥) المرجع نفسه ، ص ٩١ .

(٥٦) ورد في محاضرات مصطفى الشهابي أن حكومة السلطان عبدالحميد اهتمت الشيخ طاهر الجزائري «بالاشتراك في اذاعة نشرات كانت جمعية «تركيا الفتاة» تذرعها للطعن باستبداد السلطان عبدالحميد ، فنزع الشيخ الى مصر ملحاً الأحرار». كذلك ورد أن أفراد حلقة الشيخ طاهر ، كان لها اتصال سري ب الرجال «تركيا الفتاة» .  
الشهابي ، مصطفى : المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

نطلبها للامبراطورية كافة، لا لمصلحة قومية واحدة، بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين.

-«إننا نريد أن نتقدم في مضمون المدنية، ولكننا نعلن بعزم أننا لا نريد أن نتقدم إلا بالطريق الذي فيه تدعيم العنصر العثماني، واحترام ظروف وجوده الخاصة».

-«إننا مصممون على رعاية إصالة حضارتنا الشرقية، وهذا السبب لا نأخذ من الغرب إلا التتابع العامة لتطوره العلمي، وإلا الأشياء التي يمكن هضمها حقاً، وهي ضرورية لتوجيه الشعب في سيره نحو الحرية».

-«إننا نعارض احلال التدخل المباشر للدول الغربية محل السلطة العثمانية، وهذا ليس ناجماً عن التعصب، لأن المسألة الدينية عندنا أمر خاص - ولكنه منبعث من العاطفة المشروعة للكرامة المدنية والقومية»<sup>(٥٧)</sup>.

هذا وأن ثمة برامج وأفكاراً كانت أكثر جذباً وتعبيرأً عن مصالح أثنيات الامبراطورية العثمانية، تلك هي أفكار وبرامج البرنس صباح الدين. فقد ذهب هذا الأخير أبعد مما ذهبت إليه جمعية «الاتحاد والترقي» في التعبير عن خصوصيات المناطق والقوميات التي تتشكل منها الامبراطورية.

ففي «المؤتمر الأول للأحرار العثمانيين» الذي عقد في باريس من الرابع حتى التاسع من شهر شباط سنة (١٩٠٢) ألقى البرنس صباح الدين أمام سبعة وأربعين عضواً من الترك والعرب واليونانيين والأكراد والألبانيين والأرمن... خطاباً افتتاحياً جاء فيه: «ينبغي أن يكون مفهوماً جيداً أن الأتراك الذين يكونون الأكثرية في الامبراطورية لا يطلبون لأنفسهم إلا ما يطلبهون، وبينس المقياس، لأخواتهم المواطنين المسلمين وغير المسلمين كافة».  
«إن الامبراطورية العثمانية منذ ظهورها حتى عهد الدستور لم يثبت تقديرها قط في احترام لغة وعادات وديانة جميع الشعوب المختلفة التي تتولى مصائرها...»

---

(٥٧) رامزور ، المرجع السابق ، ص ٥٧ ، نقلأ عن : - Revue occidentale , sec. sér. XII, p. 128.

«إننا نعيد القول: إن الاصلاحات التي نطلب تطبيقها في بلادنا، والتي نعمل بكل قوانا لتطبيقها، لا نطلبها لشعب دون آخر أو ملة دون أخرى، كلا إننا نطلبها لجميع العثمانيين دون استثناء»<sup>(٥٨)</sup>.

وتأتي مقررات المؤتمر تأكيداً لامكانية العمل المشترك. وأهمها ما يلي:

١ - «إننا نرفض الربط بين الشعوب العثمانية والنظام الذي عشنا فيه خمساً وعشرين سنة، فهو نظام ظالم وهو المصدر الوحيد للمساوئ المفترفة في الامبراطورية والتي تستثير احتقار الإنسانية جماء».

٢ - «إننا نريد أن نؤسس بين مختلف شعوب الامبراطورية وأجناسها ائتلافاً يضم الجميع، ومن غير تمييز، تمعنهم التام بحقوقهم التي أقرتها إعلانات السلاطين وعززتها المعاهدات الدولية، وأن توفر لهم الوسائل التي ترضي تماماً آمالهم الشرعية في الإسهام بالإدارة المحلية، وتضعهم على قدم المساواة من ناحية الحقوق والواجبات المطلوبة من كافة المواطنين، وأن تستثير فيهم شعور الإخلاص والولاء للعرش ولآل عثمان اللذين وحدهما يستطيعان المحافظة على الوحدة».

٣ - «سنوجه جهودنا في جميع الأحوال إلى تنسيق رغبات جميع الشعوب العثمانية، وجهود جميع المواطنين من أجل هذا الهدف الثالثي: (أ) الحفاظ على وحدة الامبراطورية العثمانية وعدم إمكان تفككها. (ب) إعادة تأسيس النظام والسلم في الداخل وها شرطان أساسيان للتقدم. (ج) احترام القوانين الأساسية في الامبراطورية وخاصة الدستور الذي أدخل في سنة (١٨٧٦). والذي هو بلا جدال أهم ما فيها والذي يقدم أعلى وأثمن ضمان للإصلاحات العامة ولحقوق الشعوب العثمانية وحرياتها السياسية تجاه التعسف»<sup>(٥٩)</sup>.

---

(٥٨) المرجع نفسه ، ص ١١٠ .

(٥٩) المرجع نفسه ، ص ٩٤ - ٩٥ .

اذن، كان من الطبيعي أن تشكل هذه البرامج والتوجهات محور عمل رئيسي قادر على استقطاب شتى الاتجاهات «الليبرالية» والإصلاحية المحلية في الشرق العربي.

إلا أنه تبقى ظاهرة لا بد من الوقوف عندها ونحن نتحدث عن النشاط السياسي في باريس، وهي ظاهرة ارتفاع صوت نجيب عازوري آنذاك مطالباً بانفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية، وتأسيس دولة عربية «مستقلة».

في سنة (١٩٠٤) أسس عازوري في باريس «عصبة الوطن العربي» التي لم تثر آنذاك إلا اهتمام بعض الكتاب والصحفيين الفرنسيين بما صدر عنها من بيانات ونشرات قليلة. وفي سنة (١٩٠٥) أصدر كتاباً بالفرنسية يحمل العنوان التالي: «يقظة الأمة العربية في آسيا التركية»<sup>(٦٠)</sup>.

«Le Reveil de la nation arabe dans l'Asie Turque».

ويتجه صاحب الكتاب إلى الدول الأوروبية طارحاً عليها مشروعأً يقضي بإنشاء دولة عربية «تمتد حسب رأيه في حدود خومها الطبيعية، من وادي دجلة والفرات إلى قنال السويس، ومن شاطئ المتوسط إلى بحر عُمان. ويكون حكمها ملكياً دستورياً ليبرالياً تحت سلطان عربي. أما ولاية الحجاز الحالية فإنها تشكل مع المدينة دولة مستقلة يكون رئيسها في نفس الوقت خليفة للمسلمين جميعاً». ويتابع المؤلف: «وهكذا فإن معضلة كبيرة، هي فصل السلطة المدينة عن السلطة الدينية، في الإسلام تكون بذلك قد تحققت لما فيه خير الجميع».

هذا المشروع ينطلق بالطبع من تحديد وظيفة اقتصادية وسياسية في ظل النظام العالمي. وفي معرض حديثه عن «حسنات» هذه الدولة يقول عازوري: «سنحافظ على مصالح الأجانب الموجودة حالياً، وسنحترم كل

---

(٦٠) زين نورالدين زين ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

الامتيازات التي اعطيت لهم حتى يومنا هذا من قبل الأتراك، كما أنها ستحترم أيضاً استقلال لبنان (...).

ويضيف: «ما من إنسان شريف ومستقيم يمكن أن يكون معادياً لحركة خيرة سفتح أفقاً واسعاً للتجارة العالمية، وستضمن للرساميل الأوروبية توظيفات لا تخصى، مغربية وأكيدة. هذا، وب مجرد أن نفصل نحن عن تركيا، ستثال كل الشعوب المضطهدة الأكراد والأرمن والألبان... حريتها (...).»

ويخلص إلى القول:

«لا نطلب من الدول الكبرى أن تقوم بأية تضحيه من أجلنا، ولا أن تقوم بأي عمل عسكري في مصلحتنا. نرجو فقط من الدول المتنورة والإنسانية في أوروبا وأميركا الشمالية أن تجذب عبر مجرد حيادها حركتنا وأن تشجعنا بعطفها. ولا يبقى إلا أن نسير نحن بمشروعنا العظيم والسليم نحو الغاية المنشودة. إننا إثنا عشر مليون من العرب، يصطدرون بضعة مئات من الموظفين الأتراك المستعددين لخيانة الباشا في اللحظة التي يرون فيها أننا نحن الأقوى». (٦١).

ماذا كان صدى هذا الصوت؟ لقد أثار كتاب عازوري بعض الاهتمام في الأوساط الدبلوماسية والاقتصادية الأوروبية، ولكن على صعيد الداخل، وفي أوساط المثقفين المسلمين بالذات بقي بلا صدى لم يثر أي انتباه. أما من قدر له أن يقرأه أو يسمع به فإنه إما لم يثير عنده أي اهتمام أو أنه أثار استياء عبر عنه محمد جليل بيهم بما يلي: «وبقي صوت العروبة يتتصاعد حيناً بعد حين ، ومداره على الأكثر الخلافة ، وأتها للعرب دون آل عثمان . ومن المؤسف أن هذا الصوت لم يكن يصدر في أوروبا عن قومين مخلصين استندوا إلى منظمات كما فعل الأرمن ، بل كان مصدره إما موتورين أو وصوليين

---

(٦١) ورد النص في :

- Bureau André, *Traditions et politique de la france au levant*, paris 1931, p.p.  
189 - 190.

استغلوا هذه الحركة في سبيل بلوغ منافعهم الخاصة ، أو مأجورين من الأجانب كانوا يرثون عقيتهم وفقاً للوحى الذي يوحى اليهم : فقد أصدر ابراهيم بك المولى لحي جريدة الخلافة في نابولي (١٨٧٩) وهو يتوجى منها الانتقام للخدبوى اسماعيل باشا ، بمناسبة خلعه عن عرش مصر . ونشر الدكتور لويس صابونجي في لندن جريدة أخرى تحمل اسم «الخلافة» (١٨٨١) ومجلة «الاتحاد العربى» وكان يعتمد فيها على أموال بريطانية . وأصدر الأستاذ خليل غانم في نفس العام ، بباريس جريدة البصیر ، وكانت تغذيها الأموال الفرنسية ( . . . ) .

« . . . وقد حاول الأستاذ نجيب عازوري اللبناني إثارة القضية العربية في باريس في مطلع القرن العشرين ( . . . ) . ويسوؤنا القول بأن الظنون كانت تحوم أيضاً حول نشاط المشاري : ذلك أنه هبط باريس غاضباً من جراء عزله من الوظيفة التي كان يشغلها في فلسطين ، فأخذ بمنشوراته يواعد الترك بالعرب . . . » (٦٢) .

وفي الواقع ان «ظاهرة» عازوري لم تكن تستحق هذه الوقفة لولا أن العديد من المؤرخين العرب الذين بحثوا في تاريخ العمل القومي العربي لم يولوها أهمية في مسار هذا النضال أو جعلوها نقطة مهمة على طريق تبلور الوعي القومي (٦٣) . لنقرأ هذه الفقرة لأحد المشاركين يومذاك في النشاط السياسي (الأمير مصطفى الشهابي) في «أهمية» هذا الكتاب : «ومن الطبيعي القول بأن نشاطاً قومياً كهذا النشاط ، مقره باريس ولغته افرنسية ، لا يمكن أن يبلغ صداه البلاد العربية في يسر ، ولا أن يكون له تأثير يذكر في نفوس العاملين في الحركة القومية العربية . وأنا على يقين من أن كتاب العازوري لم يكن عند أحد من شباب جمعية النهضة العربية ، ولا عند أحد من ألفوا

(٦٢) بيهم محمد جيل ، قوافي العروبة وماكها ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٦٣) ليس من كتاب في تاريخ القومية العربية يخلو تقريباً من اشارة الى كتاب «عازوري» : مما يشير التباساً ومهماً حول أهمية نشاط عازوري في مجال العمل القومي .

عقب اعلان الدستور العثماني الجمعيات والمؤسسات القومية العربية المختلفة . وفي سنة (١٩١١) وجدته بياع في احدى مكتبات باريس فاشتريته ودللت بعض الرفاق من الطلاب العرب عليه . فلم يهتموا به ، لأنهم كانوا قد شبووا عن الطوق ، وعرفوا من شؤون القومية العربية وواجباتهم فيها ما لم يعرفه غيرهم »<sup>(٦٤)</sup> .

ونخلص الى القول : ان العمل المشترك التركي - العربي ، المناهض لأسلوب عبدالحميد في الحكم كان العمل السياسي السائد في أوروبا ، وإن ارتفعت بعض أصوات فردية تطالب بالانفصال عن الأتراك .

ب : في مصر : خطان مختلفان «النار» و «المقطف»  
وكما كانت باريس ، كانت القاهرة أيضاً ملحاً «لليراليين» المحليين والاصلاحيين عرباً وتركاً ، مسلمين ومسيحيين .

ومن بين الاصلاحيين المسلمين الكبار نذكر الشيخ محمد رشيد رضا الذي نزح من العاصمة اثر تصاعد موجة القمع وشمومها ، واستقر في القاهرة . وخلال عامي (١٨٩٧ - ١٨٩٨) أسس بالتعاون مع أحد مثقفي وأعيان دمشق محمد رفيق العظم ، «جمعية الشورى العثمانية» ، ومجلة ناطقة باسمها هي مجلة النار<sup>(٦٥)</sup> .

لقد خرج محمد رشيد رضا من محيط اجتماعي - ثقافي اسلامي ، وتغذى بثقافة دينية - تاريخية كان أبرز مثيلها يومذاك والمساهمين في نشرها : السيد الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ عبدالرحمن الكواكبي ، وقد تميز الخط الاسلامي المعادي للاستعمار بالمبادئ التالية<sup>(٦٦)</sup> :

- المندادة بالوحدة الاسلامية مجسدة سياسياً «بالاتحاد العثماني» والخلافة .
- الدعوة للنضال ضد الاستعمار الأوروبي .

(٦٤) الشهابي مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٦٥) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٦٦) علوش ناجي ، التوري العربي المعاصر ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .

- الدعوة للنضال ضد استبداد عبدالحميد .

على أساس هذه المبادئ انضمت في القاهرة عناصر عربية وتركية إلى «جمعية الشورى العثمانية»، واستطاع محمد رشيد رضا أن يقيم علاقات سرية مع الداخل<sup>(٦٧)</sup> .

وإلى جانب هذه المجموعة السياسية ، كانت مجموعة أخرى قد تكونت أساساً من بعض المثقفين المسيحيين الذين سبق ونزحوا من بيروت عام (١٨٨٥) بعد انخراطهم في «جمعية بيروت السرية»، لتكميل خطها السياسي في القاهرة ، مستفيدة من الأجواء «الديمقراطية» التي أتاحها الانجليز لنحو المعارضة ضد عبدالحميد والأتراك عبر مجلات وجرائد كالمشير والمقطم والمقططف .

وكانت هذه المجموعة تلتقي مع «جمعية الشورى العثمانية» فيما يتعلق بالنضال ضد استبداد عبدالحميد . ولكن خارج إطار هذا الهدف المشترك ، كانت ثمة فروقات سياسية عديدة تميز المجموعتين ، لا سيما في مسألة الموقف من الأتراك والموقف من الدول الأوروبية .

في وجه الموقف المعادي للاستعمار الذي كانت تمثله «المنار» ، رفعت «المشير» الموقف المعادي للأتراك على أساس استحالة اقناعهم بالاصلاح ، ودعت لطلب مساعدة الغرب<sup>(٦٨)</sup> .

وفي وجه السجال الذي قدمته «المنار» في موضوع خطر أوروبا منطلقة من مثل مصر التي وقعت في أيدي الانجليز ، كان فارس نمر يطرح في «المقططف» ضرورة المرور بمرحلة تحضير الشعب للاستقلال بواسطة «ترقية الأمة بالعلوم والمعارف» (....) «وإذا حاسنا المحتلين واستعننا بهم على اصلاح أحوالنا واكتسبنا ثقتهم» . لذلك فهو يدعو للاستعمار ويجاهر : «أنا

(٦٧) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٦٨) المقدسي أنيس ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ٣٠ . ٣٢

احتلالي على رؤوس الأشهاد ، من أكبر الاحتلالين ، لأنني جاهرت وشهدت ولم أخف ولم أنكر أن المحتلين أصلحوا في هذا القطر اصلاحاً عظيماً»<sup>(٦٩)</sup> .

ومهما يكن ، فلم يمنع هذا الاختلاف في تحديد الموقف من الاستعمار لقاء الخطين على أرضية مشتركة هي معارضته السلطان ، وتحقيق الاصلاحات الدستورية على قاعدة البرامج التي طرحتها «الليبراليون» الأتراك .

ولعل هذا اللقاء هو ما يفسر لم استقبلت «ثورة تركيا الفتاة» في تموز (١٩٠٨) بحماس وفرح عظيمين من الجميع ووجهت عودة الدستور بابتهاج شديد غطى جميع المناطق والمدن ، وشمل جميع الطوائف والاتجاهات ؟<sup>(٧٠)</sup> .

لكن «الثورة كانت ، على حد تعبير جورج سمنة ، أضعف مما بدأ عليه. فإذا كان الكل مسروراً للحالة الجديدة، فإنه ما من أحد كان مسروراً لذات الأسباب ، وما من أحد كان يتظر من المستقبل نفس الانجازات»<sup>(٧١)</sup> .

هذه الملاحظة التي كتب她 عام (١٩٢٠) من قبل أحد ممثلي الاتجاه السوري الموالي لفرنسا ، تصف جيداً احتمالات الواقع كما سيتطور بعد (١٩٠٨).

وقبل الانتقال إلى دراسة واقع ما بعد (١٩٠٨) ، تحسن العودة إلى جبل لبنان ، لتابعة أهم المواقف السياسية التي عرفتها المتصرفية خلال الحقبة (١٨٧٦ - ١٩٠٨).

---

(٦٩) المقططف ، مجلد ٣٦ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٥ ، وورد عند : علوش ناجي ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٧٠) المقدسي ، أنيس ، المرجع السابق ، ص ٧٦ - ٨٣ .

- Samné Georges, *La syrie* , paris 1920, p. 58.

(٧١) طرين أحد ، لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الانتداب ١٨٦١ - ١٩٢٠ جامعة الدول العربية ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٧ .

(٧٢) اعتماداً على تقرير القنصل الفرنسي :  
- Beyrouth, T, 20 rapport, No. 37 du 20 déc. 1876.



- ٦ -

## مواقف سياسية في إطار متصرفية جبل لبنان ١٨٧٦ - ١٩٠٨

كانت أوضاع الجبل، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تتجه، كما قلنا سابقاً ونكرر الآن، نحو ثبيت «وضع خاص» في المنطقة طال بفوائده ومنافعه تقريباً كل الفئات الاجتماعية من السكان الموارنة. فالاكليروس الماروني جنى أرباحاً على المستوى الاقتصادي من خلال زراعة التوت وتجارة شرائق الحرير، ومارس سلطة مهيمنة على المستوى السياسي. والبورجوازية الريفية المارونية راكمت ثروات ضخمة أتت من الأرض وحللات الشرانق والتجارة. كذلك وجدت الفئات الشعبية في مجالات العمل المتوفرة في الجبل ونتائج الهجرة وسيلة لتخفيي الفقر الذي تعانيه المناطق المجاورة. كل هذا انتظم أيضاً على المستوى الإداري والحكومي في إطار «استقلال» نسبي مرتكز إلى حماية الدول الأجنبية ولا سيما فرنسا.

في إطار هذا «الوضع الخاص» كيف تحددت مواقف القوى الاجتماعية في جبل لبنان من إعلان الدستور عام (١٨٧٦)، ومن ثورة تركيا الفتاه عام (١٩٠٨). وهل أفرز «الوضع الخاص» خلال كل هذه الفترة قوى جديدة وطروحات جديدة في إطار الإدارة القائمة؟

## أـ. أزمة (١٨٧٦) المتعلقة بتطبيق الدستور العثماني

غداة إعلان دستور عام (١٨٧٦) انفجرت في الجبل أزمة سياسية نتجت عن التضارب القائم بين موجبات تطبيق الدستور المعلن في استانبول وبين النظام الأساسي المطبق في الجبل.

كان الدستور يقضي بأن ترسل كل ولاية عثمانية مندوبيها إلى «مجلس المبعوثان». وعلى هذا الأساس، تلقى رسمياً باشا حاكم متصرفية جبل لبنان آنذاك أمراً من وزير الداخلية العثماني بإجراء الانتخابات في الجبل بمساعدة وإلي سورية.

وعندما تبلغ مجلس الإدارة الأمر، كان الرد رفض الانصياع لأوامر المتصرف. وكانت حجة المجلس تقوم على ما يلي: «.. إن وجود نواب لبنانيين ليس له مبرر في ندوة مدعومة لتحسين حالة الولايات التركية عموماً؛ فلبنان يتمتع منذ (١٥) سنة بدستور خاص تضمنه الدول الكبرى، وهو كالباب العالي لا يمكنه إجراء تحويل فيه، ولا يريد ذلك على كل حال، وهو راض عن مصيره ولا مجال أمامه للشكوى؛ وإن نظمات (١٨٦١) التي خلصته من شرور كثيرة قد أمنت له الرفاهية، وإن ما يريد هو تطبيق هذا النظام بدقة»<sup>(٧٣)</sup>.

ما دلالات حركة المعارضة هذه؟ إن موقف مجلس الإدارة والاكليروس الماروني لم يطلق حركة معارضة عنيفة ضد الحكومة التركية كي تضطر هذه الأخيرة بفعل الضغط الداخلي أن تتخلى عن مشروعها. فمن المؤكد أن الحكومة المركزية لم تصرف النظر عن المشروع إلا لحرصها على أن تحول دون تحول هذه المسألة بعد تدخل الدول الأجنبية الضامنة للنظمات الأساسية للجبل، إلى مسألة دولية تفتح أبواباً جديدة لمزيد من التدخل الأجنبي. إذن كانت محاولات رفض القوى المهيمنة في الجبل للمشاريع المركزية التي تمس

. (٧٣) المرجع نفسه ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

نظامات الجبل، مستندة بشكل أساسي إلى القوى الخارجية الدولية المعارضة لأي إجراء يتناقض مع مضمون هذه النظمات.

إذ يتساءل القنصل الفرنسي بعد أن طلب منه رستم باشا التدخل لاقناع مجلس الإدارة بقبول إجراء الانتخابات: «السنا نخاطر بأن نعرض للزوال عملاً بذلك المستحيل للحصول عليه؟»<sup>(٧٤)</sup>.

## بـ- تناقضات داخلية وقوى جديدة عاجزة

منذ تلك الأزمة وحتى عام (١٩٠٨)، لم يشهد الجبل تحركاً منها معادياً للأتراء. فالصراع بين رستم باشا والاكليروس الماروني، قضية نفي المطران بستانى، وتحركات كرم، وبعض الأحداث الجزئية التي مر ذكرها في فصل سابق، كلها أمور انتهت إلى توازن داخلي في السلطة المحلية شكل فيه البطريرك الماروني كما ذكرنا الطرف الغالب. هذا التوازن المحلي توافق على كل حال مع توازن عام بلـ السلطان عبد الحميد لإقامته في ولايات السلطنة. فبالإضافة إلى سياسة «الوحدة الإسلامية» التي لم تكن في الحقيقة إلا واجهة سياسية، حاول السلطان أن يكسب التأييد السياسي لكل الشخصيات الدينية غير الإسلامية. ووفق هذه السياسة كانت دعوة البطريرك الماروني بولس مسعد، إلى استانبول عام (١٨٧٦) واستقباله بحفاوة من قبل السلطان<sup>(٧٥)</sup>.

كتب «توفيق توما» اعتماداً على مذكرات الياس الحويك: «في حوالي سنة (١٨٨٠) يبدو أن البلاد التي اسلست أمرها أخيراً، تكيفت مع النظام

---

(٧٤) المرجع نفسه ، ص ٣٠٩ ، اعتماداً على تقرير القنصل الفرنسي :

- Beyrouth, T, 21 rapport No. 40 du 5 juin 1977.

(٧٥) تلك هي المناسبة التي هاجم فيها يوسف كرم البطريرك أثر معارضة هذا الأخير لعودته إلى لبنان ويعتبر كرم أن نيل البطريرك لأعلى الأوسمة العثمانية جعله أكثر فأكثر خادماً مطيناً للمتصرف . أرشيف مديرية الآثار اللبنانية ، مذكرة يوسف كرم إلى الكرسي المقدس وفرنسا حول الشؤون اللبنانية . وثيقة رقم ٦٦٠٢ .

القائم. فلم نعد نشهد انتفاضات تطالب برئيس وطني يحل محل الأجنبي. لقد أصبح الأمر مقصوراً على العمل لاختيار هذا الأخير من بين الشرفاء»<sup>(٧٦)</sup>.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن هذا «التكيف» الذي يشار إليه ليس إلا ذاك الاحتواء للقوى المختلفة في الجبل، وهو احتواء لعبت مؤسسات النظام وأجهزته الدور الحاسم في إيجاده على قاعدة العلاقات الاجتماعية الموروثة، لكن بعد أن تفسخت هذه الأخيرة وقدت تماسكها «العصبيوي» السابق الذي كان يفرز تحالفات عائلية واسعة حول مسألة الإمارة. لقد أصبحت ممارسة هذه العلاقات في إطار الإدارة «الجديدة» تخربات ضيقة، ومنافسات فردية، مما كان له شأن بدون شك في فساد البنية الإدارية للنظام وفي فساد الموظفين «من الصغير حتى الكبير». وكان الحكم والأكليروس يتدخلان في انتخابات «مجلس الإدارة» وتعيين الموظفين، وإصدار الأحكام القضائية في مختلف القضايا وفق مقاييس اجتماعية من شأنها تحقيق توازن في السلطة المحلية ذي غلبة أكليروكية - مارونية.

أما عن موقف الدروز «فبدوا راضين عموماً. صحيح، على حد ما يذكر الدكتور أحمد طربين، إن لهم شكاوى ضد قائممقامهم في الشوف الذي سيبدل به في عهد واحد منافسه نسيب بك جنبلاط، فتنقلب الآية ويصبح الراضون ساخطين، ولكن كل هذا لا يخرج عن نطاق التحذب وهو شكل من أشكال النزاع القديم الذي لا يمس النظام وقواعده، ولا يجرهم إلى العصيان والثورة على الحكومة كما كان شأنهم في الماضي. وهكذا انشغل الدروز إما بالهجرة إلى حوران أو إلى المهجر، أو بالتحزب ضد هذا المتصرف أو ذاك القائممقام بشكل لا يشوّه خطير جدي على الأمن»<sup>(٧٧)</sup>.

---

- Touma T. op. cit; t.I., p. 328.

(٧٦)

(٧٧) طربين أحد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

هذه العوامل التي شكلت المصادر الداخلية للنظام القائم شكلت أيضاً عوامل مكونة لتناقضات جديدة كانت تبرز بين الحين والآخر بين قوى جديدة شابة من جهة تقتصر على «مثقفين طموحين» في الوسط الماروني وبين مفاسد الإدارة من جهة ثانية.

بيد أنه لم يكن التعبير عن هذه التناقضات يتخطى الإستياء والنقمـة والشكوى. وغالباً ما كان التعبير يتخذ شكل ردود فعل عفوـية فردية، أو في الحالـات الأكثـر «تقدماً» عـرائض موجهـة للحاكم أو الدولـة الكـبرـى.

ولعل من المفيد تقديم أمثلـة عن هذا التوجه: خطاب رفعـه عـبـود أبي رـاشـد، صـاحـب اـمـتـياـز وـرـئـيس تـحرـير جـريـدة «الـنصـيرـ»، وـنشرـه في كـراسـ مـسـتقـلـ بـعنـوانـ: «صـوتـ الـحقـ» رـفعـه إلى مـظـفـر باـشاـ في (ـ١٥ـ) شـرـينـ الـأـوـلـ (ـ١٩٠٢ـ). يومـ تعـيـيـنـه حـاكـمـاً عـلـى جـبـلـ لـبـانـ (ـ٧٨ـ).

يتضـمنـ الخطـابـ «ـمـلاـحظـاتـ تـنـتـصـرـ لـلـنـظـامـ الـلـبـانـيـ» وـتـبـيـنـ «ـمـاـ طـرـأـ عـلـيـهـ مـنـ مـوـاقـعـ الـخـلـلـ»، فـيدـعـوـ صـاحـبـ الخطـابـ إـلـىـ تـحرـيرـ مشـاـيخـ القرـىـ الـذـينـ يـتـخـبـونـ عـضـوـ مـجـلسـ الـإـدـارـةـ مـنـ الضـغـطـ، كـماـ يـدـعـوـ الشـيـخـ إـلـىـ «ـاسـتـشـارـةـ مـنـتـخـبـيـهـ وـأـخـذـ أـفـكـارـهـ». كـماـ يـلـفـ نـظـرـ الـحـاكـمـ إـلـىـ «ـدـاءـ الرـشـوةـ» وـالـتـدـخـلـ بـالـتـوـصـيـاتـ وـالـرسـائـلـ فـلاـ يـوظـفـ إـلـاـ الـحـامـلـ جـمعـةـ مـنـ الرـسـائـلـ أوـ صـرـةـ مـنـ الـجـدـارـةـ وـالـاستـحقـاقـ، فـلاـ يـوظـفـ إـلـاـ الـحـامـلـ جـمعـةـ مـنـ الرـسـائـلـ أوـ صـرـةـ مـنـ الـدـنـانـيـنـ». وـيـشـكـوـ اـحـتكـارـ بـعـضـ العـائـلـاتـ الـمعـنـيةـ لـبـعـضـ الـوـظـائـفـ: «ـأـنـ بـعـضـ بـقـعـ مـنـ لـبـانـ اـخـتـصـتـ أـوـ بـالـحـرـيـ خـصـوصـهـاـ بـتـوـليـ أـفـرـادـ بـعـضـ الـأـسـرـاتـ عـلـيـهـاـ وـهـكـذـاـ كـلـمـاـ عـزـلـ أـوـ اـسـتـقـالـ يـنـصـبـ غـيـرـهـ مـنـ أـسـرـتـهـ، كـأنـ الـمـسـأـلـةـ إـرـثـيـةـ، أـوـ كـأنـ لـاـ يـصلـحـ أـحـدـ لـلـحـكـمـ غـيرـ هـؤـلـاءـ الرـجـالـ». وـيـدـعـوـ إـلـىـ اـعـتـمـادـ مـقـيـاسـ «ـالـأـهـلـيـةـ» وـ«ـالـجـدـارـةـ» فـيـ تـعـيـيـنـ الـمـوـظـفـينـ: «ـإـنـ فـيـ أـرـاضـيـ لـبـانـ رـجـالـاـ مـخـنـكـينـ... وـشـبـانـاـ أـدـبـاءـ مـتـخـرـجـينـ، وـكـلـهـمـ يـنـتـظـرـونـ مـرـكـزاـ لـبـيـنـاـ لـمـوـاطـنـيـهـمـ تـفـانـيـهـمـ فـيـ سـبـيلـ نـجـاحـ لـبـانـهـمـ...». وـأـخـيـراـ يـطـالـبـ «ـبـحـرـيـةـ الصـحـافـةـ» وـمـنـعـ

(ـ٧٨ـ) وجـدـنـاـ نـسـخـةـ مـنـ هـذـاـ الـكـرـاسـ فـيـ مـكـتبـةـ الـأـسـتـاذـ عـبـدـ مـرـتضـيـ الـحـسـيـنـيـ، بـعـلـبـكـ.

تجاوزات «مأموري الأجراء» «الذين يعاملون الناس معاملة الحيوان فيقتصوا منهم ضرباً...» وتحسين «راتب الجندي» كي يمتنع عن الرشوة.

إن التذمر الذي يحمله صوت أبي راشد استمر بالتعبير عن نفسه عبر أصوات أخرى. فهذا خير الله خير الله أيضاً، أحد خريجي جامعات أوروبا، يطرد من وظيفته في إدارة الجبل، بعد سنتين ونصف من الخدمة (١٩٠٥ - ١٩٠٧) لسبب بسيط هو تقديره للحاكم مشروعأً إصلاحياً للإدارة لم يوافق عليه هذا الأخير.

كتب خير الله في مذكراته الشخصية حول ما جرى: «احسست بذلال يصيبي في صميبي كشاب، إذ يحكم عليّ كأني عادم للأهلية ينقل الإدارة، وينبغي الإسراع للتخلص منه. كل هذا بعد ست عشرة سنة من الدراسة والعمل المضني في المدارس، وبعد الأستاذية، وبعد أن أنهك نظري بتحصيل المعرف المختلفة التي قد يحتاج إليها موظف في بلد يتطلب كل شيء فيه إعادة بناء: كالاقتصاد، والسياسة، والتجارة، والصناعة، والعلم الإداري والقانون أيضاً».

ويقدم خير الله خير الله صراعه مع الإدارة على أنه صراع بين «جيلين»، يقول: «إن حاجات جديدة نشأت، وإن هوماً جديدة تراود اذهان أبناء اليوم. فمؤسسات الماضي لم تعد تستجيب لطلعات وأفكار واحتياجات الجيل الجديد...»<sup>(٧٩)</sup>.

«سبعين وأربعون سنة مضت. والعصر الوسيط لـ (١٨٦٠) اختفى تماماً. لم تعد تشغلينا اليوم المنازعات الدينية. ما يشغلنا وما يثير اهتمامنا هو عملية بناء مجتمعنا على أساس ثابتة من التسامح والعدالة، والنظام والتقدم. إننا

(٧٩) خير الله خير الله ماروني ابن لتأجر حرير من جران البرتون ، درس الفلسفة في جامعة «لיבيج» بلجيكا ، بين ١٩٠١ و ١٩٠٤ . انظر نبذة عن سيرته وأفكاره ونشاطه في كتاب توفيق توما :

- Touma T. paysans et institutions Féodales chez les Druzes et les Maronites du Liban du XVIIIe siècle à 1914, Beyrouth 1971, t.2, p.673, et les suivants.

بحاجة لخلق تجارتنا، وتنمية صناعتنا، وتحسين زراعتنا الحالية والمستقبلية، في كل مكان وبين كل طبقات المجتمع»<sup>(٨٠)</sup>.

ويختلطي خير الله حدود مسألة طرح الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي ليضع موضع التساؤل شرعية السلطة لحاكم يختار من خارج لبنان. «إننا كشعب جديد، مفعم بالأمل، لا نريد أن يكون كل مستقبلنا، كل ذاك المثال الذي نحلم به، مركزاً في يد رجل غريب، رجل لا يستطيع أن يتم بنا ولا يمكن أن يكن لوجودنا الغض، الحديث العهد، الاحترام والعطف الكافيين...»<sup>(٨١)</sup>.

إن نماذج عديدة من هذه الأصوات كانت ترتفع بين الحين والآخر في عهد المتصوفة. وهي إذ كانت تعبر عن أيديولوجية «الليبرالية» مقتبسة من الخارج، ونزعـة مثالية وجداـنية نابـعة من المعانـة الفردـية في الداخـل، فقد اصطدمـت بالحدـود السياسيـة للواقعـ الذي تحـلم بتغيـيره. إن هـذه الحـدود كانت رسمـتها في الداخـل قـوى مهيـمنـة، بل كانت آنـذاك في أوجـ هيـمنتـها. لقد كـنا حـيـال هـيـمنـة قـوى تـحـورـت حول زـعـامة البـطـريـرك المـارـونـي على جـبلـ لـبنـان وـعـلـى تـطـيقـ نـظـامـه الأسـاسـيـ. «فـالـمسـاوـيـ» الـقـيـ يـفـضـحـها بـعـضـ المـثـقـفـينـ منـ ذـوـيـ التـزـعـةـ الـلـيـبـرـالـيـةـ هيـ ظـواـهرـ طـبـيعـةـ لـتـدـاخـلـ القـوانـينـ المـرـسـومـةـ فيـ النـظـامـ الأسـاسـيـ معـ مـعـطـيـاتـ الـوـاقـعـ وـقـوـاهـ الـاجـتمـاعـيـ وـقـقـ صـيـغـةـ «ـتـكـيفـ» أـضـحتـ معـهاـ «ـالـظـواـهرـ» الـقـيـ يـشـكـوـنـهاـ بـعـضـ المـثـقـفـينـ النـاقـمـينـ «ـمـؤـسـسـاتـ» وـ «ـاعـرـافـ» وـقـوـاعـدـ مـقـبـولـةـ لـلـعـلـاقـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ. لـذـلـكـ كـانـ الـأـصـوـاتـ الـإـصـلـاحـيـةـ تـبـقـيـ بلاـ صـدـىـ أوـ طـيـ صـفـحـاتـ الـذـكـراتـ الشـخـصـيـةـ...ـ فـكـانـ عـلـىـ الـمـطـالـبـ بـالـإـصـلـاحـ إـمـاـ أـنـ يـنـدـمـجـ فـيـ الـوـاقـعـ أـوـ يـرـحلـ كـمـاـ فـعـلـ خـيرـ اللهـ خـيرـ اللهـ.

### جـ - المـوقـفـ منـ دـسـتـورـ (١٩٠٨)

بعد انقلاب «تركيا الفتاة» واعلان الدستور عام (١٩٠٨)، عادت

(٨٠) المرجع نفسه ، ص ٦٧٣ - ٦٧٦ . ندين لتوفيق توما في اقتباس بعض الفقرات لخير الله خير الله ، وهي مأخوذة من «أوراق» شخصية غير منشورة .

(٨١) المرجع نفسه ، ص ٦٧٦ .

مسألة اشتراك الجبل في البرلمان العثماني لطرح من جديد. وإذا بالجبل يشهد كما حدث في عام (١٨٧٦) صراعاً سياسياً بين التجاهين. لكن الصراع شمل هذه المرة أطراضاً أوسع. فالمندون بالاشتراك لم يقتصر على المتصرف كما حصل في السابق، بل أصبحوا كما نستنتج من بعض الوثائق التي تمتنا من الأطلاع عليها، «مجموعات» ربما كانت تنسب إلى المحافل الماسونية في الجبل أو إلى تنظيم «تركيا الفتاة».

في (١٣) أيلول (١٩٠٨) تقدمت «مجموعة من اللبنانيين» على رأسها شبيب أرسلان، ناصيف بك جنبلاط، حبيب باشا السعد و (..؟) ضاهر بعربيضة إلى الحاكم في بيت الدين تتضمن المطالب التالية:

- ١ - نشر الدستور العثماني في لبنان وانتخاب نواب بموجبه، شرط أن لا يتحقق لهؤلاء النواب مناقشة المسائل التي تمس النظمات الخاصة بـلبنان إلا بناءً على طلب اللبنانيين أنفسهم ..
- ٢ - حل مجلس الإدارة مع الاحتفاظ بحق اللبنانيين باعادة انتخاب من يريدون من الأعضاء الحالين.
- ٣ - تطهير الإدارة (....)
- ٤ - الغاء الضرائب الجديدة (....)
- ٥ - تشكيل لجنة مؤقتة في كل قضاء (ما في ذلك دير القمر) تتالف من ثمانية أعضاء يسمون من قبل السكان، مهمتهم مراقبة مالية الإدارة، ودراسة ما يناسب من إلغاء أو تثبيت للضرائب المعمول بها وتقديم موازنة يتحدد فيها عدد الموظفين وحجم مخصصاتهم»<sup>(٨٢)</sup>.

هذه المبادرة وما رافقها في بيت الدين من مظاهره شعبية جرت ب المناسبة

(٨٢) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية - الأرشيف الدبلوماسي - تركيا ، مجلد رقم ١١١ (١٩٠٨) . ملحق برسالة القنصلية الفرنسية في بيروت ، رقم ٧٩ ، تاريخ ٢٠ أيلول ١٩٠٨ .

أنظر أيضاً : الأمير شبيب أرسلان ، سيرة ذاتية - بيروت ١٩٧٩ ، ص ٣٦ - ٣٩ .

الاحتفال بعيد مولد السلطان، أثارت موجة من الخلافات السياسية في الجبل تحورت حول مسألة تطبيق الدستور في متصرفية جبل لبنان.

ومن المفيد هنا نقل ما كتبه القنصل الفرنسي العام في بيروت إلى وزير الخارجية الفرنسية محللاً مواقف الطوائف وموافق القنصليات الأجنبية من ذلك. يقول مبتدئاً بتفسير موقف الدروز: «إن الدروز يجدون في الانضمام إلى الدستور وسيلة لمحاربة ما يدعونه بهيمنة العنصر الماروني في لبنان، فهم يأملون عبر خصوصهم للقانون العام السائد في الولايات أن يتمكنوا من الالتحاد مع أخوانهم في حوران، حيث تتمتع عائلة أرسلان هناك أيضاً بموقع ممتاز. بهذا يشكلون في المستقبل أكثرية تجد نفسها في وضع تستطيع معه استعادة نفوذها في لبنان، هذا النفوذ الذي قضت عليه - حسب رأيهم - أحداث (١٨٦٠). ومن وجهة نظرهم يتصورون أيضاً أن النظام الجديد إذا ما طبق في الجبل يزيل تماماً الحاجز الذي خلقه النظام الأساسي - على حد قولهم - بين مختلف الطوائف، ويسمح لهم وبالتالي بالحصول على عدد من الوظائف أكبر من تلك التي يستفيدون منها حالياً».

ويضيف: «من الممكن أن يكون الاعتبار ذاته هو الذي يوحى بموقف الأرثوذكس الملكيين في هذه الظروف. ثم إن الأقليات التي تنظر إلى الدستور على أنه جاء ليكسبهم مزيداً من الحقوق، تلقى على ما يبدو تأييد قفصلية ألمانيا. فالقائم بأعمال القنصلية... رغبة في تشجيع الاتجاهات «الاتحادية» للقوميات العثمانية، نراه يخطئ موقف مجلس الإدارة عندما ارتكز هذا الأخير على سابقة (١٨٧٦) ليعبر عن حرصه على الامتيازات اللبنانية، ويوافق على أرسال نواب إلى استانبول<sup>(٨٣)</sup>».

أما في الوسط الماروني فكانت ردة الفعل على مظاهرة بيت الدين والخطوات التي اتخذها المتصرف بنشره تعليمات استانبول وتعيمتها بواسطة المديرين ومخاتير القرى، معاكسة تماماً. إذ تقوم مظاهرة مضادة في دير القمر،

(٨٣) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية - رسالة رقم ٩٧ - ٢٠ أيلول ١٩٠٨.

ويرسل السكان إلى الحاكم والقنصلية الأجنبية الاحتجاج التالي: «سعادة الحاكم. بتاريخ (٣٠ آب ١٣٢٤) وتحت رقم (٣٢٤)، نشرتم برقة الصدر الأعظم التي يدعو فيها السكان اللبنانيين إلى البرلمان القادم. إن لبنان يتمتع - وبشكل امتياز - بنظام منحه له السلطان بموافقة الدول الكبرى الست، لذلك فإننا نتمسك بهذا النظام ونتمتع عن التدخل في انتخابات النواب وعن أي عمل آخر من شأنه المساس بالنظمات الأساسية التي نسير بموجها»... التوقيع: سكان قضاء دير القمر...<sup>(٨٤)</sup>.

ويستنتج القنصل الفرنسي بعد متابعة لشئ مظاهر الخلافات التي نشببت حول مسألة تمثيل الجبل: «أن اللبنانيين بأكثريتهم الساحقة، وبصورة خاصة الموارنة... بقوا متعلقين بمبادئ الحفاظ على نظامهم الحالي. صحيح أنه يوجد بينهم من يناقش أيضاً وبذهنية أن يعني ثمار الارتباط بوجهة نظر «الاتحاديين»، الوسائل التي تؤول إلى التوفيق بين الأممية العامة والتطبيق الكامل للدستور. لكن الأكثرية ترى خطر المشاركة في التشريع المشترك للامبراطورية لأنها تتم على حساب الامتيازات التي يستفيدون منها حالياً، وتزداد الاحتجاجات في الصحافة يوماً بعد يوم ضد مظاهرة (١٣) أيلول ونتائجها»<sup>(٨٥)</sup>.

ومن الأمثلة على هذه الاحتجاجات منشور طويل مغفل، طبع بشكل كراس ويحمل العنوان التالي: لبنان في خطر: خطاب مهم إلى اللبنانيين عموماً وإلى طالبي مبعوثين للبنان خصوصاً (أي الوفد الذي تقدم إلى المتصرف وطلب منه ذلك) وهم الحزب الذي سميّنا قسماً منه «شيزفراغاسون» «Le schisme Franc - maçon» هراطقة الحرية<sup>(٨٦)</sup>.

إن اقتباس بعض الفقرات من هذا الخطاب يعطينا من جهة فكرة عن

---

(٨٤) المصدر نفسه رسالة رقم ٨٤ تاريخ ٢٧ أيلول ١٩٠٨ ، وملحقها.

(٨٥) المصدر نفسه .

(٨٦) توجد نسخة من هذا المنشور في مكتبة المؤلف .

طبيعة السجال السياسي الذي أطلقه الصراع حول مسألة التمثيل في جبل لبنان، ويقدم لنا من جهة ثانية انماذجاً لبدایات تكون ايديولوجية «قومية» لبنانية.

«... لقد طلبتم ولا تزالون تتطلبون مبعوثين للبنان وبرهانكم واحد هو لأجل المحافظة على نظام لبنان، غير أن البعض منكم يتباون ويتفاخرون بتوهيمهم للآخرين قائلين لهم: ما يضرنا لو نحن خدمتنا في العسكرية وهذا أمر واجب على كل عثماني وواجب علينا أن نشارك الدولة بكل شيء، وقبلًا كنا محتاجين الاستثناء، وأما اليوم بعد منح الدستور، فالآخر بنا أن تفهموا بأن دولتنا والإنسانية والضمير وواجبات الوطن كل ذلك يأمركم بأن تحبوا في الأول وطني لبنان المحبوب من الدنيا...».

«... إن لبنان مستنى، ومعنى مستنى لغة مجرد منفرد غير متعلق بشيء آخر. والحال نوابنا المكرمون هم أثنا عشر نائباً (مبعوثاً) مندوبيون ووكلاء عن الشعب اللبناني، الشعب المستنى، الشعب الممتاز، الشعب الحر، من نحو (٤٧) سنة وذلك ليناضلوا عن حقوقه ومحفظوا على نظام وطنهم المقدس...».

«... إنكم لا تؤمنون بنوابكم الاثني عشر الذين هم أمام عيونكم، وطلبكم مبعوثين اقرار بأنكم لا تقدرون على إصلاحهم، فكيف تؤمنون ببنائين يكونان بعيدين عنكم داخل البحار، ومن أين تأييكم القوة حينذاك على إصلاحهما...».

«... لا تقولوا هذه فئة من الاكليروس والأعيان وخلافهم تعاكس بالبعوثين ومن الضرورة أو الواجبات الماسونية مقاومة تلك الفئة لأجل اسقاط نفوذها، لا، لا، فيها لا يوجد لا اكليركي ولا عامي ولا شيخ ولا مير ولا ماسوني ولا خارجي، ولا، ولا، ويجب أن تكون متزهدين مجردين عن الأغراض والتعصبات ونقول كلنا باعتبار كوننا لبنانيين (وليس كما قال بعضهم حافظين وأحراراً)...».

«كيف يمكننا أن نأمن على نظامنا من أن تشوبه العيوب، بل كيف يمكننا أن نأمن على وطننا من أن يصير رويداً رويداً تابعاً للولايات، فيكون من ثم أصحاب المقصود الشخصية نالوا مآربهم، ونكون بذلك نجرنا خارزوننا في يدينا وبحثنا عن حتفنا بظلفنا، ونصبح بعدئذ بلا لسان كالسنور الذي كان يلسع البرد المحمي بحيث كان يلسع دمه السائل منه، فإذا ذن تيقظوا أيها اللبنانيون واحذروا كل الخدر من أن تسلموا بالبعوثين... إن لبنان مخدق به الخطر إن لم تتفقوا معه جيئاً بصوت واحد وكلمة واحدة صارخين في كل ناد ليس لنا حاجة على الاطلاق ببعوثين...»<sup>(٨٧)</sup>.

مما يكن من أمر هذه الاحتجاجات التي اخذت طابعاً سجالياً في الداخل، فإنها عبرت عن مصالح القوى المهيمنة المارونية في الجبل. وبال مقابل لم يشكل الاتجاه الآخر، وإن وجد في صفوفه بعض الإصلاحيين و«اللبيراليين» الذين راهنوا على برامج «الاتحاديين» في إنقاذ السلطنة وإصلاحها وتطويرها، تياراً متماسكاً. فقد انخرط فيه العديد من الوصolيين الذين حاولوا أن يستفيدوا من حركة «تطهير الإدارية»، وتقطع الانتاء إليه كما هو حال التيار الأول، مع الاتجاهات الحزبية الضيقة في الجبل.

وعلى كل حال كانت محاولة تطبيق الدستور العثماني في متصرفية الجبل، تعني عملياً خطوة على طريق إضعاف امتيازات الجبل والغائبة لمصلحة المركزية التركية. لذلك لم تكن المسألة لتحسم ضمن معادلة الصراع الداخلي، أو على أساس موقف «الاتحاديين» المدعوم من ألمانيا وحدها. إن المسألة كانت قد تكرست منذ (١٨٦٠) على صعيد دولي. والآن تتفق النزعات اللبنانية المتولدة عن «العصبية» المارونية المرتكزة إلى «الامتيازات» مع الوجهة الغالبة للمشاريع الغربية التقسيمية للسلطنة العثمانية. وبعد سنوات يؤكد فنصل فرنسا في بيروت رينيه ريستيلهوبير «René Ristelhueber» في كتابه: «تقاليد فرنسا في لبنان»: «ولنا أيضاً أن نضمن ونرقب النظام الذي منحه لبنان بعد

---

(٨٧) فقرات مجتزأة من نص المشور.

أحداث (١٨٦٠) وذلك من أجل مصالحنا السياسية. نعم لقد وقعت نظام الجبل جميع الدول العظمى وهي متكافئة من حيث الحق، لكن من حيث الواقع لفرنسا ولفرنسا قبل كل سواها أن تجعل هذا النظام محترماً»<sup>٨٨</sup>.

كان من المحتم إذن أن تفشل محاولات الاتحاديين «التوحيدية» وأن يتلاشى التيار المطالب بتمثيل الجبل في البرلمان العثماني، وأن ينمو في المقابل التيار المتمسك «بالممتيازات»، وأن يوسع في السنوات القليلة المقبلة، «مطالبة اللبنانيّة» على قاعدة مصالحة اقتصادية وسياسية من جهة، وعلى موازاة تطور الدبلوماسية الفرنسية وحساباتها في المنطقة.

---

(٨٨) رستييهير رينيه ، تقاليد فرنسا في لبنان ، ترجمة القس بولس عبود - حريصا - لبنان . ١٩٢١ ، ص ٣٢١



الفصل الخامس

اتجاهات وأشكال العمل السياسي  
في العهد الدستوري العثماني  
( ١٩٠٨ - ١٩١٤ )



- ١ -

## نحو مزيد من مشاريع التقسيم والإحكام: ردة فعل «الاتحاديين»

تميزت المرحلة التاريخية التي ابتدأت بانقلاب «تركيا الفتاة» وبأجواء الأمل والحماس اللذين رافقا الحدث، بظهور عوامل جديدة حاسمة ومؤثرة في اتجاهات ومسار الحركات السياسية في المشرق العربي. ولم يكن اعلان الدستور وما نتج عنه من تأسيس وتشكيل جعيات سياسية محلية هو الحدث الحاسم. فالسياسة الدولية بتناقضاتها وبما تمحضت عنه من مشاريع الحاقية وتقسيمية قبيل انفجار هذه التناقضات، كانت في الواقع العنصر الغالب في مجموعة العوامل الخامسة. وعلى الصعيد الدولي، انطلقت موجة جديدة من الاحتلال والاحق لأراضي الدولة العثمانية، والتحضير لتقسيم ما تبقى منها. فعشية الحرب العالمية الأولى كانت تخوم المنطقة العربية قد «قضمت» من قبل الامبراليات الأوروبية (احتلال ليبيا والمغرب ١٩١١-١٩١٢). ومن جهة أخرى كان حكم «الاتحاديين» يواجه صعوبات قاتلة من جهة أوروبا الشرقية: استقلال بلغاريا، ضم البوسنة والهرسك للنمسا- هنغاريا، الاضطرابات في الباانيا، الموقف المتغير في صربيا.

وكان المشرق العربي، وبالتحديد ما أطلق عليه يومذاك تعبير سوريا الطبيعية، هو الحلقة الرئيسية من السلطنة العثمانية التي توجهت إليها مطامع الدول الاستعمارية. ففي (٢١ كانون الأول ١٩١٢) ألقى الرئيس الفرنسي (بونكاريه) «Poincaré» خطاباً في البرلمان جاء فيه: «لست بحاجة أن أقول للمجلس إن لنا في لبنان وسوريا مصالح تقليدية وإننا لعازمون على جعلها موضوع احترام. إني لسعيد أيضاً بأن أتمكن من أن أضيف بأنه ليس هناك أي مبرر لتصور وجود أي من الخلافات بيننا وبين الحكومة الانكليزية حول هذه النقطة. إن الحكومة الانكليزية أعلنت لنا بكل ود أن ليس لديها في هذه المناطق أية نية للتحرك، وليس لها أهداف أو مصالح سياسية من أي نوع كان»<sup>(١)</sup>.

أما مصالح فرنسا «التقليدية» فيعددها تقرير رسمي صادر عن «لجنة الميزانية» الفرنسية كما يلي: «إنها شركة فرنسية رأسها (٤٤) مليون فرنك تلك التي بنت مرفأ بيروت. إن إدارات استثمار الماء، والغاز، والكهرباء، مشاريع فرنسية. إن خطوط السكك الحديدية: يافا - القدس (١٨٨٩)، دمشق - بيروت (١٨٩١)، حلب - رياق (١٨٩٣)، دمشق - حمص (١٩٠٩)، التي اندمجت في شركة «دمشق - حلب» برأس المال (١٢٥) مليوناً، كلها مشاريع فرنسية. وفي مجال التجارة مثلت صادرات سوريا إلى فرنسا المقام الأول، فقد خرج من مرفأ الاسكندرية، وبيراوي وحده ما يعادل (١٣) مليوناً. ثم إن معظم المبادلات التجارية تتركز في مجال صناعة الحرير»<sup>(٢)</sup>.

(١) ورد في

- Cité Par Bruneau A. op. cit; p. 195 - 196 et Par Gontaut - Biron Comte R. Comment la France s'est installée en syrie, (1918 - 1919), Paris 1923, p. 4.

- Correspondance d'Orient, 15 juillet 1919, p. 28 - 29.

(٢)

الإحصاءات مستخرجة من تقرير «لجنة الميزانية» :

- Rapport sur le budget ordinaire des services civils (Affaires Etrangères).

وعلى صعيد التغلغل الثقافي و «الإنساني» احتلت فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى مركزاً مهيمناً في سوريا فقد كان لديها أكثر من (١٠٠) مؤسسة للخدمات الاجتماعية (مستشفيات، مصحات، دور للبيتامي والعجزة، الخ) وأكثر من (٢٢٠) مؤسسة تعليمية (عام ١٩١٣) ضمت حوالي (٥٢) ألف طالب<sup>(٣)</sup>.

ومنذ عام (١٩١٢) بدأت فرنسا تهيء الوضع الداخلي في سوريا لاحتلال تدخل مباشر. وكان أن شكلت «الثقافة» وسيلة هذه التهيئة: «فارتبطة جامعة القديس يوسف في بيروت بجامعة ليون لتطوير التعليم العالي الفرنسي. وفي نفس العام درس Paul Huvelin» (أستاذ في كلية الحقوق في ليون) و «Rigollot» (مدير «المدرسة المركزية الليونية») الموفدان في بعثة إلى سوريا، امكانية تأسيس مدرسة حقوق ومدرسة فنية في بيروت. وبغية دعم هذه المبادرة تأسست عام (١٩١٣) «الرابطة الليونية لتطوير التعليم العالي والتكنولوجيا في الخارج». وقد ضمت هذه الرابطة بالإضافة إلى الجامعيين بعض رجال الأعمال، ولا سيما كبار تجارة الحرير أمثال Ennemond Morel و Louis Guerin. وكان أن دشنت مدرسة الحقوق في بيروت في تشرين الثاني (١٩١٣) وانطلقت إدارة الدروس فيها باليسوعيين، بينما أشرفـت جامعة ليون على التعليم ومنح الشهادات. ووفق نفس المبدأ، افتتحت أيضاً في نفس الوقت مدرسة فنية (...). وكان رئيس جامعة ليون Paul Joulin قد طلب من غرفة تجارة ليون المشاركة في جهود إنشاء هذه المدرسة التي تهدف إلى إعداد مساعدين محليين للمهندسين ولرؤساء «الورش» الفرنسيـن. وفي الوقت الذي كان يتطور فيه النفوذ الفرنسي بشكل فريد في شتى أشكالـه الصناعية والتجارية، يمـدـرـ التـذـكـيرـ أنـ ليـونـ كانتـ تـملـكـ أـهمـ المؤـسـسـاتـ فيـ تلكـ المـاطـقـ (حلـلاتـ شـرانـقـ، سـكـكـ حـديـديةـ، منـاجـمـ. . . الخـ). لـذاـ صـوتـ الغـرـفـةـ عـلـىـ تـخـصـيـصـ (٦٠٠٠) فـرنـكـ توـزعـ بـيـنـ «المـواـزـنـةـ العـامـةـ» وـ «ـموـازـنـةـ الـحرـيرـ» . . .<sup>(٤)</sup>.

(٣) المصدر نفسه.

- Chevallier D. Lyon et la Syrie P. 304.

(٤)

وفي كانون الأول (١٩١٤)، تقدم وزير الخارجية الفرنسي M. Doumergue إلى لجنة الشؤون الخارجية في المجلس بتقرير يتحدث فيه عن هذه السياسة، فيؤكد على أهميتها ونجاحها ويستعيد بعض جوانبها. يقول:

«في مجرى هذه الأزمة الخطيرة التي غيرت كلياً أشكال المسألة الشرقية والتي يبدو أن من نتائجها توتير العلاقات ما بين الدول الكبرى، تقوم حكومة الجمهورية ببذل كل جهودها لإنقاذ المصالح الفرنسية الموجودة في الشرق...»

«ومن أجل تدعيم نفوذ الثقافة الفرنسية وتركيز نفوذنا، عدة إجراءات كانت قد اتخذت وكانت مؤازرتي لها أكيدة. إن مدرسة للقانون ومدرسة للفنون والمهن تأسستا في بيروت تحت إشراف جامعة ليون.

«هذه المؤسسات المفتوحة للجميع، تتوجه للمسلمين كما لسائر الطوائف المسيحية في سوريا. وإن ارتئي أيضاً، وبقدر ما تسمح به الموازنة التي أتصرف بها، تأسيس مدرسة مهنية في دمشق.

«حيال الهجمات الموجهة في أكثر الأحيان ضد فرنسا في الصحافة العربية، كان سلفي قد ارتأى خلق جهاز صحفي خاص بسوريا. وإن باذل جهدي في تزويد قناصلنا في البلاد العربية بوسيلة تحكمهم من التصدي للدسائس أخصامنا في هذا الميدان. ومن جهة أخرى ارتئي أن يقام في حمص - وهي مركز مهم لوادي العاصي الخصيب، نيابة - فنصلية».

«واعتقد أيضاً أنه من الواجب أن أشير أنه بمناسبة تعيين حاكم جديد للبنان، استطاعت الدبلوماسية الفرنسية أن تحصل للبنانيين، وهم أقدم اتباع لنا في الشرق، على بعض اصلاحات إدارية، وعلى إصلاح مالي جدي وضع تحت الدراسة، وأخيراً على فتح مرفأ جونية الواقع شمالي بيروت (...).

«إن مهمتنا القاضية في المساعدة على ابراز قيمة هذا الجزء من الامبراطورية العثمانية، ستسهلها بصورة فريدة، التطمئنات التي اعطيت في كانون الأول (١٩١٢) لسفير الجمهورية في لبنان من قبل الحكومة البريطانية وهي أن هذه

الأخيرة ليس لديها في هذه المناطق، أية نية للتحرك، ولا أية أهداف ولا أية مطامع سياسية»<sup>(٥)</sup>.

هذا، لكن الدبلوماسيات الأوروبيية لم تكن بعد استقرت على قاعدة تقسيم ثابتة لمناطق النفوذ. فالدول الكبرى جميعها كانت تتسابق حتى ذلك الحين، على استثمار ولايات السلطنة<sup>(٦)</sup>.

فما أن نشر خطاب الرئيس «بوناكارييه» حتى تحرك العواصم الأوروبيية مستفسرة عن مدى صحة التأكيدات البريطانية. فسفيرا إيطاليا وألمانيا يطلبان من مكتب وزير الخارجية البريطانية في لندن «تحديداً» بهذا الشأن، وسفرير ألمانيا يعلم الحكومة البريطانية أن «ألمانيا لن تقف مكتوفة الأيدي حيال أي تدخل فرنسي في سوريا». مما دفع بريطانيا أن تقدم توضيحاً لتصرحها خلاصته أن «عدم اهتمامها بسوريا» «Désintérêtissement» لا يعني التزاماً من قبلها بالاعتراف بليban وسوريا مناطق نفوذ فرنسية<sup>(٧)</sup>. وبالفعل كانت هذه المناطق لا تزال رغم الوجود الفرنسي المادي والعنوي الكثيف، مراكز تراحم اقتصادي بين الدول الكبرى. وفي عامي (١٩١٣ - ١٩١٤) قدرت الاستثمارات الأوروبيية في الشرق الأدنى بـ (٢٤) مليون ليرة لبريطانيا، بـ (٣,٣) مليار فرنك لفرنسا، و (١,٨) مليار مرك لألمانيا<sup>(٨)</sup>.

في وجه تلك السياسات الأوروبيية التوسعية، كانت قيادة «الاتحاديين» تحاول النفاذ من خلال تناقضاتها. فإذا كانت مطامع بعض الدول الاستعمارية «القديمة» (بريطانيا - فرنسا...) تتجسد وتظهر أمام الحكم الأتراك بشكل مشاريعاحتلال ومناطق نفوذ، فإن مطامع الاستعمار الجديد المتمثل بألمانيا

- Archives diplomatiques: 4e série, tome 130, janvier 1914, pp. 161- 164. (٥)

- Gontaut biron, op. cit; p. 4. (٦)

- Documents Britanniques, T. X., P. 224, cité par Sadaka, Najib: **La question Syrienne pendant la guerre de 1914** - thèse, Paris 1940, P. 19-21. (٧)

- Ducruet j., **Les capitaux européens au proche - orient**, paris 1964, p. 6. (٨)

كانت تأخذ شكل التوسيع الاقتصادي في «سوق إسلامي» موحد تحت قيادة حليفة وتابعة. هذا الفرق في التوجه الاستعماري جعل «الاتحاديين»، شأنهم في ذلك شأن عبد الحميد، يعتمدون على المستعمرين الجدد في مواجهة المستعمرين القدماء. كتب (بومبار) «Bompard»، سفير فرنسا في استانبول في (٢٠ آذار ١٩١٢) إلى بوانكاريه وزير الخارجية: «تسألوني، سعادتكم، إذا كان صحيحاً أن المصارف الألمانية، وبصورة رئيسية «دوتش - بنك»، قد وضعت في تصرف حزب «الاتحاد والترقي» مبلغ (٥٠٠) ألف فرنك لانفاقها على الانتخابات القادمة...». لم يكن السفير يملك براهين على صدق أو كذب مثل هذا الخبر. إلا أنه يضيف: «ما لا شك فيه أن الألمان انضموا في الصراع الحالي الدائر بين الأحزاب في تركيا، إلى جانب «حزب الاتحاد والترقي». وأما عن مكان المصالح الفرنسية في سياسة «الاتحاديين» فيقول: «إنني مقنع أن اعجابهم وتقديرهم يذهبان باتجاه فرنسا. فهم يقتبسون عنا طبائعنا، ويستحسنون بلادنا ومجتمعنا. لكنهم في نفس الوقت وعلى صعيد المشاريع والأعمال لا يرتكزون بشكل أساسي علينا. إنهم يهبون للفرنسيين العاطفة وللألمان المكاسب»<sup>(٩)</sup>.

هذه السياسة «الاتحادية» المالية للألمان، استكملت على الصعيد الداخلي بسياسة «الترريك». فالدعوة إلى «الوحدة الإسلامية» التي تبناها عبد الحميد كوسيلة لإنقاذ السلطنة حلّت محلها التعبئة التركية الشوفينية في محاولة لفرضها أيديولوجية دولة «عنصرية» على الجميع. وفي وجه تقهقر الدولة وتفككها وفي وجه غزو وولادة «الهيويات القومية» المرتكزة إلى خصائص «الاثنيات» الثقافية، وخصائص الجماعات الدينية المدعومة والمشجعة من قبل الامبراليات الأوروبية، سار «الاتحاديون» بالمقابل في طريق الدعوة إلى «قومية طورانية» تعتمد التعبئة الاستعلائية والاحتوائية حيال القوميات الأخرى.

- **Documents diplomatiques français** ( 1871 - 1914 ), ministère des affaires étrangères, paris 1936, t.2, p 237 - 238.

نخلص إلى الاستنتاج بأن عاملين رئيسيين شكلوا سمات مرحلة ما قبل الحرب: أولاً: احتدام التناقضات ما بين الامبراليات، وانكشاف مطامع فرنسا في سوريا على صورة مشاريع الحافة. ثانياً: موقف «الاتحاديين» في الاعتماد على ألمانيا خارجياً، وفي التعبئة الشوفينية التركية داخلياً. وفي إطار هذين العاملين الرئيسيين كانت الاتجاهات والمواقف السياسية في جبل لبنان والمناطق المجاورة له من المشرق العربي، تتطور وتتعدد لنفسها ببرامج وصيغ عمل مختلفة عن المرحلة السابقة.



- ٩ -

## بدارٍة تشكيل التنظيمات السياسية

لتمسك بخيط الأحداث من جديد. إن النداء الذي أطلق عام (١٩٠٨) لإجراء انتجابات نيابية في الولايات، والذي رفض كما رأينا في جبل لبنان من قبل الأكثرية، رحب به ترحيباً شديداً في المناطق الأخرى المجاورة<sup>(١٠)</sup>. غير أن بنداً تضمنه القانون الانتخابي لم يلبث أن أثار شيئاً من الاستياء: الزام المندوبين معرفة اللغة التركية<sup>(١١)</sup>. لقد كتب جورج سمنه حول هذه المسألة: «خارج نطاق الموظفين لا نجد إلا عددًا قليلاً من المرشحين يتوفرون فيهم هذا الشرط (...). فقد كان هناك تيار قوي في الرأي العام قد طالب - بدون احراز أي نجاح - أن يعترف باللغة العربية لغة رسمية. لهذا بدأ ثمة شعور بالمهانة حيال تحيز الأتراك. فلم يستمر ذاك الحماس الجميل، حماس البداية. ففي الوقت الذي كان فيه «الاتحاديون» يقودون حملتهم الانتخابية بحماس عظيم (...) كانت وجوه الناخبين يرتسם

---

(١٠) حكيم يوسف ، سوريا والمعهد العثماني ، ص ١٥٧ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .

عليها موقف لا مبال ومقلق. لقد بدأنا نحس بولادة الخلافات العميقة و «بوطأة التناحرات المستعصية»<sup>(١٢)</sup>.

ماذا كانت طبيعة هذه التناحرات؟ كيف عبرت عن نفسها على المستوى السياسي والتنظيمي وعلى مستوى «الخصوصية الإجتماعية - الطائفية»؟

ينبغي أولاً أن نلاحظ أنه في الستين الأولين بعد إعلان الدستور، لم يمنع «تحيز» «الاتحاديين» الأتراك تطبيق مبدأ حرية التعبير والتنظيم المنصوص عنه في الدستور في شتى الولايات العثمانية. كذلك ينبغي أن نلاحظ أن برامج «حزب الحرية والائتلاف» الذي كان امتداداً لأفكار صباح الدين النازعة نحو الالامركزية، هي الأساس الذي انطلقت منه مطالب الإصلاحيين العرب، لا سيما المسيحيين منهم في سوريا وفي الخارج، في معارضة التزعنة المركبة التي اتجه نحوها «الاتحاديون»<sup>(١٣)</sup>.

كان هذا بالذات منطلق «العصبة العثمانية» التي تأسست في باريس في تشرين الأول عام (١٩٠٨) من بعض رجال الأعمال والمثقفين المسيحيين البالروتين. لقد ضم المكتب التنفيذي لهذه العصبة: شكري غانم، الدكتور جورج سمنه، الفرد سرقق، نجيب طراد. وانطلقت «العصبة» من مبدأ «دعم ونشر الهدف السامي للعناصر الحرة في تركيا»<sup>(١٤)</sup>. ومع ذلك، لم يخف النداء الذي وجهته العصبة «نزعنة قومية سورية» تسترت بالدعوة للارتباط «بالعثمانية»، وطمومحاً «نخبويًا» للعب دور قائد في الدولة والمجتمع. لقد تضمن البيان التأسيسي «للعصبة» النداء التالي: «حتى ولو كان تأسيس هذه العصبة سورياً فإنها - وكما يدل اسمها وهدفها - عثمانية في الأصل، مفتوحة وبالتالي لجميع العثمانيين من ذوي الإرادة الحيرة».

- Samné G. op. cit; p. 59-60.

(١٢)

(١٣) برو توفيق - المرجع السابق ، ص ٢٥١ .  
- Correspondance d'Orient, N° 7. 1 janvier 1909, p. 220.  
- Samné G.: op. cit; p. 62.

(١٤)

ويضيف البيان: «إنه لمن الضروري: وذلك من أجل خير الامبراطورية، أن يشعر السوريون المبعثون باعداد كبيرة على سطح الكرة الأرضية... برابطة مشتركة تجمعهم وان يفيد رقיהם إن في الخارج أو الداخل الجماعة العثمانية (...).

و«في بداية هذه المرحلة الجديدة وحيث أن ضعف الأمة لا تسمح لها بأن تنظم وحدتها وتأخذ المبادرات المقيدة والجريئة، فإن على الحكومة أن تساعدها في ذلك، وإن تمهد لها السبل، وتفتح لها بدون تمييز وبدون أفكار مسبقة، كل أبواب الانصهار الوطني، وأن تقول لكل شعب ولكل عرق: «انت في بيتك»<sup>(١٥)</sup>.

هذا التوجه تحكم في نزعته الاستقلالية - وإن تستر (كما قلنا) «بالعثمانية» - عاملان: أولاً كون أصحاب هذا الصوت من المثقفين المسيحيين «أصدقاء» فرنسا. ثانياً: ارتفاعه في الخارج، وفي باريس بالذات، في جو يتبع بل ويدفع إلى النزوع الاستقلالي.

لكن موقف الاصلاحيين المسلمين العرب ظل دون هذا التزوع. فالتنسيق الفعلي مع الأتراك ظل يعتبر العمل الأمثل والأكثر فائدة. أما فيما يخص موضوع الزام النواب معرفة اللغة التركية، وهو الموضوع الذي شدد عليه جورج سمنه، فإنه أثار بدون شك استياء لدى النواب العرب<sup>(١٦)</sup>. لكن هذا الأمر لم يمنع، على الأقل في السنة الأولى من العهد الدستوري، إمكانية استمرار المراهنة على البرامج التركية - العربية المشتركة<sup>(١٧)</sup>.

ويكن أن نعدد في هذا المجال الكثير من الأمثلة:

---

- Correspondance d'Orient le novembre 1908.

(١٥)

(١٦) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(١٧) راجع مقالة كتبها الشيخ أحد طبارة ، بعنوان «واجباتنا بعد اعلان الدستور» ، في جريدة «الاتحاد العثماني»، ٢٢ أيلول ١٩٠٨ .

فرشيد رضا لم يدخل وسعاً، عبر اتصالاته وخطبه التي ألقاها في جولته بين طرابلس ودمشق، في دعم مرشحي حزب الاتحاد والترقي. ويقول في ذلك: «كنت أين لهم ولغيرهم أن تنفيр العرب من الترك مفسده من أضر المفاسد، وإننا في أشد الحاجة إلى الاتحاد بالترك والإخلاص لهم، لأن مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك، على أنها أحوج إليهم منهم إلينا، فمن يسعى إلى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدو لنا وهم...»<sup>(١٨)</sup>.

ويعكن أن ذكر وعلى سبيل المثال أيضاً، عبد الكريم الخليل وتوفيق البساط، فقد استهدف نشاطهما الثقافي والسياسي بصورة أساسية جمع الأتراك والعرب في إطار «المتدى الأدبي العربي» في استانبول. وما يذكر هنا أن شخصيات تركية سترز بعد حين، كانت تتردد على «المتدى» وتشترك في المحاضرات والندوات. ومن هؤلاء أنور وطلعت ومدحت شكري وغيرهم<sup>(١٩)</sup>.

ثم إن مثل الأمير شكيب أرسلان يبقى أكثر دلالة. فهدف الأمير كان دائمًا وأبدأ الدفاع عن الشعوب الإسلامية والعربية أمام الخطر الخارجي بالتعاون مع «الاتحاديين». من هنا كان انخراط الأمير في معركة التصدي للاستعمار الإيطالي في ليبيا عام (١٩١١). وبعد أن نظم حملة واسعة في الشرق لتأييد القضية الليبية توجه بنفسه على رأس مجموعة من المتطوعين ليشارك في المعركة هناك خلال ثمانية شهور جنباً إلى جنب مع أنور باشا ومصطفى كمال<sup>(٢٠)</sup>.

(١٨) المدار، مجلد ١١ ، جزء ١١ ، كانون الأول ١٩٠٨ ، ص ٩٣٨ - ٩٣٩ .

(١٩) راجع : داغر أسعد ، مذكريات على هامش القضية العربية ، القاهرة - بدون تاريخ - ص ٣٥ . ودروزة محمد عزت ، حول الحركة العربية الحديثة ، صيدا ١٩٥٠ ، جزء ١ ، ص ٢٤ .

(٢٠) الأمير شكيب أرسلان ولد في الشويفات (جبل لبنان) ١٨٩٦ ، تلميذ وصديق الشيخ محمد عبده ، ربطته كذلك صداقة طويلة ومتينة مع الشيخ رشيد رضا وكان يملك الكثير من ملامح الأفغاني ، فكراً ومارسة .

ragع «سيرته الذاتية» المصدر السابق ، لا سيما ص ٧٧ - ٨٨ .

وبعد هذا، يطرح سؤال: متى بدأ المثقفون المسلمين في المشرق العربي يمارسون عملاً سياسياً وتنظيمياً ومستقلاً عن وصاية الأتراك؟

في رأينا أن التطور الداخلي في بنية وتوجه حزب الاتحاد والترقي بعد الانقلاب الثاني عام (١٩٠٩)، هو الذي حدد بداية مفترق الطريق. فما هي طبيعة هذا التطور؟

إن تجربتي الثورة في عامي (١٩٠٨ و ١٩٠٩) أظهرتا جيداً أهمية وزن العسكريين في حسم الخلافات السياسية، وفي التصدي لسياسة السلطان عبد الحميد الفردية. ذلك أن حزب الاتحاد والترقي ضم في صفوفه منذ البدء عدداً كبيراً من الضباط الشباب. وهؤلاء، كانوا من ذوي «الجذور الشعبية المتواضعة والنشاء الأوروبيية، والرواتب المحدودة جداً وكانوا ينظرون بمرارة إلى الرتب العالية وكيف يستحصل عليها بأحقر الأساليب البوليسية». لذلك شكلوا «أداة التحرك الثوري»<sup>(٢١)</sup>. وفي عام (١٩٠٨) استطاع هؤلاء الضباط فرض الدستور على عبد الحميد، وفي عام (١٩٠٩) أفشلوا الردة الحميدية. وهذا الوضع بالذات كان يدفع بالتجاه نشوء طبقة عسكرية تمارس حكماً «ديكتاتورية». وكل هذا تم في ظل ظروف هجمة الامبراليات على ولايات الدولة العثمانية وانتشار الأفكار «الشوفينية» التي صدرتها ايديولوجية الامبرالية، والتي كانت التزعة الطورانية تعبيراً تركياً لها؟ فقبيل حصول هذا التحول بشهور قليلة كتب أحد المراقبين السياسيين الفرنسيين مسجلاً تخوفه «من أن يستفيد الجيش من تنظيمه. وذلك في غمرة نشوته بقوته، ليمارس بواسطة قواده ديكتاتورية عسكرية حقيقة»<sup>(٢٢)</sup>.

هذا التخوف ما لبث أن تحقق تدريجياً. فمنذ تسلم طلعت باشا وزارة أكثر فأكثر في كل ميادين الإدارة. وهذا الصعود العسكري التركي ترافق مع سياسة ابعاد الموظفين غير الأتراك، فالعرب مثلاً حرموا من «حقهم

- Goblet Y. M.: *La vie politique orientale en 1909*, Paris, P 98.

(٢١)

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

التقليدي» في وزارة الأوقاف وانتزعت منهم وظائف إدارية عديدة<sup>(٢٣)</sup>.

كل هذا أيضاً ترافق مع السياسة القمعية الدموية التي اتبعها طلعت باشا تجاه انتفاضات اليمن وحوران<sup>(٢٤)</sup>. وعلى صعيد الصحافة التركية أيضاً نشهد حملة عنفية معادية للعرب تنظمها جرائد جمعية الاتحاد والترقي: (طنين، تركيا الفتاة، أقدام)، بهدف استشارة المشاعر «الطورانية» عند الأتراك واستدعاء بقية الشعوب العثمانية، ذات الاتهاءات الإثنية والقومية المختلفة ومن بينها العرب<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٣) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٢٤) المرجع نفسه ، ص ١٥٠ - ١٥٦ .

(٢٥) هذه الحملة كانت نتاج التحول في الخط الايديولوجي والسياسي «لجمعية الاتحاد والترقي» نحو الأفكار «العنصرية والشوفينية». وهذا التحول ، ما كانت أسبابه العميقة في المجتمع التركي؟ هل هو مجرد تماثل «ايديولوجي» مع النزعه الامبرالية الغربية ، حمله عسكريون أتراك درسوا في الكليات العسكرية الأوروبية ، وشكل وبالتالي ايديولوجية «طبقة عسكرية تركية حاكمة» غير مؤهلة لتوحيد البلاد العثمانية ، وغير قادرة على فهم تعدد الأثنية والمجتمعات في الدولة الاسلامية أم أن وراء هذه الايديولوجية التي عبرت عنها يومذاك ، العديد من الصحف السياسية التركية ، أسباباً خاصة تتعلق بتطور المجتمع التركي نحو تكون «بورجوازية تركية» ذات مصالح توسيعية والحاقة في البلاد العثمانية . ان مثل هذا الافتراض - وهو يتطلب على كل حال دراسة مستقلة - يبرر - منهجاً - الكلام عن تحول الميئنة التركية ذات الركائز السلطانية التقية نحو «استعمار تركي» قادرته بورجوازية تركية ناشتا ، وتعبيره السياسي : حكم عسكري يمثله «الاتحاديون» العسكريون . وعلى كل حال ، منها كان من أمر أسباب نشوء «العنصرية» التركية ، فإن سياسة حكم «الاتحاديين» العسكريين اتصفت عملياً ، وكذلك اتصفت الحملة الاعلامية التركية ، باشكال التوجه الاستعماري الغربي السائد آنذاك . فموقف صحف «الاتحاديين» مثلاً الرافض لمطلب المشاركة العربية واعتماد اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية واستخدامها في البرلمان العثماني ، يذكر بمصطلح السياسة الاستعمارية الأوروبية يومذاك . إذ تستشهد الصحف التركية لتأكيد موقفها الرافض ، بمثل فرنسا حيال الجزائر وتونس ، وبمثل بريطانيا حيال الهند . فترى أن الهند لا تمثل في البرلمان البريطاني ، كذلك فإن البرلمان الفرنسي يخلو من نواب جزائريين وتونسيين .

وفي وجه هذه الأمثلة ذات الدلالة على النزعه الاستعمارية التركية ، كانت الصحف العربية تستشهد بمثل الاتحاد السويسري حيث تعتمد ثلاث لغات رسمية ، وبمثل بلجيكا حيث

ونخلص من هذا إلى القول: إن التحول في خط «الاتحاديين» وهم في موقع الحكم والسلطة، نحو الديكتاتورية والإيديولوجية «العنصرية»، كان من شأنه أن يجعل من العمل المشترك على الصعيد التنظيمي بين المثقفين المسلمين العرب والأتراك أمراً مستحيلاً. لكن على الصعيد السياسي بقيت مع ذلك مسألة الحفاظ على الدولة العثمانية ضرورة من أولى الضرورات بالنسبة للإصلاحيين المسلمين.

يشير «ندره مطران» وهو من المسيحيين المنادين «بالاستقلال السوري» والتدخل الفرنسي لدعم هذا الاستقلال، إلى موقف المسلمين كما استقر بعد اعلان الدستور، واختلافه عن موقف المسيحيين بهذه العبارات: «إن المسيحيين والمسلمين اشتركوا سوياً في تحقيق الهدف المرجبي (يقصد النضال من أجل الحكم الدستوري). لكن وجهاً من أوجه الخلاف كان لا بد أن يبرز في غضون هذه السنوات الأخيرة، أي بعد أن منع «الاتحاديون» تركيا نظاماً دستورياً: فبينما كان المسيحيون لهم يشعرون بخيبة الأمل وغموض الصورة، يبحثون عن الخلاص عن طريق التدخل الأوروبي، كان المسلمون يستمرون في تعليق الآمال على رجال «تركيا الفتاة» في أن يتمكن هؤلاء من تدعيم قوة الامبراطورية التي تمجد عظمة الإسلام الخالدة، وأن يمنحوا العرب في نفس الوقت حقوقهم العادلة»<sup>(٢٦)</sup>.

إن هذا الخلاف الذي يشير إليه ندره مطران كشاهد عيان كان يعمق كلما نمت وتصاعدت أشكال التدخل الاستعماري في الشرق العربي، وكلما ارتفعت أصوات الاهتمام «بسورية» من قبل الدبلوماسيات الأوروبية. وبعد

---

= تعمد لفنان رسّيستان وتعتبر أن علاقة العرب بالأتراك لا ينطبق عليها مثل فرنسا - الجزائر ، ومثل بريطانيا - الهند ، فهم (أي العرب) «عثمانيون» لم حق المشاركة مع الأتراك في بناء الدولة العثمانية .

راجع مقاطع من هذا السجال السياسي الصحفى عند :

- برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ - ١٧٦ .

- و «ثورة العرب» (مغلق) القاهرة ١٩١٦ ، ابتداء من ص ١٥٩ .

(٢٦) مطران ندرة ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

تصريح الرئيس الفرنسي «بوانكاريه» *Poincaré* عن «المصالح التقليدية» الفرنسية في لبنان وسوريا عام (١٩١٢) وزيارة الباخرة الفرنسية لرفأ جونية، شاع في الولايات العربية تحفظ من أن تقدم فرنسا على عمل عسكري مباشر في سوريا<sup>(٢٧)</sup>. وكان ذلك سبباً لتعمق الخلاف بين الموقفين بحيث ازداد «الرهان المسيحي» على التدخل الأوروبي من جهة، وازداد «التحفظ الإسلامي» من الاحتلال الأوروبي من جهة ثانية.

لكن باب الرهان على رجال «تركيا الفتاة» من قبل الإصلاحيين المسلمين كان ينسد شيئاً شيئاً مع التحول في الخط السياسي «للاتحاديين» نحو التعبئة «الشوفينية» التركية و«العنصرية»، ودفع هذا الأمر نحو مبادرات عربية مستقلة تقدم «برامج» تتضمن المطالبة بحقوق العرب وتتمسك «بالعثمانية» في وجه سياسة «الترتيك».

لقد قامت أول مبادرة من هذا النوع في باريس، في ١٤ تشرين الأول (١٩١١)، عندما بادر عدد من الطلاب المسلمين الذين كانوا يدرسون في باريس إلى تأسيس جمعية سرية أسموها «العربة الفتاة»، وكان على رأس المبادرين: محمد رستم حيدر (بعליך)، عوني عبد الهادي (نابلس)، جليل مردم (دمشق)، محمد المحمصاني (بيروت)، رفيق التميمي (نابلس)، توفيق سويفي (بغداد). وبعد ستين من العمل السري في باريس، انتقل نشاط الجمعية إلى بيروت ودمشق<sup>(٢٨)</sup>.

وبالرغم من الغموض الذي اكتفى برنامج الجمعية، فإنه من المؤكد أنه اقتصر على مطالب اصلاحية بشأن نيل حقوق العرب وتطوير البلاد على الصعيدين الثقافي والاجتماعي، ضمن وحدة الدولة العثمانية<sup>(٢٩)</sup>.

وكان ان جذبت هذه الجمعية إليها العديد من مثقفي المدن الإسلامية

(٢٧) بهم محمد جليل ، *قوافلعروبة* ، ص ٢٢ .

(٢٨) دروزة محمد عزت ، المصدر السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٢٩) سعيد أمين *الثورة العربية الكبرى* ، مصر ، (بدون تاريخ) ، الجزء الأول ، ص ٩ .

في المشرق العربي، لا سيما في بيروت وصيدا وطرابلس ودمشق. لكن النشاط السياسي هؤلاء لم يظهر إلا في إطار الشرعية التي نالها حزب علني كان قد تأسس في القاهرة هو «حزب الامركزية الادارية العثمانية».

كان هذا الحزب قد تأسس في كانون الثاني عام (١٩١٢)، بمبادرة عدد من المثقفين المسلمين والسيحيين المقيمين في القاهرة. لقد تشكلت نواة الحزب من الدكتور شibli الشميميل، اسكندر عمون، سمير جريديني، رشيد رضا، حقي العظم، ومحب الدين الخطيب<sup>(٣٠)</sup>.

وما يلفت النظر في برنامج حزب الامركزية، كونه شكل نقطة تلاق بين مختلف الاتجاهات الليبرالية والاصلاحية في المشرق العربي. فاللامركزية الإدارية التي دعا لها البرنامج شكلت القاسم المشترك بين المثقفين والمفكرين المسيحيين «الليبراليين» النازعين نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية، والإصلاحيين المسلمين الذين يعارضون التتربيك. ومن جهة أخرى، شكلت أيضاً مطالب الإصلاح، مرحلياً، العامل الموحد<sup>(٣١)</sup>. لكن دون أن تلغى عند الاتجاه «الليبرالي» موقف النزوع نحو الغرب والراهنة على مساعدته وتدخله.

لقد ابتدأ الحزب نشاطه بحملة إعلانية واسعة تولتها مجلة النار. ولم تلبث هذه الحملة التي اتخذت طابع السجال السياسي مع أنصار المركزية والتتربيك، أن خلقت أجواء سياسية في العديد من مدن المشرق العربي، لا سيما في بيروت ودمشق وبغداد والبصرة وغيرها<sup>(٣٢)</sup>، وقد طالت هذه الأجواء بصورة خاصة فئات التجار والمثقفين. وكان أن جاء صعود حزب «الائتلاف والحرية» العثماني، المعارض «للاتحاديين» والمؤيد «للامركزية» إلى السلطة،

(٣٠) راجع لائحة المؤسسين والمتسبين الرئيسيين للحزب في : دروزة ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٣١) راجع نص برنامج «حزب الامركزية» في الملحق رقم ٤ .

(٣٢) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٤٣٨ .

(٣٣) في تصريح للصدر الأعظم كامل باشا ، في حكومة حزب «الحرية والائتلاف» أجاب على سؤال : «أية سياسة في الداخل ستتبناها ، حالاً مختلف أعراف الامبراطورية؟ » بما يلي :

المناسبة في نفس الوقت لأشاعة مناخ سياسي ملائم للدعوة إلى «اللامركزية»<sup>(٣٣)</sup>. وشكل كل هذا منطلقاً لقيام عدد من الحركات الاصلاحية في العديد من المدن التي ذكرنا، تطالب بالإصلاح من وحي برنامج «حزب اللامركزية الإدارية العثماني». ونكتفي هنا بالوقوف عند حركة الإصلاح التي قامت في بيروت والمؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس.

---

«ان قوانيننا لا تقيم أي فرق بين المسيحيين والمسلمين (...). اننا سنحترم التقاليد واللغات أيضاً، وستزيد من حقوق ومبارات الولايات. اننا من أنصار سياسة متحورة جداً (...). ورد التصريح في :

- Correspondance d'Orient, 16- 12- 1912, p.p. 519-520.

- ٣ -

## حركة الإصلاح في بيروت كانون الثاني - نيسان ١٩١٣

في أواخر عام (١٩١٢)، بعث والي بيروت أدhem بك إلى الصدر الأعظم كامل باشا، تقريراً عن الحالة السياسية في المدينة جاء فيه: «يتجادب البلاد عوامل مختلفة، ولقد ول قسم عظيم من الأهالي وجههم نحو إنجلترا أو فرنسا لإصلاح الحالة التuseة التي هم فيها. فإذا نحن لم نأخذ بالإصلاح الحقيقي تخرج البلاد من يدنا لا محالة»<sup>(٣٤)</sup>.

وفي جوابه، يطلب الصدر الأعظم من الوالي دعوة مجلس الولاية للجتماع لدراسة الموقف وتقديم برنامج إصلاحي للحكومة<sup>(٣٥)</sup>.

لم تكن هذه المبادرة من قبل الحكومة المركزية الموالية للاتلافين، إلا أن تطلق وتشجع مبادرات جميع الأطراف «الليبرالية» والإصلاحية في بيروت من مسلمين ومسيحيين. فعلى موازاة اجتماع مجلس الولاية، انعقدت جمعية عاملة

(٣٤) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ، استناداً إلى : محمد كرد علي ، خطط الشام ، دمشق ١٩٢٧ ، الجزء الثالث ، ص ١٢٩ .

(٣٥) بيهم محمد جيل ، قوافي العروبة ، ص ٢٢ .

في مقر بلدية بيروت ضمت (٨٤) شخصاً (رجال أعمال، محامون وصحفيون). وفي نهاية الاجتماع تشكلت لجنة مؤقتة من (٢٥) عضواً (٣٦)، تحددت مهمتها بصياغة لائحة بالطالب الضرورية لاصلاح أوضاع الولاية، ومتابعتها.

نكتفي هنا بالاشارة إلى أهم المطالب التي وضعتها اللجنة، والتي وفق عليها في الجلسة العامة في (٣١) كانون الثاني (١٩١٣) :

- اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية داخل الولاية. أما اللغة التركية فتبقى اللغة الرسمية في ما يخص المراسلات مع استانبول.

- استخدام اللغة العربية في مجلس النواب والأعيان.

- استشارة السلطات المحلية بشأن تعين الموظفين المدنيين والقضاة وضباط «الجندرمة».

- تحفظ الخدمة العسكرية إلى سنتين وتقضى الخدمة أيام السلم في الولاية.

- تقسيم واردات الخزينة إلى نوعين:

أ - حاصلات الجمارك والبريد والبرق وضربيه الخدمة العسكرية تعود إلى الحكومة المركزية.

ب - تشكيل مجلس عمومي للولاية يتتألف من (٣٠) عضواً نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين لمدة أربع سنوات. يجري انتخابهم على قاعدة التمثيل النسبي العددي في دوائر الانتخابات... تكون صلاحياته بصورة أساسية إدارية، وإلى حد ما تشريعية، شرط أن لا تمس شؤون

---

(٣٦) من بين أعضاء اللجنة ذكر: «سليم علي سلام، أحمد مختار بيه، خليل زينية، الدكتور أيوب ثابت، الشيخ أحد حسن طبارة، البرت سرق، اسكندر عازار، رزق الله ارتش، سليم طبارة، كامل الصلح، محمد ابراهيم طبارة، جان بطرس، يوسف هاني، محمد فاخوري، بترو طراد، جبيل الحسامي، حسن ناطور، حبيب فرعون.

راجع برو توفيق، المرجع السابق، ص ٤٤٥.

السلطنة الأساسية.. (عقد قروض في حدود نصف واردات الولاية، إعطاء رخص تأليف شركات مساهمة للمشاريع العمومية النافعة، شرط ألا تتضمن امتيازاً، حق استجواب الوالي وطلب عزله...). الأمور السياسية العامة (الدفاع، الخارجية، الامتيازات...) تبقى من صلاحية الحكومة المركزية؛ كذلك تعيين الموظفين الرئيسيين (الوالى، حاكم الشرع، مدير المالية (الدفتردار)، قائد الدرك وضباط الدرك...). لكن شرط معرفتهم اللغة العربية (ما عدا الوالى).. أما بقية الموظفين فيعينون من أهالى البلاد بعد امتحان وبasherاف لجنة المجلس العمومي.

- تعيين الحكومة المركزية مستشارين في الولاية لتنظيم إدارات الدرك والمالية والبريد والجمارك، ومفتشين في سناجق الولاية. يختار المستشارون والمفتشون من الاختصاصيين الأوروبيين، شرط معرفتهم احدى اللغات الثلاث: العربية أو التركية أو الفرنسية. وتكون مدة خدمتهم ١٥ سنة (٣٧).

ولعل من الأهمية بمكان ونحن نورد بعض ما تضمنته لائحة المطالب هذه أن نشير إلى أنها كانت تنطوي ضمناً على وجود اتجاهين داخل الجمعية العامة. فمحمد جليل بيهم، وهو من القادرين على وصف الحدث بفضل اطلاعه على ما جرى في داخل الجمعية من نقاشات، يحدثنا عن هذا الواقع بما يلي (٣٨) :

«... على أن وجهات نظر البيروتيين كانت مختلفة، خصوصاً لوجود فئة ذات وزن كانت حريرصة على التخلص من الحكم العثماني، وللسعي لاستقلاله تحت حماية فرنسا»<sup>(٣٩)</sup>. وكان المسلمون من جهة أخرى، مع حرصهم على اللامركزية وتأمين حقوق العرب في السلطنة، يضيّون بالدولة

(٣٧) ثمة نسخة عن لائحة المطالب بالفرنسية محفوظة في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في

باريس :

- M.A.E.F. Turquie, vol 119, f. 116.

(٣٨) بيهم محمد جليل ، المصدر السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣٩) مما يؤكد هذا الرأي أن خليل زينية والدكتور أيوب ثابت كانوا من المؤسسين « جمعية النهضة اللبنانيّة » التي كانت على صلة وثيقة بالنقصلية الفرنسية في بيروت . كما يثبت ذلك وجود عدد من رسائلها وتقاريرها في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في باريس .

العثمانية، ولا يرثون عنها بديلاً من الدول الأجنبية. ولما كان لا بد من تقارب وجهات النظر بين طلاب الاصلاح من أنصار فرنسا وانصار الامبراطورية، في دار بلدية بيروت يوم ٣١ كانون الثاني (١٩١٣) تجمع بين شروط الامبراطورية وبين وجود مستشارين أجانب في جهاز حكومة الولاية بالإضافة إلى مفتش أجنبي لكل لواء»<sup>(٤٠)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإن الحركة الإصلاحية البيروتية اصطدمت سريعاً بالانقلاب الحكومي الذي قاده الاتحاد، في نفس الشهر الذي قدمت فيه اللائحة الإصلاحية.

فقد اعتبرت حكومة «الاتحاديين» أن الحركة التي شهدتها بيروت مؤخراً ليست إلا «خيانة للدولة العثمانية». فبادرت إلى عزل أدhem بك الوالي السابق المتعاطف مع حركة الإصلاح وعيّنت بدلاً منه حازم بك الذي أمر بحل «اللجنة الإصلاحية» في (٨) نيسان (١٩١٣). واحتاجاً على هذا الإجراء ظهرت الصحف البيروتية في الغد أوراقاً ببيانات مكللة بالسواد وحاملة نص قرار الحل في الصفحة الأولى، دون تعليق<sup>(٤١)</sup>.

بعد ثلاثة أيام من اتخاذ هذا الإجراء، عقدت الجمعية العامة اجتماعاً في القاعة الكبرى في «الكلية السورية» وقررت الدعوة للأضراب العام في (١٢) نيسان والاحتجاج على حل اللجنة<sup>(٤٢)</sup>.

وبالفعل استجاب تجار بيروت في اليوم المحدد فأغلقوا مخازنهم وصدر في نفس الوقت بيان صحفي يحمل توقيع عدد من وجهاء ومثقفي بيروت<sup>(٤٣)</sup>.

(٤٠) بهم محمد جيل - المصدر السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

Somné. G: op. cit, p. 85.

(٤١)

- Correspondance d'Orient, 1 mai 1913, PP. 418 - 419.

(٤٢)

(٤٣) الموقعون هم : كامل الصلح ، اسكندر عازار ، محمد ابراهيم طبارة ، ايوب ثابت ، جان بسترس ، سليم علي سلام ، رزق الله ارقش ، أحد مختار بهم ، أحد حسن طبارة ، ابراهيم حكيم ، جوزف هاني ، محمد فاخوري ، جورج رزق الله ، بترو طراد ، عبدالحميد غندور ، البرت سرق ، حبيب فرعون ، جان نقاش ، فؤاد حتن ، سليم بباب ، عبدالباسط فتح الله ، جيل الحسامي ، حسن الناطور . المصدر نفسه ص ٤١٩ .

لقد أكد البيان بعد عرضه لظروف نشأة الجمعية الإصلاحية وموقف الوزارة السابق منها مبدأ «حرية الاجتماع» و«الحرية الفردية» و«حرية الرأي» وأعتبر إجراء الوالي عملاً لا يتعارض مع مضمون الدستور العثماني وحسب، وإنما أيضاً مع نظرة «العالم المتمدن». ويخلص البيان إلى «الاحتجاج بشدة» على عمل «الوالى» الذي «عبث بصلحة الوطن».

وفي ذات الوقت أرسلت برقة إلى الصدار العظمى ووزارة الداخلية موقعة من (١٣٠٠) بيروقى يتآلفون من ملاكين وتجار وصيارة وأطباء ومحامين وصحفيين وأدباء». هذه البرقية تفند الحجج التي استند إليها الوالي لحل الجمعية الإصلاحية وتحبب عليها. «فاللحجة بعدم شرعية الجمعية تسقط، لأن الجمعية انعقدت بإذن رسمي من الحكومة المحلية... كذلك إن القول بأن بعض الإصلاحات المطلوبة تناقض مع مبادئ الأنظمة الأساسية قول لا يعتمد على أي أساس...» وتنتهي البرقية «بالاحتجاج بشدة» على هذا العمل<sup>(٤٤)</sup>.

لقد جاء رد الوالي مزيداً من إجراءات القمع والتهديد. فقد أمر بفتح المحلات، وهدد من يذعن للأضراب بالسجن والتغريم، وألقى القبض بالفعل على ستة أعضاء من اللجنة الإصلاحية، من بينهم: اسكندر عازار، زكريا طبارة، رزق الله ارشش، سليم طبارة، بتهمة التحرير والتبيح ضد الحكومة، كذلك صادر صحيفتين: الاتحاد العثماني (ومدير تحريرها: أحمد طبارة) والمفيد (ومدير تحريرها عبد الغنى العريسي)<sup>(٤٥)</sup>.

كذلك جاء جواب الصدر الأعظم على برقة إصلاحى بيروت حاملاً موقفاً أكثر تصلباً واصراراً على رفض أشكال العمل التي لجأت إليها الجمعية الإصلاحية والمطالب التي رافقتها. فقد جاء في البرقية «أن السكان إن أرادوا إصلاحاً فليطلبوه من البرلمان، فإن وافقت عليه الأكثريـة البرلمانية نفذته الحكومة. أما إذا شاء السكان تأسيس لجان وتقديم مطالب تتناقض مع

(٤٤) المصدر نفسه ص ٤١٩.

(٤٥) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٤٧٥.

القانون فإن الحكومة لا يمكنها أن تقييم اعتباراً هذه المطالب... إننا نطلب منكم أن تطلعوا كل من يهمه الأمر على هذا الموقف. وعليه يجب إحالة كل من ينخرط في عمل غير شرعي إلى المحكمة العرفية ليصار إلى الحكم عليه خلال ساعتين. وإن السلطات العسكرية قد تلقت في هذا الشأن كل التعليمات الضرورية»<sup>(٤٦)</sup>.

حيال هذه المواقف الصارمة من قبل الحكومة المركزية ووالي بيروت كانت الحركة الإصلاحية البيروتية تتراجع وتنسحب. ففي (٢٠) نيسان زار الوالي وفد من وجاه بيروت للتوسط في أمر اطلاق سراح المعتقلين الستة. وبعد ابراق الوالي إلى استانبول جاء الجواب في المساء بالقبول باطلاق سراحهم. لكن بعد أن توجه هؤلاء إلى الرأي العام البيرولي بنداء يطلبون فيه من التجار فتح محلاتهم وعودة الحياة الطبيعية إلى المدينة<sup>(٤٧)</sup>. وهكذا كان، وكانت بذلك نهاية الحركة الإصلاحية في بيروت<sup>(٤٨)</sup>.

غير أن الحلقة المركزية كانت دائمًا مسألة الإصلاح التي شكلت إذا صع التعبير، المظهر الرئيسي للتناقض بين دعوة الإصلاح واللامركزية، من جهة، وبين الحكومة التركية المركزية من جهة ثانية. لكن جبهة المعارضة هذه ظلت كما سنرى تضم اتجاهين و موقفين كان يشكل عنصر تقاربها الموقف التركي الرسمي الرافض لأي مطلب لا مركزي.

- Correspondance d'orient 16 Mai 1913, p. 467 - 468.

(٤٦)

(٤٧) برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .

(٤٨) شهدت مدن المشرق العربي في الوقت ذاته حركات إصلاحية مماثلة ، رفعت نفس المطالب ، لكن من غير مطلب المستشارين والمفتشين الأجانب . وكان ذلك في دمشق وبغداد والبصرة . وقد انتهت كها انتهت حركة بيروت دون أن تحقق أي مطلب إصلاحي .  
راجع ، برو توفيق ، المرجع السابق ، ص ٤٤٥ ، وص ٤٨٨ - ٥٠٢ .

-٤-

## المؤتمر العَرَبِيُّ الْأُولُّ فِي بَارِيسْ حزيران ١٩١٣

في الوقت الذي كانت فيه الحركة المطلبية بيروتية تتراجع، مع بقية الحركات المطلبية في المدن الأخرى من الشرق العربي، تحت ضغط التهديد والإجراءات البوليسية الرادعة، كانت باريس تشهد اعداداً لتحرك مطليبي عربي بدليل.

فقد استطاع بعض دعاة الإصلاح من المسلمين: عبد الغني العريسي، محمد طبارة، توفيق فايد (بيروت)، جليل مردم (دمشق)، عوني عبد الهادي (نابلس) أن ينقلوا مسرح الحركة المطلبية إلى هناك، حيث يمكن أن تشهد أصداءً أبعد وتأثيراً أشد.

وكانت باريس منذ زمن مركز إقامة عدد من المثقفين المسيحيين الذين تركوا بيروت، وجبل لبنان وبعض المناطق المجاورة، ليتعاطوا بعض النشاطات الثقافية والسياسية في الصحف الباريسية والمراكز الثقافية التي كانت تتولى أمر الدفاع عن السياسة الاستعمارية الفرنسية.

وكان من بين هؤلاء شكري غانم الذي طرح عام (١٩٠٢) «القضية

العربية» من خلال مسرحية شعرية أسمها «عنتر» قدمت على مسرح «الأوديون» في باريس. كذلك كان قد اختير رئيساً للجنة اللبنانيّة عام ١٩١٢<sup>(٤٩)</sup>.

كما كان من بينهم أيضاً خير الله خير الله الذي انتقل بعد إقالته من وظيفته في إدارة جبل لبنان عام ١٩١١ إلى باريس حيث عمل محرراً لشؤون المشرق في جريدة «لوتان» *Le Temps*. وفي عام ١٩١٢ اشترك مع شكري غانم في تأسيس «اللجنة اللبنانيّة» واختير أميناً لها.

وكان هناك أيضاً جورج سمنه، وندره مطران اللذان كانوا يتعاطيان منذ زمن نشاطات ثقافية وسياسية.

في هذا الجو السياسي السائد في باريس انطلقت الدعوة إلى مؤتمر عربي يمثل شتى الاتجاهات المعارضة للمركزية التركية على اختلاف جذورها الثقافية وانتهاءاتها الأيديولوجية السياسية. وعلى هذا الأساس تشكلت «لجنة تحضيرية» تألفت من عبد الغني العريسي، محمد طبارة، جليل مردم، عوني عبد الهادي، شكري غانم، ندره مطران، شارل دباس، جليل معمولف<sup>(٥٠)</sup>.

ارتآت اللجنة أن يكون حزب اللامركزية - الإدارية العثماني هو الحزب المشرف على المؤتمر. وفي (٤) نيسان ١٩١٣ بعثت لجنة المؤتمر إلى اللجنة العليا لحزب «اللامركزية» رسالة تطلب فيها أن يختار الحزب من بين زعمائه مثلاً يرأس جلسات المؤتمر، كذلك ارتآت أن تدور الأبحاث في المؤتمر حول المسائل التالية:

- حقوق العرب في المملكة العثمانية.
- ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية.

- Voir Bruneau A. Op. Cit; p-p. 190-191.

(٤٩)

(٥٠) المؤتمر العربي الأول ، صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر ، ١٩١٣ ، تحرير عبد الدين الخطيب ، ص ٥ . ولقد أعيد نشر هذا الكتاب مع مقدمة للمؤلف بعنوان «وثائق المؤتمر العربي الأول والمراسلات الدبلوماسية الفرنسية المتعلقة به » ، بيروت ١٩٨٠ .

- المهاجرة من سورية وإلى سورية.
- الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال.

وبعد أخذ موافقة الحزب توجهت اللجنة التحضيرية إلى الأمة العربية ببيان تدعو للمشاركة في المؤتمر ودعمه وتأييده بشتى الوسائل.

إن قراءة فاحصة للبيان تدعونا للاعتقاد أن اللجنة قد حاولت أن توقف بين وجهتي النظر السائدتين. فالبيان يؤكد أولاً على ضرورة درء خطر الاحتلال الأوروبي: «نحن الحالية العربية في باريس، وقد أوقتنا مناظرات الجرائد الأوروبية، و GAMAZ السياسة في الأندية العمومية، على استقراء ما يجري من المخابرات الدولية بشأن البلد العربي وأخصها زهرة الوطن سورية... فجرى البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الأرض... من عادية الأجانب...».

لكن الحل المقترن هو في إزالة الاستبداد التركي: «لم يبق بين جمهور الناطقين بالضاد من لا يعلم أن ذلك نتيجة الإدارة المركزية». «ولذلك يتركز المطلب على إصلاح أمورنا الداخلية على ما يتطلبه أهل البلد من قواعد اللامركزية حتى يشتند بها ساعدنا وتستقيم قناتنا، فينقطع بذلك خطر الاحتلال والاضمحلال وتتفنى مهزلة الرق...». وإذا كانت الإشارة إلى خطر الاحتلال الأوروبي هي من قبيل إرضاء الاتجاه العربي الإسلامي المعادي للاستعمار الأوروبي، وإذا كانت الدعوة إلى اللامركزية ورفض الهيمنة التركية يشكلان الموقف العام المشترك، فإن الدعوة الضمنية للتوجه للدول الأوروبية شكلت بالمقابل الوجهة التي كان يدفع باتجاهها أصدقاء فنسا الذين كانوا يشكلون نصف أعضاء اللجنة التحضيرية، والذين سيلعبون كما سرى دوراً مهماً في أعمال المؤتمر وتوجيهه.

إن هذا التجاذب في وجهتي النظر تلخصه العبارات التالية من البيان: «... وبعد المداولة تقرر عقد مؤتمر للعرب حيث نسط للأمم الأوروبية، أننا أمة ذات وجود حي لا ينحل، ومكان عزيز لا ينال، وخصائص قومية لا

تنزع .. ونصارح الدولة العثمانية بأن اللامركزية قاعدة حياتنا... وإن العرب شركاء في هذه المملكة...»<sup>(٥١)</sup>.

وانعقد المؤتمر بين (١٧ و ٢٣) حزيران في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية في باريس. مثل اللجنة العليا لحزب اللامركزية عبد الحميد الزهراوي (نائب سابق عن حماة) الذي ترأس المؤتمر. وتمثلت بيروت بعدد من الشخصيات التي شاركت في الحركة الإصلاحية: (سليم سلام، أحمد مختار بيهم، خليل زينية، أحمد طبارة، أيوب ثابت، البير سرق). كذلك تمثلت العراق بوجيهين: توفيق السويفي، وسليمان عنبر. وحضرت المؤتمر أيضاً وفود أخرى مثلت لبنان وروابط عديدة: منها اللجنة اللبنانية في باريس (شكري غانم)، والاتحاد اللبناني في القاهرة (اسكندر عمون)، وممثلين بجاليات لبنانية - سورية في الولايات المتحدة والمكسيك<sup>(٥٢)</sup>.

والكلمات التي القيت في المؤتمر تعكس بوضوح مضامين الاتجاهات الموجودة على الساحة. ويكفي أن نورد بعض فقرات مهمة لاستخلاص شتى المواقف وتحديد خلفياتها.

افتتح المؤتمر بكلمة ألقاها عبد الحميد الزهراوي، رئيس المؤتمر ومندوب اللجنة العليا لحزب اللامركزية. وأهم ما جاء فيها: التأكيد على الاخاء العربي - التركي في إطار الرابطة العثمانية، وإن المشاركة في الحكم على أساس اللامركزية هي القاعدة التي تثبت هذا الاخاء. أما بالنسبة للموقف من الغرب فيغيب الجانب السياسي فيه تماماً وتغييب معه بالتالي مخاوف الاحتلال الأوروبي التي كان يحذر منها حزب اللامركزية عبر مجلة «المنار»، بل أكثر من ذلك يندفع الزهراوي إلى التأكيد: «أن أوروبا ليست هي الغول، وإنما الغول هو سوء الإدارة وفساد السياسة». وعليه تصبح أوروبا بعد «تغييب» مصالحها ومشاريعها الاستعمارية في الولايات العثمانية «دليل الشرق». لذلك يقول

---

(٥١) المؤتمر العربي الأول ، ص ١٠ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ ، ١٦ .

«إن أردنا أن نحتل مكاناً تحت الشمس، علينا أن نستوعب مبادئ الحضارة الغربية. إذ لا شيء أخطر من أن نبقى جامدين (...). أما «عقدة» التفوق الأوروبي فيحلها الزهراوي بالعودة إلى ماضي العرب. «عندما نبقى اليوم أفكار أوروبا فإنما نفعل ذلك على أساس حق المبادلة. إننا نعترف بفضل أوروبا في مأخذها عنها، كما هي اعترفت بفضل أجدادنا بشأن كل ما تدين به لهم»<sup>(٥٣)</sup>.

أما عبد الغني العريسي، وهو حائز على دبلوم الصحافة من جامعة باريس، ومن عائلة بيروتية إسلامية - ورئيس تحرير جريدة «المفيد» فقد مثل اتجاهًا ليبراليًا. قومياً استخدم في التعبير عنه المفاهيم الأوروبية السائدة، لكن دون أن يستتبع «تنظيره للأمة العربية» على أساس المنهج الأوروبي الدعوة للانفصال عن الآتراك. فالعرب رغم كونهم «أمة» ذات شخصية خاصة هم «عثمانيون» أيضًا، لهم حقوقهم كعرب ولهم حقوقهم أيضًا كعثمانيين. لقد ورد في خطابه «أن الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق إلا إذا جمعت - على رأي علماء الألمان - وحدة اللغة ووحدة العنصر. وعلى رأي علماء الطليان: وحدة التاريخ ووحدة العادات. وعلى مذهب سياسة الفرنسيين: وحدة المطمح السياسي، فإذا نظرنا إلى العرب من هذه الوجهة الثلاثة علمنا أن العرب تجمعهم وحدة لغة، ووحدة عنصر ووحدة تاريخ، ووحدة عادات، ووحدة مطمح سياسي. فحق العرب بعد هذا البيان أن يكون لهم - على رأي كل علماء السياسة دون استثناء - حق جماعة، حق شعب وحق أمة (...). وأن العرب يطلبون (حقهم) كشركاء في هذه الدولة، شركاء في القوة الإجرائية، شركاء في القوة التشريعية، شركاء في الإدارات العامة، أما في داخلية بلادهم فهم شركاء أنفسهم»<sup>(٥٤)</sup>.

لكن ندره مطران وهو مثقف مسيحي من بعلبك يقيم في باريس فقد عبر بصورة ضمنية عن طموحات استقلالية، حددها في إطار سورية. دون

(٥٣) المصدر نفسه ، وعنوان مداخلته ترثينا السياسية، ص ٢٨ - ٣٩.

(٥٤) المصدر نفسه ، وعنوان مداخلته : حقوق العرب في المملكة العثمانية، ص ٤٢ - ٤٣ .

أن يدعو صراحة للانفصال عن الأتراك. لقد اعتبر «السوريين» ضمناً «أمة» خضعت لسيطرة الأتراك المباشرة بعد أحداث (١٨٦٠)<sup>(٥٥)</sup>.

أما الشيخ أحمد طبارة، مثل جمعية الإصلاح البيروتية، ومدير تحرير جريدة «الاتحاد العثماني» فقد اكتفى بطرح موضوع الهجرة من سورية. بعد أن أشار إلى أن حوالي (٦٠٠) ألف سوري قد تركوا البلاد في غضون ربع قرن تساءل لماذا تعجز سورية اليوم عن تموين (٣) ملايين من السكان بينما كانت في أيام الرومان تمون حوالي (١٦) مليوناً؟ وهو إذ يعتبر الهجرة سبباً لهذا الافتقار لأن «مناخ البلاد وطبيعة الأرض وميزات الشعب بقيت كما هي ولم تتغير» يرى في نفس الوقت أن سبب الهجرة كانت في النظام السياسي المركزي. لذلك يكفي في رأيه ادخال الإصلاحات السياسية الإدارية إلى البلاد حتى يوضع حد لتيار الهجرة، وحتى يحمل المهاجرون إلى العودة إلى ديارهم<sup>(٥٦)</sup>.

أخيراً، تتجذر الإشارة إلى الكلمة اسكندر عمون، مسيحي من جبل لبنان وممثل «الاتحاد اللبناني في القاهرة». فقد تحدث عن حسنت «اللامركزية» في نطاق التركيب التعددي للسلطنة العثمانية. «فاللامركزية يفرضها واقع تعدد الأديان، الأعراق، واللغات. وإلا فالاصرار على الوحدة الإدارية لا يؤدي إلا إلى الفشل»<sup>(٥٧)</sup>. والحقيقة أن اسكندر عمون مثل في ذلك وجهة نظر «حزب اللامركزية - الإدارية» الذي كان عضواً رئيسياً فيه، أكثر مما مثل وجهة نظر «الاتحاد اللبناني» الذي كان فيأغلبية أعضائه يمثل اتجاهًا لبنانياً ينحصر في الدفاع عن امتيازات الجبل والعمل على توسيعها.

---

(٥٥) المصدر نفسه، وعنوان مداخلته: «حفظ الحياة الوطنية في البلاد العربية العثمانية» ص ٥٦ . ٥٨

(٥٦) المصدر نفسه ، وعنوان مداخلته «المigration من سوريا وإلى سوريا» ص ٨٣ - ٩٣ .

(٥٧) المصدر نفسه ، وعنوان مداخلته «الإصلاح على قاعدة اللامركزية»، ص ٩٣ ، ١٠٣ .

وبعد مداخلات عديدة - أشرنا لأهمها - وضع في الجلسة الأخيرة محضر للمؤتمر خلص إلى تثبيت القرارات التالية<sup>(٥٨)</sup>:

- ١ - إن الاصلاحات الحقيقة واجبة وضرورية للململكة العثمانية.
- ٢ - من المهم أن يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية، وذلك بأن يشتركوا في الإدارة المركزية للململكة اشتراكاً فعلياً.
- ٣ - يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها.
- ٤ - كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صدق عليها في (١٩١٣/١٣١) باجماع الآراء، وهي قائمة على مبدأين أساسين هما: توسيع سلطة المجالس العمومية، وتعيين مستشارين أجانب، فالمؤتمرون يطلبون تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين.
- ٥ - اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ورسمية في الولايات العربية.
- ٦ - تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية إلا في الظروف والأحيان التي تدعو للاستثناء الأقصى.
- ٧ - يتمني المؤتمر من الحكومة السنوية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل تحسين ماليتها.
- ٨ - يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على اللامركزية.
- ٩ - سيجري تبلغ هذه القرارات للحكومة السنوية.
- ١٠ - وتبلغ أيضاً هذه القرارات الحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية.
- ١١ - يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكرأ جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها. وأضيف إلى هذه القرارات ملحق يعتبر أن هذه المطالب هي بمثابة برنامج سياسي للعرب العثمانيين ينبغي الالتزام به والامتناع عن قبول أي منصب إذا لم يصر إلى تنفيذه.

---

(٥٨) المصدر نفسه، ص ١١٣ - ١١٧.

إن ما يستوقف أيضاً في سياق المداولات التي جرت في المؤتمر والاقتراحات التي قدمت حول المطالب، مسألة تعيين مستشارين ومفتشين أجانب في الولايات العربية. ذلك أن أصدقاء فرنسا في المؤتمر (ندره مطران، شارل دباس، شكري غانم، جورج سمنه..) حاولوا ادخال مطلب اعتماد مفتشين ومستشارين أجانب في لائحة المطالب، مما أثار معارضه بعض المؤتمرين الآخرين وأدى إلى عاصفة من النقاشات الحادة بين مؤيدین ومعارضین. ولم يفل النقاش إلا بعد اقتراح صيغة «مرنة» قدمها سليم سلام وأحمد طبارة، تفضي بايراد نص في لائحة المطالب يتضمن الإشارة إلى مطلب الحركة الإصلاحية الباريسية بشأن وجود مستشارين ومفتشين أجانب في بيروت. وبذلك لا يلزم النص الولايات الأخرى بهذا المطلب وتكون حرمة فيها بعد باستدعاء خبراء أجانب أو بالامتناع عن ذلك، على أساس صلاحيتها التي تتيحها اللامركزية في حال تطبيقها<sup>(٥٩)</sup>.

استبعدت إذن الخلافات حول هذا الموقف بعد موافقة معظم ممثلٍ ولاية بيروت على الصيغة المقترحة. لكن أصدقاء فرنسا في المؤتمر، لا سيما المقيمين منهم في باريس، استفادوا من هذا التنازل واستفادوا أيضاً من قرار كان المؤتمر قد صوت عليه ويقضي بتقديم لائحة بالمطالب إلى الدولة العثمانية، وإلى الدول الكبرى «المتحابة» معها، ليدفعوا بنتائج المؤتمر نحو توظيف سياسي أوروبي في وقت كانت فرنسا تتحدث فيه وتلح في الحديث عن «حقوقها ومصالحها التقليدية في سوريا»<sup>(٦٠)</sup>. لذلك وبعد أيام من انعقاد المؤتمر بادرت

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

(٦٠) أدرك شكب ارسلان الذي عارض المؤتمر مخاطر انعقاده في باريس فكتب في مذكراته : «كنت ساخطاً على عقد هذا المؤتمر .. وكانت وجهة نظري أن مؤتمراً كهذا لا ينبغي أن يعقد في عاصمة كباريز لها ما لها من المطامع في سوريا . ولا يجوز أن يعقد بينما الدولة مشغولة بالحرب البلقانية ، وقد فقدت قسماً عظيماً من السلطنة ، وسقطت أهميتها العسكرية والسياسية ، وأن سقوط أهمية الدولة لا ينحصر ضرورة في الترك وحدهم ، بل يتناول جميع المسلمين لأن الأوروبيين منها اجهذنا ومهما حاولنا الناظهر بالقومية لا يعرفون المسلمين إلا أمة واحدة اذا سقط بعضهم رأيت الأوروبيين احتقروا الجميع ». الأمير شكب ارسلان ، سيرة ذاتية ، ص ١٠٩ .

مجموعة من المقيمين في باريس على رأسها جورج سمنه وشكري غانم وندره مطران إلى تقديم مذكرة إلى وزارة خارجية «الدول الكبرى»، استهلت بمقدمة تاريخية - سياسية عن «وحدة» سورية و «آلامها» التي عانتها وتعانيها تحت الحكم التركي وتنتهي بتقرير عدد من المطالب «الشبيهة». على حد قول جورج سمنه - بمقابل المؤتمر من حيث الجوهر، لكنها أعنف لهجة»<sup>(٦١)</sup>.

شيء آخر يميز هذه المذكرة هو إصرار موقعتها على تسمية المؤتمر العربي بالمؤتمر السوري، وحصر المطالب بسوريا بالذات واعطاؤها مضموناً أكثر نزولاً نحو الاستقلال الإداري والثقافي والاقتصادي والعسكري، والتوجه إلى الدول الأوروبية وطلب تدخلها الصريح في دعم المطالب.

تختاطب المذكرة وزراء الخارجية في الدول الأجنبية بما يلي: «.. إنهم (يعني السوريين) استندوا كل الوسائل الشرعية الممكنة، وهم الآن مصممون كل التصميم على نيل ما يطالبون به حتى أنه يخشى في حال نفاد صبرهم أن يلجموا إلى ما يؤسف له. إنهم على ثقة في طاقتهم ولا يطلبون أكثر من أن يشاركوا في رقى الامبراطورية. لكن الدعم ينقصهم. وبما أنهم لاحظوا مراراً أن الدول الكبرى كانت تستخدم نفوذها حين يتعلق الأمر بنيل مطالب مشروعة لشعب مضطهد، فإنهم يتوجهون إلى حكومتهم وكلهمأمل وثقة في تجردكم وانسانيتكم»<sup>(٦٢)</sup>.

أما المطالب التي تتضمنها المذكرة فهي التالية: <sup>(٦٣)</sup>:

- ١ - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية.
- ٢ - مشاركة أهل البلاد في خدمة سورية وبعث نهضتها.
- ٣ - استقلال مطلق فيما يتعلق بالأشغال العامة والتعليم.
- ٤ - تنظيم عملية جباية الضرائب والغاء بعض الضرائب الجائرة.

- Samné G. op. cit; p. 91.

(٦١)

- Samné G., op. cit; p. 93.

(٦٢) كما ورد في :

- Ibidem, pp. 93 - 94.

(٦٣)

- ٥ - تشكيل جمعية عامة تراقب الموظفين ومشاركة الحكم العام في تقرير كل الشؤون الإدارية، دون الحاجة إلى اللجوء، في كل مرة، لطلب تعليمات اسطنبول.
- ٦ - إعادة تنظيم إدارة العدلية، تشكيل جهاز درك فعال، وحرس وطني يسهر على الأمن السياسي.
- ٧ - تعديل قوانين التجارة وقوانين السلع غير المنقوله.

وكان أن كتب جورج سمنه عام (١٩٢٠) معلقاً على طبيعة المطالب ومصير هذه المذكرة التي قدمها جناح معين من المؤتمر العربي - السوري ، وعلى الآمال التي علقت على التدخل الأوروبي: «ما لا شك فيه أن الآمال الانفصالية لم تكن بعد صيغت بسبب استحالة التعبير عنها علنًاً ورسمياً»<sup>(٦٤)</sup>. ويتبع: «للأسف، وبسبب الانقسامات الأوروبية بقي تدخل الدول الكبرى الذي طالما تمنيأه خيالاً. فضلاً عن أن مبادرة حكومة واحدة (يشير إلى فرنسا) كان يمكن أن تؤدي إلى كوارث. إذن كان يجب انتظار الحرب حتى يسمع صوت السوريين»<sup>(٦٥)</sup>.

\* \* \*

عودة إلى مطالب «المؤتمر العربي». فماذا كان مصيرها و موقف «حكومة الاتحاديين» منها؟. لقد كلف «عبد الكريم الخليل» الذي كان يدير في حينه «المتحدى الأدبي العربي» في اسطنبول، ببحثة «الاتحاديين» بشأن المطالب. وبعد لقاءات مع طلعت باشا وجمال باشا، بعض القواعد الأساسية المطلوبة تم اقرارها ونشرت في صحف اسطنبول<sup>(٦٦)</sup>:

- ١ - اعطاء بعض الصلاحيات الإدارية للسلطات المحلية.
- ٢ - الدعاوى والأحكام القضائية تكتب بالعربية والتركية.

- Ibidem, p. 90.

(٦٤)

- Ibidem, p. 94.

(٦٥)

(٦٦) مذكرات جمال باشا ص ٧١.

- ٤ - المطالب المقدمة للسلطات الرسمية يمكن أن تكتب بالعربية.
- ٥ - تعين بعض زعماء العرب في مجلس الأعيان وفي القضاء الأعلى.

بناء على هذا الاتفاق الأولى، وصل وفد يمثل المؤتمر العربي ويضم عدداً من وجهاء بيروت (سليم سلام، أحمد طبارة، مختار بيهيم) إلى اسطنبول في (١٥ آب ١٩١٣) ليشكّر الحكومة، ويتّابع تنفيذ الإصلاحات، ويحدد مواعيد تحقيقها<sup>(٦٧)</sup>. استقبل الوفد رسمياً وبحفاوة كبيرة، واغدق عليه من قبل المسؤولين وعدداً شتّى جعلت الوفد يطمئن فيكتبه في تقريره إلى مندوبي الجمعيات العربية: «جئنا الاستانة لتحقيق مواعيد الإصلاح وطلب تنفيذها في أقرب آن. وقد سمعنا من جلالة السلطان وسمو ولی العهد وفخامة الصدر الأعظم وحضرية ناظر الداخلية وسائر رجال الحكومة، وجمعية الاتحاد والترقي وعدواً صريحة قاطعة لا تستطيع أن نظهر ارتياها فيها»<sup>(٦٨)</sup>.

وبعد عودة الوفد، طال الانتظار، واستمرت الأصوات الداعية للإصلاح ترتفع في الصحف، حتى بلأت الحكومة العثمانية أخيراً إلى استصدار «ارادة سنية» بتاريخ ٤ كانون الثاني سنة (١٩١٤) تقتضي بتعيين ستة من زعماء العرب أعضاءً في مجلس الأعيان، كان من بينهم: محمد بيهيم، عبد الحميد الزهراوي، ويوسف سرق<sup>(٦٩)</sup>.

لقد اختلفت ردود الفعل العربية على هذه الخطوة: بعضهم اعتبرها «أكبر ضربة على الإصلاح»<sup>(٧٠)</sup>. والبعض الآخر اعتبر أن قبول المناصب «من

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ٧١، راجع أيضاً ثورة العرب ص ٨٠ - ٨١.

(٦٨) ثورة العرب، حيث نجد وصفاً دقيقاً لزيارة الوفد واستقباله في اسطنبول ومحاثاته التي أجرتها مع المسؤولين ونص التقرير الذي وضعه الوفد لزيارته ، ص ٩٢ - ٨٢ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

شأنه مساعدة الحكومة على تنفيذ الإصلاح»، و «أن القبول خير من عدمه، وأن عصفوراً في اليد ولا عشرة على الشجرة»<sup>(٧١)</sup>.

غير أن الأمر بالنسبة «للاتحاديين» كان ينطلق من واقع العجز عن إجراء أي «إصلاح» جذري بسبب غرقهم «بحكم» لامبراطورية مفككة في دوامة من الأزمات الداخلية والخارجية (الأزمة الاقتصادية الخانقة، والعجز المالي المتعاظم، التدخل الأوروبي الدائم، تهديدات روسيا...). فضلاً عن وطأة «الاتجاه الطوراني» الذي بدأ يؤثر تأثيراً فاعلاً في توجيه السلطنة المركبة.

لذلك لم يكن أمام «الاتحاديين» حيال مأزقهم إلا اللجوء، في مواجهة الحركة المطلبية العربية، إلى سياسة تراوح بين محاولة «احتواء» القيادة وبين التهديد وبذل الوعود الكلامية ومحاولة العودة إلى استخدام صيغة «الوحدة الإسلامية». وهذا ما يفسر - في رأينا - عدداً من الاجراءات المتعاقبة والمتناقضة: من تعين بعض زعماء العرب، إلى اعتقال عزيز علي مصري، ضابط عربي في الجيش التركي (٩ شباط ١٩١٤)<sup>(٧٢)</sup>، إلى العودة إلى «الوحدة الإسلامية» لاحراج المطالبين «باللامركزية».

وعلى وجه الاجمال، لم تكن الفرصة مؤاتية بعد لتوجيه ضربة حاسمة لل المعارضة العربية بشقيها: «المسيحي» الذي يفضل ضمناً وبصورة عامة الانفصال، و «الإسلامي» الداعي للإصلاح واللامركزية. فكما أن «الانفصاليين السوريين» الذين تحدث باسمهم جورج سمنه، كانوا يراهنون على تدخل أوروبي، فرنسي بصورة خاصة، ويتظرون الحرب لرفع صوتهم،

---

(٧١) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ ، كان ذلك رأي الزهراوي وعبدالكريم الخليل .

(٧٢) راجع تفصيل اعتقال ومحاكمة علي المصري في ثورة العرب ص ١٠٤ - ١٠٦ .

كذلك بالنسبة للاتحاديين. أفلم يكن هؤلاء يتظرون فرصة مناسبة (الحرب التي كانت على الأبواب مثلاً) لتصفية «المعارضة» بكل اتجاهاتها؟<sup>(٧٣)</sup>.

---

(٧٣) إن القلق على مصير سوريا الذي كان يشغل بال «الاتحاديين» العسكريين الأتراك قبل نشوب الحرب ، يبرز إلى حد ما في مذكرات جمال باشا . راجع : ص (٦٩ - ٧٨) . راجع أيضاً : «الاستخبارات والحساسية في الدولة العثمانية».

لقد ورد في الكتاب تقرير سفير تركيا في فرنسا الذي رفعه إلى وزارة الخارجية التركية ومفاده :

«ان الحكومة الافرنسيه بعثت بتعليمات سرية الى سفيرها في الاستانة والى قناصلها في بيروت ودمشق والقدس تتعلق بخطبة العمل الواجب أن تسير عليها . هذه الخطبة تتلخص بضرورة الاعتماد على العنصرين الكاثوليكي والماروني في اثارة شغب في سوريا ولبنان يدفع الافرنسيين لأن يتدخلوا فعلياً في شؤون تلك المنطقة . ويدبر هذه الحركة مباشرة السفير الفرنسي في الاستانة». المصدر نفسه ، ص ١١



- ٥ -

## العمل السياسي وبرامجه في جبل لبنان (١٩٠٨-١٩١٤)

ماذا جرى من تطورات سياسية خلال هذه الحقبة في إطار متصرفية جبل لبنان؟

رأينا في الفصل السابق كيف أن رفض مجلس الإدارة والاكليروس الماروني الاشتراك في البرلمان العثماني، إثر إعلان دستور (١٩٠٨)، قد شكل خطوة حاسمة على طريق تكريس خصوصية الجبل و «امتيازه» دولياً، وتأكيد هوية سياسية «لبنانية» له في الداخل ترتكز إلى «عصبية» مارونية غالبة.

وما ينبغي أن يشار إليه هنا هو أن هذه العصبية بدأت منذ (١٩٠٩) تأخذ وجهاً مطلبياً جديداً تبحث عن طرق الحفاظ على المكتسبات التاريخية، وعن الوسائل التي من شأنها زيادة هذه المكتسبات، وكيف يمكن الوقف في وجه محاولات «اسطنبول» الغاء «امتيازات» (١٨٦١).

لذلك، فإن العمل السياسي في الجبل اتخذ مجرّى مختلفاً عنه في المناطق الأخرى من الشرق العربي. فهنا، وإن تقاطعت بعض المواقف المطلبية مع تلك التي رفعتها جمعية بيروت الإصلاحية أو المؤتمر العربي، فقد بقيت الوجهة

العامة للعمل السياسي خاضعة لمصلحة البورجوازية المارونية المتحالفه مع الاكليروس الماروني في تأكيد الأمر الواقع و «تحسينه» من خلال توسيع «البناني» في المناطق المجاورة للجبل.

هذه الوجهة كان لا بد أن تصطدم بالسياسة المركزية التركية الجديدة. فمنذ صعود «الاتحاديين» إلى السلطة، لم يعد هؤلاء وسيلة لخنق الجبل اقتصادياً والتضييق عليه. ذلك أن الازدهار التاريخي الذي عرفه الجبل ارتهن بعلاقاته بأوروبا، لا سيما بفرنسا، وذلك بفضل مرفأ بيروت وطرابلس وصيدا والتي كانت آنذاك جزءاً من ولاية بيروت التابعة بشكل مباشر إلى وزارة الداخلية العثمانية.

من جهة أخرى ان عدم صلاحية أراضي الجبل لزراعة الحبوب وتوجّهها تحت ضغط الحاجات الصناعية الفرنسية نحو زراعة واحدة (التوت)، فرض على الجبل محاولات أخرى للبحث عن موارد اقتصادية جديدة لكن دون جدوى. فالبقاع، السهل الغني بالحبوب كان يومذاك جزءاً من ولاية دمشق. وزراعة التبغ، التي كان يمكن أن تشكل - إلى جانب زراعة التوت - مورداً مهماً، احتكرتها الإدارة التركية. كذلك كانت الحكومة المركزية قد صادرت ملاحمات الساحل، ونشرت جنوداً يراقبون الشاطئ، وفرضت على مرفاً جونيـهـ إلا يستقبل إلا السفن الشراعية. حتى الهجرة التي كانت في السابق عاماً من عوامل الازدهار، أصبحت عاماً يهدد اقتصاد الجبل<sup>(٧٤)</sup>.

---

(٧٤) نسمع صدى التعبير عن هموم واقع الجبل في:

- Samné G., op. cit; p. 216.

أصبحت الهجرة في بداية القرن العشرين - وبعد أن كانت في بدايات النصف الثاني من القرن الماضي مورد ازدهار - عامل خراب واستنزاف لاقتصاد الجبل . ويقدم سمنة كمثل على خطورة نتائج الهجرة الاحصاءات التالية العائدـةـ إلى سنوات ما قبل الحرب :

- في قضاء كسروان : عدد المخلفين ١٥٥٤٩ ، عدد المهاجرين ١٠٢٠٦ .

- في بيروـنـ : عدد المخلفين ١٦٢٦٠ ، عدد المهاجرين ٦٨١٧ .

- في جزين : عدد المخلفين ٥٩٨٣ ، عدد المهاجرين ٢٢٣١ .

- في زحلة : عدد المخلفين ٣٠٠٠ ، عدد المهاجرين ١٥٠٧ .

هذا الواقع نجد صدى التذمر منه لدى رجال الأعمال في الداخل والخارج. وما كتبه جورج سمنه يومذاك بصفته أمين سر «اللجنة اللبنانية» في باريس يعكس بوضوح صدى التذمرات التي كانت تحتاج أوساط رجال الأعمال «اللبنانيين». يقول: «إن الباب العالى لم يترك من المؤسسات التي اعتتقدت أوروبا أن بواسطتها يمكن أن تضمن مستقبل هذا الشعب، إلا الواجهة. وهكذا يصبح الاستقلال بالنسبة للبنان على هذا الأساس، الموت دون مجد. فالسكان لا بد أن يخنقوا في مقاطعة صغيرة غير خصبة حيث يمنعون من استخدام السواحل لعمليات الترانزيت. إن تجارتهم وصناعاتهم لا بد أن تمر بالجمارك التركية. وبصائرهم التي يستوردونها من أوروبا يدفع عليها حتى تدخل إلى بيروت أو إلى طرابلس أو صيدا. كذلك يدفع عليها حتى تدخل الجبل، ولا ننسى أخيراً «البخشيش». فكيف يمكن العيش في هذه الظروف؟»<sup>(٧٥)</sup>.

إن الجواب على مثل هذا الواقع كان يتمثل بقيام حركة مطلبية في الداخل والخارج تحاول تحقيق أهدافها بوسائل الضغط الأوروبي ولا سيما الفرنسي. وفي الوقت الذي كانت اتصاغ «المطالب اللبنانية» الجديدة كانت تبلور في «حيثيات» المطالب صياغة ايديولوجية للبنان تسترشد بالتاريخ، وتحاول أن تبنيه على «فرضيات» حاجات الموقف المطلبي الراهن. وهكذا ظهرت إلى الوجود عبر صياغة حيثيات المطالب أولى محاولات بناء تاريخ «افتراضي» للبنان.

ففي «العرائض» العديدة التي قدمت للدول الأوروبية، آنذاك وفي كتاب خير الله «سورية» الصادر في باريس عام (١٩١٢)، نلمس بذور هذه المحاولات، وهي تلتقي عند عدد من المقولات حول «الارتباط بالمدينة الفينيقية» و «الطبع الروماني - الاغريقي الغالب» و «استقلال الإمارة» وتوسيعها في عهدي معن وشهاب. كل هذا مع إلغاء كامل لمرحلة طويلة

- Samné G., op cit; p. 216.

(٧٥)

حاسمة من التعرّب والتأثير الإسلامي، حتى يسرّ الحديث أخيراً عن «الحدود التاريخية والجغرافية الطبيعية للبنان» والتي ستتحدد في العرائض المطلبية كما سنرى بناء على حاجات اقتصاد الجبل<sup>(٧٦)</sup>.

لقد بُرِزَتْ أولى المحاوّلات المطلبية من هذا النوع في أواسط رجال الأعمال والمثقفين الموارنة المقيمين في القاهرة. وانطلقت الفكرة عام (١٩٠٩) بإنشاء «جمعية الاتحاد اللبناني». وتحدثنا أحدي وثائق الجمعية عن ظروف التأسيس بالعبارات التالية: «في سنة (١٩٠٩) يوم عرّت السلطنة العثمانية هزة الاعجب بالدستور نشأت في بعض الدوائر اللبنانية فكرة كانت ترمي إلى الحاق لبنان بسوريا لضمّه أسوة بها إلى جسم السلطنة. لكن عصبة من فتيان لبنان رأوا أن تلك الفكرة تخالف تقاليد الوطن اللبناني، ولا تنطبق على حقوقه ومصلحته في شيء، فصحت عزيتهم على مناهضة مشروع الضم، والخليولة دون تحقيقه بجميع ما تيسّر لهم من الوسائل. وهكذا وضع المبدأ القائل «بالأنفصال المقرّون بالاستقلال»<sup>(٧٧)</sup>.

من هي هذه العصبة من «الفتيان»؟ يحدّثنا بشارة الخوري في مذكراته وكان يقيم حين تأسيس الجمعية في القاهرة - أن انطوان الجميل هو الذي دعا الجالية اللبنانية في القاهرة للجتماع في قاعة «المسرح العربي». وقد لبى الدعوة عدد كبير من أعضاء الجالية. وفي الاجتماع الذي انعقد في (١٩

---

(٧٦) يعلق توفيق توما على كتاب خير الله - وهو من أنصار نفس الاتجاه - «بالرغم من أن الكتاب يحمل عنوان « سورية »، وهي لفظة استخدمت كما نستخدم الان لفظة « أوروبا »، فإن ما عنى به خير الله هو أن يبرهن للعالم أن اللبنانيين قد أثبتوا أنهم جديرون وقدرون على أن يكونوا مستقلين : فمنذ أن قدم أسلافهم الفينيقيون حرف الهجاء ، ركيزة ومتذ كل الثقافات والحضارات الإنسانية ، لم يتوقف سكان لبنان أبداً عن المشاركة في تطوير الحضارة العالمية ». .

راجع :

- Touma T. op. cit, T. II, p. 680.

(٧٧) من كراس بعنوان : «الاتحاد اللبناني في القطر المصري والمسألة اللبنانية»، القاهرة ١٩٢١  
محفوظ في أرشيف المكتبة الشرقية - جامعة القديس يوسف ، ص ١ .

تشرين الثاني (١٩٠٩) تولى داود بركات مهمة عرض الوضع الداخلي في لبنان واطلق فكرة انشاء جمعية تضم المقيمين اللبنانيين في مصر للدفاع عن «حقوق الوطن»، وكان أن أسفر الاجتماع عن تشكيل لجنة تفيذية تألفت من اسكندر عمون، داود بركات، حبيب غانم، حيدر معلوف، بشارة واكيم، خليل أبي اللمع، حبيب يزبك، جورج حنا... (٧٨).

وفي الداخل قامت في جونيه، إثر صدور القرار العثماني الذي يحظر استعمال الموانئ اللبنانية، مذكرات مطلية موجهة إلى قناصل «الدول الكبرى» في بيروت. وإن أحدى المذكرات التي أطلقتها عليها مذكرة بالفرنسية تحمل العنوان التالي: «لبنان وموانئه. مذكرة جوابية على قرار مجلس الوزراء العثماني القاضي بإغفال الموانئ اللبنانية. جونيه (٨) تشرين الثاني (١٩٠٩)». وتحمل المذكرة في ذيلها توقيع: بشارة أزي، سจعان أريج، بول نجيم، عن «اللجنة اللبنانية» (٧٩).

تفند المذكرة حجج الحكومة العثمانية القائلة: ١ - بأن النظام الأساسي لا ينص صراحة على أن يكون للبنان موانئ. ٢ - بأن حق السيادة العثمانية على المتصرفية يعطي الحكومة حق فتح واقفال الموانئ التي تراها مناسبة ٣ - إن رسو السفن في الموانئ اللبنانية يمكن أن يؤدي إلى إحداث اضطرابات في إدارة البلاد.

وتحيب المذكرة إن خلو نص النظام الأساسي من بند واضح يسمح باستخدام موانئ الجبل لا يستبع عملياً المنع، وإن حق الدولة في المنع لا يمارس إلا في حالتين: حالة الحرب والحصار، وحالة ما تفرض تحويل مرافق تجاري إلى مرفاً حربي.

على أن الحجة الرئيسية التي يلجأ إليها موقع المذكرة هي «الحق

(٧٨) بشارة خليل الحرري ، حقائق لبنانية ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٨٠ .

- Le Liban et ses ports: Note refutative en reponse à la décision du conseil des ministres ottoman concernant la fermeture des ports libanais. Djounié le 8 Novembre 1909.

التاريخي المكتسب»، فمرافء الجبل كانت دائمةً مفتوحة للسفن من جميع الأنواع تجارية كانت أم شراعية، قبل النظام الأساسي وبعده». وتخلاص المذكورة إلى موقف ينادى الدول الكبرى أن تتدخل لدعم هذا المطلب بحيث «تبقى الموانئ - على حد قول المذكورة - مفتوحة كما كانت دائمةً تستقبل كل السفن التجارية دون تمييز»<sup>(٨٠)</sup>.

هذا، وفي الوقت الذي كان يتحرك فيه أصحاب الفعاليات الاقتصادية في الجبل لإنقاذ الاقتصاد المهدد بالاختناق ، ولتحقيق «الحاجة للنمو والتوسيع نحو الخارج» (على حد تعبير المذكورة)، كانت الحاليات اللبنانيّة الجبليّة، ذات الأكثريّة المارونيّة، تنشط في الخارج وفق ذات التوجّهات ، وذلك في إطار «جمعية الاتحاد اللبناني» التي تأسست لها فروع عدّة في بعض المدن المصريّة وأوروبا وأميركا اللاتينيّة.

في (١٠ نيسان ١٩١٠) قدمت جمعية الاتحاد اللبناني مذكرة إلى الحكومة العثمانيّة المركزيّة جمعت فيها كل مطالب «البورجوازية المارونيّة الجبليّة» والتي تتلخص بالتالي:

- ١ - فتح الموانئ اللبنانيّة للسفن البخاريّة.
- ٢ - إقامة محكمة للتجارة في جبل لبنان.
- ٣ - تصدير التبغ اللبناني بواسطة المرافئ العثمانيّة إلى كل البلاد وخاصة إلى مصر.
- ٤ - إعادة سهل البقاع إلى لبنان.
- ٥ - إنهاء مصادرة الملاحات وتحرير تجارة الملحق.
- ٦ - السماح بتصدير المشروبات الكحوليّة<sup>(٨١)</sup>.

في (٥ نيسان عام ١٩١٢) أصدرت جمعية «الاتحاد اللبناني» واللجنة

---

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) بشارة خليل الخوري ، حقائق لبنانية ، ص ٨١ .

اللبنانية في باريس مذكرة موجهة إلى الدول الكبرى «ضامنة النظام الأساسي» تتضمن «الأمانى اللبنانية» في اصلاح إدارة المتصرفية وخلاصتها:

- ١ - إزالة الغموض الموجود في النظام الأساسي باتجاه تطويره نحو دستور يتوافق مع إقامة حكومة مستقلة في إدارتها.
- ٢ - تعديل طريقة انتخاب أعضاء مجلس الإدارة، إما بتعظيم حق الانتخاب على كل المواطنين، وإما بزيادة عدد الذين يحق لهم الانتخاب.
- ٣ - توسيع صلاحيات مجلس الإدارة.
- ٤ - نزع صلاحية عزل الموظفين والقضاة من يد المتصرف، وجعل العزل مرتبطة بقرار صادر عن مجلس الإدارة.
- ٥ - زيادة عائدات الحكومة عن طريق إجراء احصاء ومسح جديدين، لكن دون أي تعديل في أساس الضرائب القديمة<sup>(٨٢)</sup>.

وفي تشرين الثاني (١٩١٢)، وحين عقد سفراء «الدول الكبرى» مؤتمراً في استانبول لتعيين خلف ليوسف فرنكوباشا، وجه «الاتحاد اللبناني» إلى المؤتمر المذكور التلغراف الآتي بتاريخ (٣٠) تشرين الثاني:

«إن الاتحاد اللبناني يكرر الالتماس باسم الشعب اللبناني أن يخول الإصلاحات التي كرر طلبها مراراً، وبالأخص جعل حكومة لبنان دستورية، مستقلة فعلًا بكل أعمالها الإدارية، وأن يكون لمجلس الإدارة حق التشريع مع جعله مؤلفاً تأليفاً نسبياً من جميع الطوائف. ويلتمس أن تعاد إلى الجبل أملاكه وأراضيه التي أخذت منه ولا سيما أراضي البقاع وبيروت، وأن يعطى رسوم جماركه وإيرادات البواستة والتلغراف.. الخ..»<sup>(٨٣)</sup>.

---

- Cité par *Correspondance d'Orient* 10, Juillet 1912 et par samné g.: Op. Cit; (٨٢)  
P. 223.

(٨٣) «الاتحاد اللبناني والمسألة اللبنانية»، ص ٦.

- وجدنا في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية مذكرة بالفرنسية ترفع نفس المطالب التي قدمتها اللجان اللبنانية الأخرى :

- Exposé des plaintes et desiderata des libanais. Le comité des cèdres du liban, Beyrouth le 29 Avril 1912. Turquie vol. 116, p. 105.

هذا التوجه المطلبي الذي حلته بشكل خاص «الحالات اللبنانية» في الخارج كان يتنظم بصورة أساسية في خط الاستراتيجية الفرنسية وسياستها «السورية». ذلك أنه في سياق التحرك المطلبي «اللبناني» بُرِز موقفان فرنسيان أكدَا على أهمية هذا التحرك وأعطياه دفعاً وتشجيعاً:

- في (٢١ كانون الأول ١٩١٢) أطلق الرئيس بوانكاريه «poincaré» تصريحه حول «مصالح فرنسا في سوريا ولبنان» مشجعاً ضمناً هذا التوجه ومطمئناً الحركة المطلبية «اللبنانية».

- وبعد يومين أي في (٢٣) كانون الأول، رست المدرعة الفرنسية (جول فري) «Jules Ferry» في ميناء جونيه وقامت قيادة المدرعة بزيارة رسمية إلى البطريرك الماروني. وكان هذه المبادرة في إطار الظروف الدولية والداخلية القائمة آنذاك أكثر من معنى سياسي. فدخول المدرعة الفرنسية إلى ميناء جونيه هو من جهة كسر صمسي لقرار الحكومة المركزية العثمانية، ومن جهة أخرى تأكيد على أهمية فتح الميناء للملاحة البخارية<sup>(٨٤)</sup>.

على صعيد محلي، فسر الحدث على أنه تجاوز لبيروت، المدينة ذات الطابع التاريخي الإسلامي، وتأكيد فرنسي على توفير إمكانية الاتصال المباشر بأوروبا للساحل الماروني، بالرغم من استياء مسلمي بيروت و المعارضة الحكومية المركزية<sup>(٨٥)</sup>.

إن هذا كله توافق أيضاً مع لحظة سقوط الاتحاديين المؤقت، وصعود «الائتلافين المعتدلين»، وتعيين متصرف جديد للجبل: هو أوهانس باشا.

وكل هذا أيضاً أدى إلى تحقيق عدد من المطالب المرفوعة قدمت مع تعين المتصرف الجديد في (٢٣) كانون الأول (١٩١٢). فلقد تم تحقيق ما يلي من المطالب:

---

- Samné G. op. cit ; p. 222.

(٨٤)

- Touma T., op. cit; T. II, p. 704.

(٨٥)

- ١ - تعديل طريقة انتخاب أعضاء مجلس الإدارة. فمنذ الآن ينتخب الأعضاء مندوبيون عن السكان بنسبة واحدة عن كل (١٠٠) منتخب.
- ٢ - إن المحاكم الموجودة في الجبل يمكنها أن تغطي القضايا التجارية.
- ٣ - سحب حق المتصرف في تعليق عضوية أعضاء مجلس الإدارة، إلا في الحالات التي يرتكب فيها العضو خطأ خطيراً، وفي هذه الحالة لا ينفذ التعليق إلا بناء على موافقة أكثريّة أعضاء المجلس.
- ٤ - يرفع عدد أفراد الدرك من (٨٠٠) إلى (١٢٠٠) رجل.
- ٥ - يفتح ميناء جونيه والنبي يونس للتجارة<sup>(٨٦)</sup>.

وفي (٨ كانون الثاني ١٩١٣) رست باخرة فرنسية في ميناء جونيه، وكانت تقل القنصل الفرنسي ونائب قائد البحريّة اللذين توجّهوا في تظاهرة عسكريّة شعبية ضمّت عدداً من الضباط الفرنسيّين نحو بكركي لزيارة البطريرك الماروني، وتأكيد دور فرنسا في تحقيق بعض المطالب المرفوعة. ففي الكلمة التي ألقاها البطريرك في استقبال زائره تأكيد واضح على هذا الدور: «إننا نشكّركم على هذا الإسراع في زيارة جونيه التي لا تشكّل مرفاً لبنانياً فحسب، بل مارونياً أيضاً، فتح بفضل اهتمام فرنسا بنا... إنكم إذ تقومون بزيارة بيتنا مع هذا العدد الكبير من ضباط البحريّة، كمن يقوم بزيارة بيت الشعب الماروني أفراد عائلته، فإنما هو برهان ساطع على الحب الذي يكنه الشعب الماروني نحو فرنسا منذ قرون». وفي الكلمة - الرد - يصف نائب القائد البحريّة البطريرك بأنه زعيم وأب لكل اللبنانيين «الذين تحبّهم فرنسا كما تحب مواطنها»<sup>(٨٧)</sup>.

هذا الموقف التأكيدّي على دور فرنسا في تحقيق بعض المطالب المحليّة، لم يكن إلا يطلق العنان للحركة المطلبيّة في متصرفية الجبل، لتقديم مطالبهـ

- Correspondance d'orient, Janvier 1913.

(٨٦)

- Touma T. op. cit; T.II, pp. 704 - 705.

(٨٧) نقلأ عن :

و «أمانيتها» في صيغة ايديولوجية تشكل في «خصوصياتها» المعلنة جذور التكون التاريخي للاتجاه اللبناني - الماروني المهيمن.

ومن بين المذكرات العديدة التي انهالت على مراكز القنصليات الأجنبية في بيروت، لا سيما الفنصلية الفرنسية، مذكرة من مجلس بلدية زحلة تطالب بضم البقاع إلى لبنان وتحمل تاريخ آذار (١٩١٣).

وتقديم المذكرة «براهمين تاريخية واقتصادية» على أن البقاع هو للبنانيين<sup>(٨٨)</sup>. ومن المفيد استعادة بعض «البراهمين» الواردة في المذكرة.

تلجاً المذكورة في باب البراهين التاريخية على «ملكية» لبنان للبقاع إلى عهد الأمراء المعنين والشهابيين، فترى أن «لبنان امتد في عهد فخر الدين الثاني من حلب حتى حدود مصر» وتستشهد كيف أن الأمير بشير الشهابي كان يعين من قبله «حكاماً على البقاع»، وكيف «أن ملكيات عديدة تقع غربي السهل مسجلة الآن في قلم مساحة ولاية دمشق لعائلة لبنانية كبيرة هي عائلة جنبلاط». كذلك تستشهد المذكورة بالمادة الثالثة من النظام الأساسي حيث ورد أن القضاء الثالث من لبنان يشتمل على زحلة وتوابعها، لتسنتج «أن زحلة ليس لها من توابع إلا السهل». وتستشهد أيضاً بمساعي داود باشا، المتصرف الأول في الجبل، لضم بيروت والحااق كل البقاع بمتصوفية الجبل. وتنتقل المذكورة إلى «البراهمين الاقتصادية» فتؤكد «أن البقاع بقي حتى (١٨٧٠) جزءاً من لبنان من الوجهة السياسية والإدارية، وأن تعسف الحكومة التركية كان وراء مصادرته لمصلحة ولاية دمشق»، وذلك كي «تلزم اللبنانيين بالانضمام إلى الولاية والتخلّي عن امتيازاتهم». أما المبررات الاقتصادية للمطالبة «باعادة» السهل فتعرضها المذكورة كما يلي: - «إن السيول تجرف تربة

- Le bequaa aux libanais!!! Memoire présenté aux gouvernements des grandes puissances protectrices du liban , par les conseils municipaux de la ville de Zahlé et du Mont - Liban. Zahlé, Mars 1913.

أرشيف المكتبة الشرقية ، جامعة القديس يوسف - بيروت .

لبنان، فتحرمه من الخصوبة لمصلحة السهل. إذن من الطبيعي أن نطالب بملكنا أينما وجد، وأن يعود البقاع لنا».

- «إن عدداً من اللبنانيين يملكون أيضاً وحتى الآن جزءاً لا يستهان به من السهل، إنه إرثهم وأرض أجدادهم» (تعطي المذكرة مثلاً عائلة اده).

- «كان يمكن تجنب تحويل الدول الكبرى شكاوى اللبنانيين لو أن هؤلاء استطاعوا أن يزرعوا أملاكهم ويحصدوا ثمارها بحرية وأمان (...). والواقع أن مخاطر هائلة تحيط بهم وبأراضيهم» وتعدد المذكرة هذه المخاطر: تعسف الموظفين ورجال الدرك في قائممقامية البقاع التابعة لولاية دمشق، والمظلوم المهايلة التي ترتكب بحق الفلاحين أثناء الحصاد وأثناء جمع الضرائب، من مصادرات ووضع اليد على المال والأثاث والدواجن..

وإلى جانب هذه المظالم «الرسمية تتعرض مزارع اللبنانيين في البقاع إلى اجتياحات موسمية «متوجهة» من قبل البدو والجركس والأكراد. وفي هذه الظروف «لا يجرؤ المسيحيون أن يزوروا حقولهم في السهل خوفاً على حياتهم».. «أما الحكومة التركية، فإن كانت شريكاً في ذلك أم لا، فإنها تعلن دائمًا عجزها عن ملاحقة الفاعلين».

شيء آخر هو فساد القضاء في القائممقامية والتمييز بين المسيحيين والمسلمين. «إذا وقع أي خلاف بين مسيحي وتركي، فالحق دائمًا يكون مع هذا الأخير...». وخطر آخر يهدد أملاك المسيحيين في البقاع تشير إليه المذكرة، هو خطر «التناولة» «الذين يعيشون من محاصيل أملاك المسيحيين». «فزعماء هؤلاء، بالتوافق مع السلطة الشرعية يشكلون عصابات مسلحة تقطع الطرق، تغير على المزارع والحقول... إن مقتل عدد من المسيحيين الأبرياء في قرى نبيحا، الحدث، تاليا الواقعة في الولاية لم تمض بعد عليه عدة شهور. وهكذا، عن ضعف أو توافق لم تستطع الحكومة التركية أن تقبض على المجرمين».

وتثير المذكرة في سياق تعداد المخاطر مسألة طبيعة الملكية الزراعية في البقاع: «في نظر الحكومة التركية أن المالك الشرعي للبقاع ليس هو المالك الفعلي. هذا الأخير لا يملك إلا حق زراعة الأرض التي تعود إلى السلطان.

وعليه فإن من يشتري أرضاً لا يحصل من الحكومة إلا على ورقة تشير إلى أن التكليف في استثمار هذه القطعة تنتقل من فلان.. لا إشارة لكلمة «بيع». فاللبنانيون ليسوا في نظر حكامهم سوى مزارعين بالأجرة...»<sup>(٨٧)</sup>

وخطر أخير تؤكد عليه المذكرة هو خطر الكوليرا التي تظهر في سوريا كل عام مع قدوم الحجاج إلى مكة.. وتأتي إلينا عن طريق سكة حديد الحجاز... صحيح أنه يوجد في لبنان حجر صحي على امتداد حدود زحلة - البقاع، لكنه في هذه الحال سينضطر إلى ترك أملاكنا مهجورة ومحاصيلنا تتلف في محلها. والحركة التجارية تضعف، فلا استيراد ولا تصدير. أما إذا توسيط حدود لبنان فيسهل علينا عندها إقامة حاجز صحية بيننا وبين دمشق. وいくمنا وبالتالي أن نجمع محاصيلنا بأمان. بذلك أيضاً تبقى حركة التجارة حرة بيننا وبين مرفاً بيروت...».

- «إن عدداً من القرى المسيحية في سهل البقاع تطالب طوعاً بالانضمام إلى لبنان، لكنها تلتزم الصمت، وتكتم تطلعاتها خوفاً من سياط الدرك وانتقام الحكومة».

وبعد أن تشير المذكرة إلى أن موازنة لبنان تقع كل عام في عجز قدره (٦٠٠) ألف فرنك لا تشارك الحكومة العثمانية في سده، تناشد المذكرة الدول الكبرى «في أن تأخذ بعين الاعتبار ضعف الحالة المالية للبنان بالتعريض عليه بإعادة سهل البقاع»<sup>(٨٩)</sup>.

إن مثل هذه المذكرة التي وقفنا عند بعض مقاطعها الرئيسية تشكل انعوذجاً للتوجه المطلبي الذي ساد أوساط البرجوازية الجبلية وأوساط «الجاليات اللبنانيّة» في العديد من مناطق العالم في فترة ما قبل الحرب. وإن من يستعرض مجلدات أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية المتعلقة بلبنان وسوريا في عامي (١٩١٢ - ١٩١٣)، يجد سللاً من المذكرات والرسائل والبرقيات التي تحمل توقيع أصحابها، والتي تلتقي جميعها عند المطالبة «بتكبير لبنان» واكتسابه مزيداً من الاستقلال على أساس تطوير نظامه الأساسي وتحويله إلى دستور دائم.

---

(٨٩) المصدر نفسه.

## الفصل السادس

تطور الاتجاهات السياسية  
في الحرب العالمية الأولى  
بين القمع العسكري التركي  
والوعود الدولية "أجزاء"

(١٩١٤ - ١٩١٨)



## المشاريع الغربية والدول الوطنية

كان من نتائج تصريح الرئيس الفرنسي بوانكاريه عام (١٩١٢)، أن دعم موقف المسيحيين المعتمدين على حماية فرنسا في معارضتهم سياسة المركزة والتترىك، وفي نزعتهم نحو الاستقلال في صيغة حماية امتياز المتصرفية وتوسيع حدودها وصلاحياتها<sup>(١)</sup>.

لكن العلاقات بين الامبراليات الأوروبية نفسها لم تكن قد استقرت بعد على قاعدة نهائية للتقسيم. فما ان دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا حتى أعلن لويد جورج بكثير من الحماس: «لقد دقت ساعة القدر الكبيرة موعد تصفية الحساب مع تركيا..»<sup>(٢)</sup>. فماذا كان إذن في جعبة الدبلوماسية البريطانية؟

(١) راجع الفصل السابق.

(٢) كانت الدبلوماسية الفرنسية ترى أن الحكومة البريطانية مصممة على ربط مصر بالخليج العربي عن طريق السيطرة الكاملة على كل الجزيرة العربية.

راجع:

- Bruneau A., Op. Cit, P. 290.

منذ عام (١٩١٢) كانت الدبلوماسية البريطانية في مصر تتجه نحو تبني فكرة كيتشنر القاضية باقامة دولة مستقلة في سورية والجزيرة العربية ، وذلك بهدف التضييق على الأتراك ، ومعاكسة ادعاءات فرنسا بشأن حقوقها «التاريخية» في سورية ، واقامة منطقة نفوذ انكليزية بين مصر والهند<sup>(٣)</sup> . هذه الفكرة ارتکزت على عاملين داخلين :

- استياء الأوساط المدينية الاصلاحية في مدن «المشرق» من السياسة التركية المركزية .
- الخلاف الذي كثيراً ما كان ينشب بين الشريف حسين والوالى التركى فى مكة<sup>(٤)</sup> .

وفي سياق المحادثات السرية التي بدء بالقيام بها منذ بداية الحرب (تشرين الثاني ١٩١٤) كانت الامبراليات تخبيء في مشاريعها اذن ، وراء ستار اقامة دول «أثنية» وطائفية . فبوجه الحاج فرنسا التي كانت تريد «سورية كاملة ومنطقة الاسكندرية وكيليكية حتى سلسلة جبال طوروس» ، لم تتأخر الحكومة الروسية عن اثاره مشكلة الأرمن : «فالأتمن يحملون بمرسيين مع المنطقة المجاورة المأهولة بالأرمن . وكانت روسيا قد وضعتهم دائماً في حمايتها ، وليس باستطاعتها الآن أن تتخلى عنهم»<sup>(٥)</sup> .

وفي (٢٠ آذار ١٩١٥) ، قدمت بريطانيا بشأن المحادثات الفرنسية - الروسية الجارية بعض التحفظات على مشروع التقسيم هذا، بإثارتها مسألة «اقامة دولة عربية - مسلمة مستقلة» . فقد كتب السفير الانجليزي الى

---

(٣) هذا التصميم يظهر واضحاً على كل حال في أطروحة لوريد جورج القائلة : «ان الامبراطورية التركية تقع جغرافياً عبر قطعة من الأرض أو جسم من الماء بينما وبين ممتلكاتنا الكبيرة في الشرق ...» .

راجع : زين نورالدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٥٧ .

(٤) داغر أسعد ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٨٦ .

-Documents diplomatiques secrets russes 1914 - 1916, paris 1925, p.288, extrait du télégramme de l'ambassadeur de France au Ministre russe Sazanov.

سازانوف ، وزير الخارجية الروسي في هذا الموضوع : « ترى حكومة جلالته أنه من الضروري منذ أن يختفي الأتراك من القسطنطينية (...) إقامة دولة إسلامية مستقلة في مكان يصبح المركز السياسي للإسلام (...) ، هذه الامبراطورية الإسلامية ربما تضم الجزيرة العربية L'arabie ، وبصورة موازية من الضروري معرفة ما إذا كان ينبغي ضم قسم آخر من آسيا الصغرى إليها ، وفي حال الالتجاب ، أي منطقة هذه سوف تكون؟<sup>(٦)</sup> .

إن أمثلة المحادثات السرية ، بين الدول الامبرالية عديدة وكثيرة ، وإن ما يهمنا هنا هو معرفة كيف كانت تظهر ردات فعل مختلف الاتجاهات السياسية المحلية على هذه المشاريع التقسيمية المختبئه وراء ستار إقامة دول « وطنية » .

\* \* \*

---

- Ibidem, p. 291.

(٦)



## مواقف المحاجن "السورية اللبنانية" في الخارج

عند اندلاع الحرب ، ظهرت للعيان في الخارج ، الميلول « الانفصالية »  
الضمينة التي تكلم عنها جورج سمنه .

ففي الخامس عشر من شهر آب ( ١٩١٤ ) ، بادر خير الله خير الله ،  
مؤسس اللجنة اللبنانيّة في باريس ، إلى التطوع في الجيش الفرنسي ، واعلان  
نداء مؤثر « لمواطنيه المبعشرين في مختلف انحاء العالم » ، يدعوهم فيه للالتحاق  
في الجيش الفرنسي « لخدمة قضية الحق والحرية والمساعدة على خلاص  
بلدهم » <sup>(٧)</sup> .

وبعد ثلاثة أشهر من هذا التاريخ ، تحل « اللجنة اللبنانيّة » نفسها  
ويقوم عدد من المسيحيين المقيمين في باريس بالالتحاق في الجيش الفرنسي .  
والمهدف كما يشرحه خير الله هو : « اننا أردنا اتخاذ موقف سياسي يكون تكميلاً  
للسياحة الفرنسية في الشرق ( . . . ) ولاعطاء هذا الموقف كل أهميته ، ولزيكون

- Cité par Touma T., op. cit; p. 682.

(٧)

مجتزأة من « أوراق » خير الله الشخصية ..

له الصدى المطلوب في لبنان وسوريا ، فإن اشتراك لبنانيين وسوريين في فرقه فرنسية أمر ضروري »<sup>(٨)</sup> .

على ماذا كانت تقوم السياسة الفرنسية في الشرق ؟

قد يكون من الضروري القول مجدداً : إن ما كان بهم فرنسا كان سوريا بكمالها . فلبنان كمتصرفية صغيرة ، لم يكن ليستحق أن يحظى بالاهتمام وحده .

ومن أجل ذلك سوف نلاحظ تغيرات أساسية في تأليف اللجان اللبنانيّة - السوريّة وفي طبيعة اتجاهاتها ، في الغرب عامة وفي فرنسا خاصة .

ولقد لعبت المتطلبات السياسية الفرنسية دوراً مهماً في هذه التحولات<sup>(٩)</sup> . فلمعاكسة الوعود الانجليزية السرية المقدمة للشريف حسين حول خلق « المملكة العربية » ، ومن أجل قلب التوازن القائم في معاهدة سايكس - بيكو لصلحتها ، جأت فرنسا الى وسائل عديدة من بينها : تحديد « اصدقائها السوريين - اللبنانيين » في الخط العام لدبلوماسيتها<sup>(١٠)</sup> .

ولعل في استعادة بعض مواقف هؤلاء ما يؤكد على التحاق المشروع المحلي بالمشروع الفرنسي .

- Cité par Touma, ibidem, p. 683.

(٨)

(٩) يشرح شكري غانم رئيس « اللجنة اللبنانيّة » سابقاً ورئيس « اللجنة المركزية السوريّة » أسباب انحلال « اللجنة اللبنانيّة » وظهور اللجنة الجديدة في حديث صحفي يقول : « انحلت اللجنة اللبنانيّة ضمنياً في كانون الأول ١٩١٤ بسبب مواقف بعض اعضائها . وفي حزيران ١٩١٧ تأسست بموافقة الحكومة الفرنسيّة « اللجنة المركزية السوريّة » التي طرحت برنامجاً أوسع اشتمل ، فضلاً عن مطالب جبل لبنان مطالب كل المناطق السوريّة » .  
راجع الحديث في :

.Correspondance d'orient, 25 Avril 1918, P.P. 250 - 251.

(١٠) كانت فرنسا تشعر بقلق شديد حيال مباحثات حسين - مكماهون . حتى بعد وضع اتفاقية سايكس - بيكو ، بقي كل من الخليفين يعتبر أن الاتفاقية قد ألحقت به شيئاً من الغبن .  
راجع :

- Sadaka N., op. cit; p. 62.

ففي كتابه «سورية الغد» المنشور في باريس عام (١٩١٦)، جمع ندرة مطران الحاج الأساسية لمعارضي التدخل الفرنسي في سورية وجهد في دحضها. وقد كتب لاقناع الرأي العام الفرنسي المعارض للسياسة «الاستعمارية» لدى الحكومة الفرنسية ما يلي :

«ليس لفرنسا الا أن تهتم بسورية ، فهي المكمel الضروري لإمبراطوريتها الافريقية . فدمشق ، المدينة المقدسة ، وباب الكعبة والمركز المحافظ على التقاليد الاسلامية والعربية ، تشكل بالنسبة لفرنسا قمة الصرح ، ودعائمه هي الجزائر وتونس وفاس . وبما أن القاهرة والقدسية ليست لها ، فيجب أن تكون دمشق من نصبيها . وهكذا فهي تستطيع من هناك قيادة التطور الوشيك الحدوث للسوريين والعرب (... ) فمن سورية تستطيع أن تراقب بشكل فعال بؤر الاتهامات الوحدوية الاسلامية ، التي ستحاول الاعداء خلقها واستغلالها ضدها . فإذا أمسكتنا بالرأس ، غدا الجسم تحت تصرفنا المطلق<sup>(11)</sup> .

واستتتج ندره مطران بعد أن بينَ غنى سوريا<sup>(١٢)</sup> : «أن فرنسا باحتلاتها سوريا لا تمارس سياسة عواطف ، بل أنها تجد ما يشبع كل مصالحها المادية . كما أن السوريين لا يريدون أن يصدقوا أن فرنسا يمكن أن تتخلّ عنهم في اللحظة الأخيرة ، بعد أن كانت حاميّتهم ومصلحتهم»<sup>(١٣)</sup> .

ويتجه مطران بعدها بالكلام إلى اللبنانيين (سكان جبل لبنان) <sup>(١٤)</sup> ، الذين يطالبون فقط بالاستقلال « اللبناني » ، من أجل اقناعهم بالانضمام إلى دولة سورية حمية من فرنسا . وبعد جدال يسعى إلى رفض أساس

- Moutran N., op. cit; p. 49.

(11)

- Ibidem, p.p. 51 - 60.

(۱۲)

- Ibidem, p. 60.

(۳۱)

(١٤) يعتبر ندرة مطران سكان الجبل «سورين» .

حجتهم<sup>(١٥)</sup> ، يهاجم مطران بشكل مباشر الأكليروس الماروني الذي كان يقود حركة « الاستقلال اللبناني ». فيتساءل ندره مطران : لماذا يقف الأكليروس الماروني موقفاً معادياً من مسألة خلق دولة سورية واحدة ؟ أيخافون من أن تكون حكومة مثل هذه الدولة مؤلفة من المسلمين فقط فيضيعون هم وبالتالي في خضم أكثرية مسلمة ؟

ويجيب ندره مطران « ان هذه الفرضية لا تقوم على أساس ، لأنه في ادارة تقوم على العدل والمساواة ، الكفاءة والحق هما وحدهما أساس القيم . . . »<sup>(١٦)</sup> .

وفي رأيه أن موقف البطريريك المعارض لانشاء دولة سورية ، يجد تفسيره في واقع « أن هذا الرئيس (البطريريك) واتباعه يغافرون على امتيازاتهم السياسية ، فالسلطة المدنية هي ضرورية جداً ، ليس فقط بالنسبة لفؤذهم الديني ، وإنما أيضاً وبصورة خاصة للحفاظ على أملاكهم من الأرضي »<sup>(١٧)</sup> .

ومن أجل تهدئة قلق المسيحيين الشديد في الجبل ، وخاصة ، الموارنة من بينهم ، كتب مطران يقول : « أتشكون في أن فرنسا قادرة وعادلة بما فيه الكفاية لوضع كل واحد في مكانه ؟ اذن فما عليكم الا تسهيل مهمتها ، أنتم الذين تحبونها ، لا تعيقوا مهمتها الخيرة بمناقشات فارغة . برهنو لها على أن حبكم لها هو فعلٍ وليس أفلاطونياً . هي من أعطتكم امتيازات الاستقلال ،

---

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٩٧ - ١٠٠ .

بالاضافة إلى اتجاه جمعية « الاتحاد اللبناني » في مصر و « اللجنة اللبنانية » في باريس ، كان هناك ثمة « اتجاه لبناني » آخر مثله جمعية « النهضة اللبنانية » في نيويورك . اذ بعثنا ندره مطران عن هذا الاتجاه : « انه في ٥ أيلول ١٩١٥ انعقد مؤتمر لبناني مسيحي في نيويورك تحت اشراف هذه الجمعية . وقد طالب المؤتمرون بتحويل لبنان الى امارة دستورية مستقلة تماماً يحكمها أمير أجنبي » .

المصدر نفسه ، ص ٩٧ - ١٠٠ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

انها خير حكم قادر على استخدامها بما يناسب تطوركم : فاتركوا أنفسكم لارادتها»<sup>(١٨)</sup>. كما أن ندره مطران لا ينسى أيضاً، الاصلاحين المسلمين العرب من ولائي بيروت ودمشق (رفاق الأمس في مؤتمر ١٩١٣) والذين بدأوا منذ عام (١٩١٥ - ١٩١٦) يطالبون بدولة عربية مستقلة : «وهناك أيضاً ، بين السوريين ، حزب يعتقد حتى الآن بامكانية استقلال سورية . وهناك أيضاً من يريد اعادة بناء امبراطورية عربية . وغيرهم أيضاً من ينادي بكونفدرالية تضم جميع البلاد العربية الآسيوية ، وحتى الأفريقية . . . غير أن من ينادي بهذه المشاريع ، ليسوا الا المثقفين والمثاليين الذين لا يملكون أية ممارسة في الحياة السياسية . . .»<sup>(١٩)</sup> وبعد أن يبين الصعوبات التي تعترض مثل هذه المشاريع (الخلافات الدينية ، الفقر ، العجز في الادارة . . ). يكتب مطران : «كلا : ان السوريين الواقعين ليس لديهم اي وهم ، حول امكانية استقلالهم ، ولا حول مقدراتهم الذاتية ، لحماية ديمومة مثل هذه الحكومة المستقلة . . .) إن السوريين يعرفون جيداً ، رغم كل الاشاعات المتجنية ، أن فرنسا تحترم ، في مستعمراتها التي تدين بالاسلام ، التقاليد الاسلامية ، وأنها أدخلت فيها نظاماً مزدهراً تحسد عليه فإذا ما تحرروا عن طريقها ، فانهم سوف يكونون بكل تأكيد أكثر سعادة . . .»<sup>(٢٠)</sup> .

هذا الجدل الذي يقيمه ندره مطران مع مختلف الميل ال السياسي التي تطرح السؤال حول مصير لبنان وسوريا عام (١٩١٦)، له علاقة بتناقضات الوضع العالمي وعلاقات الامبراليات فيما بينها. صحيح أن جميع المعاهدات السرية بين الحلفاء قد استقرت في تلك الفترة، الا أن كل طرف كان يحاول جاهداً في نفس الوقت الخروج من الحرب، بعد أن يفرض على الصعيد المحلي «الأمر الواقع» الذي يسمح له بإجراء مباحثات ما بعد الحرب، من موقع قوة. ان نشاط ندره مطران الاعلامي في باريس ينخرط في خط

(١٨) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

الدبلوماسية الفرنسية الساعية لثبتت موقعها «المحلية» في سورية. لكن لم يكن هذا النشاط هو الوحيد.

في ١٥ شرين الثاني عام ١٩١٦ أصدر وزير الحرب الفرنسي قراراً بتشكيل «فرقة الشرق» التي غايتها تنظيم مقاتلين في فرق معايدة من أصل «عثماني» (أرمن وعرب) يتطلعون رغبة في الخدمة ضد تركيا. هذه الفرقة تشكلت في قبرص ووضعت تحت القيادة الفرنسية. ورغم أنها لا تشتمل على وحدات فرنسية إلا أنها كانت كما يقول جورج سمنه «رصيداً للحكومة الفرنسية»<sup>(٢١)</sup>.

وفي بداية عام ١٩١٧ تجمع بعض قدمى مؤسسي «اللجنة اللبنانية» تحت اسم : «اللجنة المركزية السورية»<sup>(٢٢)</sup>. وهنا أيضاً شكل نشاط هذه اللجنة وبياناتها مثلاً آخر على تزاوج حاجات الدبلوماسية الفرنسية مع بعض ردود الفعل «المحلية» في الخارج .

يؤكد البيان التأسيسي للجنة ، «أن هدفنا ، ولنقل ذلك بكلمة واحدة ، هو تحقيق انتقام سورية تحت القيادة الفرنسية» (...).

«عملياً اننا نصر على أربعة أهداف محددة :

- ١ - متابعة وامداد التجنيد في «الفرقة السورية» : أنها المهمة الأكثر الحاجة .
  - ٢ - اقامة صندوق إغاثة لسد الحاجات الأولية للوطن ، بعد تحريره مباشرة .
  - ٣ - مرکزة جميع التنظيمات التي تستهدف تحرير سورية .
  - ٤ - وضع دراسة لصياغة النظام القائم في سورية ، بمعرفة الحكومة الفرنسية» .
- ويضيف البيان : «ان اللجنة تتعاون مع السلطات الدبلوماسية

---

(٢١) النص الحرفي لتوصية وزير الحرب الفرنسي القاضية بإنشاء «فرقة الشرق» منشور في أحد ملاحق كتاب جورج سمنه .

- Samné G. op cit ; P.P. 520 - 522.

(٢٢) رئيس اللجنة شكري غانم ، وسكرتيرها العام جورج سمنه .

والعسكرية الفرنسية ، وتقوم بدور الوسيط بين السوريين وبين حكومة الجمهورية التي يتظرون منها تحريرهم » (٢٣) .

هذا التعاون مع السلطات العسكرية الفرنسية أدى ، وفق رأي جورج سمنه ، إلى تنظيم « فرقه الشرق » هذه الفرقه « التي سمحت للسوريين المهاجرين بالقتال من أجل تحرير وطنهم » (٢٤) .

عدا ذلك ، ما هي أشكال العمل الأخرى التي قامت بها اللجنة ؟ (٢٥) .

يعرض جورج سمنه ، وكان سكرتيراً للجنة ، صفحات طويلة مصحوبة بالوثائق عن أعمال اللجنة ونشاطاتها السياسية : فقد أرسلت وفوداً إلى كل البلدان التي تقيم فيها جاليات سورية - لبنانية من أجل الدعاية السياسية ، وقدمت الالتماسات العديدة الى السيد ريبو رئيس المجلس ووزير الخارجية الفرنسي ، ونظمت كذلك الاجتماعات والندوات ... (٢٦) .

لكن منها يكن من أمر ، فإن الحركة لم تكن في الواقع سوى صدى للعمل السياسي الفرنسي . فنشاطات غرفة تجارة ليون ومارسيليا ، ونشاطات

---

(٢٣) راجع النص الكامل في

- Samné G., op. cit ; P.P. 490 - 491.

(٢٤) Ibidem, p. 494.

- Ibidem, p.494.

(٢٥) (٢٦) يورد جورج سمنه في كتابه المذكور كل الوثائق المتعلقة بنشاط الجمعية من التماسات وبيانات ومحاضر ندوات ومهرجانات . ونعتقد أنه لا لزوم - لانعدام الفائدة من ذلك - لا يراد نصوص منها . فكلها تدور تقريباً حول نفس الموضوعات : « ضرورة المطالبة بالوصاية الفرنسية » ، « تحقيق الوحدة الوطنية السورية » ، « افشل مطامع الملكة العربية الجديدة » .

وأما بالنسبة للنقطة الأخيرة فلعل من المفيد استعادة موقف « اللجنة السورية » من ذلك . ففي احدى المذكرات التي رفعتها اللجنة الى وزير الخارجية الفرنسي نقرأ ما يلي : « ان الشريف حسين وأنصاره يقومون في أوروبا وفي الولايات المتحدة بحملة دعائية في الأوساط الشرقية ، من أجل خصم سورية الى الجزيرة العربية . هذه الفكرة الشيعية تجبر السوريين من كل رأي ، لأنها تكسر غلبة دين واحد ، وتختضع منطقة غنية ومتحضره لملكة فقيرة وغير منظمة ومهولة بقبائل بدوية ... » . راجع ص ٤٩٣ - ٥١٩ . لا سيما ص ٥٠٠ .

البعثات الفرنسية في سوريا ، كانت تؤلف بالفعل الجوانب الأساسية لظاهر هذه السياسة التي كانت تفصح عنها في ذات الوقت نشاطات « اللجنة السورية المركزية »<sup>(٢٧)</sup> .

أما بالنسبة للدور العسكري للجنة ، فلم يكن له وجود فعلي .

ففي عام (١٩١٨) اضطر رئيس اللجنة شكري غانم أن يصرح : « ان نتائج التجنيد كانت بالفعل قليلة الأهمية ، فحتى الآن لم يصل عدد المتطوعين من كل سوريا إلى أكثر من (٥٥٠) رجلاً »<sup>(٢٨)</sup> .

ومهما يكن من أمر هذه « النخبة » والدور الذي لعبته في خدمة السياسة الفرنسية ، نستطيع التأكيد أن هذه « النخبة » ذات الثقافة الفرنسية ، والمتبنقة عن برجوازية مسيحية يرتکز صعودها وثروتها أولاً وأخيراً إلى التوسع الفرنسي في سوريا كانت ترى « تحررها » وتحث عنه عبر الطريق التي رسمته لها الوعود الفرنسية والظروف العالمية . غير أن طموحها في لعب دور « تاريخي » (كما يستدل من أدبها السياسي) : (اقامة وطن - دولة في كل سوريا بما فيها لبنان)<sup>(٢٩)</sup> ، وفي لعب دور « القادة المثقفين للشعب » (حسب تعبير مارك

---

(٢٧) « إن اللجنة المركزية السورية » كانت تمول من قبل الشركات الفرنسية التي كانت لها مصالح في سوريا . فاستناداً إلى أرشيف غرفة تجارة ليون يستخلص دومينيك شفاليه المعلومات التالية : قدم البنك العثماني للجنة مبلغ (٦٠٠٠) فرنك ، بنك سوريا (٥٠٠٠) فرنك ، البنك الفرنسي في سوريا (٤٠٠٠) فرنك ، شركة مرفأ بيروت (٥٠٠٠) فرنك ، شركة سكة حديد دمشق - حوران (٥٠٠٠) فرنك ، وغيرها أيضاً من الشركات الفرنسية ..

راجع

- Chevallier D., « Les bases d'un intervention ».., op. cit; p. 314.

- Correspondance d'orient 25 Avril 1918, p. 251.

(٢٨) (٢٩) على سبيل المثال نجد في كتاب جورج سمنه « سوريا » وكتاب ندره مطران « سوريا الغد » مشاريع دستورية « جاهزة » لدولة المستقبل . فالكتابان ذهبا إلى حد اقتراح دستور أساسى وهيكلي كامل لجهاز الحكومة وإدارتها وطريقة عملها . . .

راجع بالنسبة لسمنه ، ص ٥٩٩ - ٦٢٠ .

وبالنسبة لمطران ، ص ٢١٠ - ٣٠٦ .

سايكس الذي استخدمه في لقاء معهم في باريس ) ، لم يكن ليجد صدى أو تجاوباً لا في صفوف الشعب في سوريا ، ولا في الأوساط المثقفة ذات الوضع الاجتماعي والتاريخي الثقافي المختلفين .



- ٣ -

## ال موقف في الداخل جمال باشا والتيارات السياسية المحلية

أ - مهمة جمال باشا في سوريا والغاء «امتيازات» جبل لبنان

دخلت الحكومة التركية الحرب في (٢٨ تشرين الثاني عام ١٩١٤). وبعد هذا التاريخ بعشرة أيام ، كلف جمال باشا وزير البحريـة ، بهـمة عـسـكـرـيةـ فيـ سـورـيـةـ ، علىـ رـأـسـ الجـيـشـ الرـابـعـ تستـهـدـفـ : «الـقـيـامـ بـهـجـومـ عـلـىـ القـوـاتـ الـانـكـلـيـزـيـةـ الـمـرـابـطـةـ عـلـىـ قـنـاةـ السـوـسـ ، وـاعـادـةـ الـأـمـنـ وـالـنـظـامـ إـلـىـ سـورـيـةـ». «فالـأـخـبـارـ الـآـتـيـةـ منـ سـورـيـةـ تـؤـكـدـ أـنـ هـنـاكـ اـضـطـرـابـاتـ وـشـغـلـاـ سـبـبـهاـ نـشـاطـاتـ بـعـضـ الثـوـارـ الـعـرـبـ». هـذـاـ مـاـ أـكـدـهـ أـنـورـ باـشاـ لـقـائـدـ الجـيـشـ الرـابـعـ.

بدأ جمال باشا ، فور وصوله إلى دمشق ، باتخاذ تدابير من شأنها قبل كل شيء ، الغاء «الامتيازات» السياسية لجبل لبنان .

ففي تشرين الثاني ، أرسل مفرزة من الجيش اجتاحت الجبل . وتركـزـتـ الـقـيـادـةـ الـعـسـكـرـيةـ فـيـ عـالـيـهـ<sup>(٣٠)</sup>. وفي الوقت ذاته ، وضع المتصـرفـ

(٣٠) مذكرات جمال باشا ، ص ١٥٤ .

بصفته «موظفاً عثمانيّاً» مع ادارييه وعسكرييه تحت تصرف القيادة العسكرية . وبعدها باشر جمال باشا بتفكي بعض أعضاء مجلس الادارة وبعض الموظفين الكبار المعروفين بعلاقاتهم الوثيقة بالقناصل الأوروبيين ، وخاصة بالقنصل الفرنسي ، إلى خارج البلاد<sup>(٣١)</sup> . ثم لم يلبث أن عاد جمال باشا خلال عام (١٩١٥) فعزل جميع أعضاء المجلس ، وعين أعضاء جدداً مكانهم ، كذلك عزل المتصرف أوهانس باشا ، معيناً مكانه الحاكم علي منيف بك<sup>(٣٢)</sup> .

من المؤكد أن هذه التدابير كانت تستهدف الغاء كل حجة قد تدعوه إلى التدخل الأوروبي في سوريا . لكن جمال باشا بعمله هذا كان يقضي على كل ما يمكن أن يشكل موضع انتهاء سياسي «خاص» بالنسبة للأهالي المسيحيين وخاصة الموارنة بينهم ، من مثل «مؤسسات النظام الأساسي» ، «حماية فرنسا» ، استقلال الكنيسة المارونية... الخ . وهذا ما يفسر لماذا حاول جمال باشا اخراج البطريرك الماروني في مناسبات عديدة ، وذلك باجباره على القيام بزيارات صعبة له<sup>(٣٣)</sup> ، أو باجباره على تبني سياساته وتأييدها بشكل علني<sup>(٣٤)</sup> . وكل هذا كان من شأنه تحقيق الهدف الأساسي «للاتحاديين»

(٣١) الحكيم يوسف ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ١٥٦ .

(٣٢) من بين أعضاء مجلس الادارة الذين وقع التفويض عليهم : حبيب باشا السعد ، (الرئيس) ، خليل عقل (مندوب كرسروان) ، نعوم باخوس (مندوب المنن) ومن بين الموظفين : سعيد البستاني ، جورج صفا ، سليم باز ، بولس نجم ، ثغر شمعون ... المصدر نفسه ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

ويتحدث جمال باشا عن هؤلاء في مذكراته فيقول إنه اضطر إلى تفويض خارج البلاد بسبب علاقتهم بالدولة الفرنسية ، وكإجراء احترازي .. أما لائحة اسمائهم فقد قدمت لي من قبل موظفي الحكومة واقترحت من قبل اصلاحي بيروت ..

راجع : مذكرات جمال باشا ، ص ٢٢٠ .

(٣٣) الحكيم يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، ص ١٨٢ ، ص ٢٤٧ .

(٣٤) راجع بشأن ظروف هذه الزيارات :

-- Touma T., Op. Cit; p.p. 706 - 709.

بعد أن دخلوا الحرب : ثبيت تبعية المناطق لاسطنبول ، واعادة الأرضي التي خسرتها الامبراطورية<sup>(٣٥)</sup> ، وفرض «الطورانية» كايديلوجية عرق متفوق وقائد .

ففي الخطبة التي ألقاها مدير المدرسة الحربية في القدسية ، أمم الضباط الأتراك المتوجهين إلى الجبهة ، تبدو واضحة الايديولوجية العنصرية التي يلجا إليها في عملية التعبئة . يقول : « نحن قبل كل شيء أتراك » انتي أسئلة لماذا يسموننا عثمانيين ، وما هو العثماني ؟ انه تركي احتل هذه البلاد بواسطة جيشه التركي . انه لأكثر فخرًا لنا أن يسمونا باسم الشعب الذي نسمي اليه وليس باسمه هو . أنها الأصدقاء ستتصبحون قريباً في الجيش ، وقود جنودنا الأبطال : علموهم أنهم أتراك وأئمهم يحاربون الأعداء من أجل تركيا ومن أجل علم تركيا ، وسوف يحرزون النصر .

---

= والحكيم يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ . بورد توفيق توما مقطعاً من تصريح البطيريك في تأييد جمال باشا جاء فيه : « ينبغي أن يكون المرء معايناً الواقع ليلاحظكم بيت سعادة جمال باشا من قلبه بمؤسسة هذا البلد البائس .. اتنا بجدّاً سعداء بالتعبير عن اعتراضنا بجميله لأجل ما فعله لخير الشعب اللبناني ».

- Touma T. op. cit ; p. 707.

(٣٥) حاول سفيرا بريطانيا وفرنسا في القدسية أن يقنعوا مراراً الحكومة التركية بالوقوف على الحياد « فيتقذى بذلك استقلال ووحدة البلاد ». غير أن الأتراك اشترطوا ثمناً لحيادهم أن يعد الحلفاء باعادة مصر الى الدولة العثمانية ، الجلاء من جزر بحر ايجه المحتجلة من قبل بلغاريا ، وأخيراً الغاء « الامتيازات » والامتناع عن التدخل في شؤون تركيا الداخلية .  
راجع :

- Correspondance respecting events leading to the rupture of the relations with Turkey.

ومن جهة أخرى نجد في مذكرات جمال باشا دفاعاً عن دخول تركيا الحرب إلى جانب المانيا . ففي رأيه شكل هذا الاختيار الوسيلة الوحيدة التي يمكن المراهنة عليها لانقاذ وحدة السلطنة ، وللتخلص من المطامع الاستعمارية الفرنسية في سوريا ، والبريطانية في العراق ، والروسية في المضائق ، هذه المطامع التي كانت تهدّي تلك الدول في تنفيذها منها كان موقف تركيا .

راجع مذكرات جمال باشا ، ص ٧٠٧ .

« وكونوا أكيدين أن الهوية التركية هي أفضل لنا من الاسلام ، وأن الفخر بالنسب هو أعظم شرف »<sup>(٣٦)</sup> .

لم يكن جمال باشا بعيداً تماماً عن تأثيرات هذه الايديولوجية العنصرية . صحيح أن مواقفه كانت تتضارب في بعض وجهاتها ومراحلها ، لكنها كانت تتوجه بخطها العام نحو الهدف نفسه الذي أتينا على ذكره قبل قليل . ان وضع مواقف جمال باشا في مراحلها الظرفية يساعدنا على فهم وضع الحركات السياسية المحلية ، لا سيما العربية الاسلامية منها وبراجتها وتحالفاتها اثناء الحرب .

ونستطيع أن نميز مرحلتين قاطعتين في سلوك جمال باشا تجاه هذه الحركات ، وبالتالي في ردود فعل هذه الأخيرة على سلوكه .

- المرحلة الأولى تشتمل على تحضير الحملة الأولى على قناة السويس (شباط ١٩١٥) .

- المرحلة الثانية تبدأ مع الفشل الذريع لهذه الحملة ، وحضار الحلفاء له ، وانتشار المجاعة وتکاثر عدد المشتبه بهم حوله .

## ب - في المرحلة الأولى السلوك المهادن للاصلاحيين من العرب المسلمين

إن « الثوار العرب » الذين تكلم عنهم أنور باشا في حديثه مع جمال باشا لم يكونوا سوى الذين شاركوا في الحركة المطلبية الاصلاحية في بيروت ، والتي وجدت تكملة لها في نشاطات المؤتمر العربي في باريس . انهم بالتحديد بعض المثقفين العرب المسلمين الاصلاحيين الذين سبق وتعرف عليهم جمال باشا في «المتدى الأدبي العربي» في اسطنبول<sup>(٣٧)</sup> ، وبعض المثقفين المسيحيين

(٣٦) ورد بالفرنسية لدى :

- Samné G. Op. Cit; P. 431.

(٣٧) من بين هؤلاء عبدالكريم الخليل ورفاقه .

لا سيما المهاجرين منهم، الذين ما أن بدأت الحرب حتى بدأوا يجهرون بأعلى صوت بنهاية الامبراطورية العثمانية، ويسرون بانفصال سوريا، دون الأخذ بعين الاعتبار ما لهذه التصريحات من ردود فعل خطيرة في الداخل<sup>(٣٨)</sup>. كل هؤلاء كانوا في عداد «الثوار»، ومع ذلك لم يكن جمال باشا مستعجلًا جداً في تصفية هؤلاء. فبعد الغاء «امتيازات» جبل لبنان، وهي المهمة المستعجلة جداً، صار تحضير الحملة على قناة السويس هو الشغل الشاغل. وهذا ما يفسر موقفه الماden من «الاصلاحين» وخاصة المسلمين منهم في تلك الفترة.

يقول جمال باشا : «منذ وصولي الى دمشق ، بدأت بتحضير الحملة العسكرية على القناة . وقد ركزت كل جهودي على خلق جو من الحماس الديني والوطني في البلاد العربية . وقد نظمت بمساعدة الزعماء العرب المدعويين بالاصلاحين مهرجاناً لهذا الهدف »<sup>(٣٩)</sup> .

وفي الخطاب الذي ألقاه في المهرجان، حاول جمال باشا أيضاً مصالحة «القومية التركية» مع «القومية العربية»<sup>(٤٠)</sup> .

وبناءً : «لقد أردت اتباع سياسة مصالحة وعفو في سوريا ( . . . ) كان عندي ثقة كبيرة في الحزب الاصلاحي<sup>(٤١)</sup> لدرجة أنني لم أتردد في حضور عبد وطني في بعلبك ، نظمه عبدالكريم الخليل ، وحيث لم يكن يرافقني سوى حارسي الشخصي والوالى السوري »<sup>(٤٢)</sup> .

وعلى كل حال ، ان ما تتابع من حوادث سوف يبرهن على أن هذه

---

(٣٨) على سبيل المثال كتابات ندره مطران ، شكري غانم ، جورج سمنه ، خير الله خير الله الخ . . .

(٣٩) مذكرات جمال باشا ص ١٦٣ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٤١) يقصد جمال باشا «حزب الاصلاح» أو «الحزب الاصلاحي» جميع الاصلاحين العرب (جمعية بيروت الاصلاحية ، حزب الامبراطورية ، والجمعيات السرية الأخرى . . . ) .

(٤٢) «مذكرات جمال باشا» ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

الثقة لم تكن الا نتاج ظرف تكتيكي<sup>(٤٣)</sup> وكان المدف منها استمالة العرب والمسلمين لتجنيدهم في الحملة العسكرية على القناة .

وهناك فرضية أخرى ، قد تفسر مثل هذا السلوك . اذ من الممكن أن يكون جمال باشا قد راوده سراً مشروع اقامة سلطنة مستقلة تحت حكمه . وفي هذه الحالة ، كان سلوك جمال باشا المهدان يستهدف استمالة المعارضة المحلية .

على أن هذه الفرضية ليست أكيدة ، وهي ترتكز على آراء بعض المراقبين الذين حاولوا بعد الحرب تفسير «شهر العسل» الذي حدث بين جمال باشا وبين زعماء العرب<sup>(٤٤)</sup> . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، لا نجد أي تأكيد لمثل هذه الفرضية في « الوثائق السرية الروسية » ولا الفرنسية أو الانجليزية ، ولا حتى عند من كانت له علاقة وثيقة بجمال باشا نفسه<sup>(٤٥)</sup> . ومهما يكن من أمر ، فان هذه الفرضية ، اذا تبيّنت صحتها مع الوقت ، فهي تقع في فترة قصيرة جداً . فجمال باشا كان دائمًا على وجه التقريب ، أميناً للخط « العسكري » التركي الذي جمعه مع طلعت وأنور من ( ١٩١٣ حتى ١٩١٨ )<sup>(٤٦)</sup> .

وطوال الفترة الأولى التزم الاصلاحيون العرب المسلمين من جهتهم موقف الحذر . فحتى مسألة الاصلاح على قاعدة الامركزية تراجعت الى

---

(٤٣) ستعالج هذه النقطة في السياق اللاحق .

(٤٤) أن غالبية الكتاب والمؤرخين العرب يتبينون هذه الفرضية . وحده ساطع الحصري الذي يستند في معلوماته عن هذا الموضوع على ما له من صداقات مع زعماء « تركيا الفتاة » يستبعد مثل هذه الفرضية . راجع : الحصري ساطع ، ميلسون ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

- **Documents secrets russes:** op. cit.

كذلك فان الأمير شكيب ارسلان لا يشير لا من قريب ولا من بعيد الى هذا الاحتمال في « سيرته الذاتية » .

- Lewis B., op. cit; p. 221.

(٤٦)

الوراء<sup>(٤٧)</sup> . في حين أن «تصفيية الحسابات» مع المعارضة في شتى أشكالها كانت دائمًا محتملة من قبل الحكم العسكري التركي .

## ج - في المرحلة الثانية (حزيران ١٩١٥ - أيار ١٩١٦) : سياسة الارهاب

لم يكن من هزيمة الجيش التركي وخسائره الثقيلة في حملته على قنة السويس الا أن تزيداً في قلق جمال باشا وحذره .

ثم جاء الموقف السلبي للأهلين من الدعوة للخدمة العسكرية وتردد الشريف حسين وأولاده في تقديم المساعدة العسكرية الموعودة لجمال باشا ، يدفعان بالتجاه اتباع سياسة انتقامية تجاه كل مثلي المعارضة العربية<sup>(٤٨)</sup> .

أما موقف الاصلاحيين المسلمين في ولايتي بيروت ودمشق ، والذين كانوا بأغلبيتهم يتبعون إلى الجمعية السرية «العروبة الفتاة» أو إلى «حزب اللامركزية الادارية» ، فلم يكن بإمكانهم معارضة جمال باشا الذي يحتل البلاد عسكرياً . أما البرنامج الاصلاحي فقد تخطته الأحداث ، ولم يعد ملائماً ، فوجدوا أنفسهم مجبرين على ممارسة سياسة تراجع مستمرة أمام جمال باشا<sup>(٤٩)</sup> .

غير أن الظروف الموضوعية السائدة في البلاد كانت تدعو للاعتقاد بأن ترداً ضد الأتراك كان محتملاً تماماً ، فحضار بيروت والرافق الآخرى الساحلية كان له نتائج قاسية على التبادل الذي كان في أساس الحياة الاقتصادية للمنطقة . «فلقد أغلقت المخازن والعديد من المشاغل والمعامل

(٤٧) لا نلمس في أية وثيقة ولا أية شهادة معاصرة اشارة ما إلى موقف «انفصالي» صريح أو ضمني لدى قيادات الحركة الاصلاحية من المسلمين .

(٤٨) مذكرات جمال باشا ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٤٩) ان من عاصر الأحداث من القيادات العربية الاسلامية وشارك فيها يتحدث فقط عن «اخلاص» العرب للدولة العثمانية و «براءتهم» من التهم التي وجهت لهم .  
رائع : ثورة العرب ، ص ١٦٩ - ١٧٢ .

( خاصة النسيج والسجائر ) أبواها . مما أدى إلى بطالة واسعة . كذلك أدى النفاد التدريجي للمخزون من البضائع المصنعة ، وأصدار النقد الورقي المتتابع من قبل الباب العالي ، إلى ارتفاع هائل في الأسعار . فالذهب صار نادراً ، وصار موضوع مضاربة واسعة جداً . كذلك سيطر الاحتكار على سوق الحبوب ، وقد عان الجبل اللبناني والمنطقة الساحلية المعتمدين على المناطق الأخرى في الحصول على الحبوب ، الكثير من جراء هذا الاحتكار ( ... ) وكان أن ضربت المجاعة الناتجة عن هذه الظروف آلاف الضحايا<sup>(٥٠)</sup> .

وما زاد في خطورة هذا الوضع أيضاً انتشار الجراد في نيسان (١٩١٥)<sup>(٥١)</sup> . وكان وضع الأتراك من ناحية أخرى يسير من سيء إلى أسوأ على الصعيد العسكري . وبعد هجوم الحلفاء على الدردنيل الذي استطاع الأتراك صده ، توالت الهزائم والمشاكل ففشل تحمل القناة ، وقامت ثورة الأرمن ، ونجح الهجوم العسكري الإنجليزي على العراق . كل هذا كان ينبع بقرب النهاية الختامية لتركيا .

هذه العوامل مجتمعة تؤلف على الصعيد الموضوعي ، أرضًا خصبة للثورة ، لكن الذي حدث هو عكس ما قد نتصور . إن «الاصلاحين»

---

(٥٠) راجع الأمير شكب ارسلان ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٣٦ .  
ragح أيضأً حتى فيليب،لبنان في التاريخ، ص ٥٨٩ .

(٥١) درجت العادة في «التاريخ الرسمي» اللبناني المعتمد أن يعتبر الأتراك وجاه باشا بالتحديد ، هم المسؤولون عن المجاعة ، بل حتى عن انتشار الجراد ، وذلك لتغطية مسؤولية الحلفاء في الحصار البحري المضروب ، ومنع الباخر التي تحمل غروباً الوصول إلى الشاطئ السوري .  
راجع في ذلك الأمير شكب ارسلان ، المصدر السابق ، لا سيما صفحات ٢٢٧ - ٢٣٦  
(دور الحلفاء في مجاعة لبنان) . كذلك يحاول التاريخ «ال رسمي » ان يغيب دور الاحتكار الرهيب الذي مارسه بعض الموظفين والتجار المحليين من أهل البلاد . وقد حدثنا السيد وديع كرم شخصياً وكان في أيام الحرب الأولى مسؤولاً عن مستودع توزيع القمح في صور ، بأن الحكومة كانت تبيع كيلو القمح بـ ٦ قروش بينما كان التجار يبيعون الكيلو بليلة عثمانية (ذهبية) . كذلك حدثنا عن عمليات تواطؤ بين موظفين وبين تجار لبنانيين لتهريب القمح من المستودعات والاتجار به في «السوق السوداء» .

المسلمين لم يفكروا اطلاقاً باستغلال هذا الوضع في تلك الفترة<sup>(٥٢)</sup> . وإن جمال باشا هو الذي سيؤدي إلى اتخاذ الخطوة الأولى لتجنب احتمال أي ثورة أو تحرك معاد . كيف؟ إن جمال باشا نفسه ينبعنا بذلك : «لقد زارني الشيخ أسعد الشقيري ، مفتى الجيش ، في نهاية حزيران (١٩١٥) ، وأنبأني بأن علامات تندى بالعصيان بدأت تظهر في أفق سوريا ، وأن كامل بك الأسعد نائب ولاية بيروت والقاطن حالياً أحد قرى قضاء صيدا يملك معلومات مهمة حول هذا الموضوع»<sup>(٥٣)</sup> .

وعندما حضر كامل الأسعد أمام جمال باشا ، أكد له هذا الأخير : «لقد كانت سعادتكم واثقة جداً بالاصلاحيين وأعطيتهم صلاحيات واسعة (... ) ففي هذا الوقت تجد رضا الصلح النائب السابق لولاية بيروت ، وعبدالكريم الخليل ، يتآمرون للقيام بعصيان في مناطق صور وصيدا»<sup>(٥٤)</sup> . هذه الوشاية أكدت لدى جمال باشا خواوفه وقلقه واعتقاده بأن الثورة أصبحت على الأبواب في مناطق الجنوب الذي «لم يخضع - على حد قول جمال باشا - لمراقبة الجيش التركي»<sup>(٥٥)</sup> .

لكن ، أكان هذا الاستنتاج ينطبق على امكانات الواقع وعلى برنامج الاصلاحيين؟

(٥٢) في الوقت الذي بدأ فيه بعض المثقفين المسيحيين في الخارج يدعون منذ بداية الحرب إلى الانفصال عن الأتراك والاعتماد على دعم الحلفاء ، ينبغي أن نلاحظ أن الاصلاحيين المسلمين في ولاية بيروت لم يكونوا بعد على علم بمبادرات الشريف حسين مع بريطانيا . بل أكثر من ذلك أن رشيد رضا الذي أصبح من طلاب «اللاصرية» بعد أن كان من دعاة الوحدة العثمانية ، دعا حين شوب الحرب إلى : «الكف المؤقت عن طلب الاصلاح » وتقدير الحال » « وتقلد السلاح » والاستمساك بعروبة الدولة . راجع المنار . مجلد ١٧ ، ج ١٢ ، تاريخ ١٨ / ١١ / ١٩١٤ ، ص ٩٥٥ - ٩٥٨ .

(٥٣) مذكرة جمال باشا ، ص ٢٢٤ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٥٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .

يحدثنا محمد جابر صفا ، الذي كان موقوفاً بناء على وشایة مفتی الجيش وكامل الأسعد ، عن نشاط عبدالكريم الخليل في الجنوب : كان الخليل مفوضاً ، من قبل جمعية عربية اندمجت مع « حزب الامركزية ». وقد باشر هذا الأخير في ( ١٨ تشرين الأول ١٩١٤ ) في تأسيس فرع للحزب يقوم برناجه على الامركزية ، في صيدا وصور وبعض مناطق جبل عامل<sup>(٥٦)</sup> .

لكن من جراء انضواء العديد من الأشخاص من ذوي الميول المتعددة ، الصادقة منها والاتهادية ، الى بجان الفرع ، لم يتاخر خبر انشاء هذه اللجان عن الانتشار<sup>(٥٧)</sup> .

إن ما كان يجري اذن هو نشاط سياسي كان قد بدأ به قبل الحرب على قاعدة برنامج سياسي سائد هو برنامج الاصلاح الامركزي . كما أن « صفا » يفسر وشایة كامل الأسعد انطلاقاً من المنافسة القائمة بينه وبين رضا الصلح ، حيث أن نجاح هذا الأخير في ولاية بيروت كان قد بدأ بالتهديد الفعلي « للسلطة التقليدية » لـ« كامل الأسعد ». كما أنه كان ينظر إلى ترشيح عبدالكريم الخليل للمقعد الشيعي في البرلمان العثماني قبل الحرب ، على أنه « تعد على حقه الشخصي في تمثيل الشيعة »<sup>(٥٨)</sup> .

إن وشایة كامل الأسعد اذن لم تكن سوى محاولة من قبله لابعاد منافسيه السياسيين . ولكن جمال باشا كان بحاجة على كل حال الى حجة يبرر بها سياسته التصفوية والارهابية .

فقد أوقف العثرات من الأشخاص في تموز عام ( ١٩١٥ ) ، في المناطق المذكورة سابقاً<sup>(٥٩)</sup> . وقد امتد القمع بعدها إلى كل المناطق في ولائيتي بيروت ودمشق . وفي ( ٢٠ آب ١٩١٥ ) ، وبناء على الأحكام الصادرة من

(٥٦) صفا محمد جابر ، المصدر السابق ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

(٥٩) يذكر المؤلف الذي كان بين المعتقلين جميع اسماء الموقوفين في عاليه . راجع ص ٢١٦ -

. ٢١٧

قبل محكمة عاليه، شنق (١١) شخصاً في ساحة البرج، التي دعيت فيما بعد «ساحة الشهداء» في بيروت.

كان من بينهم عشرة مسلمين ومسحي واحد<sup>(٦٠)</sup>. وقد تتابعت حالات التوفيق والحكم بالاعدام . وفي (١٦ أيار ١٩١٦) شنق واحد وعشرون متهمًا في بيروت ودمشق<sup>(٦١)</sup>. كما أن الأحكام بالموت والتوفيق تتابعت بحق أشخاص عديدين : ٦١ شخصاً حكم عليهم بالموت خطأ ، كما أن أحكام نزع ملكية ونفي صدرت بحق عائلات بأكملها<sup>(٦٢)</sup> . فكل فرد كان له أدنى علاقة باللجان الاصلاحية القديمة أو بالقنصليات الأجنبية في بيروت ودمشق هو مشبوه وملاحق<sup>(٦٣)</sup> . والرسائل المبعثة إلى أوروبا أو إلى

(٦٠) عبدالكريم الخليل ، محمد ومحمد المحمصاني ، صالح حيدر ، عبدالقادر الخرسا ، علي الأرمنازي ، نور الدين القاضي ، مسلم عابدين ، سليم عبدالهادي ، نايف نلو ، محمود العجم . راجع الحكيم يوسف ، بيروت ولبنان ، ص ٢٣٥ .

(٦١) أعدم في صباح ٦ أيار في دمشق وبيروت في ذات الوقت قافلة من الشخصيات ضمت ١٤ مسلماً و٧ من المسيحيين .

في بيروت : أعدم الشيخ أحد طبارة ، عبدالغنى العريسي ، سعيد عقل ، بترو بولي ، توفيق البساط ، عارف الشهابي ، جورج موسى حداد ، عمر حمد ، سيف الدين الخطيب ، محمد حسين الشنتلي ، سليم الجزائري ، أمين محمد حافظ وجلال البخاري ، وعلى الحاج عمر . في دمشق : شفيق المؤيد العظم ، عبدالحميد الزهراوي ، شكري العصلي ، رشدي شمعة ، عبدالوهاب الانكليزي ، عمر ورفيق سلوم . المصدر نفسه ص ٢٣٨ .

(٦٢) الغصين فايز ، مذكرة عن الثورة العربية ، دمشق ١٩٥٦ ، ص ٥٠ .

(٦٣) أن الأوراق التي صادرتها السلطات التركية في القنصلية الفرنسية في بيروت كشفت أسماء عدد من الشخصيات المارونية التي كانت تعمل لفصل جبل لبنان نهائيًا عن الدولة العثمانية واستقلاله وتوسيع حدوده وطلب معونة فرنسا في هذا السبيل . ومن بين هؤلاء الأخوان فيليب وفريد الخازن . نفي أحدهما الشيخ فيليب إلى الأناضول ، ثم أطلق به أخيه الشيخ فريد . وبعد وضع السلطة يدها على الوثائق ، سيقا معًا إلى الديوان العرفي في عاليه . . . وبعد أن قضيا في السجن زهاء خمسة أشهر ، نفذت عقوبة الاعدام بهما في بيروت في ٥ حزيران ١٩١٦ .

راجع: الحكيم يوسف ، المصدر السابق ص ٢٣٩ .

المذكورة التي كتبها الأخوان الخازن وقدمها إلى القنصلية الفرنسية ، مطالبين فيها باستقلال لبنان وتوسيعه ، محفوظة في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في باريس .

مصر صارت موضوع مراقبة بوليسية قاسية ، وأقل تعاطف يبدى مع الحلفاء في الرسالة كان كافيا لاصدار حكم الاعدام حتى على المرسل اليه<sup>(٦٤)</sup> .

\* \* \*

هذا القمع الشديد لم يكن يتناسب في عنقه مع الحجم الفعلى للحركات السياسية التي كانت قد بدأت ترى النور في جبل لبنان وفي ولايتي بيروت ودمشق . لأن هذه الحركات لم تكن غير متناسقة وموحدة في برنامجهما وميوها فحسب ، بل أيضاً وخاصة ، أنها كانت غير قادرة في الداخل على وضع صالح وجود تركيا في خطر . فالبعض (المسيحيون عامة) كانوا يتطلعون إلى التدخل الفرنسي . ولكن كان ، من بينهم ، من لا يهمه الا لبنان فقط ، وغيرهم من لا يدعون إلا إلى الوحدة السورية تحت الحماية الفرنسية . وبالنسبة للآخرين (المسلمين عامة) ، كان أملهم يتركز في تطبيق اللامركزية وتحقيق « حقوق العرب » داخل الدولة العثمانية ، وكانت وسائل نضالهم ، كما رأينا في مواقف « النخبة » المتتمية إلى العائلات الوجيهة المدنية والبورجوازية الناشئة ، تتركز على احياء الحضارة العربية الكلاسيكية بواسطة « التربية » و « التعليم ». انه اذن نوع من استعادة وجданية لمساهمة العرب في هذه الحضارة في إطار وعي قومي نحوي استنفره الاضطهاد العنصري الذي مارسه جمال باشا .

لقد صرخ محمد المحمصاني قبل موته ، مستندًا إلى المشنقة : « اني مذنب ، اذا كان حب الحرية وارادة تحرر بلادي ذنبًا . التحرر ، لقد أرددته ، وبدلًا من أن أشعر بالندم ، إني سعيد بأن أكون ضحيته الأولى . إن وعينا يتفضض ، نحن العرب ، المنحدرين من احدى أجمل حضارات العالم ، عندما نفكر بالانحطاط الذي جرتنا اليه القبائل البربرية الأناضولية الرحل ، لقد نلنا ما فيه الكفاية من نير الاستعباد التركي ... »<sup>(٦٥)</sup> .

(٦٤) الحكيم يوسف ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٦٥) ترجمنا النص من الفرنسية كما ورد عند :

- Bruneau A., op. cit, p. 286.

ولكن لا الوسائل السياسية ، ولا برنامج العمل ، استطاعا أن يجibيا على هذا الطموح المؤثر .

وبوجه هذه السياسة الارهابية ، لم تبد المعارضة الاسلامية العربية أية مقاومة ، فهي غير قادرة على التحرك وقيادة ثورة على الأتراك دون الوقوع في فخ السياسة الدولية . ف برنامجهما السياسي الاصلاحي برنامج يضيع بين التناقضات المعقّدة مع الأتراك من جهة ، ومع الاستعمار من جهة ثانية . ولا يطرح موقع الجماهير من كل ذلك . وهكذا كانت قيادات الحركة السياسية في المشرق بلوبيها المسلم والمسيحي وباتجاهيها المعارض للغرب أو المتحالف معه واقعة في المأزق نفسه ، مدفوعة إلى الموت أو إلى الهرب ، أو إلى انتظار التدخل الأوروبي . اذن على أية تهمة ارتكز جمال باشا في اصداره أحكام الاعدام وتنفيذها ؟ كانت التهمة هي «اثارة البلبلة من أجل فصل سوريا عن الامبراطورية العثمانية ، بالاشتراك مع دولة أجنبية عدوة : فرنسا » . ومن أجل دعم هذا الاتهام بالحجج والبراهين ، قام جمال باشا بعد عودته إلى تركيا ، بنشر وثائق وجدت في القنصلية الفرنسية في كل من بيروت ودمشق (٦٦) .

وفي الواقع ، نجد في هذه الوثائق العائدة إلى سنوات ما قبل الحرب ( خاصة عام ١٩١٣ ) عرائض تعبّر عن طموحات بعض الشخصيات

---

(٦٦) ينبغي أن نذكر هنا أن الجماهير الفقيرة هي التي تحملت أكثر من أية فئة أخرى نتائج الوضع الذي فرضته ظروف الحرب . فالقيادات السياسية وكوادرها - رغم أن بعضها أعدم شنقاً أو نفي وصودرت أملاكه - استطاعت بشكل عام أن تنجو من المجاعة والأمراض القاتلة التي ضربت الجماهير الفقيرة . فهي بشكل عام تتمنى إلى عائلات مالكة ، أو تعطّل التجارة . وهذه الأخيرة استطاعت أن تدبّر أمر معيشتها ، بل أكثر من ذلك تحول بعض التجار - وكان الوسط التجاري قاعدة التحرك الاصلاحي في بيروت عام ١٩١٣ - إلى محتكرين « وتجار حرب » .

المسيحية بالاستقلال<sup>(٦٧)</sup> ، وبيانات متعلقة ببرنامج حزب «اللامركزية»<sup>(٦٨)</sup> .

ولكن ينبغي الاشارة إلى أن هذه الوثائق كانت قد صودرت من قنصليتي دمشق وبيروت منذ أن دخلت تركيا الحرب ومنذ وصول جمال باشا إلى دمشق<sup>(٦٩)</sup> .

فلماذا إذن لم يستعملها هذا الأخير إلا في عام ١٩١٥ ؟

أما برنامج حزب «اللامركزية» فكان معروفاً منذ عام ١٩١٢ ، ومعترفاً بشرعنته ، وموقف المسيحيين كان ينتظم منذ زمن طويل ضمن منطقة «الحماية» الأوروبية المفروضة على السلطنة العثمانية ، والتي أصبحت مع الوقت «عرفاً» تقبلته الدولة مرغمة.

ولعله من غير المفيد الدخول في نقاشات «حقوقية» شكلية لثبت التبيّن الصفة الاستبدادية والتفسيفية لسياسة جمال باشا وتأكيد «براءة» المتهمن<sup>(٧٠)</sup> . فما هو مؤكّد بالنسبة لنا أن «تصفيّة الحساب» هذه مع المعارضين ، منها كانت مواقف هؤلاء ، تجد تفسيرها في السياسة الديكتاتورية العسكرية التي أصابت بقمعها ، ليس فقط العرب من مسلمين ومسيحيين ، بل أيضاً العديد من الليبراليين الأتراك<sup>(٧١)</sup> . ولم تكن العرقية التركية التي ارتكز إليها النظام العسكري ، الا لتزيد هذا التوجّه القمعي حدة وعنفاً .

وأخيراً لم يكن تدهور الوضع العسكري نتيجة فشل حملة السويس إلا ليدعو جمال باشا إلى خلق جو من الإرهاب والقمع يستطيع معه ، كما يصرّح

(٦٧) أحمد جمال باشا. «إيضاحات عن المسائل السياسية...» ديوان الحرب في عاليه - تركيا. طبع ١٣٣٤ هـ.

(٦٨) مذكرات جمال باشا ، المصدر المذكور ، ص ٢٥٣ - ٢٥٧ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٧٠) نموذج من هذا «السجال» نجده مثلاً في «ثورة العرب» ، المصدر المذكور ، ص ٢٤١ .  
- Lewis B. op. cit ; p. 222.

(٧١)

بذلك ، اخافة الأهالي وشل أي حركة محتملة . وبالفعل ، فان جمال باشا كان يخشى دائمًا من احتمال وقوع غزو فرنسي - بريطاني على الشاطئ . وكان أن صرخ بذلك في مذكرة حين قال : « ان الفضل يعود إلى الخطوات التي اتخذتها ، خاصة عام (١٩١٦) ، في أننا تجنبنا ثورة في سوريا طوال السنتين والنصف التي تبعت تمرد حسين » <sup>(٧٢)</sup> .

أكان جمال باشا على علم بالاتصالات السرية التي حصلت بين بعض العناصر العربية في دمشق وبين الشريف حسين ؟

لا ، لأنه كان هو نفسه متعجبًا ومفاجأً عندما اندلعت ثورة الحجاز في (١٠ حزيران ١٩١٦) <sup>(٧٣)</sup> .

---

(٧٢) مذكرات جمال باشا ، ص ٢٤١ .

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ ..



# طبيعة العلاقات بين الشريف حسين وبين الحركات السياسية المحلية في الشرق العربي

خلال عام (١٩١٥) ، وخلال رحلات الأمير فيصل ، ابن الشريف حسين ، إلى سوريا واسطنبول ، أقام الأمير اتصالات ومحاجات مع الجمعيات العربية العاملة في دمشق : «العهد» و «الجمعية الفتاة»<sup>(٧٤)</sup> . وكان أن أسرفت هذه المحاجات ، التي اطلع فيها أعضاء الجمعيات على بداية مراسلات الشريف حسين ومكماهون ، عن صياغة مذكرة سلمت إلى فيصل لتكون قاعدة للتحالف المطروح مع إنجلترا<sup>(٧٥)</sup> . وكانت الفكرة الأساسية هي الاعتراف ، من قبل إنجلترا ، باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية :

**شمالاً : خط مرسين - أضنة إلى ما يوازي خط العرض (٣٧) شمالاً ،**

(٧٤) انطونيوس ، جورج ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .  
لقد تركز نشاط «جمعية العهد» بشكل أساسي في العراق ، بينما «الجمعية العربية الفتاة» في ولائي دمشق وبيروت .

(٧٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ : استعار المؤلف جورج انطونيوس نص المذكرة من الملك فيصل نفسه .

ومن هناك على طول خط : بيرجيك ، اورفا ، ماردين ، ميدبات ، جزيرة ابن عمر ، أماديا والحدود الفارسية .

- في الشرق : من الحدود الفارسية حتى خليج البصرة .

في الجنوب : المحيط الهندي ( باستثناء عدن حيث يحافظ على وضعها الخاص ) .

- في الغرب : شواطئ البحر الأحمر والمتوسط حتى مرسين .

كان للتحالف مع انجلترا صفة دفاعية ، وبالمقابل يعطي الانجليز نتيجة تدخلهم ، أفضلية اقتصادية شاملة<sup>(٧٦)</sup> .

نستطيع الاستنتاج ، أولاً أنه عبر جمعية « العربية الفتاة » التي انتمى إليها أكثريه المثقفين المسلمين في ولاية بيروت<sup>(٧٧)</sup> مرت العلاقة بين الحركة السياسية المشرقة «الاصلاحية» وبين المشروع «الانجليزي الشريفي الاستقلالي». فما هو سبب هذا الانتقال من موقف يطالب «باللامركزية» إلى آخر يطالب بالانفصال الكامل «للمشرق العربي»؟ أليس ثمة اشكال؟

لفهم مثل هذا الاشكال . يجب أن نعin التاريخ والسياق التاريخي اللذين انضجا مثل هذا البرنامج من قبل القادة السياسيين المسلمين في بيروت ودمشق .

حسبما جاء في كتاب «أمين سعيد»<sup>(٧٨)</sup> الغني بالوثائق والشهادات ، حول موضوع «الثورة العربية»، ترك فيصل دمشق الى الحجاز حاملاً مذكرة القادة ، حوالي نهاية كانون الأول (١٩١٥)، أي بعد حملة جمال باشا الارهابية ضد جميع دعاة الاصلاح والمعارضين<sup>(٧٩)</sup> .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٧٧) راجع اسماء المتسبين الرئيسين إلى «الجمعية» في : دروزة محمد عزة ، المصدر السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٧٨) نظراً لعلاقته الشخصية بالملك فيصل .

(٧٩) سعيد أمين ، أسرار الثورة العربية ، بيروت ( بدون تاريخ ) ص ٥٧ .

في هذا السياق بالذات وضعت المعارضة العربية «المشرقية» نهاية لترددتها فيما يختص بالقطيعة النهائية مع الأتراك لتبني المشروع الانجليزي - الشريفي الذي كان يحضر في ذات الوقت . من هنا يمكن أن نستنتج أيضاً أن جمال باشا رغم تخوفه من وجود «طابور خامس» في سوريا . وبالتحديد على الساحل : بيروت ، وصيدا وصور وجبل عامل ، ورغم تشديده في القضاء على أي مشتبه به ، فإنه من المؤكد أنه كان يجهل أمر المراسلات السرية التي حصلت بين إنجلترا وبين الشريف حسين في الحجاز . ويجهل من جهة أخرى الاتصالات بين فيصل وزعماء «دمشق»<sup>(٨٠)</sup> .

إن ما يهمنا هنا هو تحديد العلاقة بين الموقف البريطاني الفعلي من جهة ، وبين مشاريع مصائر المناطق «المشرقية» من جهة أخرى . كما طرحتها مراسلات حسين ومكماهون .

لقد حصل تبادل رسائل بين هنري ماكماهون ، المفوض البريطاني في مصر ، وبين الشريف حسين بين تموز عام (١٩١٥) ، وكانون الثاني (١٩١٦)<sup>(٨١)</sup> أشير فيها أكثر من مرة لمصير هذه المناطق .

ففي إحدى الرسائل الموجهة إلى الشريف حسين ، يجيب مكماهون على طروحات الشريف حسين وقيادات «دمشق» بما يلي : «ان مرسين واسكندرية وبعض الأقسام السورية الواقعة غرب دمشق ومحصن وحمة وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة . فيجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ... أما الأراضي التي تستطيع انكلترا العمل فيها بملء الحرية دون أن توقع ضرراً ، بحليفتها فرنسا ، فإن لي السلطة التامة ، باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم المواثيق التالية :

(٨٠) مذكرات جمال باشا ، ص ٨١ .

(٨١) ان حدود «الدولة العربية» المقترنة من قبل الشريف حسين في رسالته الأولى إلى مكماهون تتوافق مع مضمون المذكرة التي قدمتها قيادات دمشق إلى فيصل .

راجع نص الرسالة المؤرخة في ٢٨ رمضان سنة ٣٣٣ (١٤ تموز سنة ١٩١٥) وملحقها في : سعيد أمين ، المصدر السابق ، ص ٦٦ - ٦٧ .

«إن إنكلترا مستعدة - على أساس تلك التعديلات - ان تعرف باستقلال العرب ، وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة . . .» .

ثم يشير مكماهون الى تحفظ بريطاني آخر بخصوص مصير بعض مناطق العراق : «أما فيما يتعلق بولاية البصرة وبغداد - فان العرب يعرفون أن مركز إنكلترا ومصالحها فيها - تتطلب شكلاً ادارياً خاصاً ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية وتأمين راحة واطمئنان السكان وتوطيد مصالحنا المشتركة فيها» (٨٢) .

من خلال هذه التحفظات يمكن الاستنتاج أن الموقف البريطاني من «الدولة العربية» لم يلتقي مع رغبات الشريف حسين والمذكورة الأولى المقدمة . فقد ظل الموقف مشدوداً بشكل أساسي الى المصالح الامبرiale التي (رغم تناقضها الداخلي) ترجمتها اتفاقية سايكس - بيكر .

ماذا كان رد الشريف حسين حيال تحفظات بريطانيا بشأن مرسين واسكندرون والساحل الغربي السوري ، وولاية البصرة وبغداد؟ في الرسالة الجوابية (٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٥) كتب الشريف حسين : «... رغبة في تسهيل الاتفاق وخدمة الاسلام ... فانتا نتازل عن اصرارنا في ضم مرسين واضنة إلى المملكة العربية . أما قضية حلب وبيروت وسواحلهما فهي عربية صرفا ، وليس هناك فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي . . .». أما بالنسبة للعراق فيقول : «ما كان العراق قسماً من المملكة العربية ، وكان مركز حكوماتها في عهد علي بن أبي طالب والخلفاء والذين تبعوه . . . فان العرب القريين والبعيدين ينظرون إلى هذا القطر نظرة اعتبار خاصة ، ولا يستطيعون أن ينسوا سهولة تقاليدهم وذكرياتهم . . (٨٣) . لذلك اعتقد أنه ليس في المستطاع اقناع الشعب العربي بالتنازل عن هذا

(٨٢) المصدر نفسه ، ص ٧٢ - ٧٣ .

كذلك : زين نور الدين زين ، الصراع الدولي ، الملحق : ص ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ٧٤ - ٧٥ .

القطر ، انا رغبة منا في تسهيل الاتفاق واعتماداً على عهودكم في المادة الخامسة من كتابكم ، وحفظاً لمصالحنا المشتركة في هذا القطر فقد نافق أن نترك لمدة قصيرة الأراضي التي تحتلها الجيوش البريطانية تحت ادارة انكلترا لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض عن مدة الاحتلال تلك المنطقة واحترام اتفاقيكم مع شيوخها...»<sup>(٨٤)</sup>.

وفي رد مكماهون يستمر التحفظ البريطاني بشأن ولابي حلب وبيروت : « أما بشأن ولابي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت لفرنسا حليفتها مصالح داخلة فيها ، فالمسألة تحتاج إلى نظر وثيق ، وسنخباركم في هذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب»<sup>(٨٥)</sup>.

ويجيء رد الشريف في أول كانون الثاني ( ١٩١٦ ) وفق هذه الصيغة الغامضة : « .. عند أول فرصة تضع فيها أوزار هذه الحروب سنطالبكم بما نغض الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها »<sup>(٨٦)</sup>.

وهكذا ، وبالرغم من أن مسألة مصير سورية الغربية لم تكن قد حسمت بعد ، فقد قبل الشريف حسين عدم اثارة هذا الموضوع طيلة الحرب . وعلى أساس تلك الوعود التي تظهر فيها بوضوح دبلوماسية بريطانيا الامبرialisية أعلن الشريف الثورة في مكة في ( ١٠ حزيران ١٩١٦ )<sup>(٨٧)</sup>.

(٨٤) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٨٥) المصدر نفسه ص ٧٨ . وزين زين ، الصراع الدولي ، ص ٢٩٤ .

(٨٧) أعلن الشريف حسين الثورة بمنشور وجهه إلى العالم الإسلامي ، ينطلق من التحرير ضد « جمعية الاتحاد والترقي » التي « هدمت أركان الاسلام » و « مزقت الدولة الاسلامية » و « زفقت » أرواح الجماعات... ليعلن الاستقلال على أساس « مبادئ نصرة الاسلام والسعى لاعلاء شأن المسلمين » مع الاستعداد « لقبول كل ما ينطبق على أصول الدين وبلا ثم شعائره من أنواع فنون الترقى الحديث وأسباب النهضة الصحيحة ». راجع نص المنشور في : الغصين فايز ، المصدر السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

وفي (٣١ تشرين الأول) نادى بنفسه « ملكاً على العرب » ، لكن الفرنسيين والانجليز لم يعترفوا له سوى بلقب « ملك الحجاز »<sup>(٨٨)</sup> .

لقد راهن الشريف حسين وابناؤه منذ البداية على امكانية انجاز الفرق العربية الموجودة في الجيش العثماني المتمرد في سوريا . لكن جمال باشا كان قد أبعد هذه الفرق عن سوريا في اطار الخطوات الاحتياطية التي اتخذها ووضعها على الحدود الروسية<sup>(٨٩)</sup> . فوجد الشريف نفسه مضطراً إلى الاعتماد على اتباعه من القبائل العربية في مكة والطائف والمدينة<sup>(٩٠)</sup> .

وادرك الانجليز بسرعة ، وفي ذات الوقت ، أهمية تنظيم وتدريب هذه القبائل . فلجأوا منذ البداية إلى وسيلة فعالة قştت بتحرير الضباط والجنود العرب « العثمانيين » ، أسرى الحرب في العراق ، وارسلهم إلى الحجاز لإنجاز هذه المهمة . ومن أجل حمل هؤلاء على التطوع بملء ارادتهم عمد الانجليز أيضاً إلى القيام بحملات تحريرية بينهم كاشفين لهم عسف الأتراك وأساليب جمال باشا الارهابية<sup>(٩١)</sup> .

وفق هذه الخطة ، تركت في (١٦ أيلول ١٩١٦) سفينة انجليزية ميناء «بومباي» إلى جدة حاملة على ظهرها تسعة عشر ضابطاً وثلاثمائة جندي عربي<sup>(٩٢)</sup> .

إن لائحة اسماء المتطوعين الموضوعة من قبل فايز الغصين ، تسمح لنا بأن نتبين أنهم كانوا بشكل أساسى عراقيين ، دمشقين وفلسطينيين<sup>(٩٣)</sup> .

- Ismail Adel, *Histoire d'un peuple*, Beyrouth, P. 179. (٨٨)

(٨٩) سعيد أمين ، المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٥٩.

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ٥٩.

(٩١) الغصين فايز ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧.

كان المؤلف في عداد اللاجئين السياسيين الذين فروا إلى الهند هرباً من بطش جمال باشا .

وقد شهد عدداً من اللقاءات التي كان ينظمها الانجليز في أوساط الأسرى العسكريين العرب ومحرضونهم فيها ضد الأتراك .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

(٩٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

أكان يعني ذلك أنه لم يكن هناك أي متطوع من جبل لبنان أو من المناطق التي ستكون «لبنان الكبير» بين الثوار العرب في الحجاز؟

إنه من الضروري التذكير هنا بأن التطوع عبر سوريا كان قد أصبح مستحيلًا بسبب التدابير الاحترازية التي قام بها جمال باشا قبل إعلان الثورة وبعدها.

على أنه باستطاعتنا ذكر بعض الحالات الفردية: حالة فايز الغصين - المسيحي اللبناني الذي جأ إلى بومباي ومن هناك توجه نحوه جدة على ظهر السفينة الانجليزية<sup>(٩٤)</sup>، اسكندر عمون ، محامي مسيحي من جبل لبنان أقام في القاهرة وكان سابقاً رئيساً « لجمعية الاتحاد اللبناني »<sup>(٩٥)</sup> . كذلك حالة رشيد رضا (مسلم من القلمون وصاحب مجلة المنار في القاهرة) الذي أيد الثورة من موقعه الديني وأفتى «بوجوها» بعد أن انقلب الحكم التركي لا على العرب فحسب ، بل على الاسلام أيضاً<sup>(٩٦)</sup> .

---

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

(٩٥) إن موقف اسكندر عمون لا يعبر بالضرورة عن موقف «الاتحاد اللبناني» و «اللجان اللبنانية» في أنحاء العالم . فقد انفرد اسكندر عمون بموقف المؤيد لحركة الشريف ، وتبعه «اللجان اللبنانية» حركة المطالبة بتوسيع لبنان واستقلاله إما بمساعدة الحلفاء جميعهم ( حالة جمعية الاتحاد اللبناني في مصر) أو بمساعدة ووصاية فرنسا (موقف البطريرك الماروني) . وعلى كل حال أثار موقف اسكندر عمون ، في حينه ردود فعل مضادة من قبل أنصار «وأصدقاء» فرنسا . اذ كتب جورج سمنه : « ان السوريين تلقوا باندهاش البيان الذي نشره اللبناني المدعو اسكندر عمون والذي يصرح فيه بأن لبنان لا هدف له سوى الانضمام الى مملكة الحجاز . . . ». وبعد التشهير بهذا الموقف يهاجم جورج سمنه عمون ويتهمه بأنه نال ثمن هذا الموقف بأن « أصبح موظفاً لدى الشريف حسين ». راجع :

- Samné G. Op. Cit; P. 513.

(٩٦) راجع خطابه الذي ألقاه في مكة في اجتماع ضم الحجاج المسلمين : لعل من المفيد ابراد بعض المقاطع التي تساعد على استخلاص خلفيّة موقف رشيد رضا : « كلنا نعلم أنه لا يوجد مكان في الدنيا يصلح لتأسيس دولة اسلامية تختلف الدولة العثمانية ، اذا وقع بها ما تخشاه عليها ، الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد العربية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص . ولا يعقل أن يحفظ استقلال الاسلام في مثل بلاد الأفغان ان =

ييد أن هذه الحالات الفردية ما لبست أن تنظمت في مصر في أواخر عام (١٩١٧) في «هيئة قومية» تعمل لدعم الثورة سياسياً «وتحضن السوريين على الالتفاف حولها وتاييدها»<sup>(٩٧)</sup>. وتفصيل ذلك كما يروي أمين سعيد ، أن كامل القصاب الذي سبق وقام بدور ضابط الاتصال في شتاء (١٩١٤ - ١٩١٥) بين الجمعية «العربية الفتاة» في دمشق من جهة والشريف حسين وابنه من جهة ثانية ، تسلم بعد اعلان الثورة ادارة المعارف الحجازية ، «نظمها طبقاً للأغراض الحديثة المتبعة في سوريا ومصر ، فلم يرق ذلك للحسين الذي كان يفضل البقاء على الأساليب التقليدية القديمة». ففضل القصاب السفر إلى القاهرة في أواخر سنة (١٩١٧) للعمل في المجال «القومي» في الخارج . «وهناك لاحظ وجود نشاط كبير يديه الافرنسيون في المحيط السوري - اللبناني لاقناع هؤلاء وأولئك بأن مصير بلادهم صار مقرراً وأنها ستكون من نصيب فرنسا . . . كما لاحظ خلو الميدان من هيئة قومية . . . تتعاون مع الثورة وتدعى لها . . .»<sup>(٩٨)</sup>.

بناء عليه تألفتمبادرة قام بها القصاب «هيئة قومية» ضمت الدكتور

---

هو زال من مهده وموطن نشأته وعمل اقامة شعائره . لقد انفرد هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجرد بقاع العالم الإسلامي لاقامة استقلاله ، وكذلك انفرد سيدها وأميرها في هذا العصر للنهوض بما يجب من العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال ، فكان له بعمله أكبر منه في أعنق أهل هذه البلاد وفي أعنق جميع المسلمين الذين يشعرون بأن أمر الاستقلال هو أهم من المصالح العامة الدينية والاجتماعية . . ان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظ استقلالها لم يكن استقلال العرب في الحجاز وغيره مانعاً من ذلك ، ولا من تعاضد العرب والترك مع حفظ حقوق كل منهم . وإن سقطت وفقدت استقلالها ، لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنها يكون سبب حفظ استقلال الحكم الإسلامي في أشرف بقاع الاسلام . وهل يغيب عن أذهانكم أنه لولا اعلان هذا الاستقلال لتترتب على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله (ص) غنية في أيدي الدولة الفاغحة ، فان تركوها بعد ذلك كلنا كان لهم منه التصديق بها علينا ، والا كنا تحت سيادتهم والعبادة بالله تعالى ». كما ورد في : الغصين فايز ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ - ٢٢٠ .

(٩٧) سعيد أمين ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .

(٩٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .

عبدالرحمن شهبندر ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة النار ، ورفيق بك العظم ، وأحمد مختار الصلح ، وحسن حمادة المحامي وغيرهم ، جعلت شعارها : تأييد الثورة العربية ومقاومة الاستعمار الافرنسي »<sup>(٩٩)</sup> .

حاولت هذه الهيئة القيام بدور دعائي للثورة في أوروبا ، وافتتحت بعد نيل موافقة الأمير فيصل ، ايفاد بعثة إلى أوروبا برئاسة مثقف مسيحي من بلاد الشام هو اسكندر عمون ، تشرح للرأي العام الأوروبي القضية العربية . وكان الوفد يتشكل وبهم بالسفر « حين وصلت إلى القاهرة جريدة « القبلة » لسان حال الحكومة الهاشمية تحمل في صدرها خبراً أثار ضجة كبيرة » وهو محاكمة سجين حاول الفرار من السجن « بقطع يده ورجله من خلاف » . ويعلن أمين سعيد على ذلك : « وتناقلت الألسن الخبر في القاهرة فرحب أناس بتطبيق أحكام الشرع الشريف ، واستغرب ذلك آخرون ، واجتمع بعض أعضاء الوفد الذين دعوا للسفر ، وذهبوا إلى دار الوكالة العربية معتذرين عن السفر »<sup>(١٠٠)</sup> .

وفي هذه الأثناء نشب خلاف بين الضباط السوريين والضباط العراقيين الذين شكلوا الأكثريّة في الجيش العربي حول مسألة القيادة ، فكان ذلك سبباً ظرفيّاً أصيف إلى الأسباب الظرفية الأخرى (تجربة القصاب في إدارة المعارف الحجازية - خبر « القبلة ») فكان أن تشكّل في حوالي آذار - نيسان عام (١٩١٨) في أوساط السوريين المثقفين المقيمين في مصر ، اتجاه يحاول طرح « القضية السورية » باستقلال عن حركة الشريف حسين .

يمدحنا أمين سعيد عن هذا الاتجاه بقوله : « دعا القصاب وأنخوانه السوريون في القاهرة إلى اجتماع عام درسوا فيه الموقف ووافقوا على إنشاء حزب سياسي سوري » .

« وقع الاختيار على السيد ميشال لطف الله من أعيان السوريين

(٩٩) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

المسيحيين رئيساً للحزب الجديد ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المار وكيلاً للحزب الجديد ، والسيد سليم سركيس ( صحافي سوري ) سكرتيراً للحزب . وتتألفت اللجنة الادارية كما يلي : رفيق العظم ، وكامل القصاب ، والدكتور عبدالرحمن الشهبندر ، والدكتور خليل مشaque ، والمحامون اسكندر عمون ، وو وهب العيسى ، وحسن حادة اعضاء » (١٠١) .

أما مبادئ « الحزب » الجديد فيوردها أمين سعيد كما يلي (١٠٢) :

- ١ - أن تكون سورية بجملتها على وحدتها القومية مستقلة استقلالاً تاماً تضمنه جامعة الأمم وتتضمن دستوره ضماناً لا يخل بهذا الاستقلال .
- ٢ - تكون حدود سورية القومية كما يلي : جبال طوروس شمالاً ، ونهر الخابور والفرات شرقاً ، والصحراء فمدانين صالح جنوباً ، والبحر الأحمر خليج العقبة ورفع فالبحر المتوسط غرباً .
- ٣ - يكون الحكم في سورية على مبدأ اللامركزية ، ويكون أساس قوانينها وأحكامها مدنياً ما عدا الأحوال الشخصية فاما تبقى كما هي .
- ٤ - يكون دستورها على مبدأ اللامركزية ضامناً لحقوق الأقليات .

وحاول الحزب الاستحصل على « عهد » من المندوب البريطاني في مصر بشأن تحقيق مطالبه ، فجاء رد الحكومة البريطانية في ( ١٦ يونيو سنة ١٩١٨ ) حاملاً « التطمئنات » في « أن حكومة جلالة الملك ترغب في أن تكون عامة الشعوب التي تتكلم اللغة العربية منفذة من السلطة التركية ، وأن تعيش فيها بعد عليها الحكومة العربية التي ترغب فيها » (١٠٣) .

اكتفى المندوب البريطاني في مصر بقراءة البيان الذي يحمل هذه « التطمئنات » أمام وفد الحزب وأرسل الانجليز البيان الى الشريف حسين

(١٠١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .

(١٠٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ .

لأخذ موافقته عليه ، كما أرسل القصاب نسخة عنه إلى الأمير فيصل ، لكن لا الشريف حسين رد على الانكليز ولا فيصل رد على القصاب (١٠٤) .

هكذا اختلفت الاتجاهات السياسية وفق الواقع الاجتماعية - الثقافية للمجموعات والفئات . فالبعض انتظر الخلاص من جهة الحجاز مدعوماً من جهة انجلترا . والبعض حلم بالاستقلال في اطار سورية ديمقراطية مستقلة ، لا انجليزية ولا فرنسية ، والبعض الآخر انتظر الخلاص قادماً من فرنسا على أساس انشاء دولة سورية أو لبنانية تحت الحماية الفرنسية .

هكذا بدأت مختلف مشاريع تنظيم دولة المستقبل «الوطنية» تتفاعل في أذهان القيادات المحلية ، دون الأخذ بعين الاعتبار بأن الحلول النهاية مرتبطة في آخر المطاف بارادة الامبرياليات وتوازناتها فيما بينها وفق صيغة أبعد ما تكون عن التمنيات والوعود ، وسواء كانت هذه الأخيرة بريطانية أو فرنسية . وبالفعل ، ان مطامع الامبرياليات كانت هي العامل الحاسم ، فمصالحها وحدها هي التي أخذت بعين الاعتبار في المعاهدات السرية المعقدة فيما بينها .

وعلى موازاة مراسلات حسين - مكمahon دخلت انجلترا وفرنسا في اتصال مباشر . ففي (٢ تشرين الثاني ١٩١٥) باشر الدبلوماسيان : جورج بيكون عن فرنسا ومارك سايكس عن بريطانيا بإجراء مباحثات تمت في لندن ، وأسفرت عن عقد اتفاق أصبح بعد قليل اتفاقية وقعت عليها الحكومتان في (١٦ أيار ١٩١٦) وعرفت باتفاقية سايكس - بيكون .

تنص الاتفاقية على تعين المناطق العثمانية العائدة لكل من فرنسا وبريطانيا بين الأناضول التي تركت للأترالك وبين الحجاز التي اعترف باستقلالها «كمملكة عربية» تحت قيادة الشريف حسين وذلك على أساس خمس مناطق حدّدت على خريطة ملونة بالشكل التالي :

---

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ .

- « ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميما دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) داخلية سورية و (ب) داخلية العراق... ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولأنكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية ، وتفرد فرنسا في منطقة (أ) وإنكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية .

- يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولإنكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية .

- تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء ومثلي شريف مكة » (١٠٥) .

ومن جهة أخرى كانت بريطانيا تعمل في هذا الوقت ، على استخدام كل المعطيات وكل تناقضات الوضع العالمي والعربي في مصلحتها . وكانت الحركة الصهيونية النامية تقدم بدورها لبريطانيا « معطى » عظيم « الفائدة » . ففي تشرين الثاني من عام (١٩١٤) كان قد اتصل هربرت صموئيل أحد زعماء الصهيونية بادوار غراري وزير خارجية حكومة لندن وحثه على تبني قيام « دولة يهودية في فلسطين تكون حلية لبريطانيا وعلى مقربة من مصر ومن قنال السويس ، وأن يسعى للحوّل دون قيام دولة عربية مستقلة في سورية والعراق ، لأن مستقبل تحقيق الدولة اليهودية يتوقف على مدى قوة جيرانها العرب أو ضعفهم » (١٠٦) . وكان أن وافق غراري على الوجهة العامة لهذا

---

(١٠٥) ورد نص المعاهدة كاملاً في أنطونيوس . الملحق ص ٥٧٩ - ٥٨٢ . أوردنا البنود الأساسية من المعاهدة مع أنها منشورة في الكثير من المراجع ، وذلك كي تسهل متابعة تطور مشاريع التقسيم الامبرالية للمشرق العربي .

(١٠٦) اسماعيل عادل ، السياسة الدولية في الشرق العربي ، ج ٤ ص ٢٣٢ .

المشروع وتم الاتفاق بينه وبين اللجنة الصهيونية في لندن «على ألا تمنع فلسطين استقلالها السياسي قبل أن يدخل إليها عدد من اليهود ، لأنهم فيها آنذاك قلة ضئيلة ضعيفة لا تتعدي (٤٪)»<sup>(١٠٧)</sup> . وبعد سلسلة من مداخلات بريطانيا مع فرنسا وافقت فرنسا على قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وبعد مداولات وأخذ ورد بين اللجنة الصهيونية حول مضمون النص الذي يمكن أن يشكل وعداً رسمياً من قبل الحكومة البريطانية وضع النص - الوعد في (١٧ تشرين الأول ١٩١٧) .

أما بشأن تناقض هذه الاتفاقيات والوعود مع التحالف البريطاني - العربي فقد عبر سايكس عن لا مبالاة بريطانيا بذلك بقوله : «ان رجال الثورة بحاجة اليوم لبريطانيا أكثر مما هي بحاجة إليهم ، ولا يسعهم بأي حال الاستغناء عن الأموال الطائلة التي تغدقها عليهم . وأن العرب عامة في وضعهم السياسي والاجتماعي لا يشكلون أي خطر آني أو في مستقبل قريب على مصالح التاج . ناهيك عن الانقسامات القبلية والحزبية والإقليمية المستحكمة فيما بينهم ، والتي تجعل وحدتهم الفعلية أمراً مستبعداً . ولذا فإنهم لن يقوموا بأي عمل عدائي رضين ضد بريطانيا واليهود غير الاحتجاج الكلامي وسيقبلون أيما تفسير تعطيه حكومة صاحب الحال لـ هذا التصريح»<sup>(١٠٨)</sup> .

وبالفعل هذا ما حدث على مستوى قيادة الانتفاضة العربية عندما انكشفت اتفاقية سايكس - بيكون وسمعت بوعده بلفور . فمن المعروف أن اتفاقية سايكس - بيكون لم تبق سراً . وفي تشرين الثاني (١٩١٧) حلت الثورة الروسية الحزب البلشفى إلى الحكم ، وكان أن عقد هذا الأخير معاهدة صلح مع ألمانيا ، وقام بنشر المعاهدات السرية المعقودة بين حكومة القيصر وبين دول الحلفاء ، ومن بينها اتفاقية سايكس - بيكون . فحاول الأتراك عبر حملة دعائية كثيفة الاستفادة من الوضع لعقد مصالحة مع العرب ، وتشكيل

(١٠٧) المرجع نفسه ، ص ٢٣٢ .

(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ٢٣٨ .

جبهة موحدة ضد «الحلفاء». لذلك نشروا صيغة الاتفاقية، وبدأت محاولات جدية في آب (١٩١٨) تسعى لتوحيد الصف<sup>(١٠٩)</sup>. لكن الشريف حسين بداعي الطموح الشخصي ، والتورط العسكري والمالي في المشروع البريطاني، رفض عروض الأتراك وصدق تفسير لندن وطمأنات لورانس<sup>(١١٠)</sup>.

وهكذا كان الأمر بالنسبة لوعد بلفور ، فرغم أنه «هزّ الضمير العربي ، وتعالت الاحتجاجات في دار الاعتماد في مصر» فإن بريطانيا بريطانيا مالياً وعسكرياً قيادة الحركة العربية استطاعت ضبط ردود الفعل وتحويلها إلى سجال قانوني ومسألة موائق وعهود . «وهكذا فيما راح الصهيونيون ينظمون صفوفهم لوضع تصريح بلفور موضع التنفيذ ، كان زعماء العرب يصرؤن على

---

(١٠٩) ثمة عرض لمحاولات جال باشا لعقد صلح مع العرب على أساس الاعتراف باستقلالهم معروضة في : انطونيوس ج . يقطة العرب ، ص ٣٥٨ - ٣٦٢ .

فبعد أن بعث جال باشا إلى فيصل رسالة يفضح فيها أسرار الاتفاقية الانكليزية - الفرنسية - الروسية ، ويعرض على الشريف حسين الصلح ، ألقى في ٤ كانون الأول ١٩١٧ خطبة ندد فيها بموقف الشريف حسين ، وعمم على الرأي العام العربي موقفه الداعي إلى الصلح (راجع انطونيوس ص ٣٦٠ - ٣٦١). كذلك يذكر أمين سعيد في كتابه «أسرار الثورة العربية» خبر محاولة للتوفيق بين العرب والترك قام بها الأمير سعيد الجزايري من طرف جال باشا في صيف ١٩١٨ . يورد المؤلف نص الكتاب الذي بعثه جال باشا إلى الأمير فيصل ، ومحاولات الأمير سعيد الاتصال بفيصل واقناعه بفائدة الصلح . راجع : سعيد أمين ، ص ٢٢٨ - ٢٣٢ .

(١١٠) أرسل الحسين إلى نائب الملك في مصر يسأله عن الاتفاق وعن نصيبيه من الصحة . وهذا هو الرد الذي تلقاه من وزارة الخارجية البريطانية : «ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بيرو غرداً معاهداً ، بل محاورات ومدادن مؤقتة دارت بين إنكلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لتذليل المصابع بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية . وإن جال باشا أما عن خبث أو جهل غير في مقداصها الأساسية وأهلل شروطاً فيها تقضي برسا الأهالي وحماية مصالحهم . كما تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجدا حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية » . سعيد ، أمين ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

أنه لاغ من الناحية القانونية . وما جاؤوا هذا الموقف السلبي » . « وعلى هذا تابعوا ثورتهم على الترك ، ومضى فيصل في تقدمه مع الجيوش البريطانية نحو الشمال باتجاه دمشق » (١١١) .

ضمن هذا الوضع ، ما كان بإمكان القيادات السياسية المحلية والتي كانت « تُفصّل » المشاريع السياسية المناقضة « لدولها » « العربية » أو « السورية » أو « اللبنانية » إلا أن ترخص في نهاية الأمر لمتطلبات « قوانين اللعبة الكبرى » للأمبرياليات .

نقول ذلك دون أن ننسى ذكر « اتجاه قومي عربي جنيفي » كان يحاول أن يستقل عن وصاية الأمبرياليات ، وكان قد بدأ بالظهور والتكون على قاعدة معاوأة الاستعمار الغربي ، والتصدي لمشاريعه الاحادية والتقطيسمية . لقد شكل الاحتلال الأوروبي للمشرق العربي والوقوف في وجه مشروع بناء دولة عربية مستقلة في سوريا ، مرحلة تبلور هذا الاتجاه .

---

(١١١) اسماعيل عادل ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .



## الفصل السابع

توازناتٌ دولية

وتجزئة سياسة إقليمية لسوريا

( ١٩٦٠ - ١٩٦٨ )

اعلان دولة لبنان الكبير



-١-

## مشاريع مرحلية لتنظيم الادارة في سوريا بعد احتلال مباشرة

قامت أول محاولة لتنظيم الادارة في سوريا قبيل دخول القوات العربية - الانكليزية الى دمشق بيومين تقريباً ، أي في (٢٩ أيلول ١٩١٨) . فقد بادر الأمير سعيد الجزائري إثر جلاء القوات التركية إلى تحرير ميليشيا مغربية كانت في أمرة عائلة الجزائري منذ زمن ، وإلى عقد « مجلس شورى » في دمشق اختير فيه الأمير سعيد رئيساً للحكومة . وكانت الخطوة الأولى رفع العلم العربي ، وارسال برقيات إلى بلدات المدن والقرى السورية يعلن فيها انهزام الجيش العثماني ، وقيام حكومة عربية في دمشق باسم الشريف حسين ، ويطلب من رؤساء البلدات تمثيل هذه الحكومة في مناطقهم (١) .

(١) غنوج من هذه البرقيات التي أرسلت إلى جبل لبنان « أعلنت سوريا الاستقلال العربي . شتنا جيوش الترك . وكل الوفود تذهب إلى بعدها لتشكيل حكم مطلق . الحمية العربية يا شباب . أنتم عرب . والله كفيل كل شيء . أقيموا المظاهرات ، دخل مولانا الشريف الأمير فيصل ، ابن مولانا السلطان الأول للم دمشق الشام بمختلف لم تشهد له سوريا نظير ، والجيوش العربية ملأت السهل والجبال . لا تخافوا . أبطشوا بكل معاكس . أريقوا الدم ولكن بعدل . احفظوا الأرواح لبقية المذاهب . هم أخواننا بالوطنية . فليحيي الاستقلال ، فليحيي مولانا سلطان العرب ١٠ تشرين ٣٣٤ ، نائب سلطان العرب ورئيس الحكومة الأمير سعيد الجزائري » .

غير أنه بعد دخول القوات العربية والقوات البريطانية إلى دمشق في أول تشرين الأول بادر لورانس - ولم يكن قد وصل إليها الأمير فيصل - إلى عزل الأمير سعيد، وإلى تولية شكري الأيوبي، ثم رضا الركابي ، أمر إدارة المدينة بواسطة القوات العربية ، بينما انسحبت القوات البريطانية إلى جنوب المدينة<sup>(٢)</sup> .

في (٣ تشرين الأول) وصل النبي القائد العام لقوات الحلفاء في الشرق إلى دمشق ، ثم تبعه الأمير فيصل . وشكلت الاجراءات التي اتخذها النبي الصبغة الأولية لتطبيق الخطوط العامة من اتفاقية سايكوس - بيكون ، لكن دون أن يقدمها على أنها نتاج اتفاق سابق يكرس حقاً من الحقوق لأي طرف . فقد اعتبر البلاد التي جلا عنها الأتراك « أراضي العدو المحتلة » . وقسمها إلى ثلاثة مناطق وثلاث إدارات :

- ١ - المنطقة الجنوبية وتشمل متصرفية القدس ، ولواء عكا ونابلس ، وتوضع تحت الادارة البريطانية .
- ٢ - المنطقة الشمالية ( التي أصبحت تعرف بالغربية ) وتوضع تحت الادارة الفرنسية .
- ٣ - المنطقة الشرقية وتوضع تحت الادارة العربية ، وشملت ولاية دمشق ، والقسم الجنوبي من ولاية حلب ووضعت تحت الادارة العربية<sup>(٣)</sup> .

وفقاً لهذه الاجراءات التي اعتبرها النبي محض عسكرية ، اعتبر نفسه بصفته القائد العام لقوات الحلفاء ، الحاكم العسكري الذي تتبع له الإدارات الثلاث . وبذلك يكون الأمير فيصل بصفته قائد القوات العربية حاكماً على المنطقة الشرقية ومسؤولاً أمام الجنرال النبي .

= - أرشيف مديرية الآثار - بيروت - وثيقة رقم ١٥٨٥٣ راجع الملحق رقم ٥ .

(٢) خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٤٩ -

٥٠

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٣ .

غير أن حسابات القوى المختلفة كانت تذهب باتجاهات متناقضة . «ففيصل كان قد أعلن باسم والده في بيانه إلى الشعب السوري يوم ٥ تشرين الأول قيام حكومة عربية مستقلة . . . شاملة جميع البلاد السورية ، وعهد إلى الركابي بالقيادة العامة ». أما الفرنسيون فقد «عارضوا منذ البدء اقامة هذه الدولة الجديدة »<sup>(٤)</sup> .

أما في المنطقة السورية الساحلية ، فكانت قد تشكلت منذ نداء الأمير سعيد الجزائرى ، ادارات عربية تمثل سلطة دمشق الجديدة ، وفي بيروت قام رئيس البلدية عمر الداعوق بمحاولة تنظيم حكومة عربية محلية ما لبثت أن تعززت بوصول شكري الأيوبي على رأس حامية تتألف من (١٠٠) جندي (في ٤ تشرين الأول) ، فرفع العلم العربي على مبني البلدية ، واتخذت الخطوة نفسها في بعدها . فرفع العلم العربي على السراي وبعث مجلس الادارة من جديد برئاسة حبيب باشا السعد<sup>(٥)</sup> .

واتخذت الخطوات ذاتها في كل من صيدا وصور ومناطق جبل عامل . يحدثنا محمد جابر آل صفا عن ذلك : «في (٥ تشرين الأول ١٩١٨) قدم النبطية كامل بك الأسعد يصحبه السيد ايليا الخوري مندوب الأمير فيصل تحقق أمامه الرأية العربية المربعة الألوان التي رفعت لأول مرة في ربوع جبل عامل ، وركزت في أعلى دار آل الفضل . وكانت حكومة صيدا بعد جلاء الترك يديرها رئيس البلدية فتنجحى عنها ، وانتخب الأعيان لرئاسة الحكومة في

(٤) المرجع نفسه ، ص ٥٥ .

(٥) بهم محمد جليل ، العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، ص ٧٨ ، كذلك الخوري بشارة ، حقائق لبنانية ، ص ٩٢ - ٩٣ .

كتب محمد جابر آل صفا ، صاحب كتاب «تاريخ جبل عامل» حول هذا الاجراء : «تألفت الحكومة العربية في بيروت بعد انسحاب الوالي اسماعيل حقي بك ورجال حاشيته من : عمر بك الداعوق يعاونه سليم بك علي سلام ، وأحمد مختار بهم ، وجان فريج ، والفرد سرسق ، وغيرهم من وجهاء بيروت ولبنان ». ص ٢٢٢ .

صيدا رياض بك الصلح ، وتشكلت حكومة صور برئاسة الحاج عبدالله يحيى خليل »<sup>(٦)</sup> .

على أن هذه المبادرات لم تدم طويلاً . فمن جهة كانت فرنسا تسرع الخطى لتسليم «حصتها» في سوريا الغربية . ومن جهة أخرى كان اللبناني يحرص على ارضاء الفرنسيين في حدود هذه المنطقة . فما أن نزلت القوات الفرنسية في بيروت في (٨ تشرين الأول) ، حتى طلب اللبناني من فيصل سحب ممثله من بيروت والغاء كل المظاهر العربية والتدابير الادارية التي اتخذت في تلك المنطقة . وكبديل للادارات العربية المحلية عين ضباطاً فرنسيين حكامأً عسكريين على كل من بيروت والجبل وصيدا وانطاكية واللاذقية . واستصدر هؤلاء باسم القائد العام أمراً عمم على المناطق بواسطة القوات العسكرية الفرنسية «يمنع الاجتماع العام ، والمظاهرات السياسية من أي نوع كانت ، ومن خالف ذلك عد مسؤولاً ومستهدفاً للجزاء»<sup>(٧)</sup> .

هذا ، لكن الصراع بين قوى هذا التنظيم الاداري الذي شمل سوريا استمر . فكل طرف يصارع من موقعه وأهدافه ، وبأدواته ووسائله التي يملكتها . ففي حين استمرت الحكومة العربية في تدابيرها متاجهله في اطار منطقتها وصاية الجنرال اللبناني<sup>(٨)</sup> ، حاولت بريطانيا من جهتها «غض النظر» عن ذلك ، بغية استخدام «الحكومة العربية» ورقة للضغط على فرنسا بهدف الحصول على تعديل في اتفاقية سايكس - بيكر يضمن لبريطانيا الحق الموصى الذي اعتبر في الاتفاقية من ضمن الدولة العربية ، ويكرس الوجود البريطاني في فلسطين التي اعتبرت منطقة دولية<sup>(٩)</sup> .

---

(٦) محمد جابر آل صفا ، تاريخ جبل عامل ، ص ٢٢٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٨) راجع خيرية قاسمية ، الحكومة العربية ، ص ٥٥ .

- Papers relating to the foreign relation of the United states , vol. v , washington<sup>(٩)</sup> 1964 , p. 763.

ومن جهة أخرى كانت فرنسا قد أطلقت على لسان رئيسها كليمونصو نظرية « التوازن بين الدول » ، « الذي لا يمكن أن يتحقق الا على أساس الوفاق بين الدول الكبرى »<sup>(١٠)</sup> .

هذا الموقف الفرنسي الذي أعلنه كليمونصو في خطابه الذي ألقاه أمام البرلمان في (٣٠ كانون الأول ١٩١٨) ، أثار موجة من التساؤلات والتعليقات بين وفد مؤتمر الصلح في باريس . وكان الرئيس ويلسون قد أدان نظرية « التوازن » هذه ، معتبراً ايها جزءاً من « هذا النظام العالمي القديم المسؤول عن واقع الأشياء التي أدت إلى الحرب »<sup>(١١)</sup> . وكبديل لهذا الأسلوب نادى الرئيس ويلسون بنظرية « حق الشعوب في تقرير مصيرها » وأسلوب « المساعدة الاقتصادية والتقنية » في التعامل مع الدول الجديدة<sup>(١٢)</sup> .

لكن تصريح ويلسون « عن حق الشعوب في تقرير مصيرها » أثار ردود فعل عديدة ، ان على مستوى الأطراف الرسمية لمؤتمر باريس ، أو على مستوى « الوفود » غير الرسمية التي تمثل « قوميات » و « أثنيات » و « طوائف دينية » جاءت تطالب « بحقها في تقرير مصيرها ». فقد كتب روبير لانسينغ ، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية والذي لم يكن موافقاً على وجهة نظر

(١٠) - Lansing Robert, *Mémoires*. p. 67

(١١) - Ibidem, p. 67.

(١٢) يطرح التوجه الأميركي شكلاً حديثاً من أشكال الهيمنة الاميرالية تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية من خلاله وعلى أساس موقعها الرأسمالي المهيمن ، الدخول في سياسة الاستيلاء على المستعمرات بمنطق مختلف عن السياسة الكولونيالية التقليدية التي كانت لا تزال الدبلوماسية الفرنسية تذهب في تبني أشكالها عبر تصريحات مسؤoliها .

وإن مشاريع الدول التي طرحت في سياق الحرب وما بعدها ، شكلت بالنسبة للسياسة الأمريكية التي مثلها ويلسون آنذاك ، « أشكال دول تابعة » للمركز الغربي الذي يمكن أن يسيطر على استثمارات المواد الخام وعلى حركة التصدير والاستيراد ، وعلى الادارة المحلية من خلال « المساعدة الاقتصادية » « والاقتصاديين » « والمستشارين » في « اتحاد كونفدرالي عربي » طرحة يومذاك قسم الاستخبارات الأمريكية . راجع نص وثيقة قسم الاستخبارات في زين نورالدين زين ، *الصراع الدولي* ، ص ١٠٢ .

ويسون عاكساً ردود الفعل تلك : « عندما تحدث ويسون عن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، أي وحدة تلك التي فكر بها ؟ وهي وحدة عرق ، أو مساحة معينة من الأرض ؟ أو جماعة معينة ؟ . اذا لم نحدد هذه الوحدة فان تطبيق ذاك المبدأ خطير على السلام وعلى الاستقرار ». ثم يكمل : « بعد عشرة أيام ، أي في (٣٠ كانون الأول) ، انتشرت صيغة ويسون انتشاراً واسعاً في الصحف وبين أعضاء بعض الجماعات والوفود غير الرسمية التي جاءت تسمع صوتها في المؤتمر . وهذا ما جعلني أكتب من جديد : كلما فكرت باعلان ويسون .. ازدلت اقتناعاً بخطر غرس هذه الأفكار في رأس بعض الاعراق . انه سيعتبر عن ذلك مطالب يستحيل تحقيقها بواسطة المؤتمر واضطرابات في العديد من البلدان »<sup>(١٣)</sup> .

وهكذا ، صحيح أن الجنرال اللنبي كان قد ثبت «حق» فرنسا في المنطقة «الزرقاء» التي نصت عليها اتفاقية سايكس - بيكون ، لكن مصير «المنطقة الشرقية» التي يديرها فيصل والتي تشكل قسماً من «منطقة الامتياز الفرنسي» ، من جهة ، ومصير الموصل وفلسطين ومطامع بريطانيا بها من جهة ثانية ، أدخل دول الحلفاء ، لا سيما بريطانيا وفرنسا مع ابتداء عام (١٩١٩) مرحلة منافسة حادة كان مسرحها الرئيسي مؤتمر باريس واحدى أسلحتها الاتجاهات والتيارات السياسية المحلية التي حملها مثلو «القوميات» و«الجماعات الطائفية».

- Lansing Robert, op.cit ; p. 82.

(١٣)

## الوفود غير الرسمية في مؤتمر باريس الاتجاهات السياسية المحلية ومتطلبات "الدول الكبri"

لقد مثل الشريف حسين في مؤتمر باريس الأمير فيصل . وفي اليوم الأول من (شهر كانون الثاني ١٩١٩) قدم الأمير للمؤتمر مذكرة أولى جاء فيها : «لقد جئت أوروبا مثلاً والدي وبالنيابة عن عرب آسيا .. وهم يتوقعون من الحلفاء أن ينظروا إليهم على أنهم شعب واحد .. ويطالعون الحلفاء بآلا يتخذوا خطوات من شأنها أن تتعارض مع آمالهم في أن تتحد هذه الأقطار يوماً تحت ظل حكومة واحدة ذات سيادة»<sup>(١٤)</sup> . في (٢٩ كانون الثاني ) قدم لمؤتمر الصلح مذكرة ثانية أكد فيها على مطلب «الاستقلال والوحدة» مستنداً إلى مبادئ الرئيس الأميركي ولسن<sup>(١٥)</sup> . وقد اعترف في معرض عرضه لمطلب استقلال العرب بحق بريطانيا في أن تقوم بدور «ممتاز» في العراق . وبضرورة قيام نظام خاص في فلسطين ، وحكم ذاتي في جبل لبنان بموازنة فرنسا<sup>(١٦)</sup> .

(١٤) استناداً : زين نور الدين زين ، الصراع الدولي ، ص ١٠٢ .

(١٥) المرجع نفسه ، ص ١٠٢ .

(١٦) بهم محمد جليل ، المعهد المحضر ، ص ٨٧ .

غير أن فرنسا كانت تعتبر وجود فيصل في مؤتمر باريس مجرد مناورة انجليزية تبغي تقليل النفوذ الفرنسي في سوريا وقصره على «المنطقة الغربية»<sup>(١٧)</sup>. لذلك كانت السلطة العسكرية في بيروت وجبل لبنان قد بادرت إلى تحريك المجلس الإداري حيث تشكل وفد من أعضائه موال لفرنسا ضم : داود عمون ، أميل اده ، نجيب عبدالملاك ، عبدالحليم الحجار ، قدم في المؤتمر مذكرة شملت المطالب التالية :

- ١ - توسيع جبل لبنان وفق حدوده التاريخية والجغرافية ، ومصالحة الاقتصادية حتى يكون باستطاعته أن يشكل وطناً قادرًا على توفير أسباب رزق شعبه ومصالح حكومته .
- ٢ - دعم استقلال هذا البلد وحق مواطنيه في الإشراف على أعماله الإدارية والحكومية .
- ٣ - تأليف برلمان يقوم على مبدأ التمثيل النسبي وذلك لحفظ حقوق الأقليات .
- ٤ - طلب مؤازرة الدولة الفرنسية لتحقيق هذه التمنيات ، ومساعدتها على نشر العلوم بواسطة الإدارة المحلية ، وعلى تطبيق مبادئ الحرية والأخاء والمساواة ، وضمان استقلال الوطن»<sup>(١٨)</sup> .

غير أن هم فرنسا لم يكن ينصب على جبل لبنان ، ومطلب توسيعه فحسب . بل إن «سوريا» بكمالها شكلت موضوع الاهتمام الفرنسي . لذلك كان لا بد أن يرفع صوت «اللجنة المركزية السورية» في باريس ، في وجه المشروع «الإنجليزي - الشريفي» على حد تعبير الدبلوماسيين الفرنسيين . فكان أن دعي شكري غانم رئيس اللجنة ، إلى المؤتمر ليقوم بعرض «مطالب السوريين» من وجهة نظر فرنسا . لقد استغرقت قراءة المذكرة التي رفعها رئيس اللجنة أكثر من ساعتين ، أكد فيها شكري غانم أن «اللجنة» «تمثل على أقل

---

= وقوافل العروبة ، ص ٣٧ .

- Bruneau A., op. cit ; P.P. 295 - 296.

(١٧)

(١٨) الخوري بشارة ، حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

تقدير مليوناً من السوريين<sup>(١٩)</sup> . وادعى أن مطالب هؤلاء تتحضر في « إقامة دولة سورية كاملة في إطار حدودها التاريخية والطبيعية » وهم يرفضون وضع هذه الدولة تحت السلطة العربية كما هو مذكور في البرنامج المجازى ، وذلك تطبيقاً للمبدأ الذي يقول : ان الشعوب المتحضرة يجب ألا تخضع في قليل أو كثير لغيرها من الشعوب البربرية<sup>(٢٠)</sup> . أما عن دولة الانتداب المقترحة فيؤكد شكري غانم أن هذه الدولة لا يمكن أن تكون إلا فرنسا « التي أشبعت السوريين بثقافتها ، وجعلت من لغتها اللغة السائدة ، وأدت العديد من الخدمات لسوريا التي حافظت على علاقات ود معها جيلاً بعد جيل »<sup>(٢١)</sup> .

أما الموقف الأميركي ، فقد أخرج « محلياً » - بعد تصريح ويلسون وتوصية قسم « الاستخبارات الأميركية » الداعية إلى إنشاء « اتحاد كونفدرالي عربي » يضم « الدولة السورية »<sup>(٢٢)</sup> - عبر دعوة الدكتور بلس ، رئيس الكلية السورية في بيروت ، الذي دعي ليدي برأيه في المؤتمر . ونظراً لعلاقات هذا الأخير مع مثقفي ووجهاء بيروت ، مسلمين ومسيحيين ، سمح لنفسه أن يتحدث « باسم السوريين » فيطالب بالنيابة عنهم « بارسال لجنة حيادية مختلطة تمثل الحلفاء ، إلى سورية لتفتح المجال أمام الأهلين في سورية وفي لبنان أيضاً للتعبير بحرية ودون أي عائق عن وجهة نظرهم السياسية وعن أماناتهم بالنسبة إلى نوع الحكم الذي يرغبون ، وبالنسبة إلى الدولة الحامية إذا شاؤوا ذلك .. »<sup>(٢٣)</sup> .

(١٩) إن موقف شكري غانم التحمس أشد الحماس لفرنسا كان موضوع سخرية من قبل الرئيس ويلسون . فقد دفع طول المذكرة والأسلوب الأدبي المحتو مدخلاً مبالغًا لفرنسا ، هذا الأخير أن يترك مقعده ، ويتوجه إلى النافذة متظاهراً بالاهتمام بالمناظر الخارجية . لا سيما بعد أن همس في أذنه أن المتحدث لا يعرف العربية وليس له أية علاقة بالداخل . راجع : زين نور الدين زين الصراع الدولي ، ص ١٠٥ .

(٢٠) - D'après Samné G., op. cit ; P.P. 544 - 545.

(٢١) راجع نص التوصية في : زين نور الدين زين ، الصراع الدولي ، ص ١٠٢ .

(٢٢) المرجع نفسه ص ١٠٤ .

هل كانت الولايات المتحدة تزيد آنذاك أن تكون هذه الدولة الحامية؟ ليس هناك ما ينافي هذا الافتراض . فلقد بدأنا نسمع صدى هذا المشروع عبر موقف مجموعة «المقطم» في مصر . لقد بدأ فارس غر واصدقاؤه بحملة صحافية في القاهرة تطالب «بوصاية الولايات المتحدة الأميركية على سوريا». وحاجتهم في اطلاق هذه الدعوة «ان ضمان وحدة سوريا بصورة متكاملة يقضي بـألا تكون الدولة المنتدبة مرتبطة بمعاهدات سابقة». ويشرح فارس غر مبررات هذا الموقف كما يلي : «تعلن بريطانيا أن ليس لها مصالح على الاطلاق في سوريا . لكن المستقبل لا يستطيع تأكيد مثل هذه التصريحات . أما فرنسا فلديها أيضاً بعض التعهدات لبريطانيا بخصوص تدوين فلسطين (...). ليس هناك من يفوتي في الاعجاب بزايا الشعب الفرنسي العالية وبعقربيته الفذة . لكن أعطوني دليلاً رسمياً واحداً يثبت بأن فرنسا لن تسمح بانفصال فلسطين عن سوريا تحت أي شكل من الأشكال . وأكون أول من ينادي بوصايتها». ويستنتج فارس غر : «في مثل هذه الشروط لا يبقى أمام السوريين أية وسيلة أخرى لحفظ وطنهم كاملاً وصون وحدتهم ، سوى طلب وصاية الولايات المتحدة »<sup>(٢٣)</sup> .

ان مثل هذا الاتجاه المعتبر «اميركيّاً» من قبل الدبلوماسية الفرنسية يرتبط ليس فقط بموقف مجموعة «المثقفين المسيحيين» الذين درسوا في «الكلية السورية» ، بل بموافقتة واسعة من المثقفين والوجهاء المسلمين في بيروت وبعض المدن المشرقية الأخرى من اكتسبوا «للدعائية الأميركية» عبر الدور «الثقافي والتعليمي» الذي قام به «الكلية البروتستانية السورية»<sup>(١٤)</sup> .

وهكذا ، فإن الاقتراح الأميركي بارسال بعثة استفتاء إلى سوريا

: (٢٣) من مقالة كتبها فارس غر في :

- Journal du Caire , 6 Mars 1919.

واردة في :

- Samné G. , op. cit ; P.P. 547 - 548.

- Gontaut Biron, **Comment la France s'est Installée en syrie**, p. 247.

(٢٤)

وبالانجداب نحو الولايات المتحدة الأمريكية الذي بدأ يكسب الكثير من المؤيدين في الداخل ، وتحول الأمير فيصل نحو المراهنة على التدخل الأميركي ، كل هذا كان من شأنه أن يشكل ازعاجاً ومصدراً فلقي للسياسة الفرنسية و «مشروعها السوري»<sup>(٢٥)</sup> .

ولم يملك المندوبون «المحليون» (وفد المجلس الإداري واللجنة المركزية السورية) الذين تدخلوا لصالحها في المؤتمر وزناً شعبياً داخلياً يتبع اصداء دعائية كافية «للمشروع الفرنسي» ، لذلك كان من الضروري موازنة الثقل الأميركي عبر تقديم مندوبين محليين من ذوي الوزن المعنوي والسياسي الفاعل في الداخل وفي المؤتمر.

كانت المهمة سهلة جداً على فرنسا انطلاقاً من واقع جبل لبنان : فوضع الجبل بعد الحرب كان شبيهاً جداً بوضع سنوات (١٨٦٠ - ١٨٦١) . كانت الحرب قد خلقت خوفاً عميقاً بين الأهالي ، وخاصة في مناطق الجبل المسيحية ، حيث شكلت الزراعة التجارية الوحيدة الجانب المصدر الاقتصادي الوحيد تقريباً . وكان ان قدمت الأزمة الاقتصادية القاتلة ومظاهر المجاعة على أنها جمعتها «نتيجة تامر الأتراك المسلمين ضد المسيحيين»<sup>(٢٦)</sup> .

وبالمقابل ، كانت محاولات علاج نتائج الأزمة والمجاعة على الصعيد «الإنساني» تبرز الوجه «الطائفي» لردة فعل الموارنة . فالبطريرك الياس الحويك كان «يرسل أثناء الحرب مجموعات الاغاثة إلى قرى الجبل حيث تقوم بتوزيع الطعام وتخفيف الآلام»<sup>(٢٧)</sup> . وعندما دخل الجيش الفرنسي إلى بيروت والجبل ، بادرت السلطة العسكرية الفرنسية بتقديم المساعدات من مؤن ومواد ، ودعمت مشاريع رجال الدين الفرنسيين من مستشفيات ومستوصفات دور أيتام .. فبدأ الموقف بحمله موقفاً «طائفياً» : دعم

(٢٥) اسماعيل عادل ، السياسة الدولية ، الجزء الخامس ، ص ٢٧ .

- Couland j., *Le Mouvement syndical...*, p. 47.

(٢٦)

- Touma T., op. cit; T. II, p. 713.

(٢٧)

«مسيحي» لل المسيحيين مقابل الذكريات المرة العائدة لأيام «الأتراك المسلمين»<sup>(٢٨)</sup>.

نتيجة ذلك كله لم تزد حظوة فرنسا عند موازنة الجبل فحسب ، بل ترابطت بشكل عضوي في وعيهم ، فكرةً وصيغةً وشخصيةً ، صورة لبنان وفرنسا والبطريك<sup>(٢٩)</sup>.

اذن لم لا يعهد إلى البطريك نفسه بمهمة رئاسة «وفد لبنان» إلى مؤتمر باريس ؟ يحدثنا الرئيس بشارة الخوري في مذكراته عن اختيار البطريك لهذه المهمة فيقول :

« هذا ، وبالفرنسيين ظل مشغولاً قلقاً . لم يكونوا أمينين على نتائج مساعيهم المحلية فرجوا أن يذهب البطريك الياس الحويك الى باريس على رأس وفد من الألحبار والكهنة للمطالبة باستقلال لبنان برعاية الدولة الفرنسية ، أيضاً وأيضاً ، فنزل البطريك على رغبتهما وأبحر من جونية في أواخر صيف (١٩١٩) على مدرعة حربية ، وبasher مهمته بمزيد من الرصانة»<sup>(٣٠)</sup>.

---

- Couland J., op. cit ; p. 47.

(٢٨)

(٢٩) راجع حول صدى الدعم الفرنسي في أوساط الموارنة : الأب بيار غالب ، فرنسا صديقة ومحامية ، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

كتب الخوري يوسف الحداد معبراً عن فرح موازنة الجبل بتزويد الجيش الفرنسي : « لا تسل عن صدورنا كيف اتسعت ، وعيوننا كيف قرت .. وقلوبنا كيف رقصت .. ان لبنان كان ميتاً فعاش .. كنا قبل هنيئة نعاجاً بين ذئاب .. وها نحن أشبال حولنا أسود تزار .. أنا شارللان ، أنا لويس السابع ، أنا نبوليون ، أنا الجمهورية ، أنا بنت الرحمة ، أنا أملك ، ورفعت شارة مثلثة الألوان وضمت بها الجبل وقالت : أنا فرنسا ». من : « رسالة في نكبات لبنان مدة الحرب إلى المهاجرين » (بدون تاريخ) ، ص ٧٠ - ٧٢.

(٣٠) الخوري بشارة : حقائق لبنانية ، ص ٩٦ .

في (٢٩ تشرين الأول ١٩١٩) قدم البطريرك الياس الحويك مذكرة موسعة إلى المؤتمر يستعيد فيها المطالب التي رفعها وفد مجلس الإدارة برئاسة داود عمون ، ويضيف إليها «شروحات وتأكيدات» جديدة. «فاستقلال لبنان ليس استقلالاً نتج ببساطة عن عملية زوال السلطة العثمانية ، بل هو وبشكل خاص ، استقلال كامل حيال كل وجود عربي ينشأ في سوريا » .

« فاللبنانيون حسب ما ورد في المذكرة حافظوا دائمًا على هوية وطنية مميزة عن المجموعات المجاورة ». أما اللغة العربية التي يتحدث بها اللبنانيون فهي على حد تعبير المذكرة «لغة الفاتحين ، وقد شاعت بعد (٤٠٠) سنة من الاحتلال العربي ». أما ركائز هذه « الهوية الوطنية » فتبحث عنها المذكرة في «الاعتبارات» التالية : - «تاريخياً» «حافظ لبنان على استقلاله تمام حيال الفاتحين العرب والأتراء ، استقلال أكده النظام الأساسي الذي وضعه الدول العظمى عام (١٨٦٠) ». - «سياسياً» «ارتکز هذا الاستقلال على مؤسسة برلمانية خاصة ... ففي الوقت الذي كانت فيه سوريا تلقى مصير آية ولاية عثمانية .. كان لبنان ، وبالرغم من تضييق حدوده ، يتمتع بنظام تمثيلي حتى عشية الحرب ، ويحاول تطويره » - « ثقافياً » « بينما نجد التعليم والثقافة الأوروبية محدودي الانتشار في سوريا حيث يشكل العنصر البدوي القسم الغالب من السكان فيها ، يشكل لبنان على العكس مركز اشعاع للثقافة الغربية » .

ثم تقف المذكرة عند مطلب «تكبير لبنان» ، فتؤكد على « إعادة الأرضي التي سلخت عنه » ، وهي - كما تحددها المذكرة - : « سهول عكار في الشمال ، والبقاع ويعلوك في الشرق .. والتي بدونها يصبح لبنان سلسلة من الجبال التي تعجز عن تأمين حياة سكانها ... ان هذه المناطق يمكن أن تؤمن للبنان القمع الضروري لوجوده ، ثم ان مناطق أخرى (صور ، صيدا ، بيروت ، طرابلس) تشكل منافذ الطبيعية ، فهي أيضاً ضرورية لحياته الاقتصادية ... » .

أخيراً ، تؤكد المذكرة على « قبول مبدأ الانتداب » ، أما الدولة المتبدلة « فقد سبق أن اختارها لبنان بحماس ، إنها فرنسا ... » (٣١) .

توالت إثر ذلك المذكرات والبرقيات على مؤتمر الصلح في باريس من الداخل ، ومن الحاليات المسيحية المنتشرة في العالم ، تطالب باستقلال لبنان وتکبیره وانتداب فرنسا عليه (٣٢) .

ومن هذه المذكرات واحدة قدمها « مطران زحلة والبقاع » عن الروم الكاثوليك ، المطران سيريل مغبب ، تكشف بصراحة ارتباط مفهوم « الهوية اللبنانية » بالواقع المتميز بالغلبة الطائفية . تقول المذكرة : « في بلادنا : ان الطائفة الدينية هي التي تحدد وتصنف الهويات الوطنية ... هذا ما جعل مسيحيي سوريا يلتجأون منذ قرون إلى جبلهم هرباً من ظلم العرب المسلمين والأتراك ... واليوم ، إن أية محاولة لضم لبنان الكبير مع كل سكانه المسيحيين الى بقية سوريا تحت سيادة أمير عربي غريب يستلهم سلطته من العقيدة الإسلامية هي عمل خطر يتناقض مع الأهداف الإنسانية التي أعلنها المؤتمر ... ». أما عن وضع « مسلمي وعرب الداخل » فتشدد المذكرة على ضرورة أن تكون للمسلمين في لبنان الكبير وفي سوريا « سلطة خاصة » بهم . على أن يحافظ على العلاقات الاقتصادية بين مختلف السكان ، فتنمى هذه العلاقات حتى يمهد « الاتحاد الاقتصادي » « الطريق لاتحاد سياسي يقوم في إطار سورية كاملة ، فدرالية مستقلة » ..

« لكن بالانتظار ... ينبغي التدخل لدعم حق الأقلية التي هي سكان لبنان - الكبير (...) إذا كانت اليوم تطرح مسألة إيجاد موطن لليهود في

---

(٣١) مقتطفات من المذكرة التي قدمت بالفرنسية :

- Les Revendications du Liban : Mémoire à la délégation Libanaise à la conférence de la paix, le président de la délégation Libanaise Elias Pierre Hoyek, Paris 25 Octobre 1919.

أرشيف المكتبة الشرقية ، جامعة القدس يوسف ، بيروت .

(٣٢) نجد عددة من المذكرات والبرقيات محفوظة في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في باريس .

فلسطين - وهي بلد ليست لهم - فعري أن يترك لسكان لبنان - الكبير، بلدتهم هذا الذي هو لهم في كل وقت . لبنان كان دائمًا وأبدًا قلعة المسيحية في الشرق ، والسور الذي فصل الشعوب العربية عن الشعوب المسيحية . انه بتلقيه الصدمة الأولى للغزوat العربية والتركية استطاع باستمرار أن يوقف انطلاقها ، ويوفّر لأوروبا الوقت الكافي لمقاومتها » .

وتضيف المذكورة : « والآن أيضًا من يدرى مفاجآت المستقبل - ينبغي أن يبقى لبنان مرصدًا متقدماً ، طليعة متربقة ، وحصناً منيعاً ينذر في حال عودة مثل تلك البلاوي » .

وبعد أن تطالب المذكورة « باعادة بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا ومرايق بيروت وطرابلس وصيدا » وترجح أهمية هذه المناطق من الناحية الاقتصادية لعيش لبنان واستمراره ، تدعى المذكورة إلى « استقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي » « لبنان - الكبير الذي ليس هو إلا فينيقيا » (٣٣) .

وبعد أسبوعين تقريباً من تقديم مذكرة البطريرك الياس الحويك ، جاء جواب الرئيس الفرنسي كليمونسو في ( ١٠ تشرين الثاني ١٩١٩ ) حاملاً «الطمأنين» على « النجاح الكامل » لمهمة البطريرك وراسماً الخطوط الأولية للمشروع الفرنسي في خلق « لبنان - الكبير ». لقد كتب الرئيس كليمونسو إلى البطريرك : « ان المحادثات التي أجريتموها منذ وصولكم إلى باريس مع وزير الخارجية ومعي بالذات ، لا بد أن تكون قد أكدت لكم أن إيمان حكومة الجمهورية لم يزل ثابتاً بالعلاقات القديمة المتبدلة بين فرنسا ولبنان منذ عصور مديدة ، كما أن هذه المحادثات قد أكدت لكم أيضاً بشكل يقيني أن الحلول التي تبعها في مؤتمر السلام هي في معظمها متطابقة مع أمني الشعب الذي أنتم أعلى مثليه .. كما أن رغبة اللبنانيين في الحفاظ على حكومة وعلى دستور وطني مستقلين ، تتفق بشكل كامل مع التقاليد الفرنسية الليبرالية .

---

(٣٣) من مذكرة :

- Le Grand - Liban de Syrie à la conférence de la Paix , Paris Octobre 1919,  
Archevêque de Fourzol, Zahlé et la Békaâ - Liban cyrille Moughabghab.

سيطئون اللبنانيون بمساعدة فرنسا ودعمها ، إلى الحفاظ على تقاليدهم ، وتطوير مؤسساتهم السياسية والادارية ، واستعجال استثمار قيمة بلدتهم ، والى رؤية أطفالهم تعدهم مدارسهم بالذات إلى الوظائف العامة . ان فرنسا التي فعلت المستحيل عام (١٨٦٠) لتحقق للبنان أراضي أكثر اتساعاً ، لا تنسى أن تضيق المساحة الحالية ناتج عن القمع الطويل الذي عان منه لبنان .

« وبما أن فرنسا راغبة في تشجيع العلاقات الاقتصادية مع كل البلاد الموضوعة تحت انتدابها كأفضل ما يكون . فعند رسمها لحدود لبنان سنأخذ في الحسبان قبل كل شيء ضرورة الاحتفاظ بمناطق سهلية «للجبل» ومنفذ بحري ضروري لازدهاره » (٣٤) .

هذا ، وينبغي أن نلاحظ أنه في مجرى الصراع الذي قام بين «وفود الحلفاء» ، وحتى التطمئنات التي أعطيت للبطريرك من قبل كليمونسو ، تعاقبت وبوتيرة سريعة وقائع شكلت سلسلة الربط بين مراحل هذه الفترة . وأهم هذه الواقع : مواقف فيصل في أوروبا وفي سوريا ، ايفاد بعثة الاستفتاء الأمريكية ، «المؤتمر السوري العام» ، مسألة اجلاء القوات البريطانية من الداخل السوري .

## وضع فيصل في الخارج وفي الداخل

بعد أن عرض الأمير فيصل «القضية العربية» في مؤتمر الصلح من وجهة نظر ترجحت بين مطالب الحركة العربية في الوحدة والاستقلال وبين متطلبات السياسة البريطانية التي كانت تلح على العراق وفلسطين<sup>(٣٥)</sup> ، أخذ فيصل ينتقل بين لندن وباريس . وفي هذه الأثناء أفهمه الانجليز أن إنجلترا لا تستطيع أن تتنصل من تعهداتها لفرنسا فيما يخص لبنان وسوريا ، ولا من تعهداتها أيضاً للصهاينة فيما يتعلق بفلسطين . ولقد نصحه لويد جورج ، رئيس الحكومة البريطانية بمناقشة هذه المسائل مباشرة مع الرئيس الفرنسي كليمونسو ، كذلك مع وزير رئيس اللجنة الصهيونية<sup>(٣٦)</sup> . هذا ، وكان الموقف الأميركي بعد اقتراح مشروع اللجنة الدولية واقراره في آذار من عام ١٩١٩) ، قد قرب إلى حد ما موقف بريطانيا وفرنسا . فكان أن اتفق

(٣٥) صاحب أنيس ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١٣٧ .

(٣٦) المرجع نفسه ، ص ١٣٧ - ١٣٨ . ومن المفيد أيضاً مراجعة الفصل المهم الذي خصصه الدكتور عادل اسماعيل لمحادثات فيصل في أوروبا مع المسؤولين الأوروبيين والصهاينة في كتابه : السياسة الدولية الجزء الخامس ، ص ٢٦ - ١٣ .

الطرفان على رفض الاشتراك في هذه اللجنة والقيام بمحاولة تقرير « وجهي النظر العربية والفرنسية » فيما يخص مستقبل سوريا .

وبالفعل خلال اللقاء الذي تم بين فيصل وکليميصو في ۱۹ نيسان ۱۹۱۹ ، أعلم فيصل « ان الانجليز سينسحبون من الشام وحلب » وأن فرنسا ترغب « أن تقوم عساكرها مقام العساكر الانجليزية هناك ». و«لتطمئن» الأمير بأن مثل هذا الاجراء ليس احتلالاً أكد له کليميصو «أنا لا أود احتلال البلاد . واما أقول ذلك نظراً للحالة المراهنة ؛ فلو كان الأمر راجعاً إليّ، لما كنت اختللت معكم دقيقة واحدة ، بل كنت اتفق معكم على كل ما تريدون . غير أن الأمة الفرنسية لا يرضيها أن لا يكون في سوريا أثر يدل على وجود فرنسا فيها . فإذا لم تمثل فرنسا في سوريا بعلمها وعساكرها ، فإن الأمة تعد ذلك عاراً ، كفرار الجندي من ساحة القتال ». ثم أضاف : « على أنا لا نود أن نرسل قوة كبيرة ، بل نفراً قليلاً .. ولا مانع أن يوضع علمكم بجانب علمنا .. ». <sup>(۳۷)</sup>

هل كانت فرنسا تعترف وفق هذه الصيغة بالحكومة العربية ؟ يبدو أن هذا ما فهمه فيصل ، محاولاً في نفس الوقت المراهنة على دعم السياسة الأميركية <sup>(۳۸)</sup> .

وعلى كل حال ، ان مسألة ابدال القوات الانجليزية بقوات فرنسية في الداخل السوري سوف تتأخر أيضاً سبعة أشهر من تاريخ هذا اللقاء . وفي هذه الأثناء كان الهم المشترك بين الدولتين افشل التدخل الأميركي في سوريا . ذلك أنه إثر رفض الدولتين الاشتراك في بعثة التحقيق أصبحت هذه الأخيرة أميركية بحث . وكان الرئيس الأميركي قد عين مثليه في هذه اللجنة وأصر على اينادها إلى سوريا .

---

(۳۷) المصري ساطع ، يوم ميلتون ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ۱۱۳ .

(۳۸) صابغ أنيس ، الماشميون ... ص ۱۳۸ .

أما بالنسبة لفيصل المظاهر أبداً بتفاول في غير محله ، فقد وصل بيروت قادماً من فرنسا في ٣٠ نيسان ١٩١٩ بعد خمسة أشهر . وفي هذا الوقت كان الوضع الداخلي يمر بمرحلة توتر شديد . فقد انفجر الصراع بين مختلف الاتجاهات السياسية المحلية وبرزت مواقف مضادة متاخرة . فمن جهة كان «الاتجاه العربي» السائد على الساحل ، وفي داخلية البلاد ، وفي أوساط الجماهير الإسلامية على وجه العموم ، يتهم فيصل بأنه تخلى عن المطالب القومية و «باع الوطن لفرنسا وللصهاينة»<sup>(٣٩)</sup> . ومن جهة أخرى كان الاتجاه «اللبناني» - الفرنسي والاتجاه «السوري» - الفرنسي ، يشنان الهجوم الحاد على فيصل وينعته «بالغريب» و «البدوي» ، ويتهمنه بمحاولة احتلال «الوطن» الذي هو عند طرف : «لبنان» وعنده الطرف الآخر : «سوريا»<sup>(٤٠)</sup> .

في هذا الجو السائد عرفت السلطات العسكرية الفرنسية في بيروت كيف تستغل الوضع هي أيضاً لصالحتها الخاصة . فلكي تمعن في «احراق» فيصل أمام أنصاره وجماهيره من جهة ، وتسمع في آن واحد صوت أنصار فرنسا في لبنان ضد المشاريع السياسية العربية ، قامت باستقبال الأمير فيصل استقبال الملوك ، وأوزعت لأنصارها بتنظيم مظاهرة مسيحية في بعبدا تطالب «باستقلال» لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وترفض «الاحتلال العربي»<sup>(٤١)</sup> .

(٣٩) اسماعيل عادل، السياسة الدولية، الجزء الخامس، ص ٢٨.

(٤٠) ان مذكرات «اللجنة المركزية السورية» واللجان «اللبنانية» المختلفة مليئة بهذه النعوت والاتهامات .

(٤١) الخوري بشاره ، حقائق لبنانية ، جزء ١ ، ص ٩٥ . تورد المذكرات أحياناً كان يرددتها المظاهرون :

عيشي بدلي ما منحبا .  
نتظاهر ما منتخبنا  
يا منال الاستقلال  
يا منرحل عاوروبا .

لكن فيصل من جهته ، لم يأبه لوضعه المطوق من كل الجهات ولم تعن له شيئاً العوائق التي اصطدم بها أثناء جولته في أوروبا<sup>(٤٢)</sup> . فقد كان هم حين وصوله استيعاب الحركة العربية الآخذة بالتجذر ، وخاصة في أواسط المثقفين المسلمين ، وتغطية سياسته المترددة في أوروبا بحملة خطابية وجه فيها الأنظار إلى اللجنـة الأمـيرـكـية مـعـلـقاً عـلـيـها الـآـمـالـ الكـبـارـ . لقد ورد في البيان الذي أذاعه فور عودته في أول أيار ١٩١٩) : « هـا قـدـ عـدـتـ إـلـىـ الـوـطـنـ بـعـدـ أـنـ فـارـقـتـهـ خـسـةـ أـشـهـرـ . وـقـدـ أـلـبـغـتـ الـعـالـمـ الـمـتـمـدـنـ ماـ اـنـدـبـتـمـونـ إـلـيـهـ مـنـ بـيـانـ مـطـالـبـكـمـ . فـتـرـرـ مـبـدـيـاًـ اـسـتـقـلـالـ بـلـادـكـمـ ، وـصـحـتـ النـيـةـ عـلـىـ اـرـسـالـ لـجـنـةـ تـحـقـيقـ دـولـيـ تـحـقـقـ ماـ نـقـلـتـ إـلـىـ الغـرـبـيـنـ مـنـ رـغـائـبـكـمـ . وـسـتـصـلـ لـجـنـةـ فـيـ هـذـيـنـ الـأـسـبـوعـيـنـ . وـبـهـذاـ تـرـوـنـ أـنـ قـدـ تـمـ الـقـسـمـ الـأـعـظـمـ مـنـ الـمـهـمـةـ الـخـارـجـيـةـ الـتـيـ نـعـمـ لـأـجـلـهـاـ . ذـلـكـ بـحـسـنـ نـيـاتـ الـحـكـومـاتـ الـأـرـبـعـ الـمـعـظـمـةـ وـصـدـقـهـمـ فـيـ أـقـواـهـمـ ، وـغـسـكـهـمـ بـالـمـبـادـئـ السـامـيـةـ الـتـيـ جـعـلـوـهـاـ دـسـتـورـاًـ لـأـعـمـاـهـمـ وـطـبـقـاًـ لـأـمـانـيـ الـأـمـةـ»<sup>(٤٣)</sup> .

وفي خطبة ألقاها في بيروت وأمام جمهور شعبي حاشد أعلن فيصل أن «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى . ان العالم قد أعطانا الاستقلال ، ولكن يبقى علينا أن نأخذه وأن نطالب بالاستقلال الكامل المطلق . . .»<sup>(٤٤)</sup> .

واستطاع فيصل عبر حملة خطابية - تلك غاذج منها - أن يحتوي النسمة الشعبية ، ويقدم نفسه قائداً لحركة قومية توسيع قواها الشعبية ، وتحتاجز اطاراتها وقياداتها يوماً بعد يوم .

وفي (٥ أيار ١٩١٩) اغتنم فيصل وصول وفود مختلفة من مناطق سوريا إلى بهو دار الحكومة بدمشق ، «لملاقاته واداء التحية له» فطرح عليها

(٤٢) صابغ أنيس ، الهاشميون ، ص ١٣٩ .

(٤٣) ورد في : الحصري ساطع ، ميسلون ، ص ٢١٧ .

(٤٤) ورد بالفرنسية في :

- Samné G., op. cit ; p. 554.

سؤالاً، بعد أن عرض عليها باسهاب وبتفاؤل شديد، ما جرى في أوروبا، وكالالمديح للحلفاء، وأثني على «حسن نوايهم جميعاً». وكان يقصد من وراء السؤال تكريس قيادته للحركة السياسية عبرأخذ موافقة الوفود على استمرار مهمته: «هل تسمح الأمة بأن أدير الحركة السياسية الخارجية والداخلية بعد اليوم؟ وكان الجواب: «نعم، نعم، نعم» من قبل جميع الحاضرين<sup>(٤٥)</sup>.

---

(٤٥) راجع الحصري ساطع ، ميسلون ، ص ٢١٨.

ضمت الوفود بالإضافة إلى الشخصيات القادمة من المناطق السورية الداخلية ، شخصيات قدمت من فلسطين وجبل عامل ، وجبل لبنان وبيروت وصيدا وطرابلس . عن جبل لبنان حضر ابراهيم الخطيب الذي أعلن أمام الأمير : « ان جبل لبنان جزء متمن لسوريا لا ينفك عنها ». وعن بيروت رضا الصلح ، وعن صيدا رياض الصلح ، وعن جبل عامل : الشيخ عبدالحسين صادق ، وعن طرابلس الشيخ عبدالحميد المغربي .



## بعثة التحقيق الأميركية

(١٠ حزيران - ٢١ تموز ١٩١٩)

## والمؤتمر السوري العام

(٣ تموز ١٩١٩)

وصلت أخيراً البعثة الأميركية إلى يافا في (١٠ حزيران ١٩١٩) وبدأت أعمالها للتو. وزارت خلال شهر ونصف تقريباً (حتى ٢١ تموز)، حوالي (٤٠) مدينة. كما قابلت أعداداً مهمة من الزعماء والوجهاء في العديد من المناطق السورية. كما أنها استلمت ما يعادل (١٨٠٠) عريضة<sup>(٤٦)</sup>.

وما يلاحظ في هذه العرائض كما في أجوبة المستفيدين في جبل لبنان والمناطق الساحلية والمجاورة للجبل، أن المطالب تمحورت حول قطبين رئيسيين: البطريرك الماروني من جهة، و «المؤتمر السوري العام» من جهة ثانية.

لقد أعطى البطريرك الذي كان يحضر نفسه يومذاك للقيام بمهامه «في مؤتمر السلام» رأيه للبعثة، وهو مستمد من الموقف الذي حلته مذكرته التي

---

(٤٦) اسماعيل عادل، السياسة الدولية، جزء ٥، ص ٣٢ . راجع أيضاً خيرية قاسمية الحكومة العربية، ص ١١٥ .

قدمها إلى المؤتر. كتب أحد المؤرخين اللبنانيين المعاصرین وهو من أنصار الموقف ذاته على ما يبدو «انبعثة التحقيق الموفدة من باريس بناء على طلب الأمير فيصل ، أكدت عكس ما كان يتمناه الأمير . فبالرغم من جهاز الدعاية المدبر من قبل أنصاره وجدت اللجنة نفسها أمام واقع يميل لصالح رغبات البطريرك ، ما عدا بعض سني المدن (...). ويضيف: «لقد ذهب رئيس البعثة إلى بكركي ، فانذهل أمام هذه الشخصية اللامعة الفريدة للحويدك» فخاطبه: «لقد جاءت بعثتنا لتحقق في سوريا وفي فلسطين. أنها لم تتقدم من أحد. الجميع كانوا يتقدمون إليها للافصاح عن أماكنهم . ولكنها أنتم تروننا أمامكم لطلع على رأيكم. ان استقصاءاتنا بينت لنا أنكم تحملون أمة بكلاملها»<sup>(٤٧)</sup>.

صحيح أن البطريرك الياس الحويك كان يمثل بالفعل - وذلك تحت تأثير عوامل عديدة أتينا على ذكرها في هذه الدراسة - مجموعات اجتماعية مسيحية ، كاثوليكية ومارونية ، بشكل خاص . ولكن تحيز صاحب الرأي وقوعه تحت تأثير رواسب الايديولوجية «اللبنانية» كما أرسىت قواعدها في أوائل القرن ، جعلاه يحمل تماماً وجود مجموعات اجتماعية أكثرية في مناطق أخرى لم تكن مشدودة اطلاقاً إلى برنامج البطريرك وأطروحته. هذه المجموعات لم تكن مؤلفة فحسب من سني المدن كما يؤكّد صاحب النص ، بل ان سني ودروز وشيعة الجبل كانوا جميعاً مشدودين لبرنامج آخر غير برنامج البطريرك ، فضلاً عن سكان جبل عامل ، وبعلبك وعكار ، والطائف الأرثوذكسيّة ، وطبقة من «الانتلجنسيّا» المسيحيّة المدينيّة<sup>(٤٨)</sup>.

- Touma T., op. cit ; P.P. 713 - 714. (٤٧)

اقتبسنا هذا النص عن توفيق توما ، لتبيان أثر هذه الايديولوجية «اللبنانية» الموروثة التي لا يفلت من هيمنتها «مؤرخ اجتماعي» معاصر ، وكيف تجدد نفسها عبر كتابة التاريخ اللبناني على ذات القواعد التي أرسىت في أوائل القرن .

(٤٨) راجع دراسة احصائية للعرائض التي قدمت إلى اللجنة ، توردها خيرية قاسمية في : الحكومة العربية في دمشق ، حيث تبين أن الأكثريّة - على امتداد سوريا ولبنان - دعت سوريا موحدة ، مستقلة ، وفهمت الانتداب مجرد «مساعدة اقتصادية وفنية» ، ص ١١٥ .

إن البرنامج الذي انطوت تحت لوائه كل هذه الفئات هو برنامج الوحدة السورية والاستقلال ، ورفض التقسيم ، ومحاربة المشروع الصهيوني في فلسطين . وإن كان قد حصلت ثمة خلافات في الموقف حول مسألة الانتداب بين هذه الفئات ، فإنه من الضروري الإشارة إلى أن الأكثريّة الساحقة (٤٠، ٨٠٪) من العرائض طالبت بالاستقلال التام ، وحدّدت «الانتداب» على أنه مجرد «مساعدة فنية واقتصادية»<sup>(٤٩)</sup> . وقد التقت هذه الاتجاهات - وإن كان البعض قد تخطّاه في طلب الاستقلال الناجز<sup>(٥٠)</sup> - في برنامج «المؤتمر السوري العام» الذي وضع وأقر في (٢ تموز ١٩١٩) .

إن هذا المؤتمر يستحق وقفة خاصة . فماذا كانت مهمته بالفعل ، كيف تشكل ، ما هي المناطق التي مثلها؟

كان فيصل قد دعا بعد عودته من أوروبا إلى تشكيل «مؤتمر سوري عام» يقرر الموقف الداخلية أمام لجنة التحقيق . والواقع أن فكرة انعقاد مؤتمر قومي موسّع كانت تأخذ طريقها إلى التنفيذ قبل وصول فيصل . فالضياع السياسي ، وتغزّل الاتجاهات ، وأخبار الموقف الأوروبيّة التي كانت تصل إلى الداخل فتبثّ على الخدر والترقب والخوف ، شكلت جميعها حواجز لدى العاملين في الحقل السياسي القومي (والذين انخرط بعضهم في مهمات

---

تورد المؤلّفة أيضًا نصًا مقتبساً من مجموعة أوراق عب الدين الخطيب ، وهو رسالة شخصية من أحد مختار الصلح ، يذكر : إن الفرنسيين في بيروت «متخذين كل تصريح على الناس ويعملون أصواتاً بأن الأهالي يرغبون الفرنسيين .. الأفكار في بيروت ولبنان مقلوبة جداً .. المسلمين والدروز والروم والبروتستانت متخذين على الاستقلال العربي عدا الموارنة .. مبدئهم أن الاستقلال في لبنان مع طلب توسيع الحدود وضم بيروت وطرابلس وصيدا ، ولكن لا أن يتحدوا مع ولاية الشام . فالطبع نحن مخالفين لهذه الفكرة وساعين جمع الكلمة» ، ص ١١٧ ، وراجع أيضًا : حسن الحكيم . الوثائق التاريخية ، ص ٩٧ .  
راجع أيضًا الملحق رقم ٧ (تقدير لجنة الاستفتاء) .  
(٤٩) المرجع نفسه ، ص ١١٥ .

(٥٠) وعلى المثال أن أعضاء «العربيّة الفتاة» كانوا يرفضون رفضاً قاطعاً الانتدابين الفرنسي والإنجليزي معاً ويصرّون على الاستقلال التام ، وقد جاء القبول بالانتداب الأميركي نوعاً من تسوية بينهم وبين فيصل لتفريق الموقف الفرنسي .

الحكم والادارة في دمشق ضمن نوع من مجلس مدیرین )<sup>(٥١)</sup> ، لطرح فكرة التمثيل السياسي في البلاد ، وتوحید المناطق السورية جميعها في اطار الدولة الناشئة . ان ساطع الحصري - وقد كان أحد اعضاء هذا المجلس - و محمد جيل بیهم الذي سیصبح عضواً في المؤتمر ، يذکران أن هذا المؤتمر كان بمثابة «برلمان» أو «هيئة تشريعية» مهمتها الرئيسية تحديد طبيعة الحكم في البلاد ، ووضع قاعدة دستورية له . وهذا يعني أن أهداف تشكيل المؤتمر تخطت بكثير الحدود التي وضعها فيصل ، والتي وقفت عند صياغة الموقف الموحد أمام اللجنة الأميركية . وكانت الفكرة من تشكيل هذا المؤتمر تتزع اذن نحو ارساء أسس دستورية لدولة قومية مستقلة وجدت تجربتها الأولى في «مجلس المدیرین»<sup>(٥٢)</sup> .

وبالفعل تمثلت كل المناطق السورية في المؤتمر ( الداخل ، سورية الساحلية ، فلسطين )<sup>(٥٣)</sup> . وكان التمثيل يجري في المنطقة التي لا يخشي فيها من ارهاب السلطات العسكرية الفرنسية - الانجليزية على أساس قانون الانتخاب العثماني<sup>(٥٤)</sup> . أما في المناطق التي يمكن أن تتعرض للقمع

= راجع خيرية قاسمية ، الحكومة العربية ، ص ١٠٨ .

(٥١) الحصري ساطع ، میسلون ص ١٩ و ص ٢٤٣ .

(٥٢) بدأت هذه التجربة في ٤ آب ١٩١٩ ، وانتهت في ١٨ آذار ١٩٢٠ حيث أعلن الاستقلال رسميًا في المؤتمر وتشكل مجلس للوزراء . راجع ساطع الحصري ، میسلون ص ٢٤٣ - ٢٤٨ .

(٥٣) تمل في المؤتمر جيل لبنان والمناطق الأخرى التي ستضم اليه: بيروت ، صيدا ، طرابلس ، بعلبك ، جبل عامل .

راجع: بیهم محمد جيل ، العهد المخضرم ... ص ١٠٩ ، حيث نجد لائحة باسماء المندوبين عن هذه المناطق .

(٥٤) كان الانتخاب يتم على درجتين ، كل مجموعة تتراوح بين ٢٥٠ و ٥٠٠ منتخب تختار مثلاً عنها يشترك في انتخاب مثل على مستوى السنجدق .

راجع الحكيم يوسف ، سورية في العهد العثماني ، ص ١٥٨ .

(الساحل السوري خاصة) فكان التمثيل وفقاً لوكالات مهورة بتوافقها مع السكان<sup>(٥٥)</sup>.

وفي الجلسة التي عقدها المؤتمر في (٢ تموز ١٩١٩). وضع المؤتمرون مقررات مهمة شكلت من جهة «لائحة برغبات سكان البلاد» لرفعها إلى الوفد الأميركي في اللجنة الدولية ، وتضمنت من جهة ثانية برنامجاً سياسياً لتوحيد القوى العاملة من أجل الاستقلال ووحدة البلاد السورية .

وخلاصة هذه المقررات<sup>(٥٦)</sup> :

- طلب الاستقلال السياسي التام الناجز للبلاد السورية .
- طلب أن تكون حكومة هذه البلاد ملكية مدنية نيابية تدار على طريقة اللامركزية الواسعة ..
- الاحتجاج على المادة ٢٢ من ميثاق جمعية الأمم والتي تدخل البلاد في عداد الأمم التي تحتاج إلى دولة متذمة .
- في حال رفض الاحتجاج ، اعتبار مسألة الانتداب عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لا تمس الاستقلال السياسي . وفي هذه الحال تطلب هذه المساعدة من الولايات المتحدة الأميركية ، والا فمن بريطانيا .
- رفض مطالب الصهيونية يجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية ، أي فلسطين ، وطناً قومياً للاسرائيليين ، ورفض هجرة هؤلاء إلى البلاد .
- المطالبة بعدم فصل القسم الجنوبي من سوريا المعروف بفلسطين ، والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان عن القطر السوري .
- طلب الاستقلال التام للقطر العراقي ، وطلب عدم وجود حواجز اقتصادية بين القطرين .
- الغاء كل معاهدة تقضي بتجزئة البلاد ، وكل وعد خصوصي يرمي إلى تمكين الصهيونية في القسم الجنوبي من البلاد .

(٥٥) الحصري، ساطع، ميسلون، ص ٦٢١. وبهم م. العهد المختصر، ص ١٠٦-١١٠.

(٥٦) راجع النص الحرفي لقرارات المؤتمر في الحصري ، ساطع، ميسلون، ص ٢٦٢.

و هنا ثمة مسألة تدعو للتساؤل : لماذا هذا التنويه بقبول المساعدة الأميركية أولاً والبريطانية ثانياً ؟

حسب رأي عادل اسماعيل، ان مقررات المؤتمر كانت متأثرة بالدعائية الأمريكية التي أخذ يقوم بها آنذاك عدد من المثقفين المحليين . فقد قام هؤلاء سنة (١٩١٨) برعاية الدكتور بلس ، رئيس الكلية السورية آنذاك بتأسيس تنظيمات سياسية تطالب باستقلال سورية تحت وصاية الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان لها ثمة دور في توجيه المؤتمر<sup>(٥٧)</sup>.

إن وجهة النظر هذه ، وهي وجهة يؤكدها الكتاب الفرنسيون آنذاك<sup>(٥٨)</sup> قابلة للنقاش ، لأن ما عين موقف المؤتمرين لم يكن في نهاية التحليل موقف فئة ضيقة من مثقفي الكلية الأمريكية . فالمؤتمر السوري الذي مثل تنظيمياً وسياسياً التيار العربي - السوري المعادي بشكل أساسي للفرنسيين ، عبر أيضاً عن توق «شعبي» عفوي شكلت الجماهير العربية - الإسلامية في المناطق السورية قاعدته الرئيسية ، وشكل الوجهاء ومثقفو البورجوازية المدينية الناشئة ، وبعض عناصر الانتلجنسيا المسيحية الليبرالية قيادته .

أما بالنسبة لواقع اختيار المؤتمرين على الولايات المتحدة الأمريكية في المقام الأول ، وبريطانيا في المقام الثاني في حال رفض الأولى ، فإن هذا الموقف تفسره عدة اعتبارات ظرفية : منها الوصول إلى موقف توافق بين المتشددين في طلب الاستقلال التام من جهة وبين فيصل الذي كان يراهن على محاربة التفود الفرنسي بواسطة بريطانيا ، من جهة ثانية<sup>(٥٩)</sup> .

كذلك فإن الواقع الحسن الذي تركه تصريح ولسون في وجдан الشعوب النازعة للاستقلال يفسر إلى درجة كبيرة هذا الميل نحو الولايات

(٥٧) اسماعيل عادل، السياسة الدولية، جزء ٥، ص ٣٣ - ٣٥.

- Gontaut - Biron, op. cit ; p. 247.

(٥٨) خيرية فاسمية ، الحكومة العربية ، ص ١٠٨ .

المتحدة الأمريكية التي اعتبر أن ليس لها «مطامع استعمارية في سورية». كذلك أيضاً أن اختباء مطامع بريطانيا الاستعمارية خلف «الوعود» والكلمات و «الأشخاص» و «الصداقات»<sup>(٦٠)</sup> ، كان يبرز أمام القيادات العربية مطامع فرنسا وحدها التي كانت تجهر «بحقها» في «الانتداب» على سورية ، وتعلن صراحة عن «مصالحها» فيها . مما كان يعني في حدود المفهوم الجزئي السائد عن الاستعمار يومذاك أن فرنسا وحدها هي التي تمثل خطراً لاستعمار المباشر بشكله الاحقى و «الاحتلالي». ولم يكن هناك ، ثمة ادراك وفهم للتطور الذي عرفته الرأسماليات الغربية في تحولها إلى «امبرياليات» مسيطرة . فلم يفهم معنى «المساعدة الاقتصادية والفنية» ولا أدركتخلفية اعلان ويلسون عن «تدريب» الشعوب و «تحضيرها». ومن هنا كان ربما لتأثير الدعاية الأمريكية عبر بعض المثقفين المحليين دور في اختراق ذلك التوجه السياسي في المؤتمر السوري العام .

(٦٠) الحقيقة أن العلماء والخبراء البريطانيين عرفوا كيف يتعاملون مع القيادات العربية على أساس فهمهم «للعقلية العربية القبلية» التي سادت آنذاك . ويقول لورانس في مناسبة تعليم التوصية البريطانية القاضية بتطمين العرب وتسكين روعهم بعد شيوخ خبر اتفاقية سايكس - بيكر ، «ان العرب يصدقون الأشخاص أكثر مما يصدقون المؤسسات » .

- Lawrence , Les sept piliers de la sagesse, p. 345.



- ٥ -

## الوضع الفرنسي ومسألة إجلاء القوات الإنكليزية من سوريا

في (٨ أيلول) وصل إلى مرسيليا الجنرال اللبناني قائد قوات الحلفاء في الشرق ، وصرح بما يلي : « اني أنتهز مناسبة مروري في باريس لكي أجلو سوء التفاهم البسيط حول سوريا ، وهو ما يجب أن يكون قد سوي في هذه الساعة ... ان الانتداب الفرنسي على سوريا معترض به من قبلنا ، نحن الانجليز . ذلك أن وجودنا هناك هو وجود عسكري محض ، أما من الناحية السياسية فاننا نتلاشى أمام فرنسا . اتنا متفقون اذن فيما بيننا . واني لسوف اؤكد هذه التصريحات أمام وزارة الخارجية في باريس وفي مكتب الخارجية في لندن . ان انجلترا سوف تسهل مهمة فرنسا هناك . ويمكنكم أن تكونوا على يقين من ذلك »<sup>(٦١)</sup> .

هذا ، وقد اتبعت هذه التصريحات في (١٥ أيلول) بعقد اتفاق بين الدولتين يقضي بتبادل القوات الانجليزية في سوريا وكيليكيا بقوات فرنسية ، مقابل الحق الموصى وفلسطين ضمن مناطق النفوذ الانجليزي<sup>(٦٢)</sup> .

- Cité par samné G., op. cité; P. 572.

(٦١)

. اسماعيل عادل السياسة الدولية ، جزء ٥ ، ص ٣٧

## لِمَ هُذَا التَّابُعُ السَّرِيعُ لِلأَحْدَاثِ عَلَى الصُّعِيدِ الْعَالَمِيِّ؟

تبغى الملاحظة هنا أن الذي حدد التقارب بين الدولتين هذه المرة ليس موقف ويلسون الذي سيبعد عن مسرح الأحداث السياسية الأوروبية على كل حال ، أو تقرير وفده الذي بقي سرياً حتى عام (١٩٢٢). ان عوامل أخرى تدخلت فوضعت حدأً للمنافسة الفرنسية - الانجليزية ودفعت بالطرفين للاتفاق على صيغة توسيعية «متوازنة» المaganم .

- ففي تركيا كانت قد ابتدأت ثورة اتابورك تهدد حلم فرنسا بكيليكيا<sup>(٦٣)</sup> .
- في سوريا ، برهن تتابع الأحداث والخطوات التنظيمية والإدارية التي اتخذت في دمشق قدرة التيار العربي وفعاليته في بناء دولة مستقلة تهدد مصالح فرنسا .
- في العراق ، بدأت تلوح بوادر الانفلاحة على الاحتلال الانجليزي .
- في مصر أيضاً ، بدأت الحركة الشعبية تخلق متاعب فعلية للحكومة البريطانية .

عدا هذه العوامل التي كانت تلح على الحكومتين في استعجال تصفية مسألة سوريا ، كان الوضع الداخلي الفرنسي يضغط عبر تحرك رجال الأعمال الفرنسيين باتجاه التعجيل في ابدال الجيوش الانجليزية بجيوش فرنسية ، والقضاء على الادارة العربية التي تنمو في دمشق .

كانت غرفة التجارة في مرسيليا<sup>(٦٤)</sup> ، بالتنسيق مع غرفة التجارة في

(٦٣) ذكر الجنرال غورو إثر تعينه قائداً عاماً للقوات الفرنسية في سوريا لأحد تجار الحرير في ليون (السيد موريل) «ان كيليكيا تركية .. فهي تهددنا بجنودكمال وهم اعداء أكثر جدية من العرب». استناداً إلى :

- Chevallier D., *Les bases d'une intervention ...*, p. 318.

(٦٤) «شكلت غرفة التجارة في مرسيليا نوعاً من هيئة مساعدة لوزارة البحريـة ، تهتم بادارة شؤون الملاحة في الشرق .. وكان للغرفة صلاحية استشارية ، فهي التي كانت تقدم التعليمات بخصوص كل الشؤون المتعلقة بالشرق ، وقد حدث أنها كانت توجه الى القنائل تعليماتها الخاصة .. ورد في :

- Bruneau A., op. cit ; p. 224.

ليون ، قد عقدت «المؤتمر الفرنسي من أجل سوريا» في كانون الثاني (1919)، وكان المؤتمر قد رفع توصية الى الحكومة الفرنسية جاء فيها «... انه من الملحوظ من الناحية السياسية أو الناحية الاقتصادية أن تعاد العلاقات التجارية فوراً مع سوريا ، وأن لا نسمح لمنافسينا بأن يسبقونا»<sup>(٦٥)</sup>.

وفي الوقت الذي عادت فيه البعثة الأميركية بعد استقصائها ، كان (بول هوفلين) Paul Huvelin رئيس البعثة الفرنسية في سوريا يقدم في اوائل ايلول تقريراً يلح فيه «على أن الوضع الاقتصادي والسياسي في سوريا ليس لصالح التفود الفرنسي» ويكمل : «ان حركة عربية وحدودية - Pan arabe سوف تترسخ في سوريا على ما يبدو ، ثم إن العناصر الكاثوليكية في لبنان غير المدعومة بما فيه الكفاية ليست بوضع يسمح لها مقاومته»<sup>(٦٦)</sup>.

في هذا السياق أقى الاتفاق الفرنسي - الانجليزي في (١٥ ايلول) ليخفف الكثير من قلق رجال الأعمال الليبيين والأوساط الاستعمارية الفرنسية . وعم الاطمئنان أكثر عندما سمي الجنرال غورو في (٩ تشرين الأول ١٩١٩) قائداً للقوات الفرنسية في الشرق ، ومفوضاً سامياً على سوريا<sup>(٦٧)</sup>. اذ ناداه كليمونسو أثناء تكلفه : «ستصبح الجندي الكبير الذي سيبني موطننا فرنسياً في الشرق»<sup>(٦٨)</sup>.

أما من جهة رجال الأعمال الليبيين ، فأنهم بدورهم لم يتوانوا عن التدخل للمشاركة في تحديد مهام الجنرال غورو في سوريا . اذ كتبت غرفة

(٦٥) من نص توصية المؤتمرين :

- Compte rendu du congrés Français de la syrie , Paul Huvelin Fas. I. Section éco-nomique, Paris, Marseille, p. 5.

- Cité par Chevallier D., «Les Bases d'un intervention», p. 311. (٦٦)

(٦٧) نلمس صدى هذا الاطمئنان في كتب المؤلفين الفرنسيين «الكولونياليين» ، على سبيل المثال :

- Gontaut, Biron, op. cit ; p. 331 - 332.

- Lyautey Pierre, Gouraud, Paris 1949, p. 192.

- Cité par Bruneau A., op. cit ; p. 300.

(٦٨)

تجارة ليون إلى هذا الأخير في نفس اليوم الذي عين فيه «انها تكون سعيدة باستقباله عند مروره بليون لتسليم وظيفته». وهكذا كان . ففي (١١ تشرين الأول) أقامت غرفة التجارة استقبلاً حافلاً للجنرال ، وقدمت إليه «تعنيات أهل الصناعة والتجارة في ليون» وهي (٦٩) :

- اقرار عملة ثابتة في البلاد .
- منع قطع أشجار التوت واعادة غرسها (٧٠) .
- التعويض على الفرنسيين الذين تعرضوا للخسارة في سوريا خلال الحرب .
- فتح سوريا على عمليات استيراد البضائع .

وفي هذه الأثناء كان فيصل يقوم بجولة جديدة في أوروبا . غير أن مجهوداته التي استهدفت اقناع اصدقائه من الانجليز والأميركيين في التدخل «لإنقاذ الموقف» منيت بالفشل الذريع (٧١) .

---

(٦٩) - D'après Chevallier D., *Les Bases d'une intervention...* , p. 312.

(٧٠) ينفي التذكير أنه أثناء الحرب دفعت المجاعة وغلاء المعيشة الأهالي إلى قطع أشجار التوت والتخلّي عن العناية بدور الفرز وإلى الاهتمام بأنواع أخرى من الزراعة غير موجهة للسوق .

(٧١) اسماعيل عادل ، *السياسة الدولية* ، جزء ٥ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

## الوضع الداخلي بعد وصول الجنرال غورو ظهور أشكال من حرب العصابات

إن وصول الجنرال غورو إلى بيروت في (١٨ تشرين الثاني ١٩١٩) على رأس (٣٠٠٠٠) جندي زاد من حدة التناقضات بين الموقف الداخلية . فقد أثار وصوله فرح وابتهاج المطالبين بدولة لبنانية أو سورية محمية من فرنسا، وقلق واضطراب التيار القومي «العربي» والإسلامي المطالب باستقلال سورية .

بالنسبة للموقف الأول عبر عن نفسه بتنظيم المظاهرات المؤيدة لفرنسا في العديد من المناطق التي تتوارد فيها عناصر كاثوليكية ومارونية<sup>(٧٢)</sup> . فيبينا

(٧٢) ذكر الرئيس بشارة الخوري في مذكراته أنه إثر القدس الذي أقيم في كاتدرائية مارجرجس في بيروت ، خرج المصلون في تظاهرة تهتف: «فرنسا أم الدنيا عموم اعترزوا يا لبنانية». راجع «حقائق لبنانية» جزء ، ١ ، ص ٩١.

كذلك يذكر أن أهالي عين ابل في الجنوب ، نزلوا إلى صور وقاموا بتظاهرات في شوارعها ، رفعت يافطات كتب عليها بالفرنسية: «تعيش فرنسا ، يعيش كلمنصو ، يعيش الجنرال غورو» . ورد ذلك في: صادر الياس ، ثورة الشيعة في جبل عام ١٩٢٠ . رسالة كفاءة غير منشورة - الجامعة اللبنانية ١٩٧١ .

تميزت ردة فعل الموقف الآخر بالاحتجاج والسلط والدعوة لمقاومة الاحتلال الأجنبي ، كتبت «المفيد» الصحفة «البيروتية» ناقلة صدى هذا الموقف : « ان وصول الجنرال غورو على رأس ( ٣٠ ألف جندي ) يظهر لنا بما فيه الكفاية سوء نوايا الدول الكبرى . ان واجبنا يدعونا لطرد الأجنبي بالقوة » (٧٣) .

كانت مهمة الجنرال غورو تتحدد وفق « ثنيات أهل الصناعة والتجارة في ليون » في السيطرة الكاملة على سورية ، ومنع أي تدبير من شأنه عرقلة المشاريع الاقتصادية الكثيرة التي ابتدأت تتهيأ لها الشركات الفرنسية (٧٤) . يعني ذلك الاسراع في القضاء على « التيار القومي » الذي نبه بول هوفلين إلى خطره ، وسحق مشروع حكومة دمشق في المهد . لم تكن المسألة تحصر اذن في تطبيق اتفاقية سايكس - بيكر فحسب ، بل ان ثمن فلسطين والموصى عند بريطانيا كان يقابل داخلية سورية عند فرنسا وهي حقيقة تم اخراجها عبر صيغة « استبدال القوات الانجليزية بالقوات الفرنسية » .

كيف تحددت شئ مواقف الأطراف حينها ؟ موقف فيصل الذي توجه نحو أوروبا آنذاك للباحث في هذا الشأن مع كليمونسو ؟ المؤمر السوري والحركة الشعبية لا سيما في المناطق التي ستلحق بلبنان ؟ الحكومة الفرنسية واصدقاؤها في الداخل ؟

وبالنسبة لفيصل ، تيز موقفه كما هو الحال بالنسبة للمرحلة الأولى من مباحثاته بالتردد والتراجع والضياع في شباك السياسات الامبرالية . فقد ترددت أخبار نقلتها يومذاك صحيفة « لسان الحال » « أن الأمير فيصل اقترح تشكيل لجنة حربية تتألف منه ، ومن نائب انجليزي ، ونائب فرنسي ،

- Cité par Bruneau, op. cit ; p. 300.

(٧٣)

(٧٤) كتبت لسان الحال بتاريخ ٢٣ تشرين الأول ١٩١٩ « ورد إلى المقطم في باريس أن في دوائرها المالية حركة شديدة لتأليف الشركات المالية والصناعية والتجارية في سورية . وأن رأس مال بعض هذه الشركات بلغ ٥٠ مليون فرنك ، وبعضها مائة مليون وأن الشركات التي تم تألفها شرعت ترسل المندوبين إلى سورية لانشاء مراكز لها في بيروت وفروع في داخلية البلاد . « لسان الحال » ٢٣ تشرين الأول ١٩١٩ .

ونائب أميركي ، على أن تجتمع اللجنة في لنдра لتدارس الاحتياطات التي يجب اتخاذها في القريب العاجل ، نظراً للنتائج التي ربما تقع على إثر انسحاب الجيوش الانجليزية من سوريا ». وجاء تردده واضحاً في تصريحه التالي : « ان العرب كان كل اعتمادهم على انكلترا ، فانسحب (١٠٠) ألف جندي انجليزي مما يجعل الحالة موجة للاهتمام ، الا اذا أيقن السكان بأن استبدال الجيوش المذكورة بالجيوش الفرنسية لا يؤول إلى اقتسام البلاد ، ولا إلى تقرير المصير النهائي . وأضاف : ان بريطانيا العظمى قبلت مبدئياً هذا الاقتراح ، وانه سيقدم إلى باريس بدعة من المسمو كليممنصو للمباحثة في هذه المسألة » (٧٥) .

وكان أن أسفرت مباحثاته مع كليممنصو أخيراً عن « اتفاق سري » جرى بتاريخ (٦ كانون الثاني ١٩٢٠) جاء فيه :

- ١ - « تعد الحكومة الفرنسية بتقديم المساعدة للشعب السوري وبضمان استقلاله » .
- ٢ - « يطلب الأمير فيصل من الحكومة الفرنسية وحدها دون غيرها تعين مستشارين ومعلمين وتقنيين لتنظيم جميع الادارات المدنية والعسكرية ، ولتوسيع بعض الدوائر في هذه الادارات مثل المالية والأشغال العامة » .
- ٣ - يكون للأمير فيصل في باريس مثل مفوض يعمل تحت امرته ، وممثل في لندن وروما وواشنطن ضمن اطار السفارة الفرنسية في هذه العواصم . أما في غيرها من البلدان فان القنواص الفرنسيين سيرعون مصالح السوريين .
- ٤ - يعترف الأمير باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي .
- ٥ - يسهل الأمير تشكيل ادارة مستقلة للدروز حوران داخل الدولة السورية .
- ٦ - تقدم سوريا إلى فرنسا كل عون عسكري في جميع الحالات .

---

(٧٥) « لسان الحال » ، عدد ٢٣ تشرين الأول ١٩١٩ .

٧ - يعترف باللغة العربية لغة رسمية في الادارة والمدارس . تدرس اللغة الفرنسية كلغة ثانية .

٨ - تكون دمشق عاصمة سورية ، ويقيم المفوض الفرنسي السامي في حلب »<sup>(٧٦)</sup> .

على أن هذا الاتفاق لم يرض لا الآمال الاستعمارية الفرنسية المعلقة على الجنرال غورو ومهنته ، ولا الطموحات القومية العربية التي كانت قد بدأت بالتعبير عن نفسها بعنف في عدد من المناطق السورية ، وبشكل خاص في تلك المناطق المحتلة من قبل الجيش الفرنسي . واشتدت وطأة المعارضة الفرنسية ، فاضطر كليمونصو ان يستقيل في ( ١٧ كانون الثاني ١٩٢٠ ) ، وانتخب بدلاً منه ميليران<sup>(٧٧)</sup> .

على الصعيد الشعبي كانت قد بدأت بوادر الانتفاضة حين وصول الجنرال غورو للتو . وتذكر « لسان الحال » الموالية للسياسة الفرنسية ، في عدد ( ٣ تشرين الثاني ١٩١٩ ) أنه حصلت في منطقة الشوف أعمال « محلية بالأمن » « كحادثة عين تراز » ، و « حادثة مزرعة الشوف » حيث تُصدِّي « للجندرمة اللبنانية والفرقة الفرنسية » . وقد جاء في الخبر أن الفرقه الفرنسية « حاصرت القرية ، وبعث القومدان الفرنسي انذاراً يخطر به الأهالي بالتسليم ، أو أنه يحرق القرية ، وأمهلهم مقدار نصف ساعة . . . . ». ولما أصر الأهالي على « عصيانهم » و«استأنفوا اطلاق الرصاص » هاجم الجنود القرية وأحرقوا ( ٣٠ ) بيتاً . وفر الثوار وألقى القبض على عدد من سكان القرية . . . ويضيف خبر الصحيفة « وكانت روح التمرد قد أوشكت أن تدب

---

(٧٦) ورد نص الاتفاق في : زين نور الدين زين ، الصراع الدولي ، ص ١٤٢ .  
من :

- Documents on British Foreign Policy, vol. IV, p. 46.

كذلك عادل اسماعيل ، السياسة الدولية ، جزء ٥ ، ص ٤٦ .

(٧٧) عادل اسماعيل ، السياسة الدولية ، جزء ٥ ، ص ٤٧ .

إلى قرية غريفة، فلما رأت ما حل بأختها بعثت إلى الحكومة عريضة استرحام مبينة أنها طوع أوامر الحكومة (...). وأصدر الحاكم بلاغاً بين فيه أن كل قرية يبدو منها حركة عداء تجاه الحكومة يصيبها ما أصاب مزرعة الشوف». وتنقل «لسان الحال» في نفس العدد أخباراً عن أحكام بالاعدام والسجن صدرت عن المحكمة العسكرية بتاريخ (٣٠ تشرين الأول ١٩١٩) بحق عدد كبير من الأشخاص « بتهمة قتل أفراد جندرمة ، والدعوة للثورة بالسلاح » (٧٨) .

وتواترت الانتفاضات المسلحة التي اتخذت شكل «عصابات» هنا وهناك . ففي (١٣ كانون الأول ١٩١٩) شن مسلحون هجوماً على مركز البريد الفرنسي في تل كلخ على طريق طرابلس - حمص ، وكان رد السلطات الفرنسية كما تورده « لسان الحال » « ان أحرقت بيوت جميع العصاة في إقليم تل كلخ ، وأعدمت اثنين من زعمائهم بالرصاص .. وأحرقت بعض المنازل في مشتى عامل ومشتى حسن ، وقبضت على الآغا أحمد تحسين زعيم الدنادشة فحاكمته وأعدمته بالرصاص ، وألقت الرعب في قلوب المفتين من سكان تلك البلاد ... » (٧٩) .

وامتدت الانتفاضة إلى طرابلس وعكار والبقاع وجبل عامل وساحله .

وفي مرجعيون ، الخيام ، الحولة ، الحالصة ، كفركلا ، العديسة ، الطيبة ، هونين ، النبطية ، قام مسلحون يغيرون على تحركات الجيش الفرنسي ومرانجه ، وبما جون « القرى الموالية » لفرنسا هناك (٨٠) . ونقرأ بين سطور ما نقلته « لسان الحال » أخبار هذه التحركات بالعبارات التالية : « في أواخر شهر كانون الماضي تكررت حوادث النهب والسلب في سنجق صيدا ، فاضطررت الحكومة إلى ارسال فرقة لتأديب العابثين بالأمن ، فتمكنـت من

(٧٨) لسان الحال ، الاثنين ٣ تشرين الثاني ١٩١٩ .

(٧٩) لسان الحال ، ٢٧ كانون الأول ١٩١٩ .

(٨٠) لسان الحال ، راجع اعداد ٧ كانون الثاني ١٢ كانون الثاني ١٩٢٠ .

توطيده في ضواحي الغجر والخيام والطيبة وكفركلا . وبعد أن اطمأن الأهالي وأمنوا شر العصابات عادت في (٥ الجاري) إلى السلب فعادت الفرقه إلى المفتين فنكلت بهم تنكيلًا ، وأقرت الأمان في النبطية وضواحيها ، ثم غادرت مرجعيون ... وخلال دورتها جرت لها مناوشة مع بعض العصابات التي كانت تحاول أن تقطع خط الرجعة عليها (....) .

وتتابع لسان الحال خبرها :

« وكانت هذه العصابات مسلحة بالبنادق والرشاشات ، فألحقت الفرقه بها خسائر فادحة وضربيها ضربات موجعة . ويسوؤنا أن نقول : إن الفرقه الفرنساوية أصيّت بخسائر بلغت الخمسين من الجرحى ، وإنها اضطرت الى ترك ثلاثة مدافع رشاشة في مستنقعات الليطاني .. »<sup>(٨١)</sup> .

وتزداد أخبار هذه « العصابات » مع الوقت وتنتشر مداها ، وتعترف « لسان الحال » في (٣ شباط ١٩٢٠) - وكان هما التخفيف من أهميتها - فتحتـ : « كثـتـ العـصـابـاتـ وـالـثـورـاتـ فـيـ الـأـيـامـ الـأـخـيرـةـ .. وـقـدـ تـحـالـفـ أـخـيرـاـ البعضـ معـ عـشـيرـةـ إـبرـاهـيمـ باـشاـ وـعـشـيرـةـ جـيـسـ وـعـزـةـ وـأـكـرـادـ وـشـمـرـ لـقـطـعـ خطـ طـرـابـلسـ وـتـخـرـيبـ جـسـرـهاـ دونـ سـابـقـ عـدـاـوةـ أوـ أـذـيـةـ ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـمـ الـافـرنـسيـونـ مـاـيـتـيـ جـنـديـ وـمـعـهـمـ أـرـبـعـةـ رـشـاشـاتـ فـفـرـقـواـ بـعـدـ تـعبـ لـيـسـ بـقـلـيلـ قـوـةـ الـعـصـاةـ الـمـتـكـاثـرـةـ .. وـيـسـعـونـ الـآنـ لـبـنـاءـ الجـسـرـ ثـانـيـةـ »<sup>(٨٢)</sup> ...

هـذاـ وـكـانـ الـإـنـفـاضـةـ قـدـ انـفـجـرـتـ فـيـ جـبـالـ الـعـلـوـيـنـ وـفـيـ الـمـاطـقـ السـاحـلـيـةـ لـأـنـطاـكـيـةـ بـقـيـادـةـ الشـيـخـ صـالـحـ الـعـلـيـ<sup>(٨٣)</sup> . كـمـاـ اـنـشـرـتـ مـوـجـةـ منـ الـحـمـاسـ الشـعـبـيـ الـمـعـادـيـ بـعـنـفـ لـلـمـحـتـلـيـنـ الـفـرـنـسـيـنـ فـيـ دـمـشـقـ وـالـمـدـنـ الدـاخـلـيـةـ الـأـخـرـىـ وـحـورـانـ وـمـخـلـفـ مـدـنـ السـاحـلـ<sup>(٨٤)</sup> .

(٨١) لـسانـ الـحالـ ، عـدـدـ ١٢ـ كـانـونـ الثـانـيـ ١٩٢٠ .

(٨٢) لـسانـ الـحالـ ، عـدـدـ ٣ـ شـبـاطـ ١٩٢٠ .

(٨٣) مـنـيـرـ الـرـئـيـسـ ، الـكـتـابـ الـذـهـبـيـ ، بـيـرـوـتـ ١٩٦٩ـ ، صـ ١٠٨ـ .

(٨٤) رـاجـعـ زـينـ نـورـالـدـينـ زـينـ ، الـصـرـاعـ الـدـولـيـ ، صـ ١٤٤ـ - ١٤٦ـ .

وساهم مجلس المديرين في دمشق واعضاء المؤتمر السوري ، في تقديم العون للثوار . فقد دعوا إلى التطوع ونظموا الخدمة العسكرية في الداخل ، وشكلوا «لجنة الدفاع» وأرسلوا المساعدات والمدربيين إلى مراكز الانفاضات المسلحة في «المنطقة الغربية»<sup>(٨٥)</sup>.

وتتحدث المصادر عن محاولات جرت لاجراء مصالحة جديدة مع الأتراك . فقد قام سعيد حيدر (من العربية الفتاة) بالاتصال «بالكماليين» ، حيث تم وضع مشروع اتفاق تضمن النقاط التالية : ١ - يجري بعض التعديل في حدود سورية الشمالية لا سيما في منطقة الموصل» . ٢ - تنظيم جبهة مشتركة ضد الدول الغربية من معان إلى البحر الأسود . ٣ - توضع القوات التركية والعربية تحت قيادة موحدة . ٤ - في حال اسفار الجهود المشتركة المبذولة عن نصر ضد الغرب ، فان العرب والأتراك يعيشون جنباً إلى جنب كل ضمن دولة مستقلة ولكن علاقتهم تكون على ما كانت عليه العلاقات بين النمسا وهنغاريا قبل الحرب . . .<sup>(٨٦)</sup>

كذلك تردد أن ثمة لقاء بين فيصل وأتاتورك كان يحضر له الأمير شكيب ارسلان على الحدود التركية - السورية . لكنه لم يتم بسبب التدخل الانجليزي الذي منع حدوثه<sup>(٨٧)</sup> .

وكتبت «لسان الحال» بتاريخ (١٦) حزيران أخباراً تتعلق بمشروع المصالحة «قدم إلى حلب وفد من قبل مصطفى كمال الزعيم التركي الشهير ، وتوجه منذ أسبوع وزير الحرب يوسف بك العظمي مع قسم من أركان حربه ، والشريف ناصر حيث جرت مخابرة سياسية عظيمة هناك ، وقد رجع وزير الحرب من حلب منذ يومين وقابل سمو الأمير فيصل في دمشق مقابلة طويلة ، أعلن سموه بعدها أنه سيسافر اليوم إلى حلب مع هاشم بك

(٨٥) منير الرئيس ، الكتاب الذهبي ، ص ١٠٨ .

ومحمد جيل بيهم ، قوافي العروبة ، ص ٤١ .

(٨٦) زين نورالدين زين الصراع الدولي ص ٢٥٣ . مقابلة شخصية بين المؤلف وسعيد حيدر .

- Touma T., op. cit ; T.II, p. 743.

الأتاسي رئيس الوزراء ، ورضا بك الصلح والدكتور أحمد بك قدرى وثلاثة من مرافقي سموه »<sup>(٨٨)</sup> .

هذا ، وكانت قرارات مؤتمر سان ريمو (٢٥ نيسان) بوضعها سورية نهائياً تحت الانتداب الفرنسي قد أعطت الضوء الأخضر الكبير للجزرال غورو أن يتبع مشروع تصفيته للحركة العربية تحت ستار دولي وباركة إنجلزية . وفي ذات الوقت أرسلت الحكومة الفرنسية إلى غورو فرقاً عسكرية سنغالية لاستعمال حسم مسألة الكيان العربي في دمشق<sup>(٨٩)</sup> .

وعاد فيصل إلى البلاد وكان الموقف الداخلي قد تخطى كل محادثاته في أوروبا ، وكانت أخبار اتفاقه مع كليمونسو قد تسربت من الصحف الأجنبية إلى الصحف المحلية ، فكتبت لسان الحال في (١٣ كانون الأول ١٩١٩) : « ان الأمير فيصل وقع اتفاقاً يقضي بأن تختل الجنود الفرنسيون المنطقة المخصصة بالأدارة الفرنساوية مباشرة بدلاً من جنود الشريف ، وبأن يستعين بخدمة ذوي الخبرة من الفرنسيين للحصول على المساعدة الفنية اللازمة في المنطقة الواقعه تحت نفوذ فرنسا والمذكور: في معاهدة (١٩١٦)»<sup>(٩٠)</sup> .

لذلك كانت النقطة على أشدتها تجاه فيصل<sup>(٩١)</sup> . ولم يستطع هذا الأخير الا أن ينصاع للتيار القومي السائد ، فلم يشر في خطابه أمام لجنة الدفاع ولا بكلمة عن هذا الاتفاق ، بل أكد على صعوبة الموقف بعد انسحاب الولايات المتحدة من المؤتمر ، وكرر التأكيد على الاستقلال ورفض الوصاية<sup>(٩٢)</sup> .

كان الوضع الداخلي اذن يتجه بقوى الحركة القومية نحو اتخاذ مبادرة تستبق «المحادثات» وقرارات «الدول الكبرى» وخطوات غورو اللاحقة .

٨٨) لسان الحال ، عدد ١٦ حزيران ١٩٢٠ .

- Lyautey, Gouraud : op. cit ; p.p. 200 - 201. (٩٠)

٩٠) لسان الحال ، عدد ١٣ كانون الأول ١٩١٩ .

(٩١) بهم، محمد جيل، قواقل العروبة، ص ٤٢.

٩٢) لسان الحال ، عدد ٣١ كانون الثاني ١٩٢٠ .

تمثلت المبادرة في قرار المؤتمر السوري الذي انعقد في (٨ آذار ١٩٢٠) وضم ممثلين عن جبل لبنان والمناطق التي ستلحق به<sup>(٩٣)</sup>.

وأعلن القرار:

- استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين، استقلالاً تاماً لا شائبة فيه ، على الأساس المدني النيابي، وحفظ حقوق الأقلية، ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنًا قومياً لليهود أو محل هجرة لهم.
- اختيار الأمير فيصل ملكاً دستورياً على سورية واعلان انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث . . . .
- ادارة مقاطعات هذه البلاد على طريقة الامركزية الادارية، وعلى أن تراعى أمني اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعاتهم ل Lebanon ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة، بشرط أن يكون معزلاً عن كل تأثير أجنبى . . . .
- المطالبة باستقلال القطر العراقي استقلالاً تاماً على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي - اقتصادي»<sup>(٩٤)</sup>.

ماذا كانت الردود في جبل لبنان وفي الوسط الكاثوليكي والماروني بالذات ؟

منذ التغيير الذي حصل في الحكومة الفرنسية وتسلم ميليران الرئاسة ، وفي جرى الانتفاضات المسلحة التي قامت هنا وهناك وطالت بردود فعلها الفئات الأقلية الموالية لفرنسا كانت مواقف المادين « بتكبير لبنان » في ظل

---

(٩٣) حضر المؤتمر عن بيروت وطرابلس وصيدا وصور : رضا الصلح ، رشيد رضا ، سليم سلام ، محمد الفاخوري ، جورج حرفوش ، عارف النعماني ، أمين مختار بهم ، جليل بهم ، الدكتور فريد كساب ، والدكتور سامي الفاخوري ، وناجي الفاخوري ، علي سلام ، صلاح عثمان بهم ، محبي الدين النصولي ، بهاء الدين الطباع ، رياض الصلح ، الحاج عبدالله بمحى ، الأمير فايز شهاب .

(٩٤) الحصري ساطع ، ميسلون ، ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

الحماية الفرنسية ، قلقة وغير واثقة من المصير . لذا قامت فكرة ارسال وفد ثالث إلى باريس يؤكد على مطالب الوفدين السابقين <sup>(٩٥)</sup> .

وهكذا توجه في (٢ شباط ١٩٢٠) نحو باريس ، وفد لبناني مؤلف من المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي ، وتوفيق ارسلان ، واميل اده ، ويونس الجميل ، ليقوم بهذه المهمة <sup>(٩٦)</sup> .

وتفتقر « لسان الحال » قلقها على « المصير » فتدعو حيال الاستعدادات القائمة لعقد المؤتمر السوري وانتخاب فيصل ملكاً ، الى ملاحقة الوفد اللبناني في باريس وحثه ، مؤكدة على حراجة الموقف وصعوبته ومذكرة « بالمخاطر » الحقيقة : « يقولون لا أمل في لبنان الكبير ، ولا أمل في البقاع الا بقاع العزيز ، ولا أمل بالحصول على مرفاً لا بيروت ولا طرابلس ولا صيدا ، الا جونية والدامور ، فإذا كان هذا القول صحيحاً فكيف يعيش لبنان؟ .. » <sup>(٩٧)</sup> .

وبعد انعقاد المؤتمر السوري في (٨ آذار) واعلان الاستقلال الرسمي للملكة العربية الجديدة ، توالت ردود الفعل السريعة من جهة بعض أعضاء مجلس الادارة والكنيسة المارونية والسلطة الفرنسية . فصدر عن مجلس الادارة بيان يتضمن بنوداً خمسة <sup>(٩٨)</sup> .

- ١ - الاحتياج على مناداة فيصل ملكاً على سوريا .
- ٢ - الاحتياج على اللبنانيين الموجودين في الشام ( الوفد إلى المؤتمر السوري ) .
- ٣ - اعلن استقلال لبنان الكبير بمساعدة فرنسا .
- ٤ - تأليف لجنة للبحث في درس القانون الأساسي لحكومة لبنان الكبير .
- ٥ - البحث في كيفية نشر العلم اللبناني وكيفية شكله .

(٩٥) لسان الحال ، عدد ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٠ .

(٩٦) لسان الحال ، عدد ٢ شباط ١٩٢٠ .

(٩٧) لسان الحال ، عدد ٤ آذار ١٩٢٠ .

(٩٨) لسان الحال ، عدد ٢٢ آذار ١٩٢٠ .

وفي (٢٢ آذار) نظم مهرجان خطابي في بعبدا ضم وفوداً شعبية مارونية تحمل علمًا مثلث الألوان (العلم الفرنسي تتوسطه أرزة)، كان قد أقر «علمًا رسميًّا» للبنان - الكبير، وعزم على رفعه فوق سراي بعبدا.

وألقى حبيب باشا السعد في المهرجان كلمة استعاد فيها الاصرار على استقلال لبنان، ورفض اتباعه لسوريا، وأكَد على الاحتتجاجات السابقة. وكانت السلطة الفرنسية قد تمثلت «بالكومندان لايري» الذي «طمَنَ الحاضرين وقرأ عليهم نبأ برقياً وارداً من ميليران «يسكن به خواطر اللبنانيين». ويؤكد أن الحركة الداخلية لا تؤثر بشيء على مساعي الوفد اللبناني في باريس، وأنه يؤيد ما كان المسيو كليمونصو وعد به اللبنانيين بواسطة وفهم البطريركي»<sup>(٩٩)</sup>.

هذا، وكان الوضع العسكري في البلاد يزداد توترًا بازدياد نشوء مظاهر حرب العصابات في «المنطقة الغربية». مما حدا بالجنرال غورو إلى التفكير بإنشاء «ميليشيا سوريا» محلية تتالف من المتطوعين بين الأهالي ومشاركة في التصدي «لأعمال الشقاوة». من أجل ذلك صدر عن الجنرال غورو قرار في (١٤ شباط) جاء في حি�ثياته: «لما كان هناك ضرورة لمنع أعمال الشقاوة التي تنتشر حالياً في بعض نواحي «المنطقة الغربية»، ولما كان مهمًا أن تكون البلاد بنفسها مسؤولة عن ذلك عبر شرطها الخاصة، ولما كان معروفاً أن قوى الشرطة والجندمة الحالية غير كافية، فإنه بناء على اقتراح المفوضية التي اجتمعت لهذا الشأن في (٢٦ كانون الثاني) و(١٠ شباط)، يقرر الجنرال غورو... ما يلي:

مادة ١ : ينشأ في «المنطقة الغربية» تحت اسم «الميليشيا السورية» فرق عسكرية مختلطة ، تتالف من متطوعين فقط .

مادة ٢ : ان العدد الفعلي لهذه الميليشيا يتحدد في كل سنجق كما يلي :  
سنجق اللاذقية ٥٥٠ عنصراً .

---

(٩٩) لسان الحال ، عدد ٢٣ آذار ١٩٢٠.

سنحق طرابلس ٥٥٠ عنصراً .

سنحق صيدا ٢٠٠ عنصر (١٠٠) .

هذا القرار كان يعني عملياً تنظيم العناصر المحلية الموالية لفرنسا، ودفعها لمواجهة الحركة المعادية للاحتلال الفرنسي، والتي تتميز بقاعدة جماهيرية إسلامية واضحة. وهناك أمثلة عديدة تذكر في هذا الصدد من قرى جبل عامل وضواحي صيدا يشير إليها بعض المؤلفين المعاصرين للأحداث (١٠١) .

هذا الموقف سوف يكفي لاعطاء النضال المعادي لفرنسا صبغة «صلبية» ووجهة طائفية محلية . وكان جبل عامل المنطقة الرئيسية التي اخذ فيها النضال ضد الاحتلال الفرنسي شكل صراع محلي بين المسلمين الشيعة وبعض سكان القرى المسيحية . فقد تطوع عدد من ابناء هذه القرى في الميليشيا «المختلطة» ، واستحصل عدد آخر على أسلحة فرنسية بحجة «حماية» قراهم ، وقاموا باستفزاز أهل المنطقة (١٠٢) .

وفي هذا الوقت كانت الأعمال العسكرية في جبل عامل قد اخذت الى حد ما أشكال «عصابات» منظمة ، وبرزت قيادات محلية كأدهم خنجر في منطقة الشقيق ، وصادق حزوة في منطقة بنت جبيل (١٠٣) ، وتعرضت بعض القرى المسيحية : الجديدة (مرجعيون) ، دير ميماس ، عين ابل ، الى

---

- Recueil des Actes Administratifs du Haut - commissariat de la Republique Fran- (١٠٠)  
çaise en syrie et au Liban année 1919 - 1920, vol. I, Beyrouth, p. 5.

(١٠١) محمد جابر آل صفا ، تاريخ جبل عامل ، ص ٢٧٢ .  
راجع أيضاً رسالة الياس صادر «ثورة الشيعة» حيث يعطينا المؤلف تفصيلات مهمة عن وضع «عين ابل» ، القرية المسيحية الجنوبية وعلاقتها بالحاكم العسكري الفرنسي ، بناء على شهادات معاصرة للأحداث ، ص ٢٨ ، وص ٤٧ .

(١٠٢) المرجع نفسه ، ص ٤٧ .

(١٠٣) للاطلاع على أعمال هذه «العصابات» .

راجع : جابر متذر ، مؤتمر الحجير ، رسالة كفاءة غير منشورة ، الجامعة اللبنانية .. ١٩٧٢ .

أعمال انتقامية (١٠٤) ، كما تعرض تنقل القوات الفرنسية إلى كمائن ناجحة في عدة أماكن .

إن الأحداث التي عصفت بجبل عامل خلال شهر أيار ، وأوائل حزيران ، والتي اتخذت بشكل أساسي طابع التصدي « لأنصار فرنسا » المحليين شكلت ذريعة في يد السلطة الفرنسية لتجريد حملة عسكرية على جبل عامل ، لتصفية الثوار وضرب الانتفاضة في مهدها . وبحجـة « وضع حد للفوضى » في البلاد و « حماية المسيحيـن » . فقد قام الكولونيل نيجـر على رأس (٤٠٠٠) جندي فرنسي يعاونـهم ، أدلة ومتـطـوعـون من « الأنـصار » المحليـين ، بحملـة « طافت جميع قرى الشـيعـين » ، فاحتـلتـها وأحرقـتـ بـيوـتـ بعضـها ، واعـتـقلـتـ المـئـاتـ من « المـتهـمـينـ » بـمسـانـدةـ الثـوارـ . وكتـبتـ « لـسانـ الحالـ » مـادـافـعـةـ عنـ هـذـهـ التـابـيرـ : « عـلـىـ أـنـهـ خـلـافـاـ لـلنـمـائـمـ الـتـيـ اـشـهـرـتـ ، لـمـ يـحـرقـ غـيرـ قـسـمـ مـنـ قـرـيـةـ بـنـتـ جـبـيلـ ، وـهـوـ الـقـسـمـ الـذـيـ أـعـدـ سـكـانـهـ الـذـبـحـةـ (يـقـصـدـ مـذـبـحـةـ عـيـنـ اـبـلـ) ، وـأـمـاـ فـيـ بـقـيـةـ الـقـرـىـ فـلـمـ تـحـرقـ غـيرـ بـيوـتـ زـعـماءـ الـعـصـابـاتـ وـقـدـ قـتـلـ فـيـ الـمـعرـكـةـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الـلـصـوصـ ، وـأـعـدـ الـذـينـ قـبـضـ عـلـيـهـمـ وـالـسـلاحـ فـيـ أـيـدـيـهـمـ رـمـيـاـ بـالـرـصـاصـ » (١٠٥) .

---

(٤) بخصوص ما جرى في عين ابل آنذاك ، راجع : رسالة الياس الصادر ، التي سبق ذكرها .

كتـبتـ لـسانـ الحالـ حولـ المـجـومـ عـلـىـ دـيرـ مـيمـاسـ وـالـجـديـدةـ : « وـرـدـ كـتـابـ . . . مـفـادـهـ أـنـ الـعـصـابـاتـ هـجـمـتـ عـلـىـ دـيرـ مـيمـاسـ فـاحـرقـتـهاـ وأـحـرقـتـ قـرـيـةـ الـخـربـةـ ، وـقـتـلـتـ ٢٥ـ شـخـصـاـ مـنـ أـهـالـيـ دـيرـ مـيمـاسـ ، وـنـهـتـ الـطـرـشـ الـمـوـجـودـ فـيـهاـ فـهـرـبـ ٤٠ـ مـنـ أـهـالـيـهاـ إـلـىـ النـبـطـيـةـ وـهـمـ عـرـاءـ ، وـلـاـ تـرـالـ الـعـصـابـاتـ هـنـاكـ وـالـطـرـيقـ مـقـطـوـعـةـ بـيـنـ الـنـبـطـيـةـ وـمـرـجـعـيـونـ لـكـثـرـةـ الـثـوارـ . وـاتـصلـ بـنـاـ مـنـ أـبـنـاءـ مـرـجـعـيـونـ أـنـ سـبـعـةـ آـلـافـ مـنـ عـصـابـ جـبـيلـ عـاـمـ هـجـمـواـ عـلـىـ جـديـدةـ مـرـجـعـيـونـ وـقـتـلـوـتـ سـعـةـ عـشـرـ مـنـ أـهـلـهـاـ . . . فـقـابـلـهـمـ قـوـةـ مـنـ الـعـسـاـكـرـ الـفـرـنـسـيـةـ وـأـطـلـقـتـ عـلـيـهـمـ الـمـدـافـعـ الرـشـاشـةـ فـحـصـدتـ مـنـهـمـ ٤٠٠ـ ثـائـرـ وـقـعـواـ قـتـلـ . . . وـلـاـ رـأـيـ الـثـوارـ مـاـ أـصـابـ رـفـقاءـهـمـ اـنـقـلـبـواـ رـاجـعـيـنـ حـيـثـ أـتـواـ » .

- لـسانـ الحالـ ١٩ـ حـزـيرـانـ ١٩٢٠ .

(٥) لـسانـ الحالـ ، عـدـدـ ٩ـ حـزـيرـانـ ١٩١٩ .

واعتبرت السلطة الفرنسية أن « الطائفة الشيعية بحملتها » مسؤولة عن جرى ، ففرضت عليها غرامة قدرها ( ١٠٠ ألف جنيه ) ، وأجبرت أعيانها وزعماءها أن يقعوا في اجتماع قسري في صيدا تعهداً يقضى « بتحمل أثقال التعويضات عن الخسائر » التي سببها الأحداث<sup>(١٠٦)</sup> . وحكمت على العديد من الثوار والزعماء بالنفي والاعدام ومصادرة الأموال<sup>(١٠٧)</sup> .

ولم تنجح حملة نيجر بتصفية جيوب الانتفاضة نهائياً . فقد كتب لسان الحال ، في ٢٢ حزيران) محملة من موقعها المعادي للمقاومة ، أسباب انتفاضة الشيعة وأشكال الصراع مع مسيحيي جبل عامل ، داعية لاستكمال ضرب هذه الجيوب في كل مكان ، التعليق التالي :

« كان أنه عند الاحتلال اندفع المسيحيون جملة من أبناء تلك الانحاء باظهار عواطفهم نحو الحكومة الفرنسية ، كذلك كان شأنهم لدن قامت

---

(١٠٦) لسان الحال ، عدد ١٢ حزيران .

(١٠٧) حكم بالاعدام على الآتية اسماؤهم : كما ورد ذلك في لسان الحال : صادق الحمزة ، محمود أحد البري ، موسى بوزفلي ، الشيخ عبدالله عزالدين ، رياض محمد حسن فرحات ، عبدالمجيد محمد بزي ، محمود ماراج ، سليمان طرفة ، حاج فياض شراره ، حاج محمد سويدان ، أدهم بن خنجر بك من المروانية ، علي حرب ، محمود أحد قاسم ، عبدالحسين سرور ، ثغر بلوز ، محمد بك التامر ، سيد يوسف تامر ، يعقوب قرداني ، حسين علي مدا من الريحان ، محمود محمد قاسم برkat من البزورية ، أحد قاسم برkat من البزورية ، محمود محمد قاسم ديب من البزورية ، رشيد غصين من القنطرة ، طحان ابن العميد خليل من العديسة وأخوه رشيد وحسن ، سليمان طاباجه من العديسة ، شكيك عبدالله من الخياط ، لطفي عبدالله من الخياط ، نجيب عبدالله من الخياط ، محمد عرب من الخالصة ، كامل اليوسف من الخالصة ، حاج محمود من الخالصة ، عزوز مصطفى من الدورة ، كامل شرور من حنين ، محمود حمان سليمان من العديسة .

وحكم بالنفي المؤبد وضبط الأموال على :

كامل بك الأسعد ، عبداللطيف بك الأسعد ، حاج محمد سعيد البري ، عبدالحميد البري ، سعيد عبدالحسين شرف الدين ، مراد العظمي ، حسين يوسف نصر الله سعد ، حاج جواد من الخياط ، حاج خليل من الخياط ، عائلة فرحات من دير راشيت .  
لسان الحال ، عدد ٩ حزيران ١٩٢٠ .

اللجنة الأميركية مستطلعة رغائب الأمة . . . فلما رأى الشيعيون أن المسيحيين أثروا الحكم الفرنسي على سواه ألغوا عصاياتهم المنظمة فكانوا حيناً يضربون هذه الجهة وأحياناً تلك . . . إن أهالي الجديدة يطلبون النجاة من براثن العدو الجاهل ، ذاك عدوهم الجديد ، بل عدو الحكومة المحتلة اللدود . والذي لاحظناه وعرفنا أن هذه الجماعة لم تقم بأعمالها كرهاً للمسيحية فقط ، بل ان هناك دافعاً آخر حدا بها إلى ما عملوه . ذلك اندفاع أهل المسيحية جهراً بخدمة الحكومة الفرنسوية ، فجدير بهذه الحكومة ان تحافظ على من شاء خدمتها والأخذ بنصرها . . . فيجدر والحاله هذه بالحكومة المحتلة أن لا تكتفي بما قامت به مؤخراً من الأعمال التأديبية . بل ان من مصلحتها الرئيسية أن تمسك المدفع وتقذف بحممه على رؤوس كل من عاث بالأمن العام فساداً . . . »<sup>(١٠٨)</sup>

بيد أنه بعد حملة نيجر كان يتضح للسلطة الفرنسية أن تصفية جيوب الثورة في «المنطقة الغربية» نهائياً لا يمكن أن يتم الا عبر تصفية النواة التي نشأت في دمشق ، والتي التفت حولها بقية التحركات في المناطق الأخرى .

في هذا الوقت كانت حكومة دمشق الجديدة تحاول أن تعطي لاستقلالها السياسي المعلن بعض الركائز الاقتصادية ، فأسست جمارك داخلية على الحدود ، واستوفت زيادة على الرسوم (١٢٪)، كما وضعت نقداً سورياً خاصاً بالبلاد<sup>(١٠٩)</sup>.

. لسان الحال ، ٢٢ حزيران ١٩٢٠ .

(١٠٨) في حديث للأمير فيصل عن السياسة الجمركية للحكومة يقول: «تعلمون أن تقسيم سوريا إلى مناطق نفوذ أجنبية أضر بحياتها الاقتصادية والسياسية، ولا أشك أن ضيق المعيشة والغلاء الحاضر هو نتيجة هذا التقسيم. ولم يخص القائد العام في مبدأ الاحتلال، المنطقة الشرقية بحصة من واردات جمارك المنطقتين الساحلية والجنوبية، بل تقرر أن تأخذ منها ألف ليرة مصرية شهرية مقطوعة. وقد توافت الحكومة البريطانية عن الدفع فلم تأخذ منها شيئاً منذ أربعة شهور، ودفع لنا الفرنسيون مدة شهرين فقط ثم أمسكوا. ولا كنا بحاجة إلى بذل نفقات طويلة لحفظ الأمن وتنظيم الادارة، فسنضطر لتأسيس جمارك داخلية على الحدود، فنأخذ زيادة على الرسوم ١٢٪ . . .»

لسان الحال ، عدد ٢١ نيسان ١٩٢٠ .

وكان هذا من شأنه أيضاً أن يجعل من موضوع تصفية هذا الكيان العربي في دمشق أمراً ملحاً وعاجلاً، لا سيما بالنسبة لمطالب تجار وصناعي ليون.

لكن ما كان يزعج غورو هو امتداد الثورة التركية إلى كيليكيا نفسها. إذ اشتعلت الجبهة في كانون الثاني (١٩٢٠)، من مرسين إلى أورفة على امتداد (٤٠٠) كلم<sup>(١١٠)</sup>. وكان هذا من شأنه أن يهدد النفوذ الفرنسي لا في كيليكيا فحسب، بل في سوريا أيضاً، لا سيما بعد أن ترددت أخبار محاولات تجاري لتشكيل جبهة تركية - عربية مشتركة ضد الاحتلال الفرنسي. وهذا ما دفع الجنرال غورو لعقد هدنة مع اتاتورك، كي يتفرغ كلياً بعدها لتصفية كيان دمشق<sup>(١١١)</sup> والمقاومة العربية وفرض برنامج تجار وصناعي مدينة ليون على الحكومة العربية.

وفي أوائل تموز كانت الحكومة الفرنسية قد قررت السير نحو دمشق لحسم الموقف، فمنع الجنرال غورو فيصلاً من السفر إلى أوروبا في (٥ تموز)<sup>(١١٢)</sup>. وطلب منه قبول المطالب التالية: - أن تضع الفرق الفرنسية يدها على خط سكة الحديد رياق - حلب. - الاعتراف بالانتداب الفرنسي على سوريا. - الغاء الخدمة العسكرية وتسریع الجيش. - إيقاف ومعاقبة من يشترك في الحملة الإعلامية المعادية لفرنسا<sup>(١١٣)</sup>.

وفي (١٢ تموز) وقبل تلقي الرد من فيصل أمر غورو باحتلال المعلقة ورياق لاجتياح البقاع على طريق دمشق. في (١٤ تموز) وجه غورو إلى حكومة فيصل إنذاراً يتضمن الشروط السابقة مع طلب بقبولها كلياً أو رفضها كلياً قبل منتصف ليل (١٨ تموز)، وهو موعد مدده غورو (٤٨) ساعة<sup>(١١٤)</sup>.

---

- Lyautey , Gouraud, p. 198.

(١١٠)

- Ibidem, p. 199.

(١١١)

(١١٢) الحصري ساطع ، ميلتون، ص ١١٨ .

(١١٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(١١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .

وقبل ف يصل الشروط وأعلن استعداده هو وبعض أعضاء حكومته الدخول في مفاوضات مع الجنرال الفرنسي. وكعلامة على «حسن نيته» أمر بتسریع الجيش. وفي هذا الوقت كانت المظاهرات الشعبية في دمشق ترد بعنف على هذا الاستسلام، وتنهم فیصل وحكومته بالخيانة، وتطالب بتوزیع السلاح على الشعب، وتنظيم المقاومة، وتهاجم مستودعات الأسلحة حيث اطلق عليها النار<sup>(١١٥)</sup>.

وعلى كل حال لم يكن غورو ليريد أن يدخل دمشق بدون ضجة. فقد حرص أن يعرقل قبول شروطه سلماً من قبل ف يصل بعد أن تلقى سيلًا من الانتقادات على المدننة التركية بشأن كيليكيا. لقد كان يريد أن يعطي هذه المدننة التي اعتبرت «تراجعاً» و«هزيمة» «بانتصار عسكري» وضجيج اعلامي يرافق دخوله إلى دمشق.

وهكذا نرى أنه في الساعات الأخيرة بذل ف يصل محاولات عديدة ولكن دون جدوى، لحمل غورو على إيقاف زحفه. وفي هذه الساعات أيضاً التي يصفها ساطع الحصري بدقة متناهية، كان وزير الحرب يوسف العظمة يقرر المقاومة، فيجمع بعض المتطوعين المدنيين، وما تبقى من الجيش بعد تسریحه، ويتمركز في وجه الجيش الفرنسي الزاحف عند ميسلون. كان هؤلاء يعلمون أن ذخائرهم لن تسمح لهم بالصمود في المعركة أكثر من ساعة ضد الآلة العسكرية الكبيرة التي كان يملکها الجيش الفرنسي، ولكنهم كانوا مع ذلك مصممين على القتال وعلى «الموت بشرف»<sup>(١١٦)</sup>.

في (٢٤ تموز) كانت المجابهة غير المكافحة. فقضى على المقاومة واستشهد يوسف العظمة، كما استشهد معظم ضباطه وجندوه. وفي اليوم الذي تلاه دخل الجيش الفرنسي دمشق، وسار ف يصل مع عدد من مساعديه طريق المنفى، ليصار إلى توجيهه من قبل الانجليز ملكاً على العراق في (٢٣ آب ١٩٢١).

(١١٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .

(١١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .



## اتجاهات و ردود فعل أخرى قبل وبعد ميسلون

### إعلان دولة لبنان الكبير

لم تكن تصفية الكيان السياسي العربي في دمشق إلا خطوة رئيسية على طريق مهام «ضبط» الأوضاع في سوريا بمحملها. هذه المهام لم تبدأ ولم تنته بتصفية مقاومة ميسلون وإنهاء الحكم العربي في دمشق. فمن جهة، كان الجنرال غورو قد تنبه لخطورة التدابير المالية التي اتخذتها الحكومة العربية، فأصدر أمراً بمنع إجراء المبادرات المصرفية إلا بالليرة السورية الصادرة عن البنك السوري<sup>(١١٧)</sup>، واعتبار «العملة السورية» الصادرة عن هذا البنك عملة رسمية في كل المناطق التي تشكل حتى الآن المنطقة الشرقية من أراضي العدو المحتلة<sup>(١١٨)</sup>.

ومن جهة أخرى، لم تكن الإتجاهات المطالبة «بتكبير لبنان» متفقة تماماً على الصيغة الدستورية للمشروع الجديد. فإذا كانت السلطة الفرنسية قد

---

- Recueil des Actes Administratifs du Haut - Commissariat Arrêté 265, p. 103, 12 (١١٧)

Juillet 1920.

- Ibidem. Arrêté, 9 Août 1920, P.P. 121 - 122.

(١١٨)

اطمأنت للحركة المطلبية التي قادها البطريرك الياس الحويك، والتي كانت تطرح بالجاج حاجة لبنان للانتداب الفرنسي كي «يساعد» هذا الأخير على إيجاد هذه الصيغة، فإن اصواتاً أخرى «لبنانية» كانت تختلف هذا الإتجاه، وتشير قلق السلطة الفرنسية في «المنطقة الغربية». وبعض هذه الأصوات ارتفع في القاهرة عبر جمعية «الاتحاد اللبناني»، و«رابطة لبنان الفتى» *«Association du Jeune Liban»* اللتين ضمتا صحفيين ومحامين وتجاراً اشتغلوا في مصر في ظل الحكم البريطاني.

هذا الاتجاه كان يطالب «باستقلال لبنان - الكبير بحدوده الطبيعية» طارحاً صيغة «ضمان الدول الكبرى» للاستقلال بدليلاً عن صيغة الانتداب التي نادت بها «وفود لبنان» إلى مؤتمر الصلح. ففي مذكرة رفعتها «رابطة لبنان الفتى» إلى الدول الكبرى في (١٠ كانون الثاني ١٩٢٠)، احتجاج شديد على المطالبة بالانتداب الفرنسي، لأن «ممارسة الاستقلال ليست مستحبة - على حد تعبير المذكرة - على الشعب اللبناني. فهذا الشعب حكم نفسه بنفسه في كل وقت. وإن الرجال التابعين الذين قدمهم للحكومات الأجنبية، لا سيما للحكومة المصرية، لهم دليل واضح على كفاءته الإدارية»<sup>(١١٩)</sup>.

ثمة اتجاه لبناني آخر تقاطع مع اتجاهات تطالب باتحاد سوري لا مركزي. دعا على أن يكون «النظام الحكومي في سوريا دستورياً ديمقراطياً مدنياً قائماً على شكل ولايات متحدة مع لا مركزية إدارية واستقلال داخلي في جميع الأقاليم»<sup>(١٢٠)</sup>.

(١١٩) من مذكرة «رابطة لبنان الفتى» إلى الدول الكبرى . القاهرة ١٠ كانون الثاني ١٩٢٠ .  
- *Association du jeune Liban: Mémoire sur la question Libanaise présenté aux puissances, le caire, le 10 janvier 1920.*

(١٢٠) انعقد في القاهرة في ١٣ كانون الأول ١٩١٩ «مؤتمر سوري» ضم لجنة حزب الاتحاد السوري بمصر ، لجنة الحزب السوري - اللبناني ، لجنة الحزب السوري المعتمد ، ومثل هذه الأحزاب سوريون ولبنانيون . عن حزب الاتحاد السوري : رفيق العظم ، سليم سركيس ، ميشال لطف الله ، عن الحزب السوري - اللبناني : نعمة غانم ، الفونس زينية ، حتى العظم ، عبدالله صغير ، عن الحزب السوري المعتمد : أمين مرشاق ، وليم برباري .

هذا الاتجاه «اللبناني» الذي كان يتفق مع قرار المؤتمر السوري العام المنعقد في (٨ آذار ١٩٢٠) والذي يقر جبل لبنان «بادارة خاصة» «ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب». أخذ على ما يedo يكتب لنفسه موقع في الداخل، وبالذات داخل مجلس ادارة جبل لبنان. وكان هذا من شأنه أن يخلق ارباكاً للسياسة الفرنسية التي اعتمدت على مذكرات وفدي داوود عمون والبطريـك الياس الحويـك، فراقبت السلطة الفرنسية بحذر شديد شـتى تحركـات المجلس قبل معركة ميسـلون.

وكتب يوسف مزـهر مفسـراً التحـول الذي حصل في موقف مجلس الادـارة وتوجهـه نحو الحكومة العـربية: «خلا الجـو للاـفرنـسيـن بعد أن شـتـتوا شـملـ الثـوار، فأـخـذـوا في تـطـيـقـ سيـاسـةـ الشـدـةـ والـأـرـهـاـقـ فيـ هـذـهـ الـبـلـادـ، كـمـاـ لـوـ كانـ سـكـانـهاـ منـ شـعـوبـ أـفـرـيـقيـاـ، فـأـرـسـلـواـ إـلـيـهـاـ نـفـرـاـ منـ المـوـظـفـينـ الـحـقـقـىـ وـبـوـثـهـمـ فيـ مـخـتـلـفـ الـمـصـالـحـ الـادـارـاتـ فأـصـبـحـتـ الـكـلـمـةـ كـلـمـتـهـمـ وـالـشـورـهـمـ، فـبـطـرـوـاـ وـشـمـخـوـاـ وـأـخـذـواـ يـسـيـئـونـ معـاـلـمـ الـلـبـانـيـنـ. وـكـانـ فيـ مـقـدـمـتـهـمـ الـقـوـمـدـانـ «لـابـرـوـ» مـتـصـرـفـ الـجـبـلـ، فـقـدـ كـانـ يـتـطاـولـ عـلـىـ أـعـضـاءـ مجلـسـ الـادـارـةـ فـلـاـ يـنـفـذـ قـرـارـاتـهـ...»

وبـاتـابـعـ مـزـهرـ بـقـوـلـهـ:

«وـبـدـأـتـ عـلـامـاتـ الـاستـيـاءـ تـعمـ الـجـبـلـ، وـسـئـمـ الـلـبـانـيـوـنـ وـطـأـةـ السـلـطـةـ الـعـسـكـرـيـةـ الـاجـنبـيـةـ، وـطـالـبـواـ بـحـكـمـ وـطـنـيـ، وـأـخـذـواـ مـنـذـ ذـلـكـ الـحـينـ يـنـاضـلـوـنـ نـضـالـاـ خـفـيـاـ مـسـتـمـرـاـ عـنـيفـاـ مـنـ أـجـلـ التـخلـصـ مـنـ رـبـقـةـ الـانتـدـابـ وـصـارـ سـعـيدـ بـكـ الـبـسـتـانـ يـتـرـدـدـ عـلـىـ دـمـشـقـ، وـيـقـابـلـ الـمـلـكـ فـيـصـلـ بـغـيـةـ اـيجـادـ تـفـاهـمـ بـيـنـ

---

بعثـ المؤـثـرـوـنـ إـلـىـ مؤـتـمـرـ الـصـلـحـ بـبرـقـيـةـ جاءـ فـيـهـاـ: «انـ سـورـيـةـ الـمـتـحـدـةـ الـتـيـ لاـ تـتجـزـأـ يـجـبـ اـعادـةـ تـأـلـيـفـهـاـ بـوـحدـتـهاـ الـوطـنـيـةـ السـوـرـيـةـ وـبـسـلـامـةـ أـرـاضـيـهـاـ الـكـامـلـةـ حـسـبـ حـدـودـهـاـ الـمـعـرـوفـةـ وـهـيـ جـبـلـ طـرـوـرـوسـ شـمـالـاـ، وـمـكـةـ وـالـحـجـازـ جـنـوـبـاـ، وـالـعـرـاقـ شـرـقاـ، وـالـبـحـرـ الـمـوـسـطـ وـخـطـ

يـمـنـدـ مـنـ رـفـعـ إـلـىـ الـعـقـبةـ غـرـبـاـ.

- انـ النـظـامـ الـحـكـومـيـ فـيـ سـورـيـةـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ دـسـتـورـيـاـ دـيمـقـراـطـيـاـ مـدـنـيـاـ قـائـمـاـ عـلـىـ شـكـلـ

وـلـاـيـاتـ مـتـحـدـةـ مـعـ لـاـ مـرـكـزـيـةـ اـدـارـيـةـ وـاسـتـقلـالـ دـاخـلـيـ فـيـ جـمـيعـ الـأـقـالـيمـ»ـ.

لـسانـ الـحـالـ، عـدـدـ ١٢ـ كـانـونـ الثـانـيـ ١٩٢٠ـ.

دمشق ولبنان. فبدأت المخابرات الجدية في أواخر شهر أيار (١٩٢٠) بواسطة نجيب بك الأصفر في بيروت، وبين كل من سعد الله الحويك شقيق البطريرك الماروني، وأحد أعضاء مجلس الادارة ، والياس الحويك ترجمان المتصرفة وزوج ابنة سعد الله المذكور، وبين جليل الألشي ضابط الارتباط السوري في بيروت على قاعدة استقلال الجبل، وحياته بعد تكبيره. وقد اشترك فيها بعده سليمان كنعان والياس الشويري من أعضاء مجلس الادارة، والأمير أمين ارسلان وغيرهم. وبعدأخذ ورد وضع مضبوطة بطلب الاستقلال التام للبنان على أن يحملها أعضاء مجلس الادارة، ويسافروا بالذات إلى دمشق، ومنها إلى حifa، فباريس، وإن اقتضى الأمر إلى أميركا حيث يلاحقون قضييthem أمام مؤتمر الصلح. وعلى أن تدفع لهم عشرة آلاف ليرة مصرية لنفقات سفرهم ريثما يصلون إلى باريس. وقد تعهدت الجمعيات اللبنانيّة في المهجـر بأن تقوم بدفع نفقاتهم مدة إقامتهم هناك، وجمعـت الإعانـات فعلاً، وقد دفع لهم المبلغ المتفق عليه، تناولـه سليمان كنـعان من عـارـفـ النـعمـانـيـ بـضمـانـةـ الأمـيرـ أمـينـ اـرسـلانـ. وـكانـ المـفوـضـيـةـ العـلـياـ عـلـىـ عـلـمـ بكلـ ماـ يـجـريـ بـواسـطـةـ أحدـ موـظـفيـهاـ، فـكانـ يـحضرـ الـاجـتمـاعـاتـ السـرـيـةـ فيـ مـنزـلـ نـجـيبـ الأـصـفـرـ المـذـكـورـ. وـقدـ قـدـمهـ إـلـىـ أـعـضـاءـ المـجـلسـ طـالـباـ إـلـيـهـمـ أـنـ يـثـقـواـ بـهـ بـحـجـةـ أـنـهـ مـنـ النـاقـمـيـنـ عـلـىـ الـفـرـنـسـيـنـ.

«وفي (١٠ تموز سنة ١٩٢٠) وضعـتـ المـضـبـطـةـ وـوـقـعـهـاـ سـبـعـةـ مـنـ أـعـضـاءـ المـجـلسـ هـمـ: سـعـدـ اللهـ الحـويـكـ، خـلـيلـ عـقـلـ شـدـيدـ، سـلـيمـانـ كـنـعـانـ، مـحـمـودـ جـنبـلـاطـ، فـؤـادـ عـبـدـ الـمـلـكـ، الـيـاسـ الشـوـيرـيـ، مـحـمـدـ الـحـاجـ مـحـسـنـ، وـتـحـلـفـ يـوسـفـ الـبـرـيـديـ، وـكـانـ مـتـضـامـنـاـ مـعـ الـمـوقـعـيـنـ بـسـبـبـ مـرـضـهـ. وـارـسلـ نـسـيـيـهـ خـنـولـ القـاصـوفـ لـلـاشـتـراكـ فـيـ اـجـتمـاعـاهـمـ، وـوـعـدـ أـنـ يـلـعـقـ بـهـمـ إـلـىـ دـمـشـقـ، وـلـمـ يـكـاـشـفـواـ دـاـوـودـ عـمـونـ وـحـبـيـبـ باـشاـ السـعـدـ»<sup>(١٢١)</sup>.

ركـزـتـ «ـالمـضـبـطـةـ»ـ عـلـىـ النـقـاطـ التـالـيـةـ:ـ الـهـدـفـ:ـ التـنـسـيقـ مـعـ الـحـكـومـةـ الـعـرـبـيـةـ لـتـحـقـيقـ هـذـاـ الـبـرـنـامـجـ:

(١٢١) مـزـهـرـ يـوسـفـ، تـارـيخـ لـبـانـ الـعـامـ، صـ ٩٢٠ـ - ٩٢٢ـ.

- ١ - استقلال لبنان استقلالاً مطلقاً.
- ٢ - حياد لبنان السياسي.
- ٣ - اعادة الأراضي المسلوبة عنه إليه بموجب اتفاق بين لبنان والحكومة الداخلية.
- ٤ - تحديد العلاقات الاقتصادية مع الحكومة الداخلية بموجب لجنة تعين من قبل مجلس النواب اللبناني والسوسي.
- ٥ - ملاحقة الدول للتصديق على هذه البنود وضمان هذا الاستقلال<sup>(١٢٢)</sup>.

غير أن الوفد هذا لم يتمكن من الوصول إلى دمشق. ففي ١٥ تموز ١٩٢٠ صدر عن السلطات الفرنسية في جبل لبنان «البلاغ الرسمي» التالي: «يوم الخميس الماضي علمت الحكومة باندهال أن بعض أعضاء مجلس ادارة لبنان الذين باعوا أنفسهم من الحكومة الشرفية يتأهبون للذهاب للشام ليبيعوا فيها استقلال بلادهم برفضهم انتداب فرنسا الحامية الأزلية للبنان واللبنانيين. وممّا ظهر من غرابة هذا الخبر - يكمل البلاغ - فقد ثبت حالاً بالأعمال، فقبضت السلطة العسكرية في صوفر على خمسة من أعضاء هذا المجلس، وبعد بضع ساعات قبضت على اثنين في زحلة بنفس الحالة، فظهر من خلاصه الاستنطاق الحقيقة المحزنة، وخيانة الأعضاء السبعة في الحكومة اللبنانية...»<sup>(١٢٣)</sup>.

وكان هذا الحدث الذي تابعت السلطة الفرنسية خيوطه من الداخل، مناسبة للتشهير بهؤلاء الأعضاء من قبل أصدقائهم في المجلس وخارجيه. فأُبرق

(١٢٢) لسان الحال ، عدد ١٩ تموز ١٩٢٠ . ان وثيقة نص «المضبطة» التي وضعها الأعضاء السبعة محفوظة في ارشيف مديرية الآثار اللبنانية ، بيروت ، وثيقة رقم ٦٦٧٦ راجع الملحق رقم ٥ .

(١٢٣) لسان الحال ، عدد ١٥ تموز ١٩٢٠ .

رئيس المجلس حبيب باشا السعد إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يقول: «إن رئيس وأعضاء مجلس ادارة لبنان يقترحون ما أتي به بعض زملائهم الذين خانوا وطنهم، وحاولوا بيعه والقائهم بين ذراعي الشريف عدو الشعب اللبناني الألد، من غير أن يكون لهم وكالة «ناسين تقاليد أجدادهم، وأماني الأهالي الذي ينوبون عنهم»<sup>(١٢٤)</sup>.

وكان ان كشفت محكمة الأعضاء السبعة عن تدخل السلطة الفرنسية في توجيهه وفد داود عمون إذ ورد في الدفاع أن الوفد الأول برئاسة هذا الأخير قد خالف تفويض مجلس الادارة الذي اكتفى «بتطلب استقلال لبنان الكبير والمساعدة فقط»<sup>(١٢٥)</sup> ولم يتطرق للانتداب. كذلك كشفت المحكمة عن عدم وجود أي تماسك في موقف الأعضاء، ففي حين أعلن الأمير أمين أرسلان «أنه شريفي محض وأنه يريد وحدة سورية، وأنه مختلف مع الأعضاء المذكورين» صرخ خليل عقل خلال استجوابه أنه كان ذاهباً إلى زحلة حين قبض عليه، وأنه «محب لفرنسا ولأجل حبها أبعده الأتراك إلى آخر ما غرر به»<sup>(١٢٦)</sup>.

وكان ان صدرت الأحكام أخيراً بإبعاد «المتهمين» عن البلاد مددًا تتراوح بين ستة أعوام وعشرة أعوام<sup>(١٢٧)</sup>. غير أن ما كانت تتبعه السلطة الفرنسية هو إلغاء هذه «الواجهة» التمثيلية وتصفيتها، تمهدًا لـ«قرارات تنظيم جديد لكل سورية بما فيها «لبنان». فأصدر الجنرال غورو في (١٢ تموز) قراراً يعتبر «مجلس الادارة» محلولاً لعدم استطاعته القيام بدوره التمثيلي «وبانتظار وضع نظام أساسي للبنان الكبير، وإجراء انتخابات عامة، فإن لجنة ادارية مؤقتة تقوم مقام المجلس وتتمتع بذات الصلاحيات». «أما أعضاء هذه اللجنة فيعينون تعيناً فيما بعد». «ويكون المفوض السامي العام، والمندوب الإداري

(١٢٤) لسان الحال ، عدد ١٥ تموز ١٩٢٠ .

(١٢٥) لسان الحال عدد ١٩ تموز ، من محاضر جلسة المحاكمة .

(١٢٦) لسان الحال ، عدد ١٩ تموز .

(١٢٧) مزهر يوسف تاريخ لبنان العام ، ص ٩٢٦ .

عن المنطقة الغربية والحاكم العسكري للبنان، معنيين جيئاً بتطبيق هذا القرار»<sup>(١٢٨)</sup>.

إن «ضبط» هذه الأمور «اللبنانية» كان يكمل في الواقع «مهمة» «ضبط أوضاع سورية عبر تصفية مقاومة «ميسلون» وضرب امتداداتها في قرى حوران.

فماذا كانت ردود الفعل على حادثة «ميسلون» في الداخل وفي الخارج أذن؟

كانت بالنسبة للبعض «بشرى» استقلال لبنان. فكتب أيوب ثابت في «لسان الحال» يحيي انتصار فرنسا في (٢٤ تموز) ويشبه هذا اليوم بيوم الجمهورية الفرنسية. يقول: «هو اليوم الذي وقع فيه الحادث الخطير الذي ضمن لسوريا كيانها واستقلالها بعد أن كانت مهددة بالتجزئة والفووضى الدائمة.. وهل يوم واحد أيلول إلا تاريخ وضعى حادث تاريخي عظيم جرى في (٢٤ تموز)، ألا وهو وقعة ميسلون التي صيرت استقلال لبنان الكبير أمراً مفضياً... ولسوف يذكر تاريخ لبنان اسم الكولونيل نيجر كأحد كبار العاملين في إنقاذ فكرة لبنان الكبير واستقلاله على مبادئ القومية الوطنية»<sup>(١٢٩)</sup>.

لكن «ميسلون» كانت صدمة عنيفة بالنسبة للحركة العربية الناشئة وقواها الجماهيرية الإسلامية، فقد خلقت شعوراً بالمرارة والنقمة، لا عند جماهير الداخل فحسب، بل أيضاً في الأوساط الإسلامية في المناطق الملحقة بلبنان<sup>(١٣٠)</sup>.

---

- Recueil des actes Administratifs du Haut - Commissariat Arrêté 273, P.P. 104-(١٢٨)  
105.

(١٢٩) لسان الحال ، ٢٣ أيلول ١٩٢٠.

(١٣٠) نلمس صدى هذه النقاوة في كتابات محمد جليل بهم، كذلك في كتاب زكي النقاش «لبنان بين الحقيقة والضلالة».

وهكذا بين سعادة البعض بنتائج «ميسلون» والخيبة المريمة لدى جماهير واسعة، أظهرت الأوساط الاستعمارية الفرنسية رضاها الكامل على إنجاز الجنرال غورو، فكتبت «اللجنة الليونية للمصالح الفرنسية في سوريا» إلى الرئيس الفرنسي: «إن اللجنة الليونية، إذ تعرب عن سرورها بالنتائج التي أحرزها الجنرال غورو، تقدم من الرئيس، بالإجماع، بطلب مساعدات ضرورية لثبت الوضع المكتسب في سوريا، وتقوية الموقف الفرنسي كلياً في المناطق التي احتلت حديثاً»<sup>(١٣١)</sup>.

وهكذا قدمت، في سبيل ثبيت الوضع في سوريا و«تمهّيته» مساعدات قدرها (١٢٠٠) مليون فرنك، وأبقي في سوريا على (٦٠) ألف جندي فرنسي<sup>(١٣٢)</sup>. لكن ثبيت الوضع سياسياً كان يقضي أيضاً بتقسيم سوريا وفق شعار «فرق تسد» على قاعدة الحركة المطلبية المارونية التي قادها البطريرك، وعلى قاعدة التعدد الطائفي في الداخل (دروز، سنة، علويون)، وفق المخطط الذي رسمته مراسلات ميليران - غورو قبل وبعد معركة ميسلون<sup>(\*)</sup>.

ويعرف الجنرال كاترو في سياق حديثه عن مهمته غورو بهذا المخطط فيقول: «إن سؤالاً أولياً كان يطرح نفسه. أكان يجب احترام الوحدة السورية كما انصهرت في أيام العثمانيين في إطار «ولاية سوريا»، طبعاً بعد استثناء قسمها الجنوبي: فلسطين، الذي وضع تحت الوصاية البريطانية؟. أو كان يجب بالعكس تجزئتها بتشجيع الاتجاهات الإقليمية الخاصة التي ظهرت آنذاك. أو كان من الأفضل تبني صيغة وسط تقضي ب التقسيم سوريا إلى وحدات ادارية مميزة مع احترام اطارها التاريخي والجمع فيها بينما برابط فدرالي؟.

- Cité par Chevallier D.: les Bases d'un intervention..., p. 318, d'après les archives de la chambre de Lyon (syrie 1915 - 1920).

- Ibidem, p. 318.

\* استعرضنا بالتفصيل نصوص هذه المراسلات السرية في كتابنا: بلاد الشام، السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية، بيروت، ط ١، ١٩٨٠ ، ط ٢، ١٩٨٢ .

ويجيب الجنرال كاترو على تساءله:

«بدل هذا الخل الأخير الذي كنت شخصياً اخترته لو كنت يومذاك في سوريا، اختار الجنرال غورو ومستشاروه السياسيون الخل الثاني. فقسمت سوريا إلى حكومات مستقلة الواحدة عن الأخرى، فأنشئت دولة حلب، دولة دمشق، دولة العلوين، سنجق الاسكندرتون المستقل، وفيما بعد دولة الدروز. ومن جهة أخرى، سلخت عن ولاية سوريا أقضية البقاع، صور، طرابلس، والحقت بعتصفية لبنان لتشكل معاً دولة لبنان الكبير.

«هذا القرار الذي بدت نتائجه شديدة الوطأة، مثل ردة فعل أوساط المفوضية العليا ضد مفهوم الوحدة السورية كما مثلها فيصل ودعاة القومية. فمن وحي حكم «فرق تسد» اعتقد هؤلاء، أن تقسيم أراضي مملكة فيصل العابرة يمكن أن تفك التلاحم القومي الذي اشتند بواسطة هذا الأمير، وتمحور حول شخصه وحول فكرة الاستقلال التي جسدها. بهذا كانوا يغشون أنفسهم، لأن فكرتهم المسبقة كانت مفضوحة كثيراً، ولأن كسر الوحدة كان لا بد أن يكون - وكما ظهر فيما بعد - حافزاً حنين وشوق إلى الوطن لدى المواطنين السوريين».

ويكمل الجنرال كاترو حديثه فيتابع انتقاد سياسة غورو: «في الواقع إن هذا التقسيع الذي ازدادت حدته بالحاق مناطق إسلامية وسورية بلبنان - كبير وهيمنة مسيحية، لم يكن إلا ليترك ثقلاً نفسياً يضر بعلاقاتنا بسوريا. إن هذه المواقف عمقت، في ذات الوقت، الشعور القومي، وأثارت الأحساس الدينية لدى السكان الذين اعتقادوا أن فرنسا تدعم في ظل الانتداب الطوائف المسيحية على حساب مصلحة المسلمين... لقد ساد نتيجة ذلك جو من الخيبة والمرارة لاحظت وجوده منذ اللحظة التي استلمت فيها مهمات مندوب المفوضية العليا في دولة دمشق في (٢٠ آب ١٩٢٠). لقد تبين أنه حتى الوطنيين المعتدلين الذين تعاملوا معنا لم يرضوا بتقسيم بلادهم ولا باقطاع أراضيهم على وجه أخص»<sup>(١٣٣)</sup>.

-Catroux: Deux missions en Moyen - Orient ( 1919 - 1920), P.P. 26-28.

(١٣٣)

بيد أن سياسة غورو التي ينتقدها كاترو كانت على ما يبدو تحوز رضى الرئيس ميليران. فقد بعث هذا الأخير إلى المونسنيور عبد الله خوري سكرتير البطريرك ورئيس الوفد اللبناني الثالث إلى مؤتمر باريس، برسالة وصلت حوالي آب (١٩٢٠)، جاء فيها: «لقد استجيب لطموح بلادكم بشأن البقاع، مباشرة بعد التدابير التي استبعدها موقف الحكومة الشرفية. فلقد أعلن الجنرال غورو في زحلة وفقاً للمقاصد التي لم تتغير ولتعليمات حكومة الجمهورية ضم البلاد التي تمتد حتى السلسلة الشرقية وجبل حرمون إلى لبنان. بيد أن ما تريده فرنسا بثبت حدود الطبيعية بلادكم هو خلق لبنان الكبير. فلبنان يجب أن يضم في الشمال جبل عكار وان يتمتد من ناحية الجنوب حتى أقصى حدود فلسطين. كما أن مدن طرابلس وبيروت يجب أن تضم إليه بشكل وثيق، مع تحفظ واحد هو الحفاظ على استقلالية إدارية واسعة تأخذ بعين الاعتبار الفرق الاقتصادي الموجود بين المدن وبين «الجبل».

#### وبناءً على الرئيس الفرنسي :

«على أن فرنسا ودون أن تنسى مسؤوليتها الجديدة التي تدعوها أن تظهر التوازن بشكل متساوٍ بين جميع المناطق السورية، تفكّر بصداقاتها التاريخية وبتضامنها القديم مع لبنان، والذي أكدها هذا الأخير، وبشكل ساطع بدمجه الرمز الوطني مع الألوان الفرنسية في العلم الذي اختاره. إن باستطاعة لبنان الكبير الاعتماد دائمًا على فرنسا»<sup>(١٣٤)</sup>.

وكان أن ثبت الجنرال غورو هذا الوضع بقرار (٣١٨) الذي نص على أن: «تشكل دولة باسم لبنان الكبير تشتمل على الأراضي التالية:

١ - لبنان الحالي.

٢ - أقضية بعلبك، البقاع، راشيا، حاصبيا.

٣ - أقسام من الأراضي التابعة لولاية بيروت وبالشكل التالي:

- Cité par Bruneau : op. cit ; P.P. 306-307.

(١٣٤)

أ - سنجق صيدا ما عدا القسم التابع منه لفلسطين بوجب معاهدات دولية .

ب - سنجق بيروت .

ج - القسم الذي يضم قضاء عكار في جزئه الواقع جنوب النهر الكبير . من سنجق طرابلس : قضاء طرابلس (مع مديرية الضنية والمنية ) ، ومع القسم الواقع جنوب الحدود الشمالية للبنان الكبير من قضاء حصن الأكراد (١٣٥) .

وفي اليوم التالي من صدور القرار (١ أيلول ) احتفل الجنرال غورو في «قصر الصنوبر» في بيروت «باليوم التاريخي» الذي حصل فيه «اللبنانيون» على «حريتهم» وتخلصوا من جور «المستعمرين» .

وبحضور القنصل والوجهاء المحليين الموالين لفرنسا ورموز إسلامية قليلة ، أعلن الجنرال غورو : «... امام كل هذه الشواهد على تمنياتكم ، على نضالكم ، وعلى نصركم ، وأنا أشارككم سعادتكم وعزتكم أعلن شرعية لبنان الكبير . وإنني باسم الجمهورية الفرنسية أحبيه بعظمته وبثرته ممتدًا من النهر الكبير حتى تخوم فلسطين وحتى قمم السلطة الشرقية» (١٣٦) .

إن خطاب غورو هذا شكل استفزازاً شديداً للدعاة الوحدة مع الداخل السوري (١٣٧) ، لدرجة أن قطاعات واسعة منهم رفضت الاعتراف «بالأمر الواقع» والقبول به (١٣٨) .

- Recueil des actes administratifs du Haut - Commissariat, Arrêté No. 318, pp. (١٣٥) 132 - 134.

- Cité par Bruneau : op. cit ; P.P. 307 - 308. (١٣٦)

Ibidem. (١٣٧)

(١٣٨) عندما طلب الجنرال غورو اعداد احصاء عام للأهالي لاستصدار تذاكر هوية في دولة «لبنان الكبير» (قرار ٧٦٣ تاريخ ٩ آذار) رفض المسلمين في المناطق الملحقة الاشتراك في عمليات الاحصاء هذه ، اذا كانت تذكر الهوية تتطلب تغيير «الجنسية اللبنانية» . وقد أجبر هذا الموقف السلطة الفرنسية لكي تتجاهل الاحصاء ، ان تعوض النظر عن مسألة ذكر «الجنسية» .

ومن جهة أخرى: أكانت كل الأطراف المارونية راضية تماماً على هذا الإلحاد؟ إنه لمن الضروري ملاحظة أن تكبير لبنان في حدود المساحة التي عينها غورو كان يهدد ببطال مفعول واقع الأكثريّة المسيحيّة الساحقة. إذ جعل عدد المسيحيين تقريباً مساوياً بعدد المسلمين، وإن جهود وسائل الإعلام آنذاك على إبراز غلبة عدد المسيحيين النسبي<sup>(١٣٩)</sup>. ومن المهم أيضاً ملاحظة أن المطالب المقدمة إلى مؤتمر الصلح استهدفت أساساً حل أزمة الجبل على أثر الضيق الاقتصادي الذي عاناه هذا الأخير في أوائل القرن العشرين. لذلك كان أهم ما ركز عليه هو ضم بيروت لكونها مرفاً مهماً ومركزاً لفعاليات الجبل الاقتصادية، وضم سهل البقاع لخصبه وغناه بالحبوب<sup>(\*)</sup>.

غير أن الموقف الفرنسي الذي اتخذته الحكومة الفرنسية بإلحاقها بلبنان مناطق ذات غالبية إسلامية (جبل عامل، بعلبك، عكار، طرابلس،

ورد خبر هذه الحادثة في : بيهم محمد جيل ، قوافي العروبة ، ص ٩٦ - ٩٧ .	=
(١٣٩) نشرت لسان الحال في عددها الصادر في ٢٣ آب ١٩٢٠ ، احصاء عنى بجمعه وترتيبه جرجي افendi نقولا ، معتمداً فيه على الاحصاءات الرسمية لغاية ١٩١٦ ويتضمن المهاجرين :	
مارونيون : ٣٠٠٠٠	
مسلمون : ١٧٥٠٠	
روم ارثوذكسن : ١٥٠٠٠	
شيعيون : ١٢٥٠٠	
دروز : ٧٠٠٠	
انجليزيون : ٦٠٠	
اسرائيليون : ٦٠٠	
ارمن سريان لاتين : ٤٠٠	
أجانب مختلفون : ٤٠٠	
لسان الحال ، عدد ٨١١٨ ، ٢٣ آب ١٩٢٠ .	

\* راجع الملحق رقم (٨) والخريطة التي قدمتها بعض الحاليات اللبنانيّة في ساوبولو حيث لم تشمل الخريطة المقدمة بلاد بشارة (جنوب الليطاني).

صيدا..). أثار قلق بعض الأطراف المارونية، خوفاً من أن يمس هذا «التوازن الطائفي» الجديد الهيمنة المارونية في مشروع الدولة الجديدة<sup>(١٤٠)</sup>.

ويعرف أحد الكتاب الفرنسيين المدافعين عن السياسة الكولونيالية الفرنسية بهذا الواقع André Bruneau فيقول «إن السوريين غاضبون علينا لأننا سلخنا عنهم سهل البقاع الغني والخصب وأقضية بعلبك وحاصبيا، وراشيا، ومنطقة طرابلس، لاعطائهم للبنان. ولا يعترف بعض اللبنانيين إلا بأسف بحوكتهم الجديدة، بينما يتهمنا البعض بأننا تخلينا عن أصدقائنا وأخلص شركائنا... فإذا صدقت أخبار أوساط جماعة المؤنسيور الحويك، جاز التساؤل: أكان يريد هو أيضاً أن يرى تشكيل «لبنان صغير» مقصور على جبل الموارنة؟»<sup>(١٤١)</sup>.

على كل حال، إن السياسة الفرنسية المعادية للأمني العرب في بلاد الشام كان لها هدف محدد وإن اختلف في صيغة تحقيقه عن أمني بعض الموارنة: إنه تشتيت التيار العربي المعادي للاستعمار الفرنسي، وسلح المناطق التي اشتعلت فيها الانتفاضات المعادية لفرنسا عن الداخل، وتقسيم سوريا إلى دول مصطنعة، وتشجيع الطائفية فيها، حتى بين الطوائف الإسلامية.

وبعد كل هذا نسمع صوتاً فرنسياً يحاول «التنظير» لمعاهدات التقسيم والتجزئة ما بين الدول الكبرى تحت ستار إعطاء الشرعية القانونية الدولية «للخصوصيات» الإقليمية الجزئية. ولعل من المفيد أن نختتم هذا الفصل بإيراد نص من كتاب: «La nationalité au Liban» لمكسيم نيكولا، يتحدث فيه عن تكريس معايدة لوزان «للهوية اللبنانية» على أساس مبدأ القوميات،

---

(١٤٠) منذ ذلك الحين ، نشهد سباقاً يقوده البطريرك الماروني في كل مرة يدعى إلى احصاء للنفوس ، لاثبات أن المسيحيين هم الأكثريه . في عام ١٩٣٢ طالب البطريرك باحصاء المهاجرين - وأكثرتهم من المسيحيين - وطالبهم بتسجيل اسمائهم في سجلات الاحصاء .  
بيهم محمد جميل ، فوائل العروبة ، ص ١٠٢ .

- Bruneau, op. cit., p. 310.

(١٤١)

فيقول: «ان المعاهدات النابعة من الحرب كانت ت يريد إعادة تشكيل التجمعات السياسية على مبدأ القوميات... صحيح أن فرنسا أعطت الاندباد على بعض المناطق المفصلة عن الامبراطورية العثمانية، والمشمولة بالتسمية العامة سورية، إلا أن لبنان أعطي مركزاً خاصاً حيث أن استقلاله الإداري ارتكز على تقليد (١٨٦٠). كان للبنان بعض الاستقلال قبل الحرب، وكان يتمتع ببعض الامتيازات. إنه لم يكن مقاطعة عثمانية كجميع المقاطعات، كانت هناك قومية لبنانية مختبئة تحت اليافطة الرسمية للحكم التركي. إنها تلك القومية المستترة هذه التي بعثتها معاهدة لوزان، أو بالأحرى كشفتها باسقاط الحجاب العثماني عنها. لم يكن هناك حصول على قومية جديدة، ولكن تأكيد بسيط لوضع محجوب بالقمع التركي»<sup>(١٤٢)</sup>.

---

- Nicolas Maxime, *La Nationalité au Liban*. thèse, Paris 1928, P.P. 33 - 34. (١٤٢)

## خلاصة

يصعب بعد كل هذا العرض أن نوجز النتائج بخلاصات. فلقد حاولنا من خلال متابعة تطور الاتجاهات السياسية في المشرق العربي، لا سيما في جبل لبنان والمناطق المجاورة له، أن نبين الواقع الاجتماعية لهذه الاتجاهات من حيث تعبيرها الطائفية وانتماءاتها الثقافية المختلفة، وعلاقة مواقفها السياسية بمشاريع التجزئة والسيطرة الاستعماريةتين.

ولما كانت تلك الواقع، متداخلة ومتتشابكة، فإن تبسيط النتائج بصيغة «خلاصات» قد يؤدي إلى رؤية آلية للأمور، لا تسهم كثيراً في فهم هذه الواقع وتعبيراتها الأيديولوجية والسياسية والتنظيمية. فإذا كنا قد ركزنا في سياق البحث على «الخصوصية» الطائفية للعلاقة مع الغرب (رساميل وثقافة)، ورأينا أن «الأقليات» المسيحية هي التي شكلت «مدخل» هذه العلاقة وقادتها البشرية، وإذا كنا أيضاً قد أكدنا على واقع «مقاومة» المسلمين للغرب، ارتكازاً إلى ما ملكوه من وسائل دفاع «تراثية» تتداخل مع تنظيماتهم الاجتماعية المتماسكة المستمرة بالأسكال ذاتها منذ قرون، فإننا لا نبغي - وقد تووقفنا في المتابعة التاريخية للأحداث عند عام (١٩٢٠) - أن نستنتج أن

اتجاهي العلاقة مع الغرب ذهبا على طول الخط بوجهتين متعارضتين «طائفتين».

فأسلوب عمل رأس المال الغربي في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر في المجتمعات الإسلامية لم يستمر في الوجهة «الطائفية» نفسها التي انتقدتها المستشارة «جب» و«بوبون»، وحذرا من نتائجها السياسية والاجتماعية المدمرة. لقد بدأت «اغراءات» الرساميل الغربية تجذب إليها، منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بعض «الأعيان» المسلمين المدينين، لا سيما في بيروت، وتخرق شيئاً فشيئاً خطوط «الدفاع الذاتي» التي عينتها حدود التجارة الداخلية المحلية، وسوق «الحرفة»، والتعبيرات الأيديولوجية «التراثية» لهذه الواقع.

إن هذا الاختراق كان في أساس تفكير عناصر التماسك الاجتماعي القائم، والوحدة العربية - الإسلامية القائمة على وحدة التراث، وتشابه البنى والتقاليد، وال العلاقات الإنسانية. وبالتالي كان في أساس «قرير» مشاريع التجزئة في الشرق العربي وغيره من البلدان العربية والإسلامية، مع كل ما رافق ذلك من قمع دموي وارهاب شديد من قبل المحتل، لتصفية كل عناصر المقاومة الناجحة عن رفض هذا «الاختراق» الغربي، وذلك تحت شعار «تدوّق حلاوة المدينة الأوروبيّة بالقوّة»<sup>(١)</sup>.

إن أبرز مظاهر هذا الاختراق الغربي والتفكير في عرى العلاقات «التقليدية» هو موقف مسلمي بيروت عندما طرحت قضية تعيين المستشارين والمفتشين الأجانب في الولايات العربية في مؤتمر باريس عام (١٩١٣).

فالمعارضة «المخولة» التي أبديت من قبلهم، لم تلبث أن تقلصت في

(١) كتبت «لسان الحال» الموالية للسلطة الفرنسية تعليقاً على انتفاضة دروز حوران في أيلول ١٩٢٠: «على أن الحكومة الحاضرة سوف تلقنهم الدرس الأول بالسيف والمدفع، وكما يروض الجحود بالسياط... وقد عزمت أن تذيقهم حلاوة الحضارة بالقوّة». لسان الحال، ٨ أيلول ١٩٢٠، عدد ٨١٣٠.

موقف تسوية أفرد لبيروت «موقعًا خاصًا» يعطيها حق رفع هذا المطلب، ويطلق الحرية في ذلك لبقية الولايات. وفي رأينا أن الوطأة الأيديولوجية التي دفعت مثل هذا الموقف المعارض «تردد» للمشاريع الغربية، كانت تقف في وجهها في العقد الثاني من القرن العشرين، قوة جذب اقتصادية غربية. ولعل المشروع الفرنسي القاضي بإنشاء «دولة لبنان - الكبير» كان يرى بوضوح عملية التجاذب هذه، فحسمها باتجاه توسيع شبكة الانخراط الاقتصادي مع الغرب. بيد أنه إذا كان هذا الانخراط قد شكل قاعدة ارتكان للتجزئة السياسية الاستعمارية، فهل استطاع أن يوجد وجهي العلاقة مع الغرب بصورة «لا طائفية» وفي إطار الكيان الجديد؟

نعتقد أن مشروع لبنان - الكبير كان ينفذ على قاعدة هذا الانخراط التدريجي، ولكن ضمن غلبة طائفية معينة حتمتها عوامل تاريخية وثقافية معقدة، فالمشروع كان يبني مبدئياً لمصلحة «جميع الطوائف». لكن تراتب المصالح في عملية البناء يبقى مرتبطاً بمقدار استعداد «بورجوازية» كل طائفة على الانخراط في شبكة العلاقات الرأسمالية الغربية، و«استغراب» مثقفيها واندماجهم في الحضارة الغربية لغة وثقافة. وكان هذا من شأنه أن يعين على طول الخط غلبة «طائفية» وتراتباً طائفياً في درجة بناء هذا المشروع والانتهاء إليه، يستحيل أن يردم أو يزول في سياق تطور العلاقة مع الغرب الاستعماري. بل إن هذه الغلبة وهذا التراتب، آخذان في التعمق في إطار هذه العلاقة. ذلك أن التجزئة ما كان يمكن أن تقوم إلا على «خصائص طائفية» أصبحت بفعل التبعية للغرب، لاقتصاده وثقافته، سمات اجتماعية راسخة تنتزع نحو الانسلاخ عن المحيط العربي والإسلامي والاستعلاء عليه.

تطرح هذه الملاحظات السريعة عدداً من الأسئلة التي ما كان بالإمكان الجواب عليها في حدود البحث الحالي. فهي تتطلب أبحاثاً مستقلة تتابع خيوط التجزئة الاجتماعية السياسية في إطار معالجة تنصب بصورة أساسية على تبيان العلاقة التي قامت بين طرفين: البني الاجتماعية المحلية وتطوراتها بفعل التبعية للغرب من جهة، والمشاريع الاستعمارية السياسية واستيعابها للاتجاهات الإقليمية المختلفة وترسيخها لها من جهة ثانية.



مَلَاحِق



ملحق رقم ١ :

## بروتوكول ١٨٦٤ النظام الأساسي لجبل لبنان

«إن الباب العالي بالاتفاق مع مثلي النمسة وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسية أبقى كل مندرجات القرار المضي في الآستانة في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ ومثلها مندرجات المادة الإضافية الموضوعة في التاريخ نفسه. ثم يعلن ذو الفخامة عالي باشا أن الباب العالي يؤيد متصرف لبنان الحالي في منصبه لمدة خمس سنوات أيضاً ابتداءً من ٩ حزيران سنة ١٨٦٤ - عن الباب العالي في ٦ أيلول سنة ١٨٦٤».

وكان قد توفي السلطان عبد المجيد في الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٨٦١ وخلفه السلطان الغازي عبد العزيز فتبين اقتراحات الدول المتحابة ونص بروتوكولها الثاني وأصدر فرماناً بها في السادس من أيلول سنة ١٨٦٤ هذا تعرييه:

لما كان الأجل المضروب مدة ثلاثة سنين للنظام الذي وضع وللقرار الذي تقدم صدوره بخصوص إدارة جبل لبنان تحصيلاً لأسباب رفاه وأمن الرعية التابعين دولتي العلية القاطنين والمستوطنين الجبل المذكور وكان من

المقرر أنه عند انقضاض المدة المعينة يعاد التذاكر في مقتضى الحال. وقد انقضت الآن. فقد أجري التعديل والتنقيح في بعض المواد الواردة في لائحة هذا النظام. وعند عرضها على جانب سلطنتي الاشرف والاستئذان بها تعلقت إرادتي السنية الشاهانية بإجراء مقتضاها على هذا الوجه وبموجبها لزم اعلان النظام المذكور على المقال الآتي بيانه:

**المادة الأولى:** يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي تنصبه الدولة العلية ويكون مرجعه الباب العالي رأساً. وهو محتمل العزل بمعنى أنه لا يستمر في منصبه مادام حياً. ويكون على عهدهته القيام بجميع خطط الادارة الاجرامية متوفراً على حفظ الراحة والنظام في انحاء الجبل كلها وان يحصل منها التكاليف. وبحسب الرخصة التي ينالها عن لدن الحضرة الشاهانية ينصب تحت عهدهته مأمورى الادارة المحلية ويقلد الحكم القضاء ويعقد المجلس الكبير ويتولى رئاسته. وينفذ الاعلامات القانونية الصادرة من المحاكم الخارجة عن القيود التي ستذكر في المادة الثامنة.

**المادة الثانية:** ينبغي أن يكون للجبل كله مجلس ادارة كبير مؤلف من اثنى عشر عضواً اثنين مارونيين ينوبان عن قضاةي كسروان وثلاثة من قضاة جزين احدهم ماروني والثانى درزي والثالث مسلم وأربعة من قضاة المتن أحدهم من الموارنة والثانى من الروم والثالث من الدروز والرابع من المتأولة وعضو واحد درزي من قضاة الشوف وآخر من الروم ينوب عن قضاة الكورة وآخر من الروم الكاثوليك عن قضاة زحلة. ومجلس الادارة هذا يكون مأموراً بتوزيع التكاليف والبحث في ادارة واردات الجبل ومصاريفه وبيان آرائه بوجه المشورة فيما يعرضه عليه المتصرف من المسائل.

**المادة الثالثة:** ينبغي أن ينقسم جبل لبنان إلى سبعة قضاوات: الأول يشمل على الكورة من الجهة التحتية والاراضي المجاورة الأهلة بأقوام على مذهب الروم إلا أن قصبة القلمون التي على ساحل البحر ومعظم سكانها من أهل الإسلام فهي مستثناءة من ذلك. والثانى يشتمل من شمال لبنان على جبة بشري والزاوية وبلاط بيرون. والثالث يشتمل من الشمال المذكور على بلاد

جibil وجبة المنية وبلاد الفتوح وكسروان الأصلي حتى نهر الكلب . والرابع يشتمل على زحلة وضواحيها . والخامس يشمل المتن وساحل النصارى وأراضي القاطع وصلبيا . والسادس يتبعه من جنوب طريق الشام حتى جزين . والسابع يشمل جزين واقليم التفاح . وفي كل من هذه القضاوat السبعة المار ذكرها ينبغي للمتصرف ان ينصب مأمور إدارة منتخبًا من أبناء المذهب الغالبين هناك عدا في النفوس أو أهمية في الاملاك والأرضين الجارية بتصرفهم .

**المادة الرابعة:** يجب أن تنقسم القضاوات الى نواحٍ على غط قريب المشاكلة لما ذكر من أقسام القضاوات في كل ناحية مأمور ينصبه المتصرف بناءً على انتهاء مدير القضاء . وان يكون في كل قرية شيخ ينصبه المتصرف بانتخاب أهلها .

**المادة الخامسة:** قد تقرر أمر المساواة بين الجميع في شمول احكام القانون ونسخ ولغاء كل الامتيازات العائدة لأعيان البلاد خصوصاً ذوي المقاطعات .

**المادة السادسة:** يكون في الجبل ثلات محاكم ذات درجة أولى يقوم كل منها بحاكم ووكيل ينصبها المتصرف ومعهما ستة وكلاء دعاوى رسميين ينتخبهم الطوائف . ويكون في مركز ادارة الحكومة مجلس محكمة كبير يتتألف من ستة حكام ينتخبهم المتصرف ويعينهم من الطوائف الست وهي المسلمين والسيون والمتأولة والموارنة والدروز والروم الكاثوليك . ويلحق بذلك ستة من وكلاء الدعاوى الرسميين لكل طائفة ووكيل معين . وإذا وقع دعوى لأحد المذهبين بمذهب البروتستانت أو اليهود أضيف إلى المجلس حاكم ووكيل دعاوى رسمي من أهل كلا المذهبين علاوة على الاثني عشر عضواً المار ذكرهم . أما رئاسة هذه المحكمة الكبيرة فيتولاها مأمور مخصوص ينصبه المتصرف . وإذا اقتضت حاجات البلاد مزيداً فلل์متصرفين أن يضاعفوا عدد المحاكم ذات الدرجة الأولى . ولاجراء الحكومة مجرماها المتسبق لهم أن يعينوا منذ الآن الأماكن الحرية بأن تكون فيها هذه المحاكم .

**المادة السابعة:** إن لمشايخ القرى الذين يقومون بوظيفة حاكم الصلح أن يحكموا في الدعاوى التي لا يتجاوز قدرها مثني غرش حكماً غير مستأنف. وأما الدعاوى المتتجاوز قدرها مثني غرش فترى في مجالس المحاكمة ذات الدرجة الأولى. على أنه لو عرض أمور مختلطه وهي الدعاوى الواقعه بين اثنين مختلفي المذهب وأبى أيهما كان قضاء حاكم الصلح فيها لكونه على مذهب المدعى عليه فتحال وإن قلَّ قدرها إلى محاكم الدرجة الأولى. ثم إن جميع الدعاوى ولو وجب فصلها بحسب ماهيتها بمجموع آراء الأعضاء إلا أن للمدعي والمدعى عليه المتحدي المذهب أن يردا الحاكم لاختلاف مذهبيه. غير أن الحكام المردودين من هذا الوجه لا بد من حضورهم المحاكمة.

**المادة الثامنة:** تقتضي المحاكمة في الدعاوى الجزائية أن تكون على ثلاثة وجوه: وهي أن يرى دعوى القباحة شيخ القرى المتقلدون خطبة حاكم الصلح، وأن الجنحة والجرائم تراها المحاكم ذات الدرجة الأولى، وأن الجنایات تجري محاكمتها في مجلس المحاكمة الكبير. وإعلامات الحكم الواجب صدورها من هذا المجلس لا يمكن وضعها موضع التنفيذ ما لم تكمل المعاملات والمراسيم الجارية بها العادة فيسائر المالك المحروسة الشاهانية.

**المادة التاسعة:** ينبغي أن يرى في مجلس تجارة بيروت كل الدعاوى التجارية حتى أن الدعاوى العادية الواقعه بين واحد من ذوي التابعية الأجنبية أو أحد الداخلين في حماية أجنبية وبين آخر من أهل الجبل ترى في المجلس المذكور. على أن المنازعات البادية بين اللبنانيين والأجانبين متى تأتي فصلها بمعونة ممكين عن تراضٍ من المتنازعين فيجب والحالة هذه على مأمورى لبنان المحليين وقناصل الدول المتحابة الفخيمة أن ينفذوا إعلام المحكمين. وإن تعذر تراضي الخصميين على التحكيم في الدعوى وأحيلت إلى محكمة بيروت فتجب تأدية المصاريف على الخاسر دعواه بحسب التعريفة التي وضعها متصرف جبل لبنان وقناصل الدول جلة واتفاقاً وقد جرى عليها التصديق من جانب الباب العالى. ومن المقرر أنه يجب في الصك الحاوي تراضي المتنازعين

على اتخاذ محكمين أن ينظموا ويضيأه وفقاً لأصوله وأن يسجلاه في محكمة بيروت وفي مجلس المحاكمة الكبير في لبنان.

**المادة العاشرة:** إن الحكم ينصبهم المتصرفون بخلاف أعضاء مجلس الادارة فإنهم يتخبوون بمعرفة مشايخ القرى كما أن انتخاب الشيخ يكون بمعرفة أهل القرية. ثم إن أعضاء مجلس الادارة يجدد انتخاب ثلثهم كل سنتين ويجوز تكرير انتخاب من انقطعت مدة عضويتهم.

**المادة الحادية عشرة:** يجب أن يكون الحكم بأجمعهم موظفين. وإن أقدم أحدهم على ارتكاب «الرشوة» أو تبين بالتحقيق أنه آت ما لا يليق بصفة مأموريته فهو مستحق للعزل بل مستوجب أيضاً للتأديب على قدر قباحتة.

**المادة الثانية عشرة:** يجب في مجالس القضاء على الاطلاق أن تكون المرافعة علنية وأن يعهد بضبط الدعوى إلى كاتب مخصوص. وما عدا ذلك فحيث أن هذا الكاتب يكون مأموراً باتخاذ سجل لقيود الصكوك المختصة بفراغ وانتقال «بيع» الأموال الثابتة «العقارات» فلا تكون هذه الصكوك معمولأ بها ما لم تقييد بحسب اصوتها في السجل المذكور.

**المادة الثالثة عشرة:** ان المتهمين من أهل جبل لبنان بارتكاب الجرائم في غير الألوية فمرجع الدعوى عليهم هو اللواء الواقع فيه الجرم. وكذا مرتكبو الجرم من أهالي سائر الألوية داخل نطاق جبل لبنان ينبغي أن تخري محکمتهم والحكم عليهم بدعوى جرائمهم في جبل لبنان. وبناءً على ذلك فإن مجرمين في جبل لبنان سواء كانوا من أهاليه الوطنيين أو من نزلائه المعدودين من أهل ديار أخرى إذا فروا إلى لواء آخر فكما أن على ضابطه أن يمسكهم بمقتضى الاشعار الوارد من قبل ادارة جبل لبنان ويسلمهم إليها كذلك يلزم ادارة الجبل أن تلقي القبض على الفارين إليه من مجرمين في أحد الألوية اللبنانيين كانوا أو غير لبنانيين وتدفعهم إلى اللواء المذكور بموجب اشعار ضابطه. ومأمورو الادارة الذين يتسامحون في اجراء الأوامر الصادرة باسترجاع

أمثال هؤلاء المتهمن إلى المحاكم المنوطه بها دعاوهم أو الذين يجيزون تأخيرات لا يمكن إثبات ابنتها على أسباب شرعية فتجري عليهم المجازاة بمقتضى قانون الجزاء كسائر الذين يوارون ويغفون أمثال هؤلاء المتهمن عن الحكومة. والحاصل أن العلاقات اللازم اجراؤها بين ادارة جبل لبنان والألوية المجاورة لها تكون كالمواصلات الجارية والمتخذة دستوراً للعمل بين باقي السنادق في مالك الدولة العلية.

**المادة الرابعة عشرة:** إن سبيل المتصرف إلى قرار حفظ الراحة وانفاذ القوانين في الأزمنة العادبة إنما يكون بمعرفة فرقه ضبطية من الأهلين بحسبان سبعة أنفار تخميناً عن كل الف من النفوس. ويجب نسخ سلك «الحوالية» وابطال نزول الضبطية على البيوت والاعتراض عن ذلك بأسباب إكراهية كاستياق المحكوم عليه إلى السجن. فبناءً على ذلك يمنع مأمورو الضبطية بعده التأديبات الشديدة أن يصادروا أهل البلاد بشيء من الأجرة نقداً كان أو عيناً. ويجعل للضبطية ملبس رسمي أو أزياء مميزة في خدمتهم. وان تبقى طرقات بيروت والشام وصيدا وطرابلس تحت محافظة العساكر الشاهانية إلى أن يصدق المتصرف على أن جند الضبطية صاروا أكفاء لاتمام جميع الوظائف المحمولة عليهم في الأزمنة العادبة. وهذا العسکر يكون لدى المتصرف وبادراته. وللمتصرف أن يطلب من الحكومة العسكرية في سوريا الامداد بالجنود المنظمة في الأحوال الغير العادبة إن دعت الضرورة وبعد أن يستشير مجلس الادارة الكبير. ويلزم الضابط المعين بالذات لرئاسة هذا العسکر أن ينظر مع المتصرف في تقرير التدابير الواجب اتخاذها. وهو أي الضابط المومي إليه وإن كان مختاراً ومستقلأً بأمر العسکر المحضة كإجراء الحركات والنظمات الجنديه إلا أن عليه مدة وجوده في الجبل أن يلزم معية المتصرف ويجري العمل تحت عهده. وفي حال إعلان المتصرف لرئيس العسکر وفادته رسمياً إن قد زال السبب الذي من أجله ورد العسکر الى الجبل يجب عليه إخراجه منه.

**المادة الخامسة عشرة:** إن الدولة العلية تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل ويركتو الجبل المعين الان ثلاثة آلاف وخمس مئة كيس وذلك على يد

المتصف. على أنه يجوز ابلاغ هذا القدر إلى سبعة آلاف كيس عند الامكان بحيث أن المال المتحصل ينحصر بادئاً بدء لادارة الجبل ونفقات منافعه العمومية. فإن فضل منه شيء ردد الفاضل على الخزينة. وإن اقتضت شدة الضرورة إلى تحسين مجرى الادارة مزيداً على التكاليف المعينة فيرجع في تسوية المزيد إلى مصاريف الخزينة الجليلة.

أما واردات البكاليلك أي حاصلات الأملك الهمایونیة فحيث أنها ليست بداخلة ضمن الويرکو فينبغي ادخارها في صندوق الجبل لحساب الخزينة الجليلة. على أن السلطنة السنیة لا تقوم بأداء مصاريف المنشآت العمومية وسائر النفقات غير العادیة ما لم يتقدم قبولاً وتصديقاً عليها.

**المادة السادسة عشرة:** يجب تعجيل الشروع في إحصاء نفوس أهل الجبل علاً وعولاً وملأً وملةً ومسح جميع الأراضي المزروعة ونظم خريطة مساحتها.

**المادة السابعة عشرة:** كل الدعاوى الكائنة بين أفراد رهبان الأديرية وخوارنة الكنائس يكون فيها المظنون به أو المتهم تابعين للحكومة الرهبانية إلا أن تطلب الاسقفيات إحالة ذلك إلى مجلس الدعاوى العادية.

**المادة الثامنة عشرة:** يمتنع في عموم أماكن الرهبان مطلقاً اجارة اللاجئين إليها من تطلبهم وتعقبهم الحكومة رهباناً كانوا أو من عوام الناس.

إن الثمانى عشرة مادة المسرودة آنفاً هي النظمات الأساسية بجبل لبنان يجب اتخاذها دستوراً للعمل إلى ما شاء الله تعالى. ومن مقتضى ارادتي القاطعة السلطانية أن يتتوفر الجميع على كمال الاعتناء والدقة في إجرائها وتتنفيذها حرفاً فحرفاً. والحذر كل الحذر من مخالفتها. وإيداناً بذلك صدر فرمانى هذا العالى الشأن وقد كتب في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر لسنة إحدى وثمانين وما يزيد على ألف. (\*)

---

(\*) اعتمدنا النص المعرب الوارد عند: أسد رستم، لبنان في عهد المتصفية.



موقف «الدول الكبرى» من يوسف كرم والنظام الأساسي لجبل لبنان.  
وثيقة رقم ١٥٧١١ ، ارشيف مديرية الآثار - بيروت - لبنان.

انه بناء على التسليفات الواقعية بهذا النهار من طرف حضرة صاحب الدولة  
متصرف لبنان غن عن التناصل المجنزالية الواضعين اسمها أدناه بعد المذكرة فيما  
يتناقد تصريرها على أشهر الإضافات اللاحقة

ان التناصل المجنزالية يعلون ويشهرون انه حيث نظام لبنان الثاني في قد  
ترتب وتفرب بوجه الاشتراك من الدول الخامية ومن الباب العالمي فهو وحدة  
الشريعة التي يقتضي ان يُعْزَى عليها في لبنان ومن الضرورة ان تحصل المحافظة  
على شرطها وقوتها بماها وانه بناء على ذلك فالتناصل المجنزالية تضم راهم  
القطيعي ان يداوموا مساعدتهم الادبية الى حضرة صاحب الدولة داود باشا  
لاجل لغير القانون المذكور ثم بناء على التسليفات التي تقدست لهم من دولته  
يعلون ايضاً ان الواسطة الاكثر صلاحاً ومناسبة لتوطيد السلام بالبلاد ومنع  
ذلك الدمار باطلاناً هو ابعاد يوسف كرم وبما ان دولته اعلنت لهم انها مستعدة  
لاجل منع المخرب عن اهالي لبنان ان تفتح تحت مسؤوليتها الخصبة الرخصة الى

بوشت كمران يخرج من سوريا مرخصاً أن يتوجه لأي عمل اراده فالتناصل  
المجزئية المحرره اسماؤم ادناه عند اعثارهم بهذه الاحوال المعاصرة التي من شأنها  
ان تجلب اضراراً جسيمة على البلاد تبرر لهم انه من اللازم ان افكار دولة  
المهصرف تصير معلنة و معروفة عند كل اهالي لبنان و ان تعلن ايضاً الى يوسف  
كرمه و لهم م ذاتهم مستعدون ان يبدوا بمساعدتهم خصراً صاحب الدولة  
داود باشا لاجل سفر كرم و اخبروا افادته انه يصبر تبلغ صورة هذا القرار الى  
حضره صاحب الدولة داود باشا. جرى بيروت في ١٥ الاٰ سنة ١٨٦٧

#### الامثليات

وأكملت حاجز الترجمة ده زيسار وابر

ملحق رقم ٣

ترجمة الملحق الذي وجد معلقاً على جدران طرابلس  
في ٣١ كانون الأول ١٨٨٠ - ملحق بتقرير القنصل  
الفرنسي في بيروت

Traduction du placard trouvé affiché sur les murs de  
Tripoli le 31 Décembre 1880. (Image d'un autre)

Compatriotes!

Vous connaissez l'insolence des Turcs, leur tyranie,  
leur caractère invincible, vous savez que leur poignée  
d'horreurs de cette race nous domine, vous avez été à  
ceux qui ont fait bon marché de vos existences et de vos  
biens. Ils ont confisqué tous vos droits, détourné votre  
bien-être et le respect dû à vos loires (croyances). Ils  
ont pris des règlements qui condamnent votre noble  
langue à l'oubli - et ils emploient tous les moyens pour  
vous détruire et affaiblir vos forces. Ils usent le

fruit de vos fatigues, vous preuvent de la libre circulation dans votre pays et de la libre disposition de vos biens. Enfin, ils vous ont fermé toutes les voies du progrès, ils vous insultent, vous asservissent et vous traitent en esclaves comme si vous n'etiez pas des hommes.

Mais, à votre tour, souvenez-vous que vous avez été les maîtres; que vous avez produit des hommes illustres dans toutes les branches des connaissances et de l'activité humaines; que vous avez relevé les écoles, peuplé le pays, fait de vastes conquêtes et que c'est sur les bases de votre langue qu'a été édifié le Khalifat dont les Eaux vous ont ensuite dépossédé....

Regardez autour de vous. voyez comment vos compatriotes sont exposés à la mort et, maltraités ou en leur fait subis; voyez de quelle misère sont pris vos Talouft, contemplez ces immenses terrains devenus déserts.

Il faut songer aux moyens de sauver notre pays de ces maux. On ayant puici brisé le jing et démis l'armée apprenez que les temps sont venus où nous devons répondre nos droits! Recourez notre太极, une son-nous et marchons à la lumière de la vérité, de la justice. Enhardissons-nous à l'escorte de nos frères qui ont juri de ne pas reculer avant d'atteindre le but qu'ils poursuivront de délivrer la patrie des mains des usurpateurs ou de sacrifier des existences pieuses sur l'autel de la liberté. Offrande pure sacrifice sacré s'il en fit!

Et maintenant, après délibération le comité exécutif a décidé de demander ce que, avant de recourir à l'arbitrage de l'épie. Si vous

obtenu que j'en serai évidemment à vos voeux tout en restant  
superieur de votre organisation, si vous l'avez  
laissée de côté les paroles, les regards, les rires  
nations stériles et nous ferons valoir nos révolu-  
tions à la pointe de l'épée. L'homme qui vit  
à une longue perspective de jours devant lui, il  
qui peut prévoir ce que le temps enfantera de  
prodiges. »

Voici les chefs que le Comité exécutif a décidé  
de demander.

- 1: - Indépendance en amenant avec nos frères  
Libanais, nous garantissant les intérêts de la  
patrie et le bonheur du peuple.
- 2: - L'emploi de l'arabe comme langue officielle  
Liberté complète de la pensée et de la presse: ouvrages,  
journaux, publications de toute sorte. Liberté  
d'action enfin, suivant les lois propres du progrès et  
de la civilisation.

- 3: - Emploi de nos soldats dans l'armée de la  
patrie pour les soustraire à la mortitude des tranchées.

Sur ces points et sur d'autres, nous aurons  
encore à faire valoir des priviléges et des renoncements  
que nous nous réservons de discuter à temps,

( Suivent quelques brins des renoncements  
les autres et les appels contenus dans  
ce placard. )



## ملحق رقم ٤

### برنامج حزب الالامركزية الادارية العثماني

المنار، مجلد ١٦، جزء ٣.

(المادة الأولى): الدولة العلية العثمانية دولة دستورية نيابية. وكل ولاية من ولاياتها تعد جزءاً من السلطنة لا ينفك عنها بحال من الأحوال وإنما تبني إدارة هذه الولايات على أساس الالامركزية الادارية والسلطان الأعظم هو الذي يعين الوالي وقاضي القضاة.

(المادة الثانية): قاضي القضاة يعين القضاة الشرعيين والوالي يعين سائر الموظفين بعد اختيار مجلس الادارة لهم (وفقاً للمادة السابعة) ولا يجوز عزل موظف إلا بحكم من مجلس تأديب. ومن عزل لا يجوز استخدامه ولا يعطى معاش معزولة.

(المادة الثالثة): يوضع نظام خاص لترقية عمال الحكومة وتأديبهم وتقاددهم وما يتعلق بذلك.

(المادة الرابعة): يكون في مركز كل ولاية مجلس عمومي ومجلس إداري ومجلس معارف ومجلس أوقاف.

(المادة الخامسة): جميع قرارات المجلس العمومي تكون نافذة.

(المادة السادسة): من حقوق المجلس العمومي للولاية المراقبة على حكومتها والنظر في جميع شؤون الادارة المحلية من تقرير ميزانية الولاية وأمور الأمن العام والمعارف والناقعة والأوقاف والبلدية وتقرير ما يراه فيها وسن النظمات لها. وأما ما كان من أمور الناقعة يتعلق من بعض الوجوه بالأمور العسكرية أو السياسة الخارجية كسكك الحديد فيرفعه بعد إبداء رأيه فيه إلى العاصمة.

(المادة السابعة): من حقوق مجلس ادارة الولاية وضع ميزانيتها وانتخاب جميع موظفيها.

(المادة الثامنة): من حقوق مجلس معارف الولاية وضع برنامج التعليم والنظر في جميع شؤونها ووضع ميزانية خاصة لها يراعي فيها حصة المعارف التي تضاف على الأعشار والويركو وما يقرره المجلس العمومي من الضرائب لها وما لها من الأموال والأوقاف.

(المادة التاسعة): من حقوق مجلس أوقاف الولاية وضع ميزانية خاصة لها والنظر في جميع شؤونها فيما كان منها له شروط تجنب مراعاتها يكون العمل فيها بحسب شروطه وما كان منها غير ذلك يصرف فاضل ريعه على إقامة الشعائر ثم على التعليم الإسلامي.

(المادة العاشرة): جميع أعضاء هذه المجالس تكون بالانتخاب إلا مجلس الادارة فإن نصف أعضائه ينتخبهم الشعب والنصف الآخر من رؤساء المصالح.

(المادة الحادية عشرة): تعدل طريقة الانتخاب لهذه المجالس وللجلس المبعوثين وللمجالس البلدية بحيث تكون حرة وممثلة لجميع عناصر الشعب.

(المادة الثانية عشرة): ما جرى عليه العرف في بعض البلاد والأقاليم التي لا تنفذ فيها قوانين الحكومة وأحكامها يبقى على ما كان عليه الآن. ويراعى في تغيير الادارة في كل بلاد رضاء أهلها به.

(المادة الثالثة عشرة): ينظر الحزب في قانون تعديل الأراضي على الوجه

الذي ينمي الثروة العامة وفي تحضير القبائل البدوية لأجل تنمية الثروة وترقية الأمة.

(المادة الرابعة عشرة): يكون في كل ولاية لغتان رسميتان التركية واللغة المحلية.

(المادة الخامسة عشرة): يجب تعليم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها.

(المادة السادسة عشرة): أهل كل ولاية يؤدون الخدمة العسكرية في ولايتهم ويكون عسكرها على قدم الاستعداد للدفاع عنها زمن السلم وأما سوق الجنود في زمن الحرب فهو منوط بنظارة الحربية وحينئذ يجب على المجلس العمومي أن يتخذ الوسائل للدفاع عن الولاية.



ملحق رقم ٥

صورة عن برقية حكومة دمشق العربية إلى رؤساء البلديات في المناطق.  
أرشيف مديرية الآثار - بيروت - لبنان - وثيقة رقم ١٥٨٥٣.

مذکور میگردید

وَرِدَنْ قُوَّاتُ الْمُدْرَسَةِ الْمُهَجَّرَةِ

عندما سرت بـ«الستين» على متن طائرة تجسس اتجاهها إلى إسرائيل، ورأيت في السماء فوق إسرائيل أربع طائرات مقاتلة إسرائيلية، فلما رأيتها أدركت أنني في المقدمة، وأنني أكون أول طيار يدخل إسرائيل، فلما وصلت إلى إسرائيل، أدركت أنني أكون أول طيار يدخل إسرائيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَاللَّهُمَّ حَكْمَتْكَ أَعْلَمُ  
سَهِّلْ كُفْرَكَ أَعْلَمُ

المعنى ترجمة

۱۴۲۷ میں نویزہ دار

نامه فتح اخراج میزبان سه همه بخته عور موشیون فداه خیلکو و پیشنهاد

مکتبہ میرزا

١٣



ملحق رقم ٦

صورة عن القرار الذي اتخذه سبعة من أعضاء مجلس الادارة في ١٠ تموز ١٩٢٠ والقاضي بالطلبة باستقلال لبنان بالتنسيق مع حكومة سوريا دون الاشارة إلى الانتداب الفرنسي.  
ارشيف مديرية الآثار - بيروت - لبنان. وثيقة رقم ٦٦٧٦.

- ينبعوا من تباينه في العمل الذي أرسله لافتتاحيه ملوك وأئمته والأربعة وعشرون حاكمًا

وهي من أشكاله رئيس مجلس وزراء مصر، وقد كل منه رئاسته خاتمة رئاسة مجلس رئيس وزراء مصر

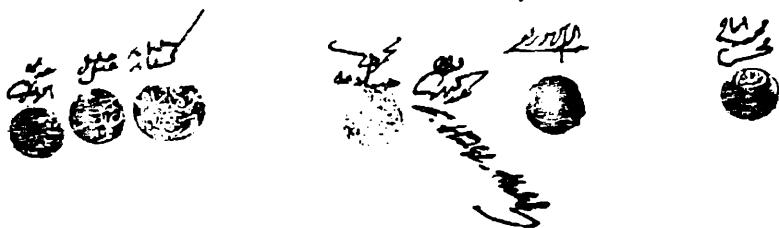
أصحاب الفتوحات وبعدها الفتح، يذكر في سطحه نبذة ملخصة بما يكتبه الفتح، عبد الله بن عبد الرحمن

من تباينه، وفقط تباينه هنا يكتبه للبيان، هنا تباينه بالرواية مرويًّا أيضًا بكتبه التالية

فكتبه قد تراسته كثيرة لم يجد سرقة على الأقل، وهذا تباينه واضح، وهذه المراجحة وبيانه تغير يظهر

في سيره وفي أعماله المختلفة، ولما جمع الأدلة السابقة على تباينه، يكتبه تغير يظهر

بطريقة مختلفة موانعه المعاشرة، كما يكتبه في



مقططف من تقرير لجنة الاستفتاء الأمريكية وتوصياتها بشأن  
رغبات البلاد في مصيرها<sup>(\*)</sup>

من المعلوم أن مندوبي الحلفاء في مؤتمر الصلح في باريس كانوا وافقوا في ٣٠ كانون الثاني ١٩١٩ على قرار فصل أرمينيا وبلاد العرب عن تركيا - واستفتاء سكان هذه البلاد في تقرير مصيرهم وفي يوم الأربعاء ١٠ حزيران ١٩١٩ وصلت اللجنة الأمريكية المسماة - لجنة كينغ - كراين - والمؤلفة من الدكتور هنري كينغ والمُسْتَر تشارلس كراين كمندوبي إلى يافا يصحبها مُسْتَر البرت يساو ومُسْتَر جورج متغوري كمستشارين فنيين والكابتن وليم ياي كملحق والمُسْتَر لورانس مور كمدير أعمال، كما انضم إلى اللجنة في يافا الكولونييل ويلسون السكرتير العسكري للجنرال اللبناني، وهناك بدأت اللجنة عملها الرسمي وعندما قدمت إلى دمشق في قابلها في ٣ تموز ١٩١٩ وفدي من أعضاء المؤتمر السوري العام برئاسة السيد هاشم الأتاسي رئيس المؤتمر وسلمتها قرار المؤتمر المتضمن طلب الاستقلال التام لسوريا كما جاء في الوثيقة رقم ٢١ وهذا ملخص التقرير الذي قدمته اللجنة المذكورة إلى الحكومة الأمريكية والمتضمن نتائج الاستفتاء الذي أجرته في البلاد العربية وتوصياتها بشأن مصير

(\*) اعتماداً على: الوثائق التاريخية لحسن الحكيم: رئيس مجلس الوزراء السوري سابقاً.

هذه البلاد وقد يقى التقرير المذكور مكتوماً أو موضوعاً على الرف في وزارة الخارجية الأمريكية بتأثير الفرنسيين حتى عام ١٩٢٢ وهو منقول عن جريدة المقطم القاهرة.

قدمت جريدة - التيمس الأمريكية لهذا التقرير (الذى نشر أخيراً بعد الكتمان الطويل) بمقدمة بليةة من قلم المستر وليم ت. الس. من كبار كتاب أمريكا الذين يعنون بالشؤون الشرقية جاء فيها: - إن السر في امتناع وزارة الخارجية الأمريكية عن نشر هذا التقرير هو ما اشتمل عليه، ولو نشر في حينه لغير مجىء الحوادث في تركيا وربما أنقذ مليون من الأشخاص الذين هدرت دمائهم بعد الحرب.

إن هذا التقرير يزيح الغطاء عن مطامع الحلفاء المتضاربة في الاستانة وبين مساوىء المعاهدات السرية ويوضح التناقض بين العهود التي قطعتها أوروبا لشعوب الشرق الأدنى والخطة الاستعمارية التي سارت عليها وبينيء مقدماً بجبوط الحركة الصهيونية ويصور الاتحاد المكين بين المسلمين والمسيحيين للحصول على الحكم الذاتي، ويشتت بطلان الدعاوى الأوروبية في تركيا.

ثم أشار الكاتب إلى المعاهدات السرية التي عقدتها الحلفاء بينهم في مدة الحرب وقبلها وكيف أن الرئيس ولسن أعلن إلغاءها وكيف أن هذه المعاهدات وضعت أخيراً موضع التنفيذ فانتهت بالخيبة والفشل ولم تعد بطالئ على الدول التي وضعتها بل عادت بالخسارة والفواجع وأصبحت أوروبا مكرهة في الشرق لأن الغطاء سقط عن مطامعها، الأشعية. ومن الواجب على الصحافتتين الأمريكية والأوروبية أن تشنا الغارة على تلك المعاهدات لتموت وتتبرأ الناس من شرورها وبلاياها.

وهذا ملخص التقرير:

إن الأعضاء الأميركيين في اللجنة الدولية المعينة لدرس الوصايات في تركيا يعرضون هنا تقريرها الأخير عن القسم السوري من مهمتها. وقد صدرت اللجنة غرضها في بيان كانت تعطيه للصحف أيها حلت يوضح مهمتها ويحددتها كما عينها الرئيس ولسن وهي - أن الشعب الأميركي ليس له

مطامع سياسية في أوروبا أو الشرق الأدنى بل يفضل - على قدر الإمكان - تجنب كل علاقة بالمشاكل الأوروبية والآسيوية والأفريقية ويرغب بخلاص في أن يسود السلام الدائم وأنه بهذه الروح يدنسو من مشاكل الشرق الأدنى.

«لقد عين مجلس الأربعه لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقتها بالوصايات فغاية القسم الأميركي الموجود الآن هي الوقوف جهد المستطاع على أحوال السكان والطبقات - وعلاقتهم ليكون الرئيس ولسن الشعب الأميركي على بيته من الحقائق في كل سياسة يدعى إلى السير عليها فيما يتعلق بمشاكل الشرق الأدنى، سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح أو في جمعية الأمم».

• ثم ذكر التقرير أسماء مستشاري اللجنة والموظفين الذين رافقوها مما لا نرى حاجة إلى نشره لأنه معروف عند الأكثرين. وينقسم تقرير اللجنة إلى ثلاثة أقسام : - المقدمات . فالمسائل بوجه عام . فالاستنتاجات واللاحظات - وقد اطلعت اللجنة قبل سفرها من باريز على التقارير المختلفة والعرائض والوثائق التي جاءت إلى دائرة آسيا الغربية في قسم الخبراء الأميركيين في مؤتمر الصلح كما اطلعت على طائفة من الكتابات عن الشرق الأدنى .

والطريقة التي اتبعتها اللجنة في أعمالها هي الاجتماع بالأفراد والوفود الذين يمثلون - الطبقات المختلفة . وقد كانت هذه الطريقة بطيئتها نوعاً من التدريب السياسي للشعب فضلاً عن تأثيرها الفعال في ظهور رغائب السكان الذين أدركوا أن لرغابهم قيمة . وقد عرفت اللجنة أن هناك دعوة - بروبااغندا - قوية وأن أفراداً وجماعات أصبحت بضغط شديد كما حيل أحياناً بين بعض الوفود واللجنة وهناك كثير من العرائض معدة للشك والريب ، ولكن اللجنة تعتقد أن هذه العرائض ينسخ بعضها بعضاً حين عرضها على محك النقد ولقيت اللجنة من جهة أخرى صراحة في التعبير عن الأفكار كانت تدهشها حيث كان الموقف يدعو إلى الخوف من النتائج وكان الاستحسان عاماً للحقيقة القائلة - إن أميركا لا تطلب الاستيلاء على شبر جديد من الأرض - .

والتفوييم لسورية موضوع في سلسلة جداول أعدها سكرتير اللجنة وهو

مبني على الاجتماعات التي عقدتها اللجنة وعلى العرائض التي تلقتها وقد زارت اللجنة - ٣٦ - بلداً من أهم بلدان سوريا المنتشرة في المناطق العسكرية الثلاث الظاهرة في الجدول كألا على حدته وهي : - الانكليزية والعربية والفرنسية - ووافت على أحوال الجهات الأخرى من الوفود واللجان التي قابلتها ولا تشمل اللائحة أسماء القرى المجاورة التي زارتها اللجنة لأنها كانت مثلاً بنواها الذين زاروا اللجنة وتضم سجلات اللجنة أسماء ١٥٢٠ قرية من هذا النوع ولم تذكر كيليكيا مطولاً مع سوريا لأنها أرض مختلف عليها تطلبها سوريا لنفسها كما يطلبها الترك لاعتبارهم إياها جزءاً من بلادهم.

ويبلغ مجموع السكان في سوريا ثلات ملايين و ٢٤٥٠٠ نسمة ينقسمون هكذا : - مسلمون ٢,٣٦٥,٠٠٠ نسمة مسيحيون ٥٨٥٠٠ دروز ١٤٠ ألفاً يهود ١١٠ ألف طائف أخرى ٤٥ ألفاً . ويجب اعتبار هذه الأرقام في كل حال على وجه التقرير . ويمكن اعتبارها أقرب إلى الصواب في ما يتعلق بنسبة السكان في كل مقاطعة .

ومع التقرير خارطة توضح حدود المناطق العسكرية وحدود - فلسطين الكبرى - التي يطلبها الصهيونيون و - لبنان الكبير - الذي يطلبه اللبنانيون ، ولا يمكن أن يكون عدد الوفود قياساً نسبياً للسكان فإن المسيحيين منقسمون إلى طوائف صغيرة كثيرة حتى أن وفودهم كانت أكثر عدداً من وفود الأكثريية الإسلامية .

١ - العرائض وقيمتها - تلقت اللجنة ١٨٦٣ عريضة مدة وجودها في سوريا لا يمكن اعتبارها حاوية لرغائب السكان الحقيقيين لأسباب أهمها : أن عدد العرائض من الجهات ليس بنسبة عدد السكان فقد زارت اللجنة في المنطقة الجنوبية ١٣ مدينة لم تلتقط منها سوى ٢٦٠ عريضة ، ولم تزر في المنطقة الشرقية غير ثماني مدن جاءها منها ١١٥٧ وكثرت هذه العرائض على اللجنة عند اتجاهها نحو الشمال لأن الوقت اتضحت أمام الناس معرفتها وتكوين الفكرة العامة ، كما اتضحت لدعوة البروياغندا واعداد العرائض ، وكذلك فإن عدد العرائض من الهيئات الدينية المختلفة لا يتناسب مع عدد المذاهب

والأديان، وهذا أيضاً يصدق على المطالب الشفهية التي عرضتها الوفود واللجان. ففي المنطقة الجنوبية كان عدد الوفود المسيحية ٥٣ وفداً في حين أنه لم يكن لل المسلمين غير ثمانية وهم ثمانية أضعاف المسيحيين هناك. وهذا التفاوت غير موجود في جموع العرائض كلها شفاهية وكتابية، إذ تلقت اللجنة عرائض كبيرة من القرى الإسلامية في حلب والجهات الشمالية الشرقية الأخرى. وكذلك فإن تأثير البروباغندا المنظمة ظاهر في بعض هذه العرائض. فإن العبارات في كثير طبعاً وهناك فقرات مطبوعة كصورة للنسخ على منواها وقد تلقتها اللجنة مطبوعة وليس فيها شيء خططي غير التوقيع. ومن المؤكد أن عدداً صغيراً من العرائض استحضر بغير طرق شرعية إذ كانت التوقيع بخط واحد في عريضتين وفي ثلاثة. وزد على ذلك توقيع الجمعيات الجديدة التي قيل إنها نقابات صناعية في بيروت، فقد عرفت اللجنة أن هذه الأختام صنعوا أحد سماسرة البروباغندا قبل وصول اللجنة ببضعة أيام.

وقد اخذت اللجنة جميع الوسائل للثبت من صحة العرائض والتوسيع ولكنها بالنظر إلى طبيعة مهمتها والتسهيلات المحدودة لا تستطيع أن تضمن سلامتها من الغش، وأن قيمة العرائض الفردية تختلف في عدد التوسيع إلا أن العدد نفسه لا يصح اتخاذة قياساً. مثل ذلك أن بعض العرائض التي لم يوقعها غير أعضاء المجلس البلدي قد تعبّر عن الرأي العام أكثر من عريضة يوقعها ألف قروي.

ويبلغ مجموعة التوسيع ٩١٠٧٩ تنقسم هكذا: ٢٦٣٤٢ من المنطقة الجنوبية و٢٦٨٨٤ من الغربية و٣٧٨٧١ من الشرقية ومعدل التوسيع في كل عريضة ٤٩ إسماً.

وتشتمل هذه العرائض مع ما تقدم على صورة الرأي السياسي الحاضر في سوريا لأن أكثر العرائض الشاذة ينسخ بعضها بعضاً، فإن عرائض المسيحيين في فلسطين تساوت مع عرائض المسلمين بعد التيار الذي تدفق على اللجنة في حلب. ولم تؤثر حركات أعيان الفرنسيين في طرابلس على طبقة هذه العرائض أكثر من المساعي المعاكسة لأنصار الاستقلال في عمان.

وما لا خلاف فيه أن صفة هذه العرائض تمثيلية كما تدل عليه لائحة الوفود التي استقبلتها اللجنة، ولأنها جاءت من الطبقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية كافة والجمعيات لأن القوم علموا أن اللجنة لا تذيع أي عريضة يقدمها فرد أو جماعة، وحدث في بعض المدن أن السلطة العسكرية حاولت السيطرة على اللجنة مباشرة أو بواسطة أخرى، ولكن الأحزاب المعارضة كانت - تعرض أفكارها ومطالبها خطابة أو كتابة.

٢ - محتويات هذه العرائض - ويحمل بنا قبل النظر في المطالب الخاصة تبيان الخطط السياسية التي ظهرت جلياً في العرائض فإنه كان في ١٣٦٤ من ١٨٣٦ عريضة هذه الخطط بالحرف الواحد. وهناك عرائض أخرى كثيرة فيها شبه قريب منها.

ولم يكن في العرائض الأولى التي تلقتها اللجنة في يافا يوم ١١ يونيو- باستثناء العرائض الصهيونية - برهان على وجود سياسة معينة متفق عليها لمستقبل سوريا بل كان هناك تفاوت عظيم في المعانى والمبنى. وقد وجد بينها أربع عرائض تشتمل على ما يمكن تسميته برنامج الاستقلال وهو يتضمن:

١ - وحدة سوريا السياسية ومن ضمنها كيليكيا شمالاً والصحراء السورية شرقاً وفلسطين حتى دجلة جنوباً.

٢ - الاستقلال الناجز لسوريا.

٣ - مقاومة الوطن القومي الصهيوني والهجرة اليهودية.

ثم صار هذا البرنامج العلامة الواضحة في عرائض المنطقة الجنوبية فاشتملت عليه ٨ من ٢٣ في القدس و ١٠ من ٣٥ في حifa والناصرة وكانت ٨٣ من ٢٦٠ في المنطقة الجنوبية أو ٣٢ بالمئة استقلالية، بينما هناك عرائض تضرب على ما يشبه هذا الوتر.

٣ - برنامج دمشق - صار برنامج الاستقلال الأصلي بعد تأييد المؤتمر السوري له في دمشق يعرف ببرنامج دمشق، وهو يشتمل على ثلات مواد من

برنامج الاستقلال مع ادخال لفظة - المساعدة - من أميركا وإذا رفضته فانكلترا. وفيه أيضاً ما يأتي :

رفض المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم. رفض المطالب الفرنسية كلها في سورية. الاحتجاج على المعاهدات السرية والاتفاقات الخاصة مثل اتفاق سايكس بيكيو وتصريح بلفور. مقاومة استقلال لبنان الكبير. إنشاء حكومة ديمقراطية لا مركزية برئاسة الأمير فيصل. المطالبة بالاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق.

وقد تلقت اللجنة ثلاث عرائض تحتوي على - برنامج دمشق - قبل تأييد المؤتمر السوري له - ولكنها تلقت بعد ذلك ١٤٧٣ عريضة تضمنت ١٠٤٧ منها مواد هذا البرنامج منها ٩٦٤ مطبوعة .

٤ - برنامج لبنان - ينقسم البرنامج اللبناني إلى ثلاثة أقسام كما تدل على ذلك العرائض :

- أ - لبنان كبير فرنسي مستقل ،
- ب - لبنان كبير مستقل ،
- ج - لبنان اداري .

يطلب أصحاب البرنامج الأول فصل لبنان الكبير عن سورية واستقلاله التام مع سهول البقاع وضم طرابلس أحياناً وأن يكون تحت الوصاية الفرنسية وقد تلقت اللجنة ١٣٩ عريضة تؤيد هذا البرنامج من ١٤٦ رفعت. إليها في المنطقة الغربية المحتلة كانت عشرون منها ذات صبغة واحدة.

وببرنامج الحزب الثاني كبرنامج الحزب الأول، إلا أنه حال من طلب الوصاية الفرنسية و٣٣ من ٣٦ عريضة من هذا البرنامج مطبوعة في شكلين و٨ منها مضاف إليها طلب الوصاية خطا.

وأما برنامج لبنان الاداري فيطلب لبنان الكبير كمقاطعة مستقلة ادارياً ضمن الوحدة السورية. ولم يرد ذكر الوصاية في هذا البرنامج على الاطلاق. وعدد العرائض التي اشتملت عليه ٤٩ وهي خطية ليس منها غير ٣ مطبوعة .

٥ - البرنامج الصهيوني - تلقت اللجنة ١١ عريضة تستحسن البرنامج الصهيوني وهو إنشاء وطن قومي لليهود وفتح باب المهاجرة لهم. وجميع هذه العرائض من اللجان اليهودية، و٨ عرائض أخرى تستحسن إنشاء المستعمرات اليهودية في فلسطين بدون موافقة على البرنامج الصهيوني كله. وقد رفع فلاхи العرب الذين هم على لواء مع التلاع اليهود <sup>٤</sup> من هذه الثمان.

#### - الحدود الجغرافية -

١ - سوريا المتحدة - نالت سوريا المتحدة أكبر نسبة في ١٥٠٠ عريضة وهي ٨٠، <sup>٤</sup> بالثلثة من مجموع العرائض. وسوريا المتحدة هنا يدخل فيها كيليكيا والصحراء وفلسطين. وتحدد عادة: جبال طوروس شمالاً ونهر الفرات والخابور والخط المتند من أبو كمال إلى شرق الجوف شرقاً ورفع - العقبة جنوباً والبحر الأبيض المتوسط غرباً. ومع أن وحدة سوريا هي المادة الأولى في برنامج استقلال دمشق فإن عدداً كبيراً من المسيحيين في المقاطعات كلها يؤيدونها كما تدل عليه العرائض.

٢ - العرائض التي تؤيد الصهيونية وعددتها ١٩ طلبت ٦ منها فصل فلسطين عن سوريا.

٣ - طلبت جماعتان مسيحيتان في فلسطين وضع فلسطين منفصلة تحت الوصاية البريطانية تفضيلاً لذلك عن سوريا المتحدة تحت الوصاية الفرنسية.

٤ - تضمنت ٢٤ عريضة أكثرها من مسيحيي الجنوب طلب الاستقلال الاداري لفلسطين ضمن سوريا، وهذا ولا شك يندمج في طلب الوفود الأخرى الاستقلال والحكم اللامركزي.

٥ - وتلقت اللجنة ٢٠٣ عرائض ضد الوحدة السورية ٩، <sup>١٠</sup> بالثلثة يطلب أصحابها لبناً كبيراً مستقلاً.

٦ - زاد طلب الوحدة السورية ظهوراً وتأكيداً في العرائض التي رفعت إلى اللجنة احتجاجاً على استقلال لبنان الكبير وعددتها ١٠٦٢ بعضها متندمج

في برنامج دمشق وبعضاً من البروتستانت والمصادر المسيحية الأخرى في لبنان.

٧ - أظهر ٣٣ وفداً من اللبنانيين الممثلين للمسلمين والمسيحيين خوفهم من المستقبل الاقتصادي إذا فصل لبنان عن سوريا وطلبو أن يكون مستقلاً ضمن الوحدة السورية. وفسر بعضهم الاستقلال الإداري باستقلال في حكومة لا مركزية.

٨ - كان سهل البقاع معتبراً عادة جزءاً من لبنان الكبير لا ينفصل عنه وقد أشارت ١١ عريضة بوجوب ضمه إلى لبنان وطلبت ٨ من دمشق بقاءه في منطقة دمشق.

٩ - كانت كيليكيا تعد من سوريا مثل سهل البقاع، وقد طلب ذلك أصحاب ١٥٠٠ عريضة من القائلين بسوريا المتحدة. وقد سمتها عريستان باسماء مدنها ووُجِدَت ٣ عرائض تطلب اعطاءها لأرمينية.

### - الاستقلال الناجز -

١ - النسبة الكبرى الثانية هي للاستقلال الناجز فإنها ٧٥,٥ بالمائة وقد أيادته الوفود الإسلامية كلها. ومن المؤكد كما دلت عليه الأحاديث الشفهية أن كلمة - الاستقلال الناجز - لم تستعمل بمعنى الحرية التامة من كل إرشاد أجنبي كالوصاية مثلاً. فإن كثيراً من هذه العرائض كانت تشير أحياناً إلى اختيار الدولة الوصية أو طلب - المساعدة - الأجنبية. وهناك جماعة الأنديمة العربية ترغب في التحرر التام من كل سلطة أجنبية بيد أن السواد الأعظم يطلب الاستقلال ويحدد الوصاية كمساعدة اقتصادية وتعليم إداري.

٢ - يكاد عدد العرائض التي طلب فيها استقلال العراق يوازي عدد العرائض التي تقدم ذكرها فقد بلغ ١٢٧٨ أو ٦٨,٥ بالمائة. ويجب أن يضاف إلى هذا ٩٣ من ٩٧ عريضة تطلب الاستقلال لسائر البلدان العربية وقد استعملت عبارة - كل البلدان العربية - في عرائض فلسطين ثم

استبدلت - بالعراق - في برنامج دمشق فيكون جموع العرائض التي طلب فيها الاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق - ١٧٣١ .

### - شكل الحكومة -

- ١ - بلغ عدد العرائض التي طلب فيها إنشاء مملكة ديمقراطية دستورية لا مركزية ١١٠٧ أو ٥٩,٥ بالمئة وكلها عدا ٥ تطلب الأمير فيصل ملكاً . وقد كانت هذه العرائض كثيرة في المنطقة الشرقية ولم يكن الأمر كذلك في فلسطين حينها وصلت اللجنة إذ لم يرد ذكر المملكة في غير خمس عرائض من ٢٦٠ ذكر الأمير فيصل في اثنين منها .
- ٢ - طلب ٢٦ وفداً من المسيحيين في المنطقة الغربية - حكومة تمثيلية ديمقراطية ذات شكل جمهوري - ورفع مثل هذا الطلب إلى اللجنة من وفود في المنطقة الشرقية فالمجموع ٣٤ أو ١,٨ بالمئة ، والغرض من هذا الطلب مقاومة فكرة المسلمين أو المملكة السورية برئاسة فيصل .
- ٣ - اشتمل البرنامج الدمشقي على طلب الضمانات الكافية لحماية حقوق الأقليات وأيد هذا الطلب عدد كبير من الوفود المسيحية في لبنان بلغ المجموع ١٠٢٣ أو ٥٤,٩ بالمئة ، وقد نال هذا الطلب من المسلمين والمسيحيين تأييداً لم ينله سوى معارضه الصهيونية .
- ٤ - طلبت ٥ عرائض في الجنوب أن تظل اللغة العربية لغة رسمية بدلاً من العبرانية وطلب في ١٠ إلغاء الامتيازات الأجنبية .
- ٥ - رفعت إلى اللجنة ١٩ عريضة أو ١,٢ بالمئة تطلب الاستقلال الإداري لسائر المقاطعات السورية وذلك علاوة على العرائض التي طلبت فيها الاستقلال الإداري لسوريا وفلسطين .

### - الوصاية -

انقسم القوم خمس فرق تجاه الدولة الوصية ، فكان بعضهم يقول إذا كانت الوصاية أجارية ، فإننا نطلب هذه الدولة أو تلك ومعنى ذلك أنهم

يقبلون الوصاية محتاجين . وقد كانت الأكثريّة الكبّرى تطلب - المساعدة - بدلاً من الوصاية لخوفها أن تكون هذه رداء للمقاصد الاستعماريّة .

١ - مجموع العرائض التي طلبت انكلترا بالدرجة الأولى ٦٦ عريضة أو ٣,٥ بالمئة منها ٤٨ من الوفود الأرثوذكسيّة بفلسطين و٤ من الدروز ومجموع العرائض التي طلبت فيها انكلترا بالدرجة الثانية ١٠٧٣ أو ٥,٥ بالمئة منها ٧٥,٥ تطلب مساعدة انكلترا إذا امتنعت أمريكا .

٢ - مجموع العرائض التي طلبت فرنسا بالدرجة الأولى ٢٧٤ أو ١٤,٦٨ بالمئة منها ٥٠ من لبنان فقط . وبلغ مجموع العرائض التي طلبت فيها فرنسا بالدرجة الثانية ٣ فقط .

أما مجموع العرائض التي طلبت فيها مساعدة أميركا في الدرجة الأولى فهو ١١٢٩ عريضة أو ٦٠,٥ بالمئة منها ٥٧ تطلب أميركا كدولة وصبة و٨ تفضل وصايتها إذا كانت الوصاية أجبارية .

### - الصهيونية -

تكلمنا عن الصهيونية آنفًا ، ونقول الأن: إنه بلغ عدد العرائض التي تقاومها ١٨٥٠ أو ٧٣,٣ بالمئة . وهذا العدد الأكبر هو الثالث في أي مطلب آخر وهو يمثل الرأي العام المسيحي الإسلامي أكثر من سواه . وكانت حركة المقاومة الصهيونية قوية في فلسطين على الأخص ، إذ كانت ٢٢٢ من ٢٦٠ عريضة ضدها أو ٨٠,٣ بالمئة وهذه أكبر نسبة لأي مطلب آخر .

### - الاحتتجاجات والانتقادات -

تنقسم الانتقادات على الدول إلى ثلاثة أقسام :

أولاً - انتقاد مطالب الدول و نوعيتها و سياستها بلا تحديد أو تعين .

ثانياً - انتقاد معين على سوء الادارة والخلل والرشوة في الادارة العسكرية .

**ثالثاً - احتجاجات على تدخل السلطات العسكرية المحلية ومضايقتها للجنة.**

- ١ - عرضت على اللجنة ثلاثة شكاوى عامة ضد الانكليز.
- ٢ - كانت الشكاوى العامة على الفرنسيين كبيرة جداً، بلغ عددها ١١٢٩ أو ٦٠,٥ بالملة وهذا ناتج عن وجود احتجاج من هذا النوع في برنامج دمشق. وعرضت على اللجنة ٢٤ شكوى ضد أعمال معينة أثارها الفرنسيون ١١ شكوى ضد التفوي والحرس المسلح والتهديد والارهاق وما شاكل ذلك من الوسائل التي قال الشاكون إن السلطات الفرنسية لجأت إليها لمنع الذين لا يمالئون الفرنسيين من الظهور أمام اللجنة.
- ٣ - ظهر الانتقاد العام على الحكومة العربية في ٣٥ عريضة من المسيحيين وفيها يتذمرون من سوء مصير المسيحيين في الحكم العربي، وانتقدت الحكومة العربية أيضاً في ٤ عرائض أخرى.
- ٤ - اشتملت ١٠٣٣ عريضة على الاحتجاج على المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم المتضمنة - وضع الجماعات المنفصلة عن تركيا تحت اشراف احدى الدول - وهذا الاحتجاج يؤيد طلب الاستقلال التام لسوريا الوارد في برنامج دمشق.
- ٥ - اندرج في ٩٨٨ عريضة احتجاج على المعاهدات السرية التي تقسم سورية بدون معرفة أهلها أو رضاهم على الاتفاقيات الخاصة والمقصود بذلك اتفاق سايكس - بيكر، وتصريح بلفور وإن لم يرد لها ذكر. وقد ورد هذا الاحتجاج في برنامج دمشق وأيدته الأحزاب الأخرى أيضاً.

### **- طواف اللجنة -**

طافت اللجنة سوريا في ٤٢ يوماً من ١٠ يونيو إلى ٢١ يوليو والسلطة العليا في هذه البلاد للجنرال النبي، ولكن الأحكام المدنية تجري فيها طبقاً للأنظمة التركية مع تعديلات موضعية طفيفة. وقد ظلت بعض مقايد الادارة

في أماكن كثيرة بأيدي الموظفين الذين تركهم الترك، وللحكام العسكريين والضباط واجبات أخرى خاصة كالأعمال الطبية والاقتصادية والمواصلات وغيرها. وتقسم هذه البلاد إلى أربع مناطق:

الجنوبية، ويقوم بادارتها ضباط بريطانيون.  
والغربية، ويتولى شؤونها الفرنسيون.  
والشرقية، وهي بأيدي العرب.  
والشمالية، وهي بإدارة الفرنسيين أيضاً.

وقد قضت اللجنة في الجنوبية ١٥ يوماً ومثلها في الشرقية و ١٠ في الغربية و ٦ في الشمالية.

### - الكلام على المناطق -

المنطقة الجنوبية: وصلت اللجنة إلى يافا في وقت متأخر بسبب التغيير الذي طرأ على الخطة المرسومة. ولم تكن السلطة البريطانية تتوقع وصولها فوضعت برنامجها الذي جرت عليه من دون مساعدة البريطانيين وكانت تجتهد لمعرفة آراء ورغائب كل جماعة ذات شأن وكل طائفة وهيئة منظمة وبعض ذوي العلم والاطلاع، وممثل الأقليات أو الشيع، ولا سيما في الأماكن التي يبدو فيها ميل إلى منع هذه الآراء من الظهور بأحد الأسباب. ولما كانت الشيع المسيحية ولا سيما الكاثوليكية منها كثيرة كان من المرتقب أن لا تكون النسبة متعادلة في عدد اللجان والوقت الذي خصص لها، فلذلك أعدت البعثة بياناً بأغراضها كانت تلقيه على الوفود والجماعات وأذاعته أيضاً في الصحف بشكل أحاديث وانخذلت أنواع الحيطة لتكون مهمتها واحضة وجلة، فكانت تعجب على الأسئلة المختلفة التي تطرح عليها قائلة: لا صحة لما يقال من أن من سياسة أميركا قبول الوصاية وأنه لا يمكن التنجيّ بقبولها، وأنه لا قوة للجنة للحكم، واستخدمت اللجنة في أسفارها سيارات لجنة إغاثة الشرق الأدنى الأميركي لكي لا تعتمد في شيء على غير أمريكي ما استطاعت وأعلنت أنها لا تقبل دعوات المجتمعات عامة ولا ترضى عن المظاهرات.

وقضت اللجنة أسبوعاً في القدس أمضت يومين منه في زيارة بيت لحم والخليل وبير السبع، ولم تقبل سوى إكرام محدود من الموظفين الانكليز والفرنسيين: واستفتت رؤساء الطوائف المختلفة وإن لم يكن لبعضهم ما يقولون في الاستفتاء مثل القبض والحبس. وطافت شمالي فلسطين بسرعة فاستقبلت الوفود في رام الله ونابلس وجنين والتاصرة وحيفا وعكا. وقد كان بعض هذه الجماعات يأتي من أماكن بعيدة يستحيل على اللجنة زيارتها. واجتمعت في مستمرة - ريشون لیزیون - الصهيونية بزعماء عدة مستعمرات يهودية وأعضاء اللجنة الصهيونية المركزية.

١ - الحكومة المحتلة: كان الموظفون البريطانيون - من الميجر جنرال السر أرثر موني قائد منطقة بلاد العدو المحتلة الجنوبية إلى أصغر موظف - لطفاء بجاملين وأكثربهم ذو خبرة سابقة قبل الحرب في الهند أو في مصر والسودان، وبصفتهم بمجموعاً فهم هيئة ذات أهلية واقتدار تعمل في البلاد لصلحة أهلها.

٢ - مطالب الشعب: اجتمعت كلمة المسلمين في فلسطين وهم حسب الأحصاء الانكليزي الأخير نحو أربعة أخاس السكان على المطالبة باستقلال سوريا المتحدة ولم تشذ منهم سوى فئة معروفة من الموظفين كانت تسير مع تيار النفوذ السياسي. وقررت الأحزاب التي اجتمعت في يافا أن سوريا أهل لحكومة مستقلة بلا دولة وصية، وأنه إذا أصر مؤتمر الصلح على تعين دولة فإنهم يفضلون الولايات المتحدة.

وقد أيد الناس في القدس وغيرها من فلسطين هذا القرار وكانوا يحملون مسألة الوصاية إلى المؤتمر السوري الذي ينطوي بسلامهم ورفض بعض المسلمين ولا سيما في الجنوب قبول الوصاية رفضاً باتاً منها كان نوعها. وقد ظهر منذ أعلن المؤتمر السوري رغبته في مساعدة أميركا بالدرجة الأولى وإنكلترا في الدرجة الثانية ورفض الوصاية الفرنسية بتاتاً أن هذا ما يطلبه سواد المسلمين في فلسطين ويرجع أن ذلك كان يحول في خواطرهم حينما أحالوا اللجنة على المؤتمر.

وكانت مطالب المسيحيين في فلسطين وهم ١٠ بالمائة من مجموع السكان مختلفة فكانت جماعات الشمال كاللاتين الكاثوليك في طبريا وحيفا وأكثر مسيحيي الناصرة مع المسلمين في طلب الاستقلال وترك تقرير مسألة الوصاية إلى المؤتمر السوري. وكان الروم الكاثوليك والموارنة يطلبون الوصاية الفرنسية، وكان الأرثوذكس في كل مكان متلقين على طلب الوصاية الانكليزية. وهناك جماعات أخرى لم يطلب أحد منها وصاية أميركا مباشرة ولكنها كانت تقول بأنها لو تأكدت من قبول الولايات المتحدة فإنها لا تختار سواها وأكثر المسيحيين من هذا الرأي وكلهم في جانب الوصاية يريدون دولة ذات حكم صحيح.

وكان اليهود الذين يؤلفون أكثر من ١ بالمائة من سكان فلسطين يؤيدون الصهيونية الانكليزية في حين الذي انفقت فيه كلمة المسلمين والمسيحيين على مقاومة الصهيونية، وهذه المسألة ذات علاقة كبيرة بوحدة سوريا.

٣ - الصهيونية: أعلن يهود فلسطين تأييدهم للصهيونية بوجه عام واحتلّلوا في التفاصيل والطرق الموصولة إلى تحقيقها ويمكن وصف الأمور التي اتفقوا عليها في ما يلي :

جعل فلسطين - وطنًا قوميًّا - في الحال وأن يصير الحكم السياسي في البلاد عاجلاً أو آجلاً معروفاً باسم الحكومة اليهودية. والسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين من كل مكان في العالم وأن يكون شراء الأراضي مباحاً لهم وأن تكون العبرانية لغة رسمية. وأن تكون بريطانيا الدولة الوصية لفلسطين لتحمي اليهود وتساعدهم على تحقيق مشروعهم. ولما كانت الدول الكبرى في العالم قد استحسنست فكرة الصهيونية فلا تحتاج إلى غير تنفيذ. أما الذي اختلف عليه اليهود فهو: مسألة الحكومة اليهودية وهل يجب إنشاؤها عاجلاً أو بعد زمان طويل. وهل يسرون على حسب الطقوس والتقاليد اليهودية القديمة أم على الطريقة العصرية فيهتمون بالمسائل الاقتصادية واستثمار الموارد واستخراج القوة الكهربائية من الأنهر؟

٤ - الأماكن المقدسة: ذهبت سلطة التركي عن البلاد وقد حافظ على

الحالة القديمة من جهة الأماكن المقدسة وتركها كما هي فمن يقوم مقامه؟ قد تكون الدولة الوصية: فإذا أخذت الوصاية دولة كاثوليكية فلا بد من وقوع مشاكل لأن الكاثوليك يعتقدون أنهم مظلومون ويطلبون زيادة حقوقهم على حساب الروم فوجود كاثوليكية يفقد التوازن الموجود ولا سيما في غياب روسيا. وبما أنه يوجد الآن وكيل محافظ للأماكن الكاثوليكية المقدسة أفالن يمكن توسيع نطاق هذه الفكرة وجعلها دستوراً طبيعة دائمة تحافظ على الأماكن المقدسة يكون للروم الأرثوذكس والبروتستانت والمسلمين واليهود مثلون بها واعطاوتها سلطة ووسائل تستعين بها على العناية بهذه الأماكن كلها للأديان الثلاثة. ويجب أن يراعى في تأليفها أسباب الالفة والمحبة لثلاثة يبقى موضوع النزاع والخلاف.

### - المنطقة الغربية -

وصلت اللجنة إلى بيروت بعد أن جابت فلسطين والنصف الجنوبي من منطقة الاحتلال الغربية فقضت يومين في مقابلة اللجان فكانت تزور الأماكن من صور إلى بيرون بالسيارة وقد تلطّف الجنرال اللبناني فوضع يخته تحت أمرها فزارت به طرابلس واللاذقية والاسكندرونة وقابلت الوفود وسمعت أقوالهم في كل جهة من المنطقة الغربية ولم يكن في منهجها شيء مختلف عنها سارت عليه في المناطق الأخرى من حيث المقابلات والتداريب. وقد بذل الموظفون الفرنسيون الجهد لتوفير أسباب الراحة لها.

١ - مطالب الشعب: كانت الحالة في المنطقة الغربية كالحالة في فلسطين إلا أن بعض المسلمين طلبوا المساعدة الأميركية أو الانكليزية، وطلب الدروز الوصاية الانكليزية، والموارنة وسائر الشيع الكاثوليكية طلبت وصاية فرنسا، وانقسم الأرثوذكس فلم يجتمعوا كلمتهم على طلب الوصاية الانكليزية كما فعلوا في فلسطين ودمشق وانقسم النصيرية أيضاً وكان أكثر الاسماعيليين مع فرنسا.

وكانت آراء الذين يطلبون الوصاية الفرنسية مختلفة في مصير لبنان وعلاقته بسوريا فإن أكثر القوم من صور إلى طرابلس طلبوا استقلال لبنان الكبير

وفصله عن سورية ووضعه تحت وصاية فرنسا ولم يكترث انصار هذا المبدأ لفكرة الوحدة الوطنية بل كان من أماناتهم فيها يظهر أن يصيروا رعايا فرنسيين في القريب العاجل ورغم الآخرون أن تكون سورية متحدة تحت الوصاية الفرنسية مع تكير لبنان وإعطائه نوعاً من الاستقلال الإداري الواسع.

أما في لبنان الأصلي فالأكثرية ملخصة للفرنسيين معارضهم للإنكليز ولم تستطع اللجنة سؤال الذين يميلون إلى فرنسا رأيهم في الوصاية الأميركية فيما إذا كانت ممكنة وكانت الوصاية الفرنسية غير مرغوب فيها بسبب براهين أكيدة تدل على أن السواد الأعظم من السكان حتى الموارنة يفضلون أميركا على سواها، ويقال إن سبب هذا التفضيل هو تجربة أميركا عن الأغراض الذاتية في الحرب وكرمتها قبل المهدنة وبعدها والعلاقات الشخصية التي أنشأها عدد كبير من اللبنانيين الذين قضوا وقتاً طويلاً أو قصيراً في الولايات المتحدة ورجعوا إلى بلادهم حافظين على الأخلاص لأميركا.

وواحد الدروز بطلب الانفصال عن لبنان إذا أعطي لفرنسا.

هذا في لبنان الأصلي أما في المناطق الأخرى التي يراد ضمها إلى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس فإن فيها أكثرية كبرى من السكان تعترض على الحكم الفرنسي وتقاومه ويدخل في هذه الأكثرية، جميع المسلمين السنين وأكثر الشיעيين وقسم من الروم الأرثوذكس وطائفة البروتستانت وأكثر هؤلاء يريدون أميركا أولاً وإنكلترا بالدرجة الثانية.

والأكثرية في باقي المنطقة الغربية إلى شمال لبنان الكبير المراد إنشاؤه ضد الوصاية الفرنسية في كل الأحوال ومن الباقين قسم كبير يعترض على الانفصال عن داخلية البلاد ويضع وحدة البلاد فوق فرنسا.

وما يجدر ذكره أنه بينما السوريون الوطنيون يرفضون مساعدة فرنسا ذاكرين اسمها لم يتعرض أحد من نصراء فرنسا والراغبين في وصايتها لرفض أميركا أو إنكلترا باسمها. على أن المسيحيين اظهروا في أحيان مختلفة أنهم

يختلفون إذا صارت إنكلترا وصية على البلاد أن تمايل المسلمين على المسيحيين.

### - لبنان -

صارت هذه المنطقة الجميلة التي وضعها منذ سنة 1861 تحت حماية الدولة الأوروبية المست وجعل حاكمها مسيحياً موضع اهتمام فرنسا من ذاك العهد لأن أكثر سكانها من الموارنة، والكاثوليك. وقد ظهرت في هذه المنطقة كسائر البلاد التي فصلت عن سلطة الباب العالي مباشرة آثار العمran فأنشئت الطرق وغرس الأشجار وشيد عدد كبير من البيوت الحجرية وكان المال الذي يربحه المهاجرون في الولايات المتحدة عاملاً كبيراً في هذا التقدم وقد ازدادت ثروة الرهيبات المارونية والأديرة في هذه السنين وأعفى لبنان من الخدمة العسكرية وكانت الضرائب التي يدفعها خفيفة. ولما كان قطراً مسيحياً وكان للمسيحيين فيه وظائف الحكومة أكثر مما تخوّلهم نسبتهم العددية مال الدروز إلى الهجرة واللحاق بآخوانهم في حوران استثناء من عدم المساواة.

وقد ظهرت آثار سياسة فرنسا الاستعمارية في كثير من سكان هذه المنطقة وفي بيروت والأقسام الأخرى من سوريا فهم يشعرون أنهم يعرفون اللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية وأنهم أرقى من سكان الداخلية. هؤلاء هم الذين يطلبون فصل لبنان عن سوريا، أو هم البقعة التي نمت فيها هذه الفكرة.

وقد حمل قرب المنطقة الحكومة التركية على التساهل واللين مع المسيحيين وغيرهم في المناطق الأخرى لثلا يكون فارق كبير بينها في العمran ولكن اعفاء لبنان من الخدمة العسكرية واتساع المجال أمام طلاب الوظائف وقلة الضرائب أو صغرتها مال بالكثيرين إلى فكرة لبنان الكبير تحت وصاية فرنسا. غير أن هناك حزباً كبيراً بين الماليين إلى فرنسا يقاومون فكرة جعل لبنان قسماً من فرنسا وهذا يصدق على ذوي المراتب الرسمية من الموارنة.

إن كل تعديل في الحالة يجب أن ينيل باقي سوريا مثل هذا لضمان لا

أن يحرم منه سكان لبنان، وذلك مستطاع توفيره في سورية المتحدة بواسطة نوع كاف من الاستقلال الإداري. ويجب تولي إبقاء هذه المقاطعة ذات مركز ممتاز عن سواها لئلا يزداد ثقل الأعباء على المناطق الأخرى.

### - منطقة الاحتلال العربية -

أقامت اللجنة في دمشق تسعة أيام قضت ستة منها في مقابلة الوفود الدينية والسياسية والممثالت الرسمية وأصحاب المراكز السامية من كل الطبقات، حتى الأمير يصل نفسه والجنرال النبي، ومكثت هنا أكثر من كل مكان آخر في سورية لأن دمشق ستكون عاصمة (سورية المتحدة) إذا تم انشاؤها، هذا فضلاً عن أن في المنطقة الشرقية حكومة عربية عاملة تسعى وتحتهد لتعميد الطريق إلى (الوحدة الكبرى).

وعقد المؤتمر السوري في أثناء وجود اللجنة في دمشق وعلقت في الشوارع ألواح كتب عليها (نريد الاستقلال التام) وقد نزعت بأمر الحكومة. ونشرت الصحف المحلية ما دار بين اللجنة والقاضي والمفتى والعلماء من الأحاديث فاحتدم الجدال حولها بين القوم وفي الصحف (وبالطبع فقد نشرت هذه الأحاديث من دون إذن اللجنة أو سماحتها) وأجابت اللجنة دعوة الأمير يصل إلى الطعام مرتين.

وأعدت اللجنة في خلال تلك المدة التدابير لرحلة إلى أطراف الصحراء للوقوف على آراء السكان وكانت خلاصة مطالب المسلمين منهم الاستقلال الناجز بلا حماية ولا وصاية. ولكنهم لما كانوا يشعرون ب حاجتهم إلى الإرشاد الاقتصادي والمالي، وكان خطباء العرب الفصحاء يسألون أمريكا التي عملت على تحريرهم أن تؤيد استقلالهم في مؤتمر الصلح قائلين إنهم يعدونها مسؤولة أمام الله عن تتميم ما بدأت به. والمسحيون في هذه المنطقة وهم فئة قليلة كانوا في خوف عظيم يطلبون تعين دولة قوية وصية على سورية ليحصلوا على الحماية التامة، وهم يفضلون أن تكون بريطانيا العظمى تلك الدولة وأن تضم المنطقة الشرقية إلى فلسطين.

وقضت اللجنة يوماً واحداً في بعلبك بعد سفرها من دمشق لسماع التزاع القائم على ضم البقاع إلى لبنان الكبير. وبعد أن ظلت عشرة أيام في المنطقة الغربية عادت ثانية إلى المنطقة الشرقية في الطريق الممتد من حصن إلى طرابلس وقصدت حلب بعد أن أصغت لأقوال الوفود في حصن وحماه. ومكثت ثلاثة أيام في حلب وقفت فيها على آراء الوفود واللجان، وقد طلب القوم في الشمال الاستقلال للعراق بقوة، وكان بعض الجماعات في حلب يهتم كثيراً بتوسيع حدود سوريا شرقاً حتى تشمل الصحراء الشرقية.

## ملحق رقم ٨

قرار المفوض السامي الفرنسي تاريخ ٣١ آب ١٩٢٠ ورقم ٣١٨  
بفصل لبنان عن سوريا وانشاء دولة «لبنان الكبير» اعتباراً من أول أيلول  
١٩٢٠.

### تحديد دولة لبنان الكبير

إن الجنرال غورو المندوب السامي للجمهورية الفرنسية في سوريا  
وكيليها وقائد جيش الشرق العام.

بعد الإطلاع على القرار الرئيسي المؤرخ في ٨ تشرين أول سنة  
١٩١٨.

ولما كانت فرنسا بمجيئها إلى سوريا ولبنان أن يحققوا أمانיהם المشروعة  
في الحرية والحكم الذاتي.

ولما كان يجب لتنفيذ ذلك أن تعاد إلى لبنان وظائفه الطبيعية كما وضحتها  
مثلوه وطالب بها أهلوه وأنه يكون بوسع لبنان الذي انشيء هكذا ضمن  
حدوده الطبيعية أن يواصل بصفته دولة مستقلة وبمساعدة فرنسا الخطة في  
وضعها بصورة تضمن مصالحه السياسية والاقتصادية فمن أجل تلك  
الأسباب: قد قرر:

المادة الأولى: ينشأ تحت اسم لبنان الكبير قطر يحتوي على:  
١ - مقاطعة لبنان الادارية الحالية.

٢ - أقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا كما جاء في القرار رقم ٢٢٩  
تاریخ ٣ آب .

٣ - أقسام ولاية بيروت الموضحة أدناه :

أ - سنجق صيدا ما عدا الجزء الذي منح لفلسطين بموجب الاتفاقيات  
الدولية .

ب - سنجق بيروت .

ت - قسم سنجق طرابلس الذي يشمل قضاء عكار جنوب النهر الكبير  
وقضاء طرابلس - مع مديرية دنيا ومنيا - وجزء قضاء حوش الأكراد الواقع  
جنوب تلخوم لبنان الكبير الشمالي كما هي موضحة في المادة الثانية من هذا  
القرار .

المادة الثانية : عينت حدود لبنان الكبير كما يأتي مع التحفظ بشأن  
تعديلات الحدود الجزئية التي تجري فيها بعد .

شمالاً : خط من مصب النهر الكبير يتبع النهر إلى ملتقاه بوادي خالد  
على ارتفاع جسر القمر .

شرقاً : خط وادي خالد والأرنط - نهر العاصي - ويرقى مزرعة  
أرسانه وحابت وعيج وفيصل على ارتفاع قرى بريغا ومطرية ، ويتابع هذا  
الخط حد قضاء بعلبك الشمالي متوجهًا من الشمال الغربي إلى الجنوب  
الشرقي ثم حدود أقضية بعلبك وحاصبيا وراشيا الشرقية .

جنوباً : الحدود الفلسطينية كما قرر في الاتفاقيات الدولية .

غرباً : البحر المتوسط .

يوضع هذا القرار موضع العمل اعتباراً من أول أيلول سنة ١٩٢٠ .  
على الأمن العام ورئيس التفتيش الإداري أن يقوموا كل بما يخصه بتنفيذ  
هذا القرار . بيروت في ٣١ آب سنة ١٩٢٠ .

الامضاء

غورو

ملحق رقم ٩

برقية الاتحاد اللبناني إلى وزارة الخارجية الفرنسية، يحيى فيها انتصار الحلفاء  
ويطالب باستقلال لبنان بضمّان الدول الكبرى.

M. A. E. F. Levant, vol 2 f. 36

TELEGRAMME OFFICIEL

CONSEIL DES AFFAIRES  
ÉTRANGÈRES PARIS

4222 66297

WJ 99,94 X<sup>A</sup> DOCUMENT

6/2/51

E 213

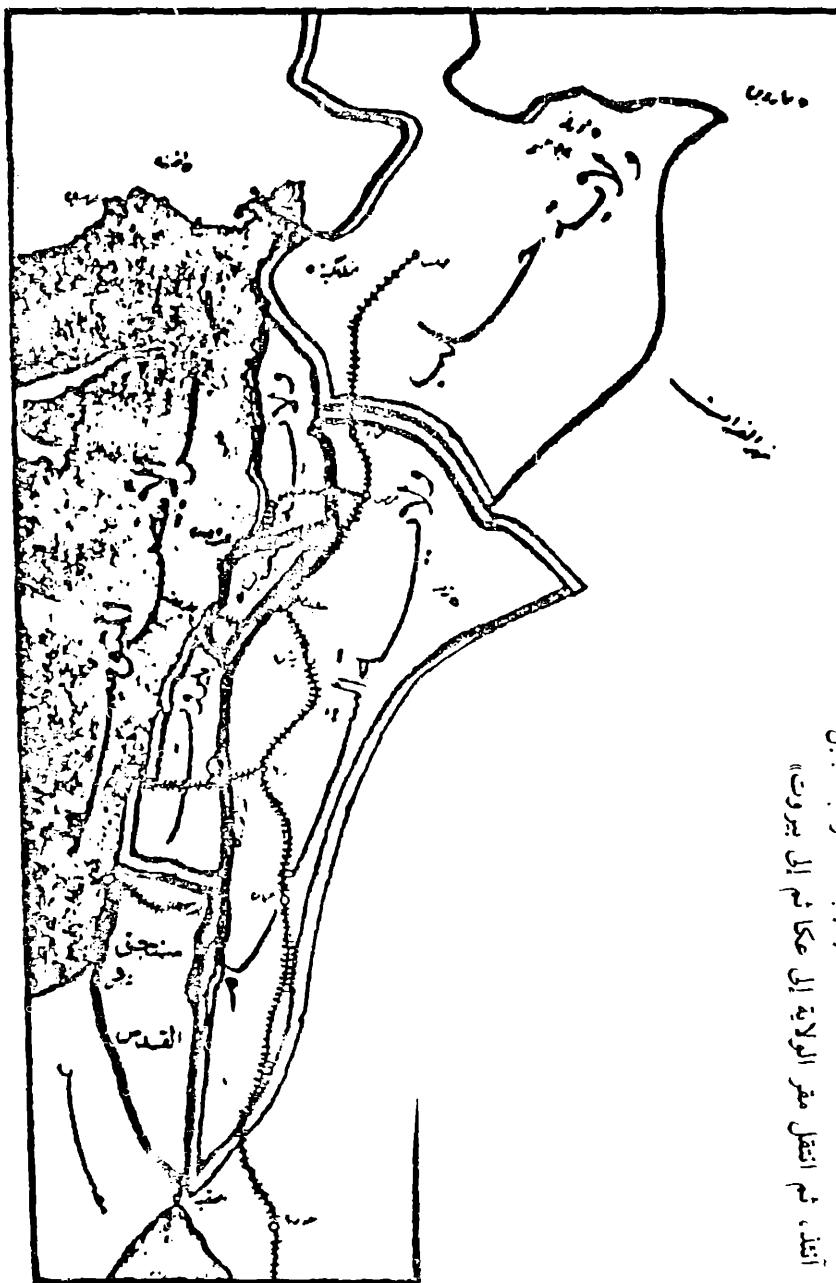
CAIRO (652) - 29-4-12H00' STE

ALLIANCE LIBANAISE SALUE VICTOIRE ALLIÉE EN SYRIE ASSURANT  
AU LIBAN SON INDEPENDANCE COMPLÈTE DANS SES FRONTIÈRES  
NATURELLES SOUS GARANTIE DES PUISSANCES

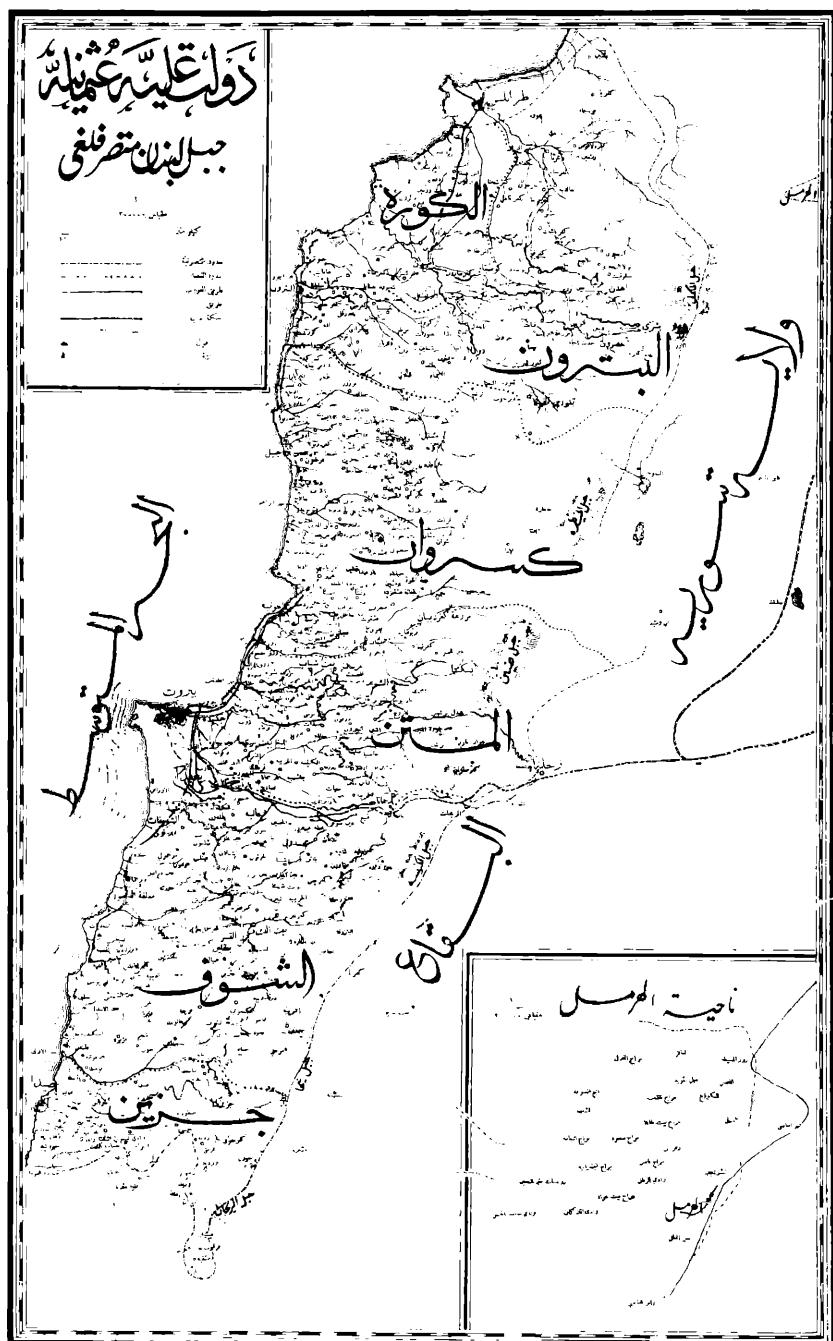
ADIB PRESIDENT ALLIANCE LIBANAISE

*M. Bechelot*

لوحة رقم - ١



نقلاً عن: نادر العطار، تاريخ سوريا  
 تقسيم سوريا الاداري في المعهد الشهابي  
 أحدثت ولاية صيدا سنة ١٩٦٠، بسبب اضطراب الجبل  
 أذنن، ثم انتقل مقر الولاية إلى عكاشم إلى بيروت»



لوحة رقم - ٣ -



لبنان كما طالبت به «لجان لبنانية» ١٩٢٠ - ١٩١٨

G. Samné: La Syrie, Paris 1920 : نفلاً عن:

# الفهَارس العَامَة

فهرس الأعْنَام

فهرس الأماكن

المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات



# فهرس الأعلام

(أ)

- |                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| أحمد عرابي: . ١٠٧                    | أبو ذر الغفارى: . ٣١                    |
| أحمد قدرى: . ٣١٠                     | إبراهيم آغا الجوهري: . ١٢٢              |
| أحمد مختار بيهى: . ١٩٦               | إبراهيم باشا: . ٣٠٨                     |
| أدهم بك: . ١٩٠ ، ١٨٧                 | إبراهيم ثابت: . ١٣٤                     |
| أدهم خنجر: . ٣١٤                     | إبراهيم الحوراني: . ١١٢                 |
| ادوار غراي: . ٢٦٢                    | إبراهيم المولى الحبشي: . ١٤٨            |
| أنرنست رامروز: . ١٤٣                 | إبراهيم اليازجي: . ١٣٤ ، ١١٨ ، ١١٢ ، ٩٣ |
| أسعد الشقيرى: . ٢٤٣                  | أتاتورك: . ٣٠٩                          |
| اسكندر عازار: . ١٩١                  | أحمد تحسين: . ٣٠٧                       |
| اسكندر عمون: . ١٨٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ | أحمد رضا: . ١٤٢                         |
| . ٢٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢١١              | أحمد الصلح: . ١٢١ ، ١٢٤ ، ٢٥٩           |
| اسماعيل باشا: . ١٤٨                  | أحمد طبارة: . ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠     |
| الأفغاني: . ١٤٩                      | أحمد طربين: . ١٥٦                       |
| البير سرقى: . ١٩٦                    | أحمد عباس الأزهري: . ١٢٢                |

الفرد سرق: . ١٧٨

الياس الحويك: . ١٥٥، ٢٧٩، ٢٨١،

. ٣٢٣، ٢٩٢، ٣٢١، ٣٢٣

الياس الشويري: . ٣٢٤

اميل اده: . ٣١٢، ٢٧٦

أمين أرسلان: . ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٦

أمين سعيد: . ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٨

### ( ب )

بونكاريه: . ١٧٠، ١٧٣، ١٨٤، ٢١٤، ٢٢١،

بوفور (جزال فرنسي): . ٦٣

بول نجم: . ٢١١

بول هوفلين: . ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٧١، ٣٠١،

. ٣٠٤

بومبار: . ١٧٤

بوون (مستشرق): . ٣٧، ٤٣، ٤٦، ٣٣٦

البستانى (مطران): . ١٣١، ١٥٥

بشرة أزي: . ٢١١

بشرة الخوري: . ٢١٠، ٢٨٠

بشرة واكيم: . ٢١١

بشير الثالث: . ٤٩، ١٤

بطرس البستانى: . ١١٨، ١٠١، ٧٥

بلس: . ٢٧٧، ٢٩٦

### ( ت )

توفيق توما: . ١٥٥

توفيق السويدى: . ١٨٤

توفيق أرسلان: . ٣١٢

توفيق البساط: . ١٨٠

### ( ج )

جال باشا: . ٢٠٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨،

. ٢٤٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٧

. ٢٥٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٤٩

جال الدين القاسمي: . ١٣٥

جميل الألشى: . ٣٢٤

جاك بيرك: . ١٣٩

جاك كولان: . ٩٢

جب (مستشرق): . ٣٧، ٤٣، ٤٦، ٣٣٦

جيورغور: . ١٢٥، ١٢٦

الجزار: . ٣٧

جورج حنا: . ٢١١	جميل مردم: . ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤
جورج سمنه: . ٩٩ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، . ٢٠٠	جميل معلوف: . ١٩٤
. ٢٢٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، . ٢٠٠	جورج انطونيوس: . ١١٣ ، ١١٤ ، ١٩٤
	جورج بيكو: . ٢٦١

## (ح)

حسن حاده: . ٢٥٩ ، ٢٦٠	حازم بك: . ١٩٠
حسن شهاب: . ٧٠	الحاكم بأمر الله: . ٣١
حسين = الشريف حسين.	حبيب باشا السعد: . ١٦٠ ، ٢٧١ ، ٣١٣
حسين بيهم: . ١٢٢ ، ١٣٣	. ٣٢٤ ، ٣٢٤
حقي العظم: . ١٨٥	حبيب بترس: . ١٣٤
حمدي باشا: . ١٢٦ ، ١٣٦	حبيب جلخ: . ١٣٤
. ١٢٥	حبيب غانم: . ٢١١
حنان الخوري: . ١٣٣ ، ١٣٤	حبيب يزيك: . ٢١١
حيدر معلوف: . ٢١١	حسن تقى الدين الحصنى: . ١٢٢

## (خ)

خليل غانم: . ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨	خليل أبو اللمع: . ٢١١
خير الله خير الله: . ٩٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، . ٢٢٥	خليل زينية: . ١٩٦
. ٢٠٩ ، ٢٠٩ ، ١٩٤	خليل عقل شديد: . ٣٢٤

## (د)

داود عمون: . ٢٧٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦	داروين: . ١١٥
الدبس: . ١٣١	داود باشا: . ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٢١٦
. ٨٠	داود بركات: . ٢١١

(ر)

- |  |  |
|--|--|
| <p>رضا الصلح: .٣١٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ .</p> <p>رفيق التبمبي: .١٨٤ .</p> <p>رفيق العظم: .٢٥٩ ، ١٣٥ .</p> <p>الركابي = رضا الركابي.</p> <p>روبير لانسينغ: .٢٧٣ .</p> <p>رياض الصلح: .٢٧٢ .</p> <p>ريستيلهوبير: .١٦٤ .</p> | <p>رزق الله أرقش: .١٩١ .</p> <p>رزق الله حسون: .١١٧ .</p> <p>رزق الله خضراء: .١٣٤ .</p> <p>رستم باشا: .٧٤ ، ١٥٥ .</p> <p>رشدي الحكيم: .١٣٨ .</p> <p>رشيد رضا: .٢٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٠ ، ١٠٠ ، ٩٩ .</p> <p>رضا الركابي: .٢٧٠ ، ٢٧١ .</p> |
|--|--|

(ز)

- |  |                           |
|--|---------------------------|
| <p>زين نور الدين زين: .١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ .</p> | <p>ذكرى طبارة: .١٩١ .</p> |
|--|---------------------------|

(س)

- |  |  |
|--|--|
| <p>سليم رمضان: .١٣٣ .</p> <p>سليم سركيس: .٢٦٠ .</p> <p>سليم سلام: .٢٠٣ ، ٢٠٠ ، ١٩٦ .</p> <p>سليم شحادة: .١٣٤ ، ١٣٣ .</p> <p>سليم طبارة: .١٩١ .</p> <p>سليم القانوني: .٤٠ ، ٣٩ .</p> <p>سليمان كنعان: .٣٢٤ .</p> <p>سمير جريديني: .١٨٥ .</p> <p>سيريل مغبغب: .٢٨٢ .</p> | <p>سازانوف: .٢٢٣ .</p> <p>سجعان أربع: .٢١١ .</p> <p>سعيد البستاني: .٣٢٣ .</p> <p>سعيد الجزايري: .٢٦٩ ، ٢٧١ .</p> <p>سعيد حيدر: .٣٠٩ .</p> <p>سعد الله الحويف: .٣٢٤ .</p> <p>سليم البخاري: .١٣٥ .</p> <p>سليم البستاني: .١٣٣ .</p> <p>سليم الجزايري: .١٣٥ .</p> |
|--|--|

(ش)

- |  |   |
|--|---|
| <p>شيل الشميل: .١٨٥ ، ١٠٠ .</p> <p>الشريف حسين: .٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٥٣ ، ١١٣ ، ١١٢ .</p> | <p>شارل دباس: .١٩٤ ، ٢٠٠ .</p> <p>شاهين مكاريوس: .١١٦ ، ١١٣ ، ١١٢ .</p> |
|--|---|

شكري غانم: ١٧٨، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٠، ٢٣٢، ٢٧٦.	٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٩.
شكيب أرسلان: ٨١، ٩٩، ١٦٠، ١٨٠، ٣٠٩.	الشريف ناصر: ٣٠٩.
شكيب أفندي: ٥٧.	شكري الأيوبي: ٢٧١.
الشيخ الحر: ١٢٥.	شكري الجندي: ١٣٨.
	شكري العسلي: ١٣٥.

(ص)

صباح الدين باشا: ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.	صادق حزة: ٣١٤.
صروف = يعقوب صروف.	صالح العلي: ٣٠٨.
صلاح الدين القاسمي: ١٣٧، ١٣٨.	صالح قباذ: ١٣٧.

(ط)

طلعت باشا: ١٨١، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٤٠.	طانيوس شاهين: ٥٧، ٧٣.
طلعت شكري: ١٨٠.	طاهر الجزائري: ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.
طنوس الشدياق (مؤرخ): ١٩.	١٤٣.

(ظ)

ظاهر العمر: ١٦.

(ع)

عارف النكدي: ١٣٨.	عادل أرسلان: ١٣٨.
عازوري = نجيب عازوري.	عادل اسماعيل: ٢٩٦.
عبد الحميد (سلطان عثماني): ١٠١، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٩.	عادل الصلح: ١٢٨.
	عارف النعماني: ٣٢٤.

عبد الكريم الخليل: ١٣٨، ٢٠٢، ١٨٠	١٢٣، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٠
. ٢٤٤	. ١٧٤، ١٥٥
عبد الله أبو اللمع: ٧٠	١٨١، ١٢٣
عبد الله الخوري: ٣١٢	١٣٥، ١٩٦
عبد الله يحيى خليل: ٢٧٢	. ٢٠٣
عبد المجيد (سلطان عثماني): ١٨	عبد الحليم الحجار: ٢٧٦
عبد الوهاب المليحي: ١٣٥	عبد الرحمن الشهبندر: ١٣٥
عبد أبو راشد: ١٥٧	. ٢٥٩
عثمان مردم: ١٣٧	عبد الرحمن الكواكي: ١٤٩
عزيز علي مصري: ٢٠٤	عبد الرحيم بدران: ١٣٣
علي بن أبي طالب: ٣١، ٢٥٤	عبد الرزاق البيطار: ١٣٥
علي بك الكبير: ١٦	عبد العزيز (سلطان عثماني): ١٣٩
علي الحر: ١٢٢	عبد العزيز عوض: ١٣
علي منيف بك: ٢٣٦	عبد الغني العريسي: ١٣٨، ١٩١، ١٩٣
عمر الداعوق: ٢٧١	. ١٩٧، ١٩٤
عنوي عبد الهادي: ١٨٤، ١٩٣، ١٩٤	عبد القادر الجزائري: ٦٣، ٦٤، ١٢٢
	. ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١
	عبد القادر القباني: ١٢٥

## (غ)

٣١٠، ٣١٣، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٦	غراءي = ادوار غرائي.
. ٣٢٩، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٢	غليسون الثاني: ١٠٧
	غورو: ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦

## (ف)

فائز الغصين: ٢٥٧	فارس الخوري: ١٣٥
فتح الله مراش: ١١٧	فارس نمر: ٩٩، ١٠٠، ١١٢، ١١٣
فخر الدين الثاني: ٢١٦	. ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٤، ١٢٨
فرنسوا الأول: ٣٩	. ١٥٠، ٢٧٨

٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٣٠٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣١٨ ، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣١٠ . ٣٢٣	فؤاد باشا: ٦٥ . فؤاد عبد الملك: ٣٢٤ . فيتال كونيه: ٨٦ . فيصل (ابن الشريف حسين): ٢٥١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٦١
---	---

(ق)

قيس شهاب: ٧٠ .

(ك)

كرم = يوسف كرم . كليمصو: ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ .	كاترو: ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ . كامل الأسعد: ٢٤٣ ، ٢٤٤ . كامل باشا: ١٨٧ . كامل القصاب: ٢٥٨ .
---	--

(ل)

اللنبي (جنزال): ٢٩٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٠ . لورنس: ٢٦٤ ، ٢٧٠ . لويد جورج: ٢٢١ ، ٢٨٥ . لويس الرابع عشر: ٤١ . لويس صابونجي: ١٤٨ .	لابري: ٣١٣ ، ٣٢٣ . لامارتين: ٣٥ ، ٤٣ . لامنس (مستشرق): ٣١ . لطفل الله باشا: ١٤٢ . لطفي الحفار: ١٣٧ .
---	--

(م)

محب الدين الخطيب: ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٨٥ . محمد الأمين: ١٢٢ ، ١٢٤ . محمد بيهم: ٢٠٣ . محمد الثاني (سلطان عثماني): ٣٦ .	مارisel كولومب: ١١٩ . مارك سايكس: ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦١ . مار مارون: ٣٢ . مجيد شهاب: ٧٠ .
---	--

- |  |  |
|--|--|
| مراد (سلطان عثماني): . ١٠٦<br>مراد أبو اللمع: . ٧٠<br>مصطفى الشهابي: . ١٣٥، ١٣٧، ١٤٨<br>مصطفى كمال: . ١٨٠، ٣٠٩<br>مطران = ندرة مطران.<br>مظفر باشا: . ١٥٧<br>معاوية بن أبي سفيان: . ٣١<br>مكسيم رودنسون: . ٤٥، ٩٨<br>مكسيم نيكولا: . ٣٣٣<br>مكماهون: . ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥<br>ملحم أرسلان: . ٧٠<br>المهدى: . ١٢٠<br>موسى فريج: . ١٣٤<br>ميشال لطف الله: . ٢٥٩<br>ميليران: . ٣٠٦، ٣١٢، ٣١١<br>نجيب عبد الملك: . ٢٧٦<br>ندرة مطران: . ٧٣، ٩٩، ١٨٣، ١٩٤، ١٩٧<br>نسيب جنبلاط: . ١٥٦<br>غمر = فارس غمر.<br>نيجر: . ٣٢٧ | محمد جابر آل صفا: . ٢٧١، ٢٤٤<br>محمد الحاج عيسى: . ٣٢٤<br>محمد رستم حيدر: . ١٨٤<br>محمد رشيد رضا: . ٢٥٩، ٢٦٠، ١٤٩<br>محمد طبرة: . ١٩٣، ١٩٤<br>محمد عبلة: . ١٤٩، ١٥٠<br>محمد علي باشا: . ١٦، ١٨<br>محمد الفاتح: . ٣٧<br>محمد كرد علي: . ١٣٥<br>محمد المحصاني: . ١٣٨، ١٨٤، ٢٤٦<br>محمود باشا: . ١٤٢<br>محمود جنبلاط: . ٣٢٤<br>غنار بيه: . ٢٠٣<br>خمول القاصوف: . ٣٢٤<br>مدحت باشا: . ٦٥، ١٠٦، ١٢٦، ١٠٩<br>مدحت شكري: . ١٨٠ |
|--|--|

(ن)

- |  |   |
|--|---|
| ناجيب عبد الله: . ٢٧٦<br>ندرة مطران: . ٧٣، ٩٩، ١٨٣، ١٩٤، ١٩٧<br>نسيب جنبلاط: . ١٥٦<br>غمر = فارس غمر.<br>نيجر: . ٣٢٧ | نابليون الثالث: . ٦٣<br>ناصيف جنبلاط: . ١٥٦<br>ناصيف البازجي: . ١٠١، ١١٨، ١٣٤<br>نجيب بك الأصفر: . ٣٢٤<br>نجيب طراد: . ١٧٨<br>نجيب عازوري: . ٩٨، ٩٩، ١٤٦، ١٤٧<br>نيجير: . ١٤٨ |
|--|---|

(هـ)

- |                     |                              |
|---------------------|------------------------------|
| هربرت صموئيل: . ٢٦٢ | هاشم بك الأتاسي: . ٣١٠ - ٣٠٩ |
|---------------------|------------------------------|

هوفلين = بول هوفلين .  
هني مكماهون = مكماهون .

(و)

.٣٠٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦  
وهبه العيسى : ٢٦٠ .  
ويلسون : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

(ي)

يوسف سرق : ٢٠٣ .  
يعقوب صروف : ٩٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٨ .  
يوسف فرنكو باشا : ٢١٣ .  
يوسف البريدي : ٣٢٤ .  
يوسف كرم : ٥٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٢٤ .  
يوسف الجميل : ٣١٢ .  
يوسف مزهر : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٥ .  
اليازجي = إبراهيم اليازجي .



# فهرس الأماكن

(أ)

أرمينيا: . ١٠٨	
استانبول: ، ٣٦ ، ٦٠ ، ٨٨ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٩٢ ، ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٥٥	
البانيا: . ١٦٩	
المانيا: ، ١٠٨ ، ١٣١ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٢١ ، ٢٦٣	
أماديا: . ٢٥٢	
أميركا: . ٣٢٤ ، ١٠٠	
الأناضول: . ٩١ ، ٦٣	
انطاكية: . ٢٧٢	
أورفا: . ٣١٨ ، ٢٥١	
إيطاليا: . ١٧٣	
	انكلترا: ، ١٢٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
	الأستانة: . ٤٤
	الاسكندرية: ، ١٧٠ ، ٢٢٢ ، ٢٥٣ ، ٣٢٩ ، ٢٥٤
	الاسكندرية: . ١٢٩
	آسية الصغرى: . ٢١
	أضنة: . ٢٥١

(二)



(ت)

- ٢٣٠، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٢، ٢٣٠ | ٢٢١، ١٨٢، ١٧٨، ١٤٢، ٩٦، ٦ ترکیا:

تل كلخ: ٣٠٧.

### (ج)

تونس: ١١٧، ١٣١.  
 ، ١٧٥، ١٥٣، ١٥٤، ١٦١،  
 ، ٢٣٥، ٢٢٧، ٢٠٧، ١٩٨، ١٩٤  
 ، ٢٩١، ٢٧٩، ٢٧٦، ٢٥٧، ٢٤٦  
 . ٢٣٥، ٣٢٥، ٣٢٣، ٣١٥، ٣١١  
 جبيل: ١١.  
 جزيرة ابن عمر: ٢٥٢.  
 الجزيرة العربية: ٢٢٢، ٢٢٣.  
 جزين: ١١، ٣٣، ٣٥، ٥٨.  
 جنيف: ١٤٢.  
 جوزيه: ١٨٤، ٢١٤، ٢١١، ٢١٥.  
 . ٢٨٠

جبال طوروس: ٢٢٢، ٢٦٠.  
 جبل الدروز: ١١.  
 جبل الريحان: ١٩، ٣٣.  
 جبل عامل: ١٢، ١٢١، ١٢٠، ٣١،  
 ، ٢٩٢، ٢٧١، ٢٥٣، ٢٤٤، ١٢٢  
 . ٣١٤، ٣٢٢، ٣٠٧.  
 جبل لبنان: ١١، ١٢، ٢٣، ٢٤،  
 ، ٤٩، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٤٢، ٤٦،  
 ، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٠، ٥٣  
 ، ٨٦، ٨٥، ٨١، ٧٧، ٧٥  
 ، ١٠٢، ٩٦، ٩٣، ٩١  
 ، ١٣١، ١٢٩، ١٢٤، ١١٨، ١٠٩

### (ح)

حالة: ٢٥٣، ١٩٦، ١٢٢، ٨٩، ٨٨، ٨٦، ٥٣.  
 حصن: ٥٣، ٨٦، ٨٨، ٩٦، ٩٢، ١٢٢.  
 . ٣٠٧، ٢٥٣، ١٧٢.  
 حوران: ٨١، ٨٦، ٩١، ٩٦، ١٢٢.  
 ، ٣٠٨، ٣٠٥، ١٨٢، ١٦١، ١٥٦  
 . ٣٢٧.  
 حيفا: ٣٢٤.

حاصبيا: ٢٨٣، ٣٣٠.  
 الحجاز: ١٢٩، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٦.  
 . ٢٦١، ٢٥٧.  
 الحديث: ٢١٧.  
 حلب: ٣٠، ٤٤، ٤٥، ٨٨، ٨٦، ٨٩.  
 ، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢١٦، ١٧٠، ١٢٢  
 . ٣١٨، ٣٠٩، ٣٠٦، ٢٨٦، ٢٥٥

### (خ)

خليج العقبة: ٢٦٠.

الخيم: ٣٠٨، ٨٦.  
 خليج فارس: ٢٦٢.

(د)

٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤  
، ٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٤٩  
، ٢٩٤ ، ٢٨٨ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٥  
، ٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣  
، ٣٢١ ، ٣١٩ ، ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣١٦  
. ٣٢٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٣  
دير القمر: ١٦٠ ، ١٦١  
دير ميماس: ٣١٤

الدامور: ٢٨  
الدردنيل: ٢٤٢  
دمشق: ٨٩ ، ٦٥ ، ٥٣ ، ٣٢ ، ١٧ ، ١٤  
، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ٩١  
، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٢٨ ، ١٢٧  
، ١٨٠ ، ١٧٠ ، ١٤٩ ، ١٣٩ ، ١٣٨  
، ٢١٨ ، ٢١٦ ، ١٩٣ ، ١٨٥ ، ١٨٤  
، ٢٤١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧

. ٢٦٢ ، ٢٢٢ ، ١٢٩  
روما: ٣٢ ، ٤١ ، ٣٠٥  
رياق: ٣١٨ .

راشيا: ١٢ ، ٢٨٣ ، ٣٣٠  
رفع: ٢٦٠  
روسيا: ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٠٨

(ز)

زحلة: ٢١٦ ، ٢٨٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(س)

١٩٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٧٨ ، ١٧٣  
، ٢٠٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٨ ، ١٩٧  
، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ ، ٢١٤  
، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨  
، ٢٤٧ ، ٢٤٣ ، ٢٣٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥  
، ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٤٩  
، ٢٦٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠  
، ٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٢

ساحة البرج: ٢٤٥  
السودان: ١٢٠  
سورية: ٦٣ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٣٢ ، ٣٠  
، ٩١ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٦٤  
، ٩٣ ، ٩٩ ، ٩٢ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١٠٢  
، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١١٧ ، ١١٣ ، ١١٢  
، ١٣٩ ، ١٣٦ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٧  
، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٥٤ ، ١٤٢

السويس: .	١٣٠		٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٧ ، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٤
-----------	-----	--	--

(ش)

الشوف: .	١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ . ٣٠٦ ، ٧٧ ، ٥٨	١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ٢٩ ، ١٢٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ . ٣٢٥ ، ٣١٢ ، ٢٨٦ ، ٢٥٩ ، ١٣٥ . ٣١٤ ، ١٢ ، ١٣
----------	--	--

(ص)

صربيا: .	١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٢٥ . ٢٧١ ، ٢٥٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٠٩ . ٣١٤ ، ٣٠٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٧٢ . ٣٢٢ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣١٦ . ١٠٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٥٣ . ٦٥ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٢٠ ، ١٢١	٢٤٤ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٧١ . ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٧١ ، ٢٥٣ . ٣٢٩ ، ٣٢٥ . صوف: . صيدا: . . ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ . ٥٣ ، ٣٠ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٢ ، ١٣
----------	---	---

(ض)

. ٣٣١ . الضنية:

(ط)

الطاائف: .	٢٥٦	طرابلس: .	٢٥٦
طرابلس: .	٨٧ ، ٨٥ ، ٥٣ ، ٣٠ ، ١٢	طرابلس: .	٢٥٦
الطيبة: .	٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٨٥	طرابلس الغرب: .	٨٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٢٠

(ع)

عكا: ١٧، ٨٥، ٢٧٠	عليه: ٢٣٥
عكار: ١٢، ٢٨١، ٢٩٢، ٣٠٧	عدن: ٢٥٢
عين ليل: ٣١٤، ٣١٥	العراق: ٣١، ٣١، ١٠٨، ٢٤٢، ٢٥٤
	، ٣٠٠، ٢٨٥، ٢٦٢، ٢٥٦
	. ٣١٩

(غ)

غريفة: ٣٠٧

(ف)

٢٨٦، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨٠	الفرات: ١٤٦، ٢٦٠
٣٠٥، ٣٠٣، ٣٠٠، ٢٩٩، ٢٩٧	فرنسا: ٤١، ٤٢، ٤٦، ٦٣
٣١٥، ٣١٤، ٣١١، ٣١٠، ٢٠٧	، ١١٤، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٢
٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣١٨	، ٩٧، ١٥١، ١٤٢، ١٢٩، ١٢٨
. ٣٣٤، ٣٣١	، ١١٧، ١٧١، ١٧٠، ١٦٥، ١٦٤
فلسطين: ١٢، ١٤، ١٦، ٣٠، ٧٥	، ١٥٣، ١٨٤، ١٧٩، ١٧٥، ١٧٤
، ٢٧٢، ٢٦٣، ٢٦٢، ٨٧، ٨٦	، ١٧٣، ٢١٤، ٢٠٨، ٢٠٠، ١٩٠
، ٢٨٥، ٢٨٣، ٢٧٨، ٢٧٥، ٢٧٤	، ١٨٧، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٢، ٢٢١
، ٢٩٩، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩٢	، ٢١٥، ٢٥٥، ٢٤٧، ٢٣٦، ٢٢٩
. ٣٣١، ٣١١، ٣٠٤	، ٢٢٨، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٦٢، ٢٦١
	، ٢٥٨، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦

(ق)

قبرص: ١٠٧، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣	القاهرة: ١٣، ١٤٩، ١٨٥، ١٥٠
القدس: ١٧٠	، ٢١٠، ١٨٥، ١٥٠، ٢٧٨، ٢٥٩
القطنطينية: ٢٣٧، ٢٢٧، ٢٢٣	، ٢٥٧، ٢٢٧

. ٢٦٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٥

القلمون: . ٢٥٧

قناة السويس: ، ١٤٦ ، ١٠٧ ، ١٠٠

### (ك)

الكرة: . ٣٢ ، ١٩  
كيليكيا: . ٢٢٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٨ ، ٣١٩

كسروان: ، ١١ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٣ ، ٤٩  
. ٧٢ ، ٥٥  
الكعبة: . ٢٢٧  
كفركللا: . ٣٠٨

### (ل)

اللاذقية: ، ٣٠ ، ٨٥ ، ١٢٢ ، ٢٧٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٣ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣  
. ٣٣٦ ، ٣٣٤  
لندرا: . ٣٠٥  
لندن: ، ١٤٨ ، ١٧٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ١٧٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢  
. ٣٠٥ ، ٢٨٥ ، ٢٦٤  
. ٣٣٤  
لوزان: ، ٣٣٣  
. ١٨٠  
ليبيا: ، ١٦٩  
ليون: ، ٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢  
. ٣١٨ ، ٣٠٤

لبنان: ، ١٢ ، ١٤ ، ٩٢ ، ٨٦ ، ٦٧ ، ١٤٨ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ١٥٤ ، ١٢٩ ، ١٢٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٧٢ ، ٢١٨ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٧٧ ، ٢٤٦ ، ٢٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠١ ، ٢٩٥ ، ٢٨٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣١٢ ، ٣١١

### (م)

مرجعيون: . ٣١٤ ، ٣٠٨ ، ٨٥  
مرسيليا: . ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٨٩  
مرسين: . ٣١٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢  
مزرعة الشوف: . ٣٠٧ ، ٣٠٦  
مصر: ، ١٦ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٨٧

ماردين: . ٢٥٢  
مارسيليا: . ٢٣١  
المتن: . ٣٥  
مداين صالح: . ٢٦٠  
المدينة: . ٢٥٦

المكسيك: . ١٩٦	. ٨٨، ٩١، ١٠٠، ١٠٧، ١١٦
مكة: . ٢٥٦، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٢٢، ٢١٨	. ١١٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٠، ١٣١
. ٢٦٢	. ١٣٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١
ملكة سبا: . ٣١	. ٢٤٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٢٢، ٢١٦
ميدبات: . ٢٥٢	. ٣٢١، ٣٠٠، ٢٦٤، ٢٦٠
ميسلون: . ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٢٨	. ٣١٨، ١٦٩

(ن)

نهر الخبرور: . ٢٦٠	. ٢٧٠، ١٩٣، ١٨٤، ٨٥
النهر الكبير: . ٣٣١	. ١٤٨
نيحا: . ٢١٧	. ٢٧١، ٨٦
	. ٣٠٩، ١٦٩، ١٢٢

(هـ)

هنغاريا: . ٣٠٩	. ١٦٩، ١٢٢
	. ٢٢٢

(و)

واشنطن: . ٣٠٥	. ٣٢
الولايات المتحدة الأمريكية: . ١٩٦، ٢٩٥	. ١٤٦
. ٣١٠، ٢٩٧، ٢٩٦	. ١٧٢

(يـ)

اليونان: . ١٣٠	. ٢٩١، ١٧٠
	. ١٨٢

## المصادر والمراجع

### وثائق غيرمنشورة وكتب ذاتائية

- **Ministère des Affaires Etrangères Français** (Paris); Archives Diplomatiques, Turquie (Syrie-Liban).  
\_ أرشيف مديرية الآثار اللبنانية - بيروت (المتحف).
- **Documents Diplomatiques Français**, (1871- 1914); Ministère des Affaires étrangères, T. II, Paris 1936.
- **Documents Diplomatiques Secrets Russes** (1914 - 1917); d'Après les Archives du Ministère des affaires étrangères à Petrograd traduit de Russe, Paris 1928.
- **Papers relating to the foreign relations of the United States** 1919, Vol. V, Washington 1946.
- **Archives Diplomatiques:** Recueil mensuel de Diplomatie d'Histoire, et de droit International, 3e Serie, (1908-1920).
- **Documents divers:**
- **Les revendications du Liban:** mémoire de la délégation Libanaise à la Conférence de la Paix; Le Président de la délégation Libanaise Elias Pierre Hoyek, Paris 25 Octobre 1919.

- **Le grand - Liban de Syrie à la Conférence de la paix**, Paris, Octobre 1919; Archevêque de Fourzoul Zahlé et la Békaa- Liban, Cyrille Moghabghab.
- **Le Liban et ses ports**: Note refutative en réponse à la décision du conseil des ministres ottoman, concernant la fermeture des Ports Libanais, Djounié le 8 Novembre 1909.
- **Le Bequaa aux Libanais!!!**  
Mémoire présenté aux gouvernements des grandes puissances protectrices du Liban, par les conseils municipaux de la ville de Zahlé et du Mont-Liban Zahlé, Mars 1913.
- **Exposé des plaintes et Désiteratas des Libanais**, le Comité des Cedres du Liban, Beyrouth le 29 Avril 1912.
- **Association du Jeune Liban**: mémoire sur la question Libanaise présenté aux puissances, le Caire, le 10 Janvier 1920.
- المسألة اللبنانيّة: الاتحاد اللبناني في القطر المصري ، مصر ١٩٢٢ .
- Recueil des actes administratifs du Haut- Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban , année 1919- 1920, Vol. I, Beyrouth.

### مجلات وجرائد

- Correspondance d’Orient (1912 - 1918).
  - . لسان الحال ١٩١٩ - ١٩٢٠ .
  - . المغار ١٩١٤ - ١٩١٢ .

## مراجع باللغة الأجنبية

- Abel Armand:
- **Psychologie et Comportements**, (Monde Musulman Contemporain), Bruxelles 1962.
- «Marchands d'Orient d'Hier et d'Aujourd'hui» revue industrie No. 7 Juillet 1954.
- «Les Formes Nouvelles de la Question d'Orient» extrait de **revue de l'institut de sociologie**, Bruxelles 1952, No. 1.
- Abou Sélim, **«Le Bilinguisme Arabe Français au Liban»**, Paris 1962.
- Aouad Ibrahim: **«Le droit privé des Maronites au temps des emirs Chehab»**, thèse, Paris 1933.
- Barkan Omar Lütfi: «Le Servage Existait-il en Turquie»? **Annales (Economies société civilisations)** XI, 1956, pp. 54-60.
- Berque Jacques, **Les Arabes d'Hier à Demain**, Paris 1961.
- **L'idée de Classe dans l'Histoire Contemporaine des Arabes**, in: les classes sociales dans le Monde d'aujourd'hui **Cahiers Internationaux de Sociologie**, Vol. XXXVIII, Nouvelle Série, Douzième année, Janvier 1956, pp. 169-184.

- Bruneau André, **Traditions et Politique de la France au Levant**, Paris 1931 (thèse).
- Cahen Claude, «L'évolution de l'Iqtâ' du IXe AU XIIIe siècle», **Annales** (Economies sociétés civilisations). VIII 1953, pp. 25- 52.
- Cardon Louis, **Le Régime de la Propriété Foncière en Syrie et au Liban**, (thèse), Paris 1932.
- Catroux, **Deux Missions en Moyen-Orient (1919- 1920)**, Paris 1958.
- Colombe Marcel, «Islam et Nationalism Arabe à la veille de la Première Guerre Mondial», **Revue Historique**, Janvier - Mars 1900, pp. 85-98.
- Corm Georges, **Contribution à l'étude des sociétés Multiconfessionnelles**, effets socio-juridiques et politiques du pluralisme religieux, Paris 1971, (thèse).
- Couland Jacques, **Le Mouvement Syndical au Liban (1919- 1946) Paris 1970**.
- Chevallier Dominique:
- «**La Société du Mont - Liban à l'Epoque de la Révolution Industrielle en Europe**, Paris 1971.
- «Aux Origines des Troubles Agraires Libanais en 1858» **Annales** (E.S.C.) XIV 1959, pp. 35-64.
- «Lyon et la Syrie en 1919 Les Bases d'un Intervention», **revue historique**, 84e année Octobre - Decembre (cc XXIV, 1960).
- «Les Cadres Sociaux de l'Economie Agraire Dans le Proche - Orient le cas du Mont - Liban» **revue Historique** 92e année 1968.
- Cuinet Vital, **Syrie Liban et Palestine**, Géographie Administrative statistique descriptive et raisonné, Paris 1896.
- Ducoussou Gaston, «**L'Industrie de la Soie en Syrie et au Liban**, Paris - Beyrouth 1913.
- Ducruet Jean, **Les Capitaux Européens au Proche- Orient**, Paris 1964.
- Al-Kodsy Ahmad, **Nationalism and Class Struggles in the Arab World**, Monthly Review juby, August 1970.

- Emrit Marcel, **La Crise Syrienne et l'Expansion Economique Française en 1860», Revue Historique ccVII**, 1952 76e année, pp. 211 - 232.
- Gontaut Biron(Comte R. de) «**Comment la France s'est Installée en Syrie»** (1918 - 1919), Paris 1922.
- Guys Henri, **Relation d'un Séjour de Plusieurs Années à Beyrouth et dans le Liban**, Paris 1847.
- **Esquisse de l'Etat Politique et Commercial de la Syrie**, Paris 1862.
- Goblet M. et Samné G, **La Vie Politique orientale en 1909**, Paris 1910.
- Huvelin Paul, «**Compte rendu de la mission Française en Syrie», Que vaut la Syrie?** Mai-Septembre 1919.  
Fase I. Paris Marseille, Congrès Française de la Syrie.
- Ismail Adel, **Histoire du Liban: Redressement et Déclin du Féodisme Libanais 1840-1861**, Beyrouth 1958.
- **Le Liban, Histoire d'un peuple**, Beyrouth 1965.
- Kalisky René, «**Le Monde Arabe, Le Réveil et la Quête de l'Unité**», Verviers (Belgique) 1968.
- Khairallah K. T, **La Syrie**, Paris 1912.
- Lansing Robert, **Mémoires?**.
- Lawrence, **Les Sept Piliers de la Sagesse**, Traduction intégrale par Ch-Mauron, Paris 1940.
- Lyautey Pierre, **Gouraud**, Paris 1949.
- Lewis Bernard,
- **Les Arabes dans l'Histoire**, Bruxelles 1958.
- **The Emergence of Modern Turkey**, Londres 1961.
- Massignon Louis, «Introduction à l'Etude des Revendications Islamiques», **Revue du Monde Musulman**, Juin 1920.
- Mandelstam André, **Le Sort de l'Empire Ottoman**, Lausanne - Paris 1917.
- Moutran Nadra, **La Syrie de Demain**, France et Syrie, Paris 1916.
- Nicolas Maxime, **La Nationalité au Liban d'Après le Traité de Lausanne»**, Lyon 1928 (thèse).

- Rodinson Maxime, **Islam et Capitalism**, Paris 1966.
- **Marxisme et Monde Musulman**, Paris 1972.
- Nation et Idéologie, **Encyclopedie Universalis**, T. XI, Paris 1971, pp. 571- 575.
- Rondot Pierre, **Les Institutions Politiques au Liban**. Des communautés traditionnelles à l'Etat Moderne, Paris 1947.
- Sadaka Nagibe, **La question Syrienne pendant la guerre de 1914**, Paris 1940 (thèse).
- Safa Elie, **L'émigration Libanaise**, Beyrouth 1960 (thèse).
- Salam Nawaf, **L'Histoire et role de la Pénétration et de l'influence Française et Anglo-Américaine dans l'enseignement au Liban de 1840 à 1914** (Mémoire), Paris 1974.
- Samné Georges, **La Syrie**, Paris 1920.
- Testa (Baron de), **Recueil des traités de la porte ottomane avec les puissances étrangères**, Paris 1894, T. III.
- Touma Toufic, **Paysans et institutions féodales chez les druses et les Maronites du Liban du XVIIe siècle à 1914**, 2e T. Beyrouth 1971-1972.
- Van Riet Simone, **Introduction a l'Histoir contemporaine**, (du Monde Musulman), Bruxelles 1962.
- Weulersse Jacques, **Paysans de Syrie et du Proche-Orient**, Gallimard Paris, 1946.

## مراجع باللغة العربية

- أبي راشد عبود، «صوت الحق» ١٥ تشرين الأول ١٩٠٢ - جريدة النصير.
- أبو شقرا حسين، «الحركات في لبنان» صياغة ونشر عارف أبو شقرا، بيروت ١٩٥٢.
- الحصري ساطع، ميسلون، بيروت (بدون تاريخ).
- البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة ١٩٥٧.
- الحكمي يوسف :
  - سوريا والعهد العثماني، بيروت ١٩٦٦.
  - بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، بيروت ١٩٦٤.
- الخداد الخوري يوسف، رسالة في نكبات لبنان مدة الحرب إلى المهاجرين، (بدون تاريخ).
- اسماعيل عادل وخوري اميل، السياسة الدولية في الشرق العربي، ٥ أجزاء.
- الصلح عادل، سطور من الرسالة، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧ - بيروت ١٩٦٦

- آل صفا محمد جابر، تاريخ جبل عامل، بيروت (بدون تاريخ).
- الصليبي كمال، تاريخ لبنان الحديث، بيروت ١٩٦٩.
- ارسلان الأمير شكيب، سيرة ذاتية، بيروت ١٩٦٩.
- الشدياق طنوس، كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، بيروت ١٨٥٩.
- نظر فيه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد افرام البستاني - جزان، بيروت ١٩٧٠.
- الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، بيروت ١٩٦٠.
- الشهابي مصطفى، القومية العربية: تأريخها وقوامها ومراميها، الجامعة العربية ١٩٥٨.
- العقيقي انطون ضاهر، ثورة وفتنة في لبنان، مخطوطة مع وثائق أخرى نشرها وعلق عليها يوسف ابراهيم يزبك. بيروت ١٩٣٨.
- الحتنوي منصور، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية، لبنان ١٨٨٤.
- الغصين فايز، مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق ١٩٥٦.
- المقدسي انيس الخوري، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت ١٩٦٣.
- القاسمي صلاح الدين، آثاره، صفحات من تاريخ المهمة العربية، القاهرة ١٩٥٩.
- برو توفيق، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ١٩٠٨ - ١٩١٤. الجامعة العربية ١٩٥٠.
- بيهم محمد جليل، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، الجزء الثاني. بيروت ١٩٥٠.
- العرب والترك، بيروت ١٩٥٧.
- الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، بيروت ١٩٥٠.

- العهد المخضرم في سوريا ولبنان، ١٩١٨ - ١٩٢٠.
- ثورة العرب (لم يذكر اسم المؤلف) بقلم أحد اعضاء الجمعيات العربية، القاهرة ١٩١٦.
- جابر منذر، مؤتمر الحجيجـ رسالـة كفاءـة غير منـشورةـ الجـامعة الـلـبنـانية ١٩٧٢.
- جمال باشا، مذـكرـات جـمال باـشاـ بـغـدـادـ ١٩٦٣.
- حـقـيـ بكـ، لـبـنـانـ: مـبـاحـثـ عـلـمـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ... جـزـآنـ، بـيرـوـتـ ١٩٦٩ـ . ١٩٧٠
- حـناـ عـبـدـ اللهـ، القـضـيـةـ الزـرـاعـيـةـ وـالـحـرـكـاتـ الـفـلاـحـيـةـ فيـ سـورـيـةـ وـلـبـنـانـ، ١٩٧٥ـ . ١٩٢٠ـ . بـيرـوـتـ
- خـالـدـيـ وـفـروـخـ، التـبـشـيرـ وـالـاسـتـعـمـارـ، بـيرـوـتـ ١٩٧٣ـ .
- خـورـيـ بشـارـةـ خـلـيلـ، حقـائقـ لـبـنـانـيـةـ، الـجزـءـ الـأـولـ، بـيرـوـتـ ١٩٦٠ـ .
- دـاغـرـ أـسـعـدـ، مـذـكـرـاتـ عـلـىـ هـامـشـ الـقـضـيـةـ الـعـرـبـيـةـ، القـاهـرـةـ (بـدونـ تـارـيخـ).
- درـوزـةـ مـحـمـدـ عـزـتـ، حـوـلـ الـحـرـكـةـ الـعـرـبـيـةـ الـحـدـيـثـةـ، صـيـداـ ١٩٥٠ـ ، جـزـءـ ١ـ .
- زـينـ نـورـ الدـيـنـ زـينـ، نـشوـءـ الـقـومـيـةـ الـعـرـبـيـةـ، بـيرـوـتـ ١٩٦٦ـ .
- الـصـرـاعـ الدـولـيـ فـيـ الشـرـقـ الـأـوـسـطـ وـوـلـادـةـ دـولـيـةـ سـورـيـةـ وـلـبـنـانـ . بـيرـوـتـ ١٩٧١ـ .
- سـعـيدـ أـمـينـ، الثـوـرـةـ الـعـرـبـيـةـ الـكـبـرـىـ، الـجزـءـ الـأـولـ، القـاهـرـةـ (بـدونـ تـارـيخـ).
- اـسـرـارـ الثـوـرـةـ الـعـرـبـيـةـ، بـيرـوـتـ (بـدونـ تـارـيخـ).
- صـايـغـ أـنـيسـ، الـهـاشـمـيـونـ وـالـثـوـرـةـ الـعـرـبـيـةـ الـكـبـرـىـ، بـيرـوـتـ ١٩٦٦ـ .
- طـربـينـ أـحـمـدـ، لـبـنـانـ مـنـذـ عـهـدـ الـمـتـصـرـفـيـةـ إـلـىـ بـدـاـيـةـ الـأـنـتـدـابـ، جـامـعـةـ الـدـولـ . الـعـرـبـيـةـ - مـصـرـ ١٩٦٨ـ .
- ضـاهـرـ مـسـعـودـ، تـارـيـخـ لـبـنـانـ الـاجـتمـاعـيـ، بـيرـوـتـ ١٩٧٤ـ .

- أضواء على جغرافية التطور التاريخي للمقاطعات اللبنانية، مقتطف من مجلة «دراسات» العدد ١، ١٩٧٥. كلية التربية - الجامعة اللبنانية.
- عوض عبد العزيز محمد، الادارة العثمانية في ولاية سوريا، القاهرة ١٩٦٩.
- غالب الخوري بيار، فرنسا صديقة ومحامية، بيروت ١٩٢٤.
- قاسمية خيرية، الحكومة العربية في دمشق: ١٩١٨ - ١٩٢٠ - القاهرة ١٩٧١.
- مزهر يوسف، تاريخ لبنان العام.
- مكاريوس شاهين، فضائل الماسونية، مصر ١٨٩٩.
- يونس مسعود، «الملكية والعلاقات العائلية في جبل لبنان ابان حكم الامبراطورية العثمانية». الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية - أيار ١٩٧٥.

## كتب مترجمة إلى العربية

- انطونيوس جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد - احسان عباس، ط ١، بيروت ١٩٦٢.
- بولياك، الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، بيروت ١٩٤٨.
- جب هاملتون وبوبون هارولد، المجتمع الإسلامي والغرب، مصر ١٩٧١ - جزآن -.
- حوراني البرت، الفكر العربي في عصر النهضة، بيروت - دار النهار للنشر.
- رامزور ارنست، تركيا الفتاة، بيروت ١٩٦٠.
- ريسنلهاوير رينيه، تقالييد فرنسا في لبنان، ترجمة القس بولس عبد، حريرا - لبنان ١٩٢١.
- سيميليا نسكايا، الحركات الفلاحية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في لبنان، بيروت - دمشق - ١٩٧٢.



# فهرس الموضوعات

## الفصل الأول

٧	اهداء
٩	نظرة عامة على الأوضاع الاجتماعية قبل ١٨٦٠
١١	١ - طبيعة السلطة في عهد «امارة الجبل»
٢١	٢ - نظام الزراعة والأرض
٢٩	٣ - النوع الطائفي ونظام الملل العثماني
٣٩	٤ - التغلغل الأوروبي وآثاره

## الفصل الثاني

٥١	تكون النظام الجديد في جبل لبنان (المتصوفة)
٥٣	١ - التناقضات الاجتماعية: بين حدثي ١٨٥٨ و ١٨٦٠
٦٣	٢ - الصيغة الجديدة في الجبل «نظام أساسي» في إطار تنظيم إداري ومالى جديد لكل الولايات العثمانية
٦٩	٣ - انتظام القوى الاجتماعية المختلفة في إطار الصيغة الجديدة

## الفصل الثالث

٨٣	منطلقات لفهم الاتجاهات السياسية العامة في الشرق العربي ١٨٧٦ - ١٩٢٠ . أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين
----	--

١ - المدن الداخلية والساحل وجبل لبنان  
 ٢ - المجتمعات الاجتماعية والتعرف إلى «الهوية السياسية»

الفصل الرابع

- ١٠٣ - أشكال واتجاهات النضال ضد الاستبداد الحميدي (١٨٧٦ - ١٩٠٨) ....

١٠٥ - سياسة السلطان عبد الحميد

١١١ - موقف «نخبة» من المثقفين المسيحيين في بيروت ١٨٧٦ - ١٨٨٠

١٢١ - تحرك وجهاء المسلمين بين ١٨٧٧ - ١٨٨٠

١٣٣ - مظاهر ثقافية «مسيّسة» في بعض مدن الشرق العربي: بيروت - دمشق

١٤١ - أشكال واتجاهات العمل السياسي في الخارج

١٥٣ - مواقف سياسية في إطار متصرفية جبل لبنان (١٨٧٦ - ١٩٠٨)

الفصل الخامس

اتجاهات وأشكال العمل السياسي في العهد الدستوري العثماني (١٩٠٨ - ١٩١٤)

- ١٦٧ - نحو مزيد من مشاريع التقسيم والإلحاد: ردة فعل «الاتحاديين»
- ١٦٩ - بداية تشكيل التنظيمات السياسية
- ١٧٧ - حركة الإصلاح في بيروت كانون الثاني - نيسان ١٩١٣
- ١٨٧ - المؤتمر العربي الأول في باريس حزيران ١٩١٣
- ١٩٣ - العمل السياسي وبرامجه في جبل لبنان (١٩٠٨ - ١٩١٤)

الفصل السادس

- تطور الاتجاهات السياسية في الحرب العالمية الأولى بين القمع العسكري التركي والوعود الدولية «الإنذابة» (١٩١٤ - ١٩١٨)

١ - المشاريع الغربية والدول «الوطنية»

٢ - مواقف اللجان «السورية - اللبنانيّة» في الخارج

٣ - الموقف في الداخل: جمال باشا والتياريات السياسية المحليّة

٤ - طبيعة العلاقات بين الشريف حسين وبين الحركات السياسيّة المحليّة في المشرق العربي

## الفصل السابع

توازنات دولية وتجزئة سياسية إقليمية لسوريا (١٩١٨ - ١٩٢٠)	
إعلان دولة لبنان الكبير ..... ٢٦٧	
١ - مشاريع مرحلية لتنظيم الادارة في سوريا بعد الحرب مباشرة ..... ٢٦٩	
٢ - الوفود غير الرسمية في مؤتمر باريس الاتجاهات السياسية المحلية ومتطلبات «الدول الكبرى» ..... ٢٧٥	
٣ - وضع فيصل في الخارج وفي الداخل ..... ٢٨٥	
٤ - بعثة التحقيق الأميركية (١٠ حزيران - ٢١ تموز ١٩١٩) والمؤتمر السوري العام (٣ تموز ١٩١٩) ..... ٢٩١	
٥ - الوضع الفرنسي ومسألة اجلاء القوات الانكليزية من سوريا ..... ٢٩٩	
٦ - الوضع الداخلي بعد وصول الجنرال غورو: ظهور أشكال من حرب العصابات ..... ٣٢١	
٧ - اتجاهات وردود فعل أخرى قبل وبعد ميسلون	
إعلان دولة لبنان - الكبير ..... ٣٢١	
خلاصة ..... ٣٣٥	
ملاحق ..... ٣٣٩	
ملحق رقم ١ : بروتوكول ١٨٦٤ ، النظام الأساسي لجبل لبنان ..... ٣٤١	
ملحق رقم ٢ : موقف «الدول الكبرى» من يوسف كرم والنظام الأساسي لجبل لبنان وثيقة رقم ١٥٧١١ ، أرشيف مديرية الآثار - بيروت - لبنان ..... ٣٤٩	
ملحق رقم ٣ : ترجمة المنشور الذي وجد معلقاً على جدران طرابلس في ٣١ كانون الأول ١٨٨٠ - ملحق بتقرير القنصل الفرنسي في بيروت ..... ٣٥١	
ملحق رقم ٤ : برنامج حزب الامركزية الادارية العثمانى المنار، مجلد ١٦ ، جزء ٣ ..... ٣٥٥	
ملحق رقم ٥ : صورة عن برقية حكومة دمشق العربية إلى رؤساء البلديات في المناطق. أرشيف مديرية الآثار - بيروت - لبنان وثيقة رقم ١٥٨٥٣ ..... ٤٢٣	

ملحق رقم ٦ : صورة عن القرار الذي اتخذه سبعة من أعضاء مجلس الادارة في ١٠ تموز ١٩٢٠ والقاضي بالطالبية باستقلال لبنان بالتنسيق مع حكومة سورية ودون الإشارة إلى الانتداب الفرنسي	٣٦١
ارشيف مديرية الآثار - بيروت - لبنان . وثيقة رقم ٦٦٧٦	
ملحق رقم ٧ : مقتطف من تقرير لجنة الاستفتاء الأمريكية وتوصياتها بشأن رغبات البلاد في مصيرها	٣٦٣
- الحدود الجغرافية	٣٧٠
- الاستقلال الناجز	٣٧١
- شكل الحكومة	٣٧٢
- الوصاية	٣٧٢
- الصهيونية	٣٧٣
- الاحتجاجات والانتقادات	٣٧٣
- طوف اللجنة	٣٧٤
- الكلام على المناطق	٣٧٥
- لبنان	٣٨٠
- منطقة الاحتلال العربية	٣٨١
ملحق رقم ٨ : قرار المفوض السامي الفرنسي تاريخ ٣١ آب ١٩٢٠ ورقم ٣١٨ بفصل لبنان عن سوريا وانشاء دولة «لبنان الكبير» اعتباراً من أول أيلول ١٩٢٠ : تحديد دولة لبنان الكبير	٣٨٣
ملحق رقم ٩ - برقيه الاتحاد اللبناني الى وزارة الخارجية الفرنسية	٣٨٥
لوحة رقم ١ : تقسيم سورية الاداري في العهد العثماني الأخير	٣٨٦
لوحة رقم ٢ : متصرفية جبل لبنان	٣٨٧
لوحة رقم ٣ : لبنان كما طالبت به لجان نيابية	٣٨٨
<b>الفهرس العامة</b>	
فهرس الأعلام	٣٩١
فهرس الأماكن	٤٠١
المصادر والمراجع	٤٠٩

## الاتجاهات الاجتماعية والسياسية

في جبل لبنان والشرق العربي

من النشرة العلمية لجامعة طرابلس الكبير

محاولة لتبسيط الواقع الاجتماعي للاتجاهات السياسية  
الخليفة التي عرفها تاريخ المنطقة في حملة ١٨٥٨ - ١٩٢٠، وكيف  
تمددت وظيفة هذه المواقف في سياق تاريخي واحد ارتبط فيه  
ثلاث عمليات تاريخية متداخلة:  
- تفكك بنى اسطولية العثمانية.  
- المغامسون الاستعماري الغربي.  
- نشوء اتجاهات قوية عديدة في الولايات  
العربية العثمانية.

وكل هذه اتجاهات تحول نموذج في عملية الائتلاف في  
جبل لبنان من صيغة المتصوفة العثمانية إلى صيغة دولة  
بنان الكبير ومن ثم في بحرى الاتجاهات السياسية الكبرى في  
المشرق العربي، التي درست اعتماداً على وثائقها وأصولها.

الناشر